كنوز النعمة

لمعونة خدام الكلمة
في
شرح أناجيل السنة التوتية

حسب ترتيب ومعتقد الكنيسة
القبطية الأرثوذكسية

الجزء الثانى

كيهك - أمشير

الطبعة الثانية

للأرشيدياكون المتنيح
بانوب عبده

الثمن جنيهان وربع

تقرر تلاوة هذا الكتاب بالكنائس وتدريسه بالكلية اللاهوتية بالإسكندرية

جميع الحقوق محفوظة

قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وسائر أقاليم الكرازة المرقسية
(الـ ١١٧)

طرس البركة

ى — ٢ — ١١٥

القاهرة في { ١٣ طوبه ـــــ سنة ١٦٦٨
موافق ٢٢ يناير ـــ سنة ١٩٥٢

بابا الاسكندريه
بطريرك الكرازة
المرقسيه

حضرة الأبن المبارك الأستاذ بانوب عبده
وكيل مدرسة شبرا الثانوية بارکه الرب

بعد متحكم البركات وصالح الدعاء — لقد تلقينا طلب بنوتكم الذى به تستأذنون في طبع كتابكم " كنوز النعمة لمعونة خدام الكلمة " ، ولما كان من أخص أمانينا أن يتسابق ذوو العلم من أبنائنا في ميدان البحث والتأليف ، لا سيما وأن كل ما جاء في كتابكم طبق عقيدتنا القبطية الأرثوذكسية ، حسبما قرره حضرات أبنائنا المباركين القمص ميخائيل مينا مدير الكلية اللاهوتية بحلوان ، والقمص إبراهيم عطية مدير الكلية اللاهوتية بنهمشا ، والدكتور أيوب فهيم ، بوصفهم من أعضاء اللجنة المختصة بمراجعة الكتب الدينية .

لهذا نأذن لبنوتكم بطبعه ونشره إظهارا لرضانا وتقديرا لمجهودكم ولا نرى مانعا من تلاوته بالكنائس واعتباره من الكتب الواجب دراستها بالكليتين اللاهوتيتين ، سائلين المولى تعالى أن يكلأكم بعين عنايته ورعايته ونعمته وبركته تشملانكم ولعظمته تعالى الشكر دائما .

الفهـــرس

(١) تقديم الكتاب

صفحة

طرس البركة ... ...
المقـدمة ... ...

(٢) عظات القطمارس السنوى

شهر كيهك

(ا) عظات الأيام ١
كلمة عامة عن الأعياد ٣٦
عيد الميلاد عند الشرقيين والغربيين ٣٨
السبعة وأربعة ٥٧
(ب) عظات الآحاد ٦٢

شهر طوبة

(ا) عظات الأيام ١٣٠
(ب) عظات الآحاد ٢٤٨

شهر أمشير

(ا) عظات الأيام ٢٨٠
(ب) عظات الآحاد ٢٩٢

(٣) أركان العبادة

الرفاع الكبير

(ا) الصدقة ٣٢٩
(ب) الصلاة ٣٣٦
(ج) الصوم ٣٥١

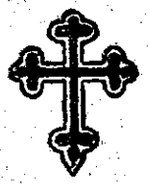

مقـــــدمة

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد. آمين

لقد طالما تمنت الكنيسة القبطية منذ قيامها فى مصر أن يقيض لها، اعى رعاتها الأكبر من يضع لها فى مؤلف واحد شرحا من نوع جديد للأناجيل التى تتلى على الشعب فى المناسبات المختلفة، شرحا لا يكون قاصرا على الناحية التفسيرية فحسب، كما هو ملاحظ الآن فى كتب التفسير المخطوطة التى تفيض بها خزانات الكتب فى مختلف الأديرة والكنائس والمتاحف ، بل شرحا يتناول علاوة على التفسير النواحى العقائدية والطقسية والتاريخية أيضا . ومثل هذا المؤلف الذى يكون بمثابة مرجع ينهل منه المعلمون والمتعلمون لا تكون فائدته قاصرة على بيان التفسير المستقيم لآيات فصل الأنجيل الذى يتلى، بل تتعداها إلى تلقين الأقباط اعترافات كنيستهم، وتثبيتهم فيها بالبراهين القوية ، وتبصيرهم بروائع طقوسهم الكنسية ، مع شرح ما يغمض عليهم منها، فيزدادون تعلقا بها وإعجابا بجمالها. هذا عدا تعريفهم بعظمة تاريخ أجدادهم الأمجاد فيتيه به وينسج على منواله الأبناء والأحفاد . هذه كانت أمنية الكنيسة منذ أمد بعيد ، ويا لها من أمنية عزيزة طالما داعبت أحلام الجميع رعاة ورعية حتى يتم بتحقيقها ثبات الأغصان فى الكرمة ثباتا ليس مصدره الحب المجرد الذى قد تنال منه مختلف التعاليم السقيمة التى لا ينقطع لها ظهور بين الحين والحين ، بل الحب المدعم بيقين الأيمان وصحيح الاعتقاد فى قوة وصحة الأدلة التى تثبت سلامة العقيدة وخلوها من الزيغان .

وإذا كانت الحاجة إلى مثل هذا المؤلف لم تبد واضحة تماما فيما مضى من الزمان ، فما ذلك إلا لأن الكنيسة كانت تجتاز فترة من الهدوء النسبى بالقياس

إلى ما تعانيه الآن من المحاربات السافرة التى تعصف بسفينتها فى هذه السنوات العصيبة التى تمر بها . واليوم وقد تضافرت عليها قوى الشر من خصوم المذهب وخصوم الدين فقد أصبحت الحاجة إلى مثل هذا الكتاب ماسة إلى أقصى حد لكى ترد الكنيسة العدوان بنفس السلاح بل بما هو أقوى منه لأن سيفها ماض وسلاحها لا يفل .

وقد ازدادت الرغبة إلى هذا الكتاب حينما تلفت الغيورون فوجدوا معظم رعاة الشعب ومعلميه يولون وجوههم شطر المصادر الغريبة على الأرثوذكسية ليستقوا منها ما يلقونه من عظات ، وحز كثيرا فى نفوس هؤلاء الغيورين أن يروا الجو الأرثوذكسى القويم يتسمم فى بطء غير ملحوظ ، وبأيدى من كان ينتظر منهم أن يكونوا حماته الساهرين . ولكن حيا الله هذا الشعب القبطى المجيد الذى تجرى فى دمه محبة كنيسته منذ القديم ويتعلق بها حتى النفس الأخير ، فما كاد يظهر الجزء الأول من كتاب « كنوز النعمة » الذى يحقق تلك الرغبة التى كانت تجيش فى صدره من زمن بعيد حتى وجد فيه ضالته المنشودة ، وسرعان ما تهافت الكثيرون على اقتنائه ، وكانوا كلما تعمقوا فى دراسته اشتد إعجابهم بدرره ، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إنه حتى الآن لم يختلف عليه منهم اثنان ، فقد بهرتهم كنوزه ، على حد قولهم ، وراعتهم قوته وأسلوبه ، وفتنتهم طباعته وتنسيقه ، وأدهشتهم نبالة قصده وغايته ، وهكذا فاز برضاهم جميعا من كافة الوجوه .

ولم تكن رياستنا الدينية العليا الموقرة بأقل تقديرا لهذا الكتاب من غيرها ، فلم يكد ينقضى على ظهوره شهر حتى قامت هى الأخرى متأثرة بنبالة مقصده تجد فى رفق ، وتؤيد فى قوة ، ما يدعو إليه من وجوب العناية بناحية العقائد والطقوس عناية تامة فى كل ما يلقى من عظات . فقد أصدر حبرنا الأكبر الجالس على كرسى مرقس الأنجيلى ، « يوساب الثانى بنعمة الله » ، من قصره البطريركى بالأسكندرية فى ١٠ أبيب سنة ١٦٦٨ الموافق ١٨ يولية ١٩٥٢ ، إلى حضرات أصحاب النيافة المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة وعاظ الكنائس نداءه الرعوى الجليل وفيه يقول بعد الديباجة ومباركة النهضة الكنسية الأخيرة ما نصه بالحرف الواحد :

« . . . . ولكننا مع ذلك نرى الكثير من أبنائنا الكهنة والوعاظ ، يولون كل عنايتهم ، ناحية الوعظ الإرشادى كالدعوة إلى التوبة والتمسك بالفضيلة ، وهذا حسن ، إلا أن للناحية التعليمية العقائدية أهمية بالغة أيضا ، خصوصا وأن البعض لجهلهم عقائد كنيستهم المرقسية الأرثوذكسية (مستقيمة الرأى) ، تركوا أبناءنا فى المدارس والمنشئات الأجنبية يتلقون التعاليم الغريبة ، حتى بردت محبة الكثيرين لكنيستهم ورؤسائها ، ولهذا تلفت أنظاركم إلى ضرورة الاهتمام بذلك ، فيكون المحل الأول فى وعظكم شرح عقائد وتقاليد الكنيسة القبطية المرقسية المستقيمة الرأى ، وإنارة أفكار الشعب بما حوته هذه العقائد والتقاليد من كنوز المعرفة ، وذخائر الحكمة التقوية التى تقرب الأنسان من خالقه « ولا يخدعنكم أحد بطريقة ما » (٢ تس ٢ : ٣) « ولاحظوا دائما الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافا للتعليم الذى تعلمتموه وأعرضوا عنهم » (رو ١٦ : ١٧) . وليعرف الجميع أن لكنيستنا المرقسية الأرثوذكسية (مستقيمة الرأى) تاريخا حافلا بالعبر ، زاخرا بمواقف الشرف والأباء والتضحية ، وهكذا كلما أدرك السامعون ما حفلت به كنيستهم من مظاهر المجد والقوة ، أحبوها وتفانوا فى خدمتها ، وشعروا بالعزة والكرامة فى الانضواء تحت لوائها ، وحينئذ لا ينساق بعض الضعفاء وراء تعاليم غريبة أو مبادىء مضللة ، ولا يصبغوا إلى خرافات وأنساب لاحد لها تسبب مباحثات دون بنيان الله الذى فى الأيمان (١ تى ١ : ٤) وإنما يرون فى كنيستهم وحدها فلك نجاتهم وسبيل خلاصهم ، فيكون مصير تلك التعاليم الغريبة كمصير الأمراض التى لا تصيب جسما محصنا ضدها بمصل الوقاية .

هذا وان ثقتنا لاتحد فى أن حضرات أصحاب النيافة إخوتنا المطارنة والأساقفة ، وأبنائنا الكهنة والوعاظ سيخصون هذا الشأن ببالغ اهتمامهم وعنايتهم حتى تتفادى الكنيسة هذه الصخور وتصل بسلام إلى بر الأمان والنجاة . . . . » اهـ .

وكنا نظن بعد هذا النداء الحار أن يبدأ بظهور كتاب « كنوز النعمة » انقلاب تدريجى فى أساليب الوعظ المتبعة الآن بأقبال حضرات الوعاظ على نشر ما فيه على الشعب ، ولكن يا لخيبة الأمل العظيمة ! فقد طفنا كثيرا من الكنائس واستمعنا إلى كثير مما يلقى فيها من عظات وإذا الحال على ما هى عليه ، وإذا

الذين يعتلون المنابر لا يحاولون أن يجشموا أنفسهم عناء دراسة الكتاب الذى اقتنوه ، ونشر تعاليمه بين جمهور المصلين . وقد وقفت أسائل نفسى فيم إذاً كان ما بذلنا ونبذل من جهود ! وفيم إذاً كان إعداد الطعام المطلوب وقد تكاسل عن تقديمه للشعب رعاتنا المسئولون ! إن الشعب ليستصرخكم أيها الرعاة ، ونحن من ورائه نهيب بكم فى إلحاح ، أن تغذوه بلبان التعاليم التى احتواها هذا الكتاب ، ولا يخالجنى شك فى أنكم ستستجيبون لهذا النداء الذى تمليه علينا طبيعة الظروف التى تمر بها كنيستنا الآن .

ولقد أثلج صدر كل غيور على الكنيسة صدور هذا المؤلف الذى نحن بصدده لأنه سد فراغا عظيما فيها ، ولعل ما قوبل به من إطراء إجماعى منقطع النظير كان أكبر حافز لمؤلفه على المجازفة بأخراج الجزء الثانى منه ، ولما يمض من الزمن على الجزء الأول إلا القليل . وأقول المجازفة لأن كل من اشتغل بالتأليف الدينى الكنسى يعرف شدة الصدمة التى تصيبه حينما تجابهه حقيقة الواقع الرهيب ألا وهى ضعف التشجيع العملى للثقافة الكنسية من الأكثرين ، وبخاصة من الذين يوضع المؤلف لفائدتهم بالذات . على أن هذا وغيره من العوامل لا يمكن أن يثنى الأمناء من الخدام عن مواصلة كفاحهم ، سيما وهم ينظرون إلى ما يبذلون عن طيب خاطر من تضحيات مادية وغيرها نظرة بولس الرسول إليها حين يقول « بل إنى أحسب كل شىء أيضا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح » (فى ٣ : ٨) . وهم إذ يفعلون ذلك يثقون فى قرارة نفوسهم أن سيأتى اليوم الذى فيه يدرك الجميع واجبهم نحو من يقدمون لكنيستهم وبسرور ما هى فى حاجة إليه من خدمات . وهذه الثقة التى يضعونها فى هذا الشعب الكريم يعرفون تماما أنهم لا يضعونها فى غير موضعها ، فقد أثبت الشعب فى كل زمان ومكان أنه ناصر كنيسته فى أحلك العصور والمناسبات .

على هذا الأساس السابق وبهذه النفس المطمئنة يسرنى أن أقدم لأمتى الحلقة الثانية من هذه الموسوعة الدينية الكنسية الكبرى التى تحمل اسم « كنوز النعمة » ، ولى ملء الثقة فى أنها ستظفر برضاهم كما ظفرت به سابقتها من قبل . وإنى أناشد من تصل إلى أيديهم من القراء ، بل ألحف عليهم فى الرجاء أن يحدثوا عنها من

لم يسمعوا بها ، مساهمة منهم فى الدعاية لكتاب كنسى مفيد لا يقصد منه ربح مادى حقير بل بنيان الكنيسة على صخرة الأيمان القويم . وإنى أضرع إلى رب الكنيسة ألا يجعل من قيمة تكاليفه المرتفعة التى يباع بها للجمهور عقبة كأداء فى سبيل انتشاره بينهم . وكذلك أناشد الجميع بدالة المحبة أن يصلوا من أجل مؤلفه ، وقد اضطلع بعمل ضخم فوق طاقته ، لكى يؤهله الله لأتمام هذه الخدمة المتواضعة لكنيستنا المجيدة المحبوبة .

هذا ولا بد من الإشارة إلى أنه قد عن لى أن أثبت فى أذهان القراء بالصور بعض موضوعات هذا الكتاب الخالدة ، فاخترت المجموعة التى تتحلى بها بعض صفحاته ، والتى كنت قد أوصيت عليها فى باريس من قبل لناحية أخرى من نواحى النشر ، وهى وإن كانت لا تحمل طابع الفن القبطى الجميل ، ذلك الفن الذى يهتم بأبراز جمال النفس ووداعة الروح وعظمة التقوى أكثر مما يعنى بتصوير جمال الجسد ومفاتن المظهر كما تفعل الفنون الأخرى ، إلا أنها تفى بالغرض الذى وضعت له .

ولا يفوتنى فى ختام كلمتى أن أعيد هنا ما سبق لى ذكره فى مقدمة الجزء الأول من ترحيبى بما قد يصل إلىّ من ملاحظات على هذا المؤلف فلرب الكنيسة وحده العصمة والكمال .

القاهرة فى يوم عيد الشعانين
٢٠ برمهات ١٦٦٩ ش
٢٩ مارس ١٩٥٣ م

بانوب عبده
٣٥ شارع الترعة البولاقية بشبرا مصر

شـــــهر كيهك

اليوم الأول من شهر كيهك

نياحة القديس بطرس الرهاوى أسقف غزه :

(تقرأ فصول اليوم السابع عشر من هاتور)

اليوم الثانى من شهر كيهك

نياحة القديس أباهور الراهب :

(تقرأ فصول اليوم السادس عشر من بؤونة)

اليوم الثالث من شهر كيهك

دخول السيدة العذراء إلى الهيكل بأورشليم :

(تقرأ فصول أول بشنس)

اليوم الرابع من شهر كيهك

شهادة أندراوس الرسول أخى بطرس :

(راجع فصول اليوم الخامس من أبيب)

اليوم الخامس من شهر كيهك

نياحة القديس ناحوم النبى :

(راجع فصول اليوم الثامن من توت)

اليوم السادس من شهر كيهك

نياحة الأنبا أبرآم السريانى البابا الثانى والستين :

(راجع فصول اليوم الثالث من أبيب)

اليوم السابع من شهر كيهك

نياحة القديس متى المسكين :

(راجع فصول اليوم الثانى من أمشير)

اليوم الثامن من شهر كيهك

شهادة القديس إيسوع وتكلا أخته :

(راجع فصول اليوم الثالث عشر من برمهات)

اليوم التاسع من شهر كيهك

نياحة القديس بيمين المعترف :

(راجع فصول اليوم الثانى والعشرين من طوبة)

اليوم العاشر من شهر كيهك

نياحة القديس نيقولاوس أسقف مورا :

(راجع فصول اليوم الثامن والعشرين من هاتور)

اليوم الحادى عشر من شهر كيهك

نياحة القديس الأنبا بيجيمى :

(راجع فصول اليوم السادس عشر من بؤونة)

اليوم الثانى عشر من شهر كيهك

نياحة القديس هدرا الأسوانى :

(راجع فصول اليوم العشرين من بشنس)

اليوم الثالث عشر من شهر كيهك

تذكار حبل القديسة حنة والدة السيدة مريم :

(راجع فصول اليوم السادس والعشرين من توت)

اليوم الرابع عشر من شهر كيهك

شهادة القديسين بهنام وسارة أخته :

(راجع فصول اليوم السابع والعشرين من برموده)

اليوم الخامس عشر من شهر كيهك

نياحة اغريغوريوس بطريرك الأرمن الأول الشهيد بغير سفك دم :

(راجع فصول اليوم السابع عشر من هاتور)

اليوم السادس عشر من شهر كيهك

تذكار تكريس كنيسة يعقوب المقطع :

(راجع فصول اليوم السابع والعشرين من هاتور)

اليوم السابع عشر من شهر كيهك

تذكار نياحة القديس لوقا العمودى ونقل جسده :

(راجع فصول اليوم الثالث من مسرى)

اليوم الثامن عشر من شهر كيهك

نقل جسد القديس تيطس إلى القسطنطينية :

(راجع فصول اليوم الثانى والعشرين من بابه)

اليوم التاسع عشر من شهر كيهك

نياحة القديس يوحنا أسقف البرلس :

(راجع فصول اليوم الثامن والعشرين من هاتور)

اليوم العشرون من شهر كيهك

نياحة حجى النبى :

(راجع فصول اليوم الثامن من توت)

اليوم الحادى والعشرون من شهر كيهك

شهادة القديس برنايا أحد السبعين رسولاً :

(راجع فصول اليوم الخامس من أبيب)

اليوم الثانى والعشرون من شهر كيهك

تذكار الملاك الجليل غبريال المبشر : (١)

المزامير والأناجيل :

يراد بفصول هذا اليوم أن تشير إلى موضوع واحد هو « الملاك الجليل غبريال » ، فأنجيل العشية يتكلم عن مجئ الديان مع ملائكته ، وإنجيل باكر عن خلاصه لمختاريه ، وإنجيل القداس عن البشارة بمولده على يد الملاك الجليل غبريال :

مزمور العشية : (٣٣ : ٦ ، ٧)

يشير هذا المزمور إلى حراسة الملائكة للمؤمنين ، ويمجد الله على ذلك ، ويهيب بالمؤمنين أن يتكلوا عليه فيقول « يعسكر ملاك الرب حول كل خائفيه وينجيهم . ذوقوا وانظروا . ما أطيب الرب . طوبى للإنسان المتكل عليه » .

انجيل العشية : (مت ١٦ : ٢٤ — ٢٨)

يتكلم هذا الفصل عن مجئ المخلص للدينونة ومعه ملائكته ، ودليل ذلك قوله « فأن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله » .

مزمور باكر : (٩٦ : ٨)

يشير هذا المزمور إلى سجود الملائكة لله ، وإلى ما جاء بفصل الإنجيل من أن مشيئة المخلص ليست فى أن يهلك أحد فيقول « أسجدوا له يا جميع ملائكته . سمعت صهيون ففرحت . وتهللت بنات اليهودية . من أجل أحكامك يا رب » .

انجيل باكر : (مت ١٨ : ١٠ — ٢٠)

يتكلم هذا الفصل عن خلاص المسيح لمختاريه ، ودليل ذلك قوله « هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » .

(١) أعياد الملائكة والقديسين : أنظر المقدمة صفحة ٦٥ من الجزء الأول .

مزمور القداس : (١٣٧ : ١)

يشير هذا المزمور إلى تصديق والدة الإله لبشارة الملاك لها بولادة المخلص ، وتسبيحها لله على ذلك فيقول « أعترف لك يا رب من كل قلبى . لأنك سمعت كل كلمات فمى . أمام الملائكة أرتل لك . وأسجد قدام هيكلك المقدس » .

انجيل القداس : (لو ١ : ٢٦ — ٣٨)

يشير هذا المزمور إلى بشارة الملاك للسيدة مريم بولادة المخلص ، ودليل ذلك قوله لها « وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع » .

الرسائل :

وتدور رسائل هذا اليوم حول موضوع واحد هو « الملائكة والخلاص » ، فالبولس يتكلم عن مركزهم فى الخلاص ، والكاثوليكون عن اشتهائهم الاطلاع عليه ، والأبركسيس عن نصيبهم فى خدمته :

البولس : (عب ٢ : ٥ — ١٨)

يبين الرسول هنا أن الله لم يخضع العالم العتيد للملائكة ، ولكنه أخضع كل شئ للسيد المسيح الذى وضعه قليلا عن الملائكة ، ثم يقول « ولكن الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد » ، ثم يقول عن أسباب تجسده « فأذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس » ، ويبين أنه لم يأخذ طبيعة الملائكة عند التجسد بل طبيعة البشر فيقول « لأنه حقا ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبرهيم » .

الكاثوليكون : (١ بط ١ : ٣ — ١٢)

ويشير الرسول هنا إلى الخلاص الذى فى المسيح يسوع بقوله « الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء » ، ثم يتكلم عن أموره بقوله « إنها تشتهى الملائكة أن تطلع عليها » .

الأبركسيس : (أع ١٠ : ٢١–٣٣)

ويبين هذا الفصل أن الملائكة أرواح مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص ، ودليل ذلك ظهور الملاك للقائد كرنيليوس لكى يرشده إلى الرسول بطرس الذى سيكون سببا فى خلاص هذا القائد وأهل بيته .

مواعيد تلاوتها :

وقد رتبت الكنيسة تلاوة الفصول السابقة كلما احتفلت بتذكار الملاك الجليل غبريال(١) وذلك فى المناسبتين الآتيتين :

٢٢ كيهك تذكار الملاك الجليل غبريال وتكريس كنيسته فى مدينة قيسارية
٣٠ برمهات « « « «

إنجيل العشية

(مت ١٦ : ٢٤ – ٢٨)

كيفية اتباع يسوع

تمهيد :

بعد أن سمع المخلص من تلاميذه رأيهم ورأى الناس فيه ، وسمع اعتراف بطرس بأيمانه ، ابتدأ يظهر لهم أنه ينبغى أن يتألم ، ثم أوضح لهم شروط اتباعه . وفصل الإنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يتكلم عن حمل الصليب ، والمجئ الثانى للمخلص ، ونجد هذا المجئ :

حمل صليبه :

٢٤ – حينئذ قال يسوع لتلاميذه إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى . ٢٥ – فأن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها . ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها .
٢٦ – لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه .

(راجع عشية ١٩ توت)

(١) **اعمدة غبريال** : جاء باللؤلؤة أن يوم ٢٦ يؤونه هو عيد الملاك غبريال وتقرأ فيه فصول ٢٢ كيهك .

مجيئ الثانى :

٢٧ – فأن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله .

٢٧ – وبعد أن بين لهم أن من أراد أن يخلص نفسه فى العالم الآتى وجب عليه أن يهلكها فى هذا العالم ، استطرد يوضح لهم أن الجزاء الذى ينالونه سيكون بنسبة تعبهم وعملهم ، فقال إنه سيأتى فى نهاية العالم على سحاب السماء (مت ٢٦ : ٦٤)، وفى مجد أبيه ومعه جميع الملائكة القديسين (مت ٢٥ : ٣١) ، إذ منهم « ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات قدامه » (دا ٧ : ١٠) ، ويجلس على كرسى مجده للدينونة ، ثم يجمع الأبرار والخطاة فيثيب الأولين بالنعيم ، ويجازى الآخرين بالنار التى لاتطفأ . وسيكون جزاء كل إنسان حسب عمله ، وفى ذلك يقول أيوب « لأنه يجازى الإنسان على فعله وينيل الرجل كطريقه » (أى ٣٤ : ١١) ، ويؤيد ذلك بولس الرسول بقوله « كل واحد سيأخذ أجرته حسب تعبه » (١ كو ٣ : ٨) .

مجد مجيئ :

٢٨ – الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته .

(أنظر إنجيل العشية ليوم ٨ هاتور تحت رقم ٩) .

إنجيل باكر

(مت ١٨ : ١٠ – ٢٠)

خلاص الصغار

(راجع قداس اليوم العاشر من بشنس)

إنجيل القداس

(لو ١ : ٢٦ – ٣٨)

بشارة الملاك لمريم

(راجع قداس الأحد الثانى من شهر كيهك)

اليوم الثالث والعشرون من شهر كيهك

نياحة داود النبي :

(راجع فصول اليوم الثامن من توت)

اليوم الرابع والعشرون من شهر كيهك

شهادة القديس أغناطيوس بطريرك أنطاكية :

(راجع فصول اليوم الرابع من طوبة)

اليوم الخامس والعشرون من شهر كيهك

نياحة القديس يوحنا كاما (الأسود) :

(راجع فصول اليوم الثاني من أمشير)

اليوم السادس والعشرون من شهر كيهك

شهادة القديسة أنسطاسية :

(راجع فصول آخر طوبة)

اليوم السابع والعشرون من شهر كيهك

شهادة القديس الأنبا بسادى الأسقف :

(راجع فصول اليوم الثامن والعشرين من هاتور)

اليوم الثامن والعشرون من شهر كيهك

براموں عيد الميلاد المجيد : (١)

(١) البراموں : أنظر اللآلىء النفيسة جزء ٢ ص٤٥٨ وأيضاً سنكسار ١٠ طوبه، وهو أيضاً عيد الميلاد المجيد فى السنين الكبيسة وحينئذ تحتفل الكنيسة بصلاة العيد مساء ٢٧ كيهك وفى مساء ٢٨ تعمل عشية العيد وفى صباح ٢٩ تحتفل بصلاة العيد أيضاً لاعتبارهم يومى ٢٨ و ٢٩ كيهك يوماً واحداً « اهـ عن اللؤلؤة ص ٢١٩ وانظر الحاشية التى على الآية رقم ١٠ من إنجيل القداس ليوم ٢٨ كيهك » (أنظر البرامون فى موضوع الصوم فى ذيل شهر أمشير) .

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « ميلاد المخلص » ، فأنجيل العشية يتكلم عن نسبه ، وإنجيل باكر عن الحبل به ، وإنجيل القداس عن ميلاده :

مزمور العشية : (٤٩ : ٢ ، ١٨)

يشير هذا المزمور إلى مجئ المخلص من مريم التى يرمز إليها بصهيون ، وإلى سلسلة نسبه فيقول « من صهيون حسن بهاء جماله . الله يأتى جهاراً . وهناك الطريق حيث أريه . خلاص الله » .

انجيل العشية : (مت ١ : ١ — ١٧)

يتكلم هذا الفصل عن سلسلة نسب المخلص ويختمه البشير بقوله « فجميع الأجيال من إبرهيم إلى داود أربعة عشر جيلا . ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا . ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا » .

مزمور باكر : (٧٥ : ١)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الإنجيل عن حبل مريم ، واسم من حبلت به وهو عمانويل ، وأن هذا الحبل هو من الروح القدس ، ومن عذراء فيقول « الله ظاهر فى اليهودية . وعظيم هو اسمه فى إسرائيل . صار موضعه بسلام . ومسكنه فى صهيون » .

انجيل باكر : (مت ١ : ١٨ — ٢٥)

يتكلم هذا الفصل عن الحبل بالمخلص من الروح القدس ، ودليل ذلك قول الملاك ليوسف فى الحلم « لاتخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس » .

مزمور القداس : (١٠٩ : ٣ ، ٤)

يشير هذا المزمور إلى قول إشعياء عن ولادة المخلص « وتكون الرياسة على كتفه » (أش٩ : ٦)، وإلى ظهور الملائكة للرعاة، وإلى ولادته ليلا فيقول « معك الرياسة

فى يوم قوتك . فى بهاء القديسين . من البطن قبل كوكب الصبح . ولدتك »(١)

انجيل القداس : (لو ٢ : ١ — ٢٠)

يتكلم هذا الفصل عن ميلاد المخلص، ودليل ذلك قول البشير « فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل » .

الرسائل :

تدور هذه الرسائل الثلاث حول موضوع واحد هو « التجسد » ، فالبولس يتكلم عن غايته وهى الفداء ، والكاثوليكون عن الدافع إليه وهو محبة الله ، والأبركسيس عن الوعد به :

البولس : (غل ٣ : ١٥ — ٤ : ١ — ١٨)

يقول الرسول لأهل غلاطية « هكذا نحن أيضا لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم . ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى . ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب . إذاً لست بعد عبدا بل ابنا وإن كنت ابنا فوارث لله بالمسيح » .

الكاثوليكون : (١ يو ٤ : ١ — ١٤)

يقول الرسول إن « كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله » ، ثم يعزو تجسد السيد إلى محبة الله فيقول « بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به » ، ثم يوصى المؤمنين بمحبة بعضهم بعضاً بقوله « إن كان الله قد أحبنا هكذا ينبغى لنا أيضا أن يحب بعضنا بعضا » .

الأبركسيس : (أع ١٣ : ١٣ — ٢٣)

هنا يبين بولس الرسول فى خطابه للإسرائيليين أن يسوع جاءهم مخلصا إذ يقول عن داود « من نسل هذا حسب الوعد أقام الله لإسرائيل مخلصا يسوع » .

(١) لاحظ تحريف هذا المزمور فى طبعة بيروت للكتاب المقدس (مز ١١٠ : ٣).

إنجيل العشية

(مت ١ : ١ — ١٧)

نسب السيد المسيح

تمهيد

بدأ متى إنجيله بذكر نسب السيد المسيح ، وقسم هذا النسب إلى ثلاث مراحل كل منها أربعة عشر جيلا ، فالأولى من إبرهيم إلى داود ، والثانية من داود إلى السبى ، والثالثة من السبى إلى المسيح :

من ابراهيم الى داود :

١ — كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبرهيم .
٢ — إبرهيم ولد إسحق . وإسحق ولد يعقوب . ويعقوب ولد يهوذا وإخوته . ٣ — ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار . وفارص ولد حصرون . وحصرون ولد أرام . ٤ — وأرام ولد عمّيناداب . وعمّيناداب ولد نحشون . ونحشون ولد سلمون . ٥ — وسلمون ولد بوعز من راحاب . وبوعز ولد عوبيد من راعوث . وعوبيد ولد يسّى . ٦ — ويسّى ولد داود الملك . وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا .

١ — كتب متى إنجيله لليهود وبدأه بذكر نسب السيد المسيح حتى يثبت لهم أنه من نسل داود وإبرهيم حسب الجسد، وأنه الموعود به، وأن من واجبهم قبوله . وقد نسبه إلى داود وإبرهيم أولا لأن الوعد بظهوره إنما كان لهما ، ودليل ذلك قول الله لإبرهيم « وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٣) ، وقوله لداود « متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته » (٢ صم ٧ : ١٢) . أما ثانيا فلأن نبوات الأنبياء عن ظهور المسيح أجمعت على أنه يكون من نسل داود وإبرهيم ، فقد قال إشعياء النبى « ويخرج قضيب من جذع يسّى ويثبت غصن من أصوله » (أش ١١ : ١)، وقال أرميا « ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الأرض » (أر ٢٣ : ٥) . وأيد ذلك بولس الرسول بقوله « وأما المواعيد فقيلت فى إبرهيم وفى نسله . لا يقول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفى نسلك الذى هو المسيح » (غل ٣ : ١٦) .

وقد اختص الله بوعده إبرهيم وداود لأن إبرهيم كان أول من أخلص النية لله بعد الطوفان ، وآمن به فحسب له ذلك برا . وأما داود فلأنه كان أول ملك على إسرائيل أرضى الله بسيرته . وقد قدم الإنجيلى داود على إبرهيم لأنه أقرب إلى المسيح من إبرهيم ، وأشرف منه عند اليهود ، إذ هو الوحيد الذى قال عنه الله وجدت داود حسب قلبى (أع ١٣: ٢٢) ، هذا إلى أن اليهود كانوا يتوقعون ظهور المسيح من داود لا من إبرهيم ، بدليل قولهم « ارحمنا يا ابن داود » (مت ٩ : ٢٧) ، وقول الملاك لمريم « ويعطيه الرب كرسى داود أبيه » (لو ١ : ٣٢) ، ولداود وحده أقسم الله أن يظهر من نسله ملك الحق ، إذ يقول الكتاب « أقسم الرب لداود بالحق لايرجع عنه من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك » (مز ١٣٢ : ١١) ، وفوق ذلك فأبرهيم وعد بأن يكون أبا لأمم كثيرة ، أما داود فوعد بظهور مخلص الشعوب من نسله ولذا امتاز على إبرهيم .

٢ — مضى البشير بعد ذلك يذكر تسلسل المخلص من إبرهيم فأسحق فيعقوب فيهوذا وإخوته ، فأهمل الإشارة إلى إخوة إسحق لأنهم غرباء عن العبرية ، وذكر أولاد يعقوب لأنهم عبرانيون ، وخص بالذكر من بينهم يهوذا الذى من نسله جاء المسيح . ٣ — ثم انتقل إلى نسل يهوذا فقال « ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار » ، وثامار أرملة من الأمم فاسدة السيرة ذكرها ليشير إلى أن البيعة تكونت من الأمم ، وكما زنت ثامار كذلك سجدت الأمم للأصنام ، وكما صار لثامار نصيب فى نسب المسيح كذلك كان للبيعة نصيب فى المسيح بأخذها جسده ودمه وإيمانها به . وفارص يمثل الشعب الإسرائيلى وزارح يمثل الشعب المسيحى ، وحيث أنهما كانا توأمين فى بطن ثامار فولادة زارح بعد فارص تشير إلى انتشار الشريعة المسيحية بعد الإسرائيلية . ٤ — ومضى البشير يذكر سلسلة النسب من أرام إلى سلمون ، ٥ — ومن بوعز إلى يسى ، ٦ — ومن داود إلى سليمان . وقد ورد فى سلسلة النسب راحاب وراعوث وبثشبع وهن على شاكلة ثامار من الناحية الخلقية ، وامتازت راعوث بأنها موآبية ، وفى ذلك إشارة إلى عناية المسيح بالأمم الغريبة . أما ذكر بثشبع فلتنبيه الخطاة إلى التوبة اقتداء بداود .

من داود الى السبى :

٧ — وسليمان ولد رحبعام . ورحبعام ولد أبيّا . وأبيّا ولد

آسا . وآسا ولد يهوشافاط . ويهوشافاط ولد يورام . ويورام ولد عزيّا . ٩ — وعزيّا ولد يوثام . ويوثام ولد أحاز . وأحاز ولد حزقيا . ١٠ — وحزقيا ولد منسّى . ومنسّى ولد آمون . وآمون ولد يوشيّا . ١١ — ويوشيّا ولد يكنيا وإخوته عند سبى بابل .

٧ — وواصل البشير ذكر الأنساب من رحبعام إلى آسا ، ٨ — ومن يهوشافاط إلى عزيّا . وبمراجعة سفر الأيام الأول (١ أى ٣ : ١١) نجد أن بين يورام وعزيّا ثلاثة مواليد متوسطة أهمل الإنجيلى ذكرها وهم أخزيا ويواش وأمصيا ، ويرجح أن متى اتبع الجدول المحفوظ عند اليهود وفيه أهمل ذكر هؤلاء الملوك الثلاثة لأنهم ولدوا من نسل آخاب وإيزابل ، لأن الله سبق فأنذر بأن ذريتهما تمحى ، والذرية تحسب إلى الجيل الرابع (خر ٢٠ : ٥) .

٩ — وذكر البشير النسب من يوثام إلى حزقيا ، ١٠ — ومن منسّى إلى يوشيا . ١١ — ثم أشار إلى أن يوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبى بابل ، وبالرجوع إلى سفر الأيام (١ أى ٣ : ١٥ — ١٦) نجد أن يوشيا ولد يوحانان ويهوياقيم وصدقيا وشلوم ، وأن يهوياقيم ولد يكنيا ، فكيف ترك متى ذكر يهوياقيم ؟ ويذهب البعض فى تفسير ذلك إلى أن الكتاب اعتاد أن يدعو حفيد الإنسان ابنه كقول لابان ليعقوب « البنات بناتى والبنون بنى » (تك ٣١ : ٤٣) إشارة إلى أولاد بنتيه . ومن هذا القبيل تسمية متى يوحانان وصدقيا وشلوم أخوة يكنيا مع أنهم أعمامه ، فالكتاب يطلق كلمة أخ على القرابة مطلقا كتسمية لوط أخا لإبرهيم وهو ابن أخيه (تك ١٤ : ١٦) . وأما قول متى إن يوشيا ولد يكنيا وإخوته عند السبى مع أن يوشيا كان قبل السبى فذلك يرجع إلى أن السبى حسب أنه وقع منذ نبوة أرميا عنه والنبوة كانت فى أيام يوشيا .

من السبى الى يسوع :

١٢ — وبعد سبى بابل يكنيا ولد شألتئيل . وشألتئيل ولد زربّابل . ١٣ — وزربّابل ولد أبيهود . وأبيهود ولد ألياقيم . وألياقيم ولد عازور . ١٤ — وعازور ولد صادوق . وصادوق ولد أخيم . وأخيم ولد أليود . ١٥ — وأليود ولد

أليعازر . وأليعازر ولد متّان . ومتّان ولد يعقوب . ١٦ — ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح . ١٧ — فجميع الأجيال من إبرهيم إلى داود أربعة عشر جيلا . ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا . ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا .

١٢ — ويذكر البشير أن يكنيا ولد شألتئيل بعد السبى ، ولا ينبغى أن نظن أن هذا يتعارض مع قول أرميا عنه « اكتبوا هذا الرجل عقيما . رجلا لاينجح فى أيامه لأنه لاينجح من نسله أحد جالسا على كرسى داود وحاكما بعد فى يهوذا » (أر ٢٢ : ٣٠) ، لأن أرميا يقصد أن يكنيا لايخلفه أحد من نسله على العرش لا أنه يكون عقيما لايلد أولادا . ويؤكد ذلك ما جاء عنه بسفر الأيام الأول وهو « ابنا يكنيا أشير وشألتئيل » (١ أى ٣ : ١٧) . ويكنيا المذكور هنا هو غير يكنيا الذى كان قبل السبى ، كما أن شألتئيل المذكور فى متى هنا والمنسوب إلى يكنيا هو غير شألتئيل المذكور فى لوقا (٣ : ٢٧) والمنسوب إلى نيرى ، ودليل ذلك ما ورد فى (١ أى ٣ : ١٥ — ١٦) إذ لانرى فيه ليكنيا أخا اسمه نيرى .

١٣ — وزربّابل المذكور فى متى أنه ولد أبيهود هو غير زربّابل المذكور فى لوقا (لو ٣ : ٢٧) أنه ولد نيرى . ١٤ — وواصل البشير ذكر بقية الأنساب من صادوق إلى اليود ، ١٥ — ومن أليعازر إلى يعقوب .

١٦ — ثم ذكر أن يعقوب ولد يوسف خطيب مريم ، فى حين أن لوقا يذكر أن يوسف هذا ابن هالى (لو ٣ : ٢٣) ، وكلا الروايتين صحيح لأن يعقوب وهالى أخوان لأم . وكانت العادة عند بنى إسرائيل أنه إذا تزوج رجل امرأة ومات ولم يعقب أخذ أخوه زوجته ، والولد الذى يولد له منها ينسب إلى الأول لتخليد ذكره وإلى الثانى للدلالة على أنه أبوه الطبيعى . وقد تزوج هالى ومات قبل أن يرزق نسلا فأعطيت زوجته إلى يعقوب فأولدها يوسف فأصبح يوسف ابن يعقوب بالطبع وابن هالى بالشرع .

١٧ — وقسم البشير الأجيال السالفة إلى ثلاثة أدوار قاصدا بذلك أن يبين للعبرانيين أن نقلهم إلى النظام المسيحى ليس أمرا مستحدثا فى تاريخهم إذ من إبرهيم إلى داود كان يتولى أمرهم بطريقة خاصة القضاة وأصحاب الجيوش مثل يشوع وجدعون وباراق ، ومن داود إلى السبى قام فيهم الملوك يدبرون شئونهم

بأسلوب آخر كما فعل داود ، ومن السبى إلى يسوع كان يصرف أمورهم الكهنة على طريقة مباينة . وعلى ذلك فأذا ساسهم الحواريون بطريقة جديدة فلا يسوغ لهم أن يلحقوا بهم أدنى أذى . كذلك قصد الإنجيلى أن يبين لهم قساوتهم إذ رغم عناية الله بهم ونقلهم من دور إلى دور على رجاء إصلاحهم ، ما زالوا على ماكانوا عليه من فساد السيرة . وأخيرا قصد البشير أن يشعرهم بأن الله وعدهم فى هذه الأدوار الثلاثة بمسيحه لخلاص البشرية . ففى الدور الأول قال لإبرهيم « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٢ : ١٨) ، وفى الثانى قال لداود « قطعت عهدا مع مختارى . حلفت لداود عبدى إلى الدهر أثبت نسلك وابنى إلى دور فدور كرسيك » (مز ٨٩ : ٣ — ٤) ، وفى أثناء وجودهم فى السبى تنبأ دانيال عن مجىء المسيح بأقوال واضحة وحدد زمان مجيئه .

ويلاحظ أن عدد أجيال كل من الدورين الأول والثانى أربعة عشر جيلا بتكرار اسم داود فى نهاية الأول وفى بدء الثانى . وعدد أجيال الدور الثالث أربعة عشر بحسبان الرب يسوع فى نهايته . ويبين هذا النسب أنْ وعد الله بمجئ المخلص من نسل إبرهيم وبيت داود لم يحل دون إتمامه شيخوخة إبرهيم ، ولاعقر سارة ، ولا خطية داود ، ولا سبى الشعب بعد انحطاط مملكتهم ، فالله يتمم مواعيده وإن أبطأ بقصد امتحان إيمان شعبه .

وقد استقى متى ولوقا نسب السيد المسيح من إرشاد الروح القدس ، ومن أسفار موسى وصموئيل والملوك وأخبار الأيام وعزرا وراعوث ، إذ أنه فصل فيها تفصيلا ، وكذلك من عادة اليهود فى استظهار أنسابهم وتلاوتها بالضبط .

باكر

(مت ١ : ١٨ — ٢٥)

الحبل الإلهى

تمهيد :

بعد أن انتهى متى من ذكر نسب السيد المسيح فى مستهل إنجيله على نحو ما مر بنا فى إنجيل العشية ، استطرد يتكلم عن كيفية الحبل به فذكر أولا حبل القديسة العذراء مريم به ، ثم بين أن حبلها إلهى ، وأن ولدها يدعى عمانوئيل ، وأن خطيبها يوسف البار اقتنع بهذا الحبل الإلهى العجيب :

حبل صريم :

١٨ — أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس .

١٨— ذكر متى الإنجيلى فى سياق روايته عن نسب المسيح أن « يعقوب ولد يوسف خطيب مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح » (مت١ : ١٦)، فلئلا يظن السامع أن للمسيح أبا ، مع أن عبارة « خطيب مريم » لاتحتمل هذا المعنى حتما ، بادر بالإشارة إلى كيفية ولادته بغير أب فقال « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا » ، وسماه « يسوع » ومعناه بالعبرية المخلص ، كما قال الملاك للرعاة « إنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١١) ، لأنه مخلص البشرية من خطية آدم ومنقذها من عبودية الشيطان . وأول من تسمى بهذا الاسم يشوع بن نون الذى عينه موسى لخلاص بنى إسرائيل وإدخالهم أرض الميعاد ، فكان بهذا يرمز إلى يسوع الذى خلصنا من أعدائنا وأوصلنا إلى النعيم الدائم . ويشوع يقال له بالعبرية أيضا « هوشع » .

أما كلمة « المسيح » فتطلق على الممسوح بالدهن بمنزلة ملوك إسرائيل وكهنتهم مثل داود وهرون ، وتطلق على الممسوح بالروح القدس مثل كهنة العهد الجديد ، وعلى من اختصه الله مثل كورش ، وعلى السيد المسيح المولود من القديسة مريم العذراء لاتحاد اللاهوت بما تجسد به منها عوضا عن مسحة الدهن.

وبدأ البشير قصة الحبل بقوله إن مريم كانت « مخطوبة ليوسف » ، وقد اقتضى التدبير الإلهى أن يولد يسوع من بتول وليس من امرأة متزوجة لانجاسة الزواج فالمضجع غير نجس كما يقول الرسول (عب ١٣ : ٤) بل ليكون مولده بآية، وحتى لايكون كالأنبياء فى مولدهم فيظن أنه مثلهم ، ولأن الخطية دخلت على يد بتول وهى حواء فيحسن أن تنقضى على يد بتول . وكذلك اقتضى هذا التدبير أن يكون لهذه البتول خطيب حتى يكون عونا لها على اليهود وعلى هيرودس، وترتفع به عنها الظنون إذا حبلت ، ولكى ينتسب إليه المولود ، لأن العادة جرت ألا تكون النسبة إلى امرأة ، وحتى لا يلحقها العار إذا كانت بغير رجل ، إذ كانت العادة أن يعير اليهود المرأة التى بلا رجل ودليل ذلك قول سفر إشعياء

« ليدع فقط اسمك علينا . إنزع عارنا » (أش ٤ : ١) ، وأخيراً لكى يذهب بها وبالصبى إلى مصر هربا من هيرودس .

وقد تسلمها يوسف النجار على سبيل الوديعة ليحفظها ، فأمها كانت قد نذرتها لله وأدخلتها الهيكل فى سن الثالثة وبقيت به حتى الثانية عشرة . ولما كان لايجوز للكهنة أن يبقوها فى الهيكل بعد هذه السن قرروا أن تخطب رسميا لواحد حتى يحل له أن يعاينها(١) .

واقتضى التدبير الإلهى أيضا أن تخطب قبل الحبل لسببين أولهما إخفاء الأمر عن الشيطان حتى لايعرف كيفية ولادة يسوع فيطمع فى مقاومته فيغلبه المخلص ، إذ كما أخفى الشيطان نفسه فى الحية وتمكن بذلك من إغواء آدم وحواء، كذلك دبر السيد أن يكون لمريم رجل قبل أن تحبل إيهاما للشيطان بأنها من رجلها حبلت، وحتى لا يكون للشيطان مجال للفخر أنه بحكمته الشريرة فاق حكمة الله . وكما أخفى إبليس نفسه فى الحية كذلك أخفى السيد لاهوته فى الناسوت الذى أخذه من العذراء . أما السبب الثانى فهو إخفاء الأمر عن اليهود حتى يظنوها فى عداد المتزوجات لا زانية فترجم .

ويمضى الأنجيلى بعد ذلك فيقول إنها « قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس » ، والحكمة فى أن الحبل كان من فعل الروح القدس هو أن آدم لما أخطأ جلب الموت على نفسه وعلى ذريته لأنهم كانوا فى صلبه وكان نائبا عنهم ، لأن فعلته لم تكن كفعلة شخص خصوصى بل كفعلة وثنى عام على جميع أفراد عائلته حاويا إرادتهم كلها فى إرادته ، ومن ثم نسبت إليهم الخطية وإن لم يشتركوا فيها ، ولا ظلم عليهم فى ذلك لأنهم كانوا على رجاء الربح كما كانوا على خطر الخسارة ، والبرارة الأصلية لو بيتت لانتقلت إليهم مع الطبيعة ، كذلك ينتقل إليهم الفساد المقابل لها، ومن ثم تدعى تلك الخطية خطية الطبيعة كما دعاها الرسول بولس بقوله « كنا بالطبيعة أبناء الغضب» (أف٢ : ٣)، وذلك بخلاف الخطايا الصادرة عنه أو عن الآباء القريبين فأنها لاتنتقل من الآباء إلى البنين، فابن العالم لايرث عن أبيه العلوم والمعارف ، ولكن يرث عنه الضحك والبكاء، فالأولى شخصية والأخرى طبيعية . قال أحد علماء الكتاب « إن خطية آدم عمت جميع نسله لأنها كانت كسم وضع فى

(١) أنظر سنكسار ٣ كيهك.

الينبوع الأصلى صير جميع الجداول الخارجة منه سامة مثله» . هذا إلى أن الوصى ، وهو فى هذه الحالة آدم ، يقام بغير اختيار الموصى عليه وهو هنا نسل آدم ، فكل ما أراده هو أرادوه هم أنفسهم(١) . وقد أيد بولس الرسول انتقال الخطية إلى الذرية بقوله « بأنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس » (رو ٥ : ١٢) ، وأيدها داود بقوله « هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مز ٥١ : ٥) . فلو تجسد السيد من نطفة رجل للزمه الموت ككل مولود من النطفة ، ولما كانت له حجة قبل إبليس يأخذه بها من جهة موته ، أما وقد كان مولودا من غير نطفة ، فلما مات ولم يكن الموت واجبا عليه ، طالب إبليس بموته وأخذنا منه فى دية موته .

والروح القدس هو الذى خلق الجسد الذى اتحد به الابن الأزلى . ويبين العلامة القس أبو الفرج المعروف بالمشرقى الأسباب التى من أجلها لم يعد الابن لنفسه الجسد بل أعده له الروح القدس فيقول إن ذلك كان أولا « لإظهار سر التثليث فأقنوم الآب ظاهر فى العتيقة والابن ظاهر بالاتحاد والروح القدس ظاهر بأعداده جسد الكلمة ، وثانيا ليقوم الروح القدس مقام الرجل الذى جرت العادة به فى إتمام الولادة على السنة الطبيعية ، وثالثا لأجل أن الروح القدس يطهر الجنس البشرى من اللعنة التى حلت به من حواء . وكما كان السبب فى الشر امرأة يكون السبب فى الخير امرأة ، ورابعا ليكون أول ممسوح مقدس من الروح القدس هو جسد الله الكلمة مخلص الكل »(٢) .

وقد عقد الروح القدس من دماء القديسة مريم جسما متنفسا ذا نطق وعقل كما تعقد الأنفحة اللبن ، والابن اتحد به اتحاداً مستديما ليس بعده افتراق . وحسبنا

(١) نيابة آدم عن نسله : كان ينظر إلى آدم فى حال بره بحسب وجهين أولا بحسب ما هو أب للبشر كافة وثانيا بحسب ما هو رئيس ووكيل برسم الله لذريته ، وقد علق الله إرادة البشر بأرادته لسببين أولهما سلطان الله المطلق وإرادته المطلقة ، وثانيا ليصير آدم بهذا الوجه عبارة عن المسيح آدم الثانى الذى أراد الله أن يجعل فى يديه وإرادته خلاصنا الأبدى لكى يستحق لنا النعمة والمجد كما استحق لنا آدم الخطية والقصاص .

(٢) تفسير المشرقى جزء ١ صفحة ٦٨ .

أن نعرف أن « الكلمة صار جسدا » ، أما كيفية هذا التجسد فسر من الأسرار السماوية الفائقة التى يقصر العقل البشرى المحدود عن إدراكها .

ويرى بعض المفسرين أن السيدة مريم لم تكن مقيمة مع يوسف فى دار واحدة ، وحجتهم فى ذلك أنها لو كانت معه لأخبرته ببشارة الملاك لها فى حينها ، ويؤيدون رأيهم بقول الملاك ليوسف « لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك » . أما يوحنا فم الذهب فيرى أنها كانت ساكنة معه بدليل قول البشير « قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس » وقوله « أراد تخليها سرا » ، وأن العادة جرت عند الأبرار فى العهد القديم أن يبقوا خطيبتهم معهم ثلاث سنين ثم يتصلوا بها ليدللوا بذلك على أنهم يتزوجون لا لإشباع الشهوة بل لإقامة النسل ، ويوسف كان مشهودا له بالتقوى .

حبلها الإلهى :

١٩ — فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليها سرا . ٢٠ — ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس .

١٩ — ولما ظهر حبل مريم ليوسف وكان بارا أراد تخليها سرا . ويرى بعض المتشككين أن هنا تناقضا إذ لا يتفق وصف يوسف بالبر مع رغبته فى تخلية مريم سرا ، ويقولون إن المسألة لا تعدو أحد أمرين فأما أنه كان يعلم حقيقة أمرها أو لا يعلم . فأن كان يعلم وكانت عنده نقية فلماذا أراد إخلاء سبيلها ، وإن كانت غير نقية فلماذا فكر فى تخليها سرا وواجب السنة يقضى أن يكون أولى برجمها . وإن كان لا يعلم أى لا يستطيع أن يقطع عليها بالنقاوة أو عدمها فكيف يليق به وهو الرجل التقى أن يتهمها على سبيل الظن ؟ ويدفع المفسرون شبهة هذا التناقض بدليلين أولهما أن يوسف فيما عزم عليه لم يخالف تقواه ، إذ لما رأى أن ظهور الحبل يدعو إلى توهم الزنا ، وأن ذلك قد يجلب عليه الملامة لارتباطها به أراد إطلاق سبيلها ، ولكن لأنه كان يعتقد فيها النقاوة لم يشأ أن يطلقها علنا حتى لا ترجم ، ولذا قرر أن يتوسط فى الأمر ويخلى سبيلها سرا . أما الدليل الثانى فهو

أنه لما كانت الرحمة أفضل من العدل، وكان من شأن شريعة الرحمة أنها تظهر على يد مخلص الكل، فآثر يوسف استعمال هذه الشريعة مع مريم دون شريعة العدل لجهله بعلة الحبل الذى ظهر . .

أما عن موقف مريم بأزاء يوسف فيرى بعض المفسرين أنه عندما هم بتخليتها أخبرته بحبلها من الروح القدس، وأنه عند ذلك تحير وفكر فى تخليتها سرا . ويرى البعض الآخر أنها لم تقل له ذلك لأسباب أولها خوفها من أن يكذبها وبدلا من أن يهدأ يزداد غضبه ، وثانيها استنادها إلى الأمر الواقع وهو حبلها بغير رجل ، وثالثها ميلها لعدم إفشاء السر الذى بينها وبين الملاك ليوسف .

٢٠ — وبينما هو يقلب الأمر على كل وجه إذا بالملاك يتراءى له فى حلم ليكشف له عن السر . ولم يستلزم الأمر أن يظهر له فى اليقظة لأنه كان بارا يقنعه اليسير مما يرد من عند الله . على أن ذلك ليس معناه أن مريم وقد تراءى لها الملاك من قبل فى اليقظة لم تكن كذلك ، إذ أن ما بشرت به كان خارقا للعادة يستدعى أن يشافهها به الملاك .

وقد زفت بشرى الحبل الإلهى لمريم دون يوسف ، على خلاف ما حدث لإبرهيم وزكريا ، لأنها أحق بالبشرى منه ، إذ هى صاحبة الشأن الأول فى الأمر على اعتبار أنها أم المخلص الحقيقية فى حين أن خطيبها لا صلة طبيعية له بيسوع . كذلك اقتضى التدبير الإلهى أن تخطر بهذا الحبل قبل حدوثه حتى لا تضطرب من هذا الحادث الفريد فى بابه فتقدم على الانتحار خشية العار .

وقد آثر الملاك فى مخاطبته ليوسف أن ينسبه إلى داود بقوله « يا يوسف ابن داود » بدلا من نسبته إلى أبيه الطبيعى يعقوب أو أبيه الناموسى هالى(١) ليذكره بالوعد الذى صدر لداود بظهور المخلص من نسله . ثم قضى الملاك على المخاوف الشديدة التى كانت تساوره بسبب مريم بدعوته إلى العدول عن إطلاق سبيلها . وسماها زوجته أو امرأته جريا على عادة الكتاب من دعوة المخطوبة زوجة(٢)، وحتى ترتفع عنها الشبهة فلا يأنف من دعوتها زوجته ، وحتى يعدل

(١) أنظر رقم ١٦ بصفحة ١٤ السابقة .

(٢) تسمية المخطوبة زوجة : « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجموهما = بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه . فتنزع الشر من وسطك » (تث ٢٢ : ٢٣ ، ٢٣) . وقد اعتاد اليهود أن يسموا الخطيب زوجا والمخطوبة زوجة ، ومتى الإنجيلى دعا يوسف « رجل مريم » (مت ١ : ١٦) .

(١) أبيمالك : حينما أخذ أبيمالك سارة من إبرهيم خاطبه الله فى حلم قائلا « ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فأنها متزوجة ببعل . . . وإن كنت لست تردها فاعلم أنك موتا تموت أنت وكل من لك » (تك ٢٠ : ٣ ، ٧) .

(٢) استدعاء الروح القدس : رتبت الكنيسة فى خدمة القداس أن يصلى الكاهن أوشية استدعاء الروح القدس طالبا من الله بخشوع أن يرسل روحه القدوس على القرابين الموضوعة ليطهرها ويقدسها ويحولها إلى جسد الرب ودمه الأقدسين لأن تجسد المسيح وتكوين جسده من المستودع البتولى الطاهر كان بفعل الروح القدس كما ورد فى الآية المذكورة . .

عن ستر ما ظهر من أمرها . وفى كل ذلك أخذه باللين حتى لا يزعجه، وذلك على خلاف سياسة الحزم والإرهاب التى أخذ بها الله أبيمالك(١).

وبعد ما بدد الملاك مخاوفه من جهة ارتباطه بمريم عمد إلى إبلاغه أن حبلها لم يحدث على الطريقة المألوفة بل بفعل الروح القدس، كما سبق فأخبرها يوم البشارة بقوله « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك » (لو ١ : ٣٥)(٢)، وقد شرحنا هذه الآية فى قداس الأحد الثانى من كيهك .

مبشرها :

٢١ — فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع . لأنه يخلص شعبه من خطاياهم . ٢٢ — وهذا كله لكى يتم ما قيل من قبل الرب بالنبى القائل . ٢٣ — هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا .

٢١ — ثم مضى الملاك يقول له إنها « ستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع » ، ولم يقل ستلد لك كما قال لزكريا عن يوحنا لأن المخلص لا أب له من جنس البشر . ويسوع معناها المخلص كما سلف لأنه يخلص شعبه لا من أعدائهم كما فعل موسى ويشوع بن نون ، بل من الخطية المهلكة لجنس البشر ، إذ مات عنهم إيفاء للعدل الإلهى ، وبموته قداهم من الموت المحكوم به على آدم ونسله ، ورسم لهم طريق

التوبة الدائمة عن خطاياهم ليخلصوا بها بغير موت . وهو وحده الذى يستطيع أن يخلص كما قيل عنه أنه « ليس بأحد غيره الخلاص . لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (أع ٤ : ١٢) ، وكما قيل فيه أيضا إن الله رفعه بيمينه « رئيسا ومخلصا ليعطى إسرائيل التوبة وغفران الخطايا » (أع ٥ : ٣١) ، ويتم الخلاص بالإيمان به إذ « أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » (أع ١٠ : ٤٣) . وقال الملاك ليوسف إن المسيح يخلص « شعبه » فقصد بهذه الكلمة أن يستأنسه حتى يسمع بأن الشعوب الغريبة سوف تشارك إسرائيل كذلك فى نعمة الفداء ، الأمر الذى لم يكن مألوفا لديه . والواقع أن المسيح لم يخلص الشعب الإسرائيلى فحسب بل كافة الشعوب ، بدليل قول الرسول عنه إنه « بذل نفسه فدية لأجل الجميع » (١ تى ٢ : ٦) . على أن بعض المفسرين يرى أن كلمة « شعبه » يقصد بها المؤمنون به من شعب إسرائيل ومن الشعوب الأخرى . ٢٢ — واستطرد الملاك يبين ليوسف أن هذا الحبل إنما هو إتمام للنبوة التى سبق فنطق بها أشعياء عن السيد المسيح وهو الذى كان يريد منذ الأزل أن يظهر متجسدا ، وتنبأ عن ذلك الأنبياء ، والنبوات مصدرها الله وما النبى إلا واسطة لتبليغها للناس . ٢٣ — وقد ذكر الملاك نص النبوة ليوسف ليثبت له أن ما حدث لم يكن أمرا جديدا ، وأن المولود هو من الروح القدس لا من إنسان ، وأن هذه النبوة جديرة بأن تذكره فى يقظته بما رأى وسمع فى نومه.

وقد اعترض قوم من مفسرى اليهود المتأخرين بأن النبى لم يقل فى نبوته « ها العذراء » بل قال « ها الشابة » واعتراضهم لا يتفق وما أجمع عليه السبعون الذين ترجموا التوراة من العبرية إلى اليونانية أيام بطليموس الثانى وهم أصدق من غيرهم لكثرتهم واتفاقهم ، ولأنهم كانوا قبل مجىء المسيح ، ولم يتعمدوا التحريف تعصبا لليهودية ، فقد قالوا عند الترجمة « العذراء » لا الشابة (أش ٧ : ١٤) . وفوق ذلك فأن النبى قال « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل » فلو ترجمت « ها الشابة تحبل » لما كان فى ذلك آية لأن الآية هى فى حبل البتول من غير زواج . ولو فرضنا جدلا بأن النبى قال « الشابة » فالكتاب اعتاد أن يسمى البتول شابة أو فتاة بدليل قول عبد إبرهيم عن رفقة « ليكن أن الفتاة (أى الشابة) التى أقول لها أميلى جرتك لأشرب . . . هى التى عينتها لعبدك إسحق » (تك ٢٤ : ١٤) .

وسمى الملاك المولود يسوع ، وسماه أشعياء عمانوئيل ، والأول اسم لفعله لأنه مخلص ، والثانى اسم لوحدانيته لاتحاد اللاهوت بالناسوت . وقد اشتهر بين الناس بالاسم الأول دون الثانى إذ كانوا يتوقعون مخلصا يعتقهم من عبودية الخطية . هذا وكلمة « الله معنا » تستلزم أن نفرق بين اتصال الله بالأحياء والفضلاء ، واتصال الابن الأزلى بما تجسد به من السيدة العذراء ، فالأول كان على سبيل الإعانة لهم أما الثانى فهو اتصال واتحاد أقنومى طبيعى لا فراق يعقبه ، إذ أن الجسد الذى أخذه منها « جعله واحدا مع لاهوته بغير إختلاط ولا امتزاج ولا تغيير » كما جاء بالقداس الإلهى .

اقتناع مطيرها :

٢٤ — فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك
الرب وأخذ امرأته . ٢٥ — ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر .
ودعا اسمه يسوع .

٢٤ — فلما استيقظ يوسف من النوم أخذ مريم امرأته كما أمره الملاك ، ولا بد أنه ثبت لديه من قرائن كثيرة أن حبلها كان من الروح القدس ، فهيبة الملاك وبهاؤه ، وقوله له يا ابن داود ليذكره بالوعد الصادر لداود ، وما كشف عنه من الخوف الذى كان يساوره ، ونبوة إشعياء التى أوردها ، وتوفيق الروح القدس كلها أمور أقنعته مما لا يدع مجالا للشك ، ودل باتخاذه مريم على ذكائه وقبوله للأوامر الإلهية .

٢٥ — وقول البشير إن يوسف « لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر » قد أوجد مجالا للشك عند بعض المفسرين فأخذوا يتساءلون عما إذا كان قد تزوجها بعد ولادة يسوع . ولدفع هذا الشك يقال إن كلمة حتى تطلق على أمرين إما على مطلق لا حد له ولا نهاية ، وإما على أمر له حد ونهاية ، فمثال الأول قول الكتاب عن نوح « وأرسل الغراب فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الأرض » (تك ٨ : ٧) ، فخروج الغراب أمر لا حد له إذ أن الغراب لم يرجع إلى الفلك بعد أن جف الماء ، ويقاس على هذا قول سيدنا لتلاميذه « ها أنا معكم حتى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) ، وقول الكتاب عن ميكال ابنة شاول إنه لم يكن لها ولد حتى ماتت (٢ صم ٦ : ٢٣) . ومثال الثانى قول المخلص « الحق

أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله» (مت ٢٤ : ٣٤) ، وقد أراد البشير بكلمة حتى النوع الأول . ويرى فريق من المفسرين أن كلمة « لم يعرفها » يراد بها أنه لم يعرف حقيقة حالها وأنها تلد عمانوئيل حتى ولدته ورأى العجائب التى كانت فى ميلاده من ظهور الملائكة ومجئ الرعاة والمجوس وما إلى ذلك . ولا أدل على أن يوسف لم يعرفها بعد الولادة معرفة الأزواج من جلال ما رأى من شرف هذه الولادة ومن أن مريم مسكن للروح القدس .

أما أن القديسة مريم ظلت بتولا حال الولادة وبعدها فأمر جرى على طريق خارق للعادة ، إذ كان لائقاً بصانع العجائب أن يولد على طريقة عجيبة . وكما أن العليقة لما مسها النار على جبل سيناء لم تلتهب ، كذلك البتول لما خرج منها سيد الكل لم تنتقض بتوليتها . وقد كان خروجه من مستودعها الطاهر خلوا من فساد بتوليتها ، كما ينفذ نور الشمس من الزجاج دون كسره أو انثلامه . وكما قام من القبر والأختام باقية ، ودخل إلى التلاميذ والأبواب مغلقة ، كذلك ولد من البتول وبتوليتها باقية . ويقول المفسرون أن خروج جسم من آخر بغير أن يتخرق أمر ممكن ، كخروج حواء من جنب آدم وخروج الماء من صخرة حوريب (خر ١٧ : ٦) ، ومن فك الحمار الميت (قض ١٥ : ١٥) . وقد ورد عن بتوليتها الدائمة نبوة ذكرها حزقيال فقال « ثم أرجعنى إلى طريق باب المقدس الخارجى المتجه للمشرق وهو مغلق . فقال لى الرب هذا الباب يكون مغلقا لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقا » (حز ٤٤ : ١ — ٢) ، وهذا الباب المغلق رمز إلى دوام بتولية القديسة مريم ، وقول الوحى عنه « لا يدخل منه إنسان » إشارة إلى أن يوسف لم يعرفها ، وقوله « لأن الرب إله إسرائيل دخل منه » إشارة إلى أن الروح القدس قد حل فيها ، وقوله « فيكون مغلقا » إشارة إلى أن مريم تظل بعد الولادة عذراء .

وقد دعى يسوع بكر مريم لا لأنها ولدت بعده أولادا بل لأنها لم تلد قبله(١) ،

(١) **امرة يسوع** : رغم الأدلة المذكورة يرى بعض البروتستنت أن السيدة مريم بعد الولادة اقترنت بيوسف وولدت منه الأولاد الأربعة المذكورين فى (مت ١٣ : ٥٥) ، ويستندون فى ذلك أيضا على كلمة « ابنها البكر » ، وقد فندنا هذا الرأى فى قداس الأحد الثالث من شهر مسرى .

ويتضح من سفر الخروج أن اليهود كانوا يسمون كل فاتح رحم بكرا ولو لم يولد بعده أولاد (خر ١٣ : ٢) ، ولو قلنا بغير ذلك لما كان ممكنا للشعب الأسرائيلى أن يقدس البكر كما أمرت هذه الآية إلا بعد الانتظار أيولد له إخوة أم لا . ويدعى السيد بكراً من جهة ميلاده الطبيعى من مريم ، ومن جهة ميلاده الثانى من المعمودية كما قال الرسول « ليكون هو بكرا بين إخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) أى إخوته من العماد ، ومن جهة قيامته من بين الأموات إذ هو أول القائمين . (أنظر إنجيل القداس تحت رقم ٧) .

إنجيل القداس

(لو ٢ : ١ — ٢٠)

الميـــلاد المجيد

تمهيد :

تناول لوقا الإنجيلى فى الأصحاح الثانى من بشارته حادث الميلاد العجيب الذى لخلص العالم بأوفى إيضاح فتكلم أولا عن ظروفه ، ثم حصوله ، وأشار بعد ذلك إلى البشرى السعيدة التى زفت عنه إلى البشرية ، وذكر ذلك النشيد الخالد الذى ترنمت به الملائكة فى هذه المناسبة فاهتزت له أوتار القلوب ، وختم بيانه بالإشارة إلى زيارة الرعاة للملك المولود لمعاينة ميلاده المجيد .

ظروف الميلاد :

١ — وفى تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة . ٢ — وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والى سورية . ٣ — فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته . ٤ — فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته . ٥ — ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى .

١ — يقول البشير إنه « فى تلك الأيام » أى الأيام القريبة من ميلاد يوحنا

المعمدان أصدر أوغسطس قيصر (١) أمره بإجراء اكتتاب عام فى الامبراطورية الرومانية التى كانت تضم مصر وفلسطين وسوريا وغيرها ، وهى التى سماها البشير « كل المسكونة » لأن أكثر المسكونة المعروفة يومئذ كان تحت سلطة روما . وهذا الاكتتاب الذى أجرى مثله من قبل يوليوس قيصر ، كان لأخذ الجزية ، إذ لو كان لغير ذلك لما رفع يهوذا الجليلى الوارد ذكره فى سفر الأعمال راية العصيان « فى أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعبا غفيرا » (أع ٥ : ٣٧) . وقد اقتضى التدبير الإلهى أن يحصل هذا الاكتتاب ليعود يوسف ومريم إلى بيت لحم حيث تحدث الولادة وتتم نبوة ميخا النبى (مى ٥ : ٢) التى رواها متى إذ قال « وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل » (مت ٢ : ٦) . ولما كان من وسائط النعمة أن تجرى بعض التدبيرات الإلهية على أيدى الغرباء لما لشهادة الغريب من الوقع الكبير فى النفوس ، كما حدث من قيام بلعام بالتنبؤ عن بنى إسرائيل (عد ٢٣ ، ٢٤) ، ومن شهادة الشياطين عن السيد بأنه ابن الله ، ومن شهادة مملكتى الروم والفرس لميلاده ، الأولى بالاكتتاب والثانية بقرابين المجوس ، لذا حدث الميلاد فى الاكتتاب إذ لو تم فى غير هذه الظروف كأن أمر الملاك يوسف بالمضى فى يوم عادى مع مريم إلى بيت لحم ، كما أمره بالهرب إلى مصر ، لبقى أمر هذا الميلاد مستورا وأتيحت الفرصة لليهود للتشكك فيه . وفوق هذا فحدوث الميلاد إبان الاكتتاب فيه إشارة إلى أن المؤمنين بهذا المولود ستكتب أسماؤهم فى سفر الحياة .

٢ — وقال البشير عن هذا الاكتتاب بأنه الأول تمييزا له عن الثانى الذى حدث بعده بعشر سنوات وحدث فيه عصيان يهوذا الجليلى الذى سبقت الإشارة

(١) أوغسطس قيصر : ولد بروما سنة ٦٣ ق.م. وعرف أولا باسم كايوس اكتافيانوس وهو ابن أخى يوليوس قيصر ووريثه وقد اشترك فى الحكم مع أنطونيوس وليبيدوس ثم انفرد بالملك بعد معركة اكتيوم البحرية سنة ٣١ ق.م. وفى سنة ٢٧ ق.م. منحه السناتو لقب أوغسطس قيصر امبراطور الرومان ، وأوغسطس معناها الموقر . وقد تبنى طيباريوس الذى خلفه على العرش . ويعتبر عصر أوغسطس من أزهى عصور الأدب والشعر وفن العمارة الرومانى . ومن أشهر من نبغوا فيه هوراس وفرجيل وغيرهما ممن تولاهم هذا الامبراطور برعايته . ومات أوغسطس سنة ١٤م. بعد أن حكم ٤١ سنة .

إليه فى (أع ٥ : ٣٧) ، وكلاهما حدث مدة ولاية كيرينيوس على سورية وفى عهد أوغسطس . ٣ — وتحتيم اكتتاب كل شخص فى مدينته هو رمز إلى أن الملك المولود من شأنه أن يرد المؤمنين به من هذا العالم الذى تغربوا فيه من قبل الخطية إلى مدينتهم الخاصة السماوية . ٤ — وهكذا صعد يوسف من الناصرة إلى بيت لحم (١) . على أن هذا الانتقال الذى دعاه البشير صعودا نظرا لارتفاع أرض يهوذا عن أرض الجليل كان ينطوى على معنى أسمى إذ أن الحبل بالسيد فى الناصرة المهجورة المطروحة وولادته فى بيت لحم يشير إلى أنه يرد البشرية المتردية فى الخطية إلى مرتبتها الأولى القديمة ، وأن من واجبنا أن نسارع من أرض غربتنا هذه إلى وطننا الأصلى .

ولا ينبغى أن نفهم من اقتصار لوقا على نسبة يوسف دون مريم إلى بيت داود أن السيدة مريم لم تكن من هذا البيت ، فالواقع أنها منه إنما ترك ذلك لأن العادة لم تجر بأن تنسب النساء ؟ ودليله أن أمها تدعى حنة أو دينا وأبوها يواقيم(٢) ابن يوثام بن العازر بن سليمان بن داود ، ويوسف هو ابن يعقوب بن ناثان (متان) بن العازر بن سليمان بن داود . والأدلة متوفرة على أن مريم من نسل داود ، فأولا هناك القاعدة التى كان لا محيد عنها بنو إسرائيل قط وهى ألا يتزوج إنسان إلا من سبطه حتى لا تضطرب القسمة التى حصلت بين الأسباط وفصلتها التوراة ، فيؤدى ذلك إلى النزاع والقتال . وثانيا إن غرض متى ولوقا من إيراد نسب السيد هو أن يبينا أنه من داود ، فلو لم تكن مريم من داود لكان ما ذكراه عبثا . وثالثا مجئ الملاك « إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود » ، وقوله لها عن المولود « ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه » ، وقول زكريا فى تسبحته « وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه » ، كلها أقوال لا تصح إلا إذا كانت مريم من نسل داود . ورابعا فصعود مريم إلى بيت لحم للاكتتاب يدل على أنها من مدينة داود وإلا لما صعدت مع يوسف . وخامسا وأخيرا فالنبوات الكثيرة فى الكتاب المقدس تنبئ بأن المسيح لا يظهر إلا من داود ، وما دام قد ولد من مريم فهى إذاً

(١) بيت لحم : أو كما كان يسمى قديما افراتا ، اسم عبرانى معناه بيت الخبز وسميت به هذه المدينة لخصب أرضها .

(٢) يواقيم : أنظر سنكسار ٧ برمودة .

من بيت داود . ٥ — وتنفيذا لأمر قيصر أخذ يوسف مريم وذهبا إلى بيت لحم ليكتتبا هناك .

حصول الميلاد :

٦ — وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد . ٧ — فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل .

٦ — ولما كانت تدبيرات السيد ليست كلها خارقة للعادة بل منها ما يجرى طبقا لسنن الطبيعة ، فقد بقى فى بطن أمه تسعة أشهر ، وبينما هى فى بيت لحم أحست بقرب الوضع . ٧ — وما لبثت أن وضعت ابنها البكر(١) . وسمى بكرا لا لأن له إخوة بل لأنه أول ولد . ويقال له بكر من ناحية أمه ، ومن جهة « كل خليقة » كما قيل عنه فى (كو ١ : ١٥) ، ومن حيث العماد إذ هو « بكر بين إخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) ، ومن ناحية المنبعثين من بين الأموات . وله أيضا أربع ولادات ، ولادته من الآب قبل كل الدهور ، وولادته الطبيعية من مريم ، وولادته من المعمودية ، وولادته من القبر .

ولما ولدته لفته بالأقمطة لتذكر جنس آدم بخطيته الأولى التى احتاج بسببها إلى ستر نفسه ، ثم وضعته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل . والمذود يشير إلى أن الناس بالخطية الأولى صاروا كالبهائم فأذا جاءوا إلى المذود للغذاء وجدوا فيه « خبز الحياة » . ولما كان كل من لا يفكر فى الأمور السماوية إنما

(١) **كيف وضعت مريم** : جاء بكتاب « اللآلىء السنية فى الميامر والعجائب المريمية ص ٥٠ — ٥١ » أن السيدة حينما شعرت بقرب الوضع أخبرت يوسف ، وكانت هناك مغارة للرعاة فدخلتها . أما يوسف فأسرع إلى البلدة لاستحضار قابلة . ولما عاد بها وجد العذراء ترضع ابنها ولم تظهر عليها أدنى علامة ولا تعب كبقية النساء فسألت القابلة مريم قائلة « ألم ينزل « الخلاص » المعتاد للنساء » فلم تجبها القديسة ، فوضعت القابلة يدها لتنظر فلم تر سوى عذراء بتول (أنظر آية ٢٥ بأنجيل باكر) . فخرجت مسرعة إلى بيت لحم فقابلتها سالومة القابلة الشهيرة ولما سمعت منها الخبر عادت إلى القديسة ومدت سالومة يدها تريد كشف العذراء فشلت يدها ، فأخذت تستغيث ووضعت يدها على الطفل فشفيتا ، وجاءها صوت من السماء يأمرها بألا تخبر أحدا بما رأت حتى يذهب الطفل إلى بيت المقدس » اهـ

يشبه البهيمة التى لا تعرف إلا الغذاء الطبيعى ، فقد دبر المخلص أن يوضع فى مذود لكى يغذينا بجسده ودمه وينقلنا من الاهتمام بالأمور البهيمية إلى الروحية . هذا إلى أن وضعه فى المذود كان مثالا لدفنه فى القبر وبه تم التجانس بين بداية قضيته العادلة ونهايتها . وغنى عن البيان أنه ضرب لنا بحقارة محل ميلاده وعيشة الفقر التى عاشها وهو العظيم الغنى أروع الأمثلة على التواضع والفقر الاختيارى ، وحفز بذلك المساكين على الصبر على ذلهم ، وحفز الأغنياء على النزول إلى مستواهم ومواساتهم .

بشرى الميلاد :

٨ — وكان فى تلك الكورة رعاة متبدّين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم . ٩ — وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما . ١٠ — فقال لهم الملاك لاتخافوا . فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . ١١ — أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب . ١٢ — وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى مذود .

٨ — وعلى مقربة من بيت لحم كان بعض الرعاة الأتقياء فى البادية يتناوبون الحراسة ليلا(١) على مواشيهم من الذئاب واللصوص . ٩ — فظهر لهم بغتة ملاك ، وأضاء عليهم نور الرب ، كما ملأ مجده البيت الذى بناه له سليمان حينما أدخل الكهنة تابوت العهد فى مكانه فى قدس الأقداس فى حضرة هذا الملك (١ مل ٨ : ١١) ، وكما أشرق مجده على صهيون حتى سارت الأمم فى نورها والملوك فى ضياء إشراقها كما تنبأ أشعياء (أش ٦٠ : ١ — ٣) . وطبيعى أن يضطرب الرعاة جدا إذ لم يروا من قبل منظرا كهذا زاده جلالا حدوثه فى الليل وفى القفر واقترن ببهاء الملاك وهيبته . ١٠ — وقد بادر الملاك كعادته عند الظهور

(١) **الاحتفال بالعيد ليلا** : لقد حدثت الولادة ليلا على مثال خلق العالم ليلا ، وإشارة إلى أنه جاء إلى العالم وهو مظلم بالخطية ، ولأن قيامته ستكون ليلا ولذا جعل ابتداء التدبير مناسبا لانتهائه . وقد رتبت الكنيسة أن تحتفل بإقامة تذكار عيدى الميلاد والغطاس ليلا لتمجيدهما .

للناس بأزالة مخاوفهم فقال « لا تخافوا »، كمل فعل مع زكريا ومريم من قبل . ثم شرع يهيئ نفوسهم لتلقى البشرى المفرحة التى جاء من أجلها والتى تنطوى على فرح عظيم « لجميع الشعب » أى لجميع الذين يقبلون الاشتراك فيها بالإيمان بالمسيح فقال « فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب »(١)، وهذه البشرى هى التى عرضت على اليهود أولا ، وتعرض منذ ذلك الحين على جميع أمم الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم . ١١ — واستطرد الملاك بعد هذا التشويق إلى موضوع البشارة فقال « إنه ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب » ، وبقوله « لكم » لم يقصد أن المخلص جاء للرعاة بل للبشرية قاطبة . وسماه المسيح الرب ليميزه عمن تقدموه من المخلصين أمثال يشوع بن نون وداود وزربابل ، على اعتبار أنه ليس إنساناً مثلهم بل إلها متأنسا ، وأن الخلاص الذى جاء بسببه هو أشرف خلاص فازت به البشرية(٢) .

(١) **البراموذ** : رتبت الكنيسة البراموذ لعيدى الميلاد والغطاس دون غيرهما لفضلهما عن سواهما كما يقول علماء الكنيسة أما الأول فلفرح السمائيين والأرضيين فيه بتجسد الكلمة الأزلى كما قال الملاك للرعاة وأما الثانى فلظهور سر الثالوث الأقدس فيه .

(٢) **ضرورة التجسد** : ورب متسائل يقول أفما كانت هناك طريقة للخلاص بغير التجسد ويرد على ذلك بأن الخلاص قد يكون إجباريا كخلاص بنى إسرائيل من مصر أو اختياريا وهو الخلاص العقلى من الخطية والتعبد للشهوة والشيطان، ينهج له المرء باختياره طريق الحق إذا لفته إلى ضرورة ذلك آخر . ولهذا كان تجسد الكلمة وتأنسه ضروريا ليترك لنا مثالا لنتبع خطواته ويصنع كفارة تامة عن الخطية . ومن الخطأ القول بأن آدم لو لم يخالف الوصية ويخرج من الفردوس لما كان التجسد ضروريا ، لأن فى مثل هذا القول قدحا فى جود الله إذ يجعل ظهوره للبشر متوقفا على شرط حادث وهو خطية آدم . ولو امتنع ظهوره متجسدا لعزى ذلك إلى الضن أو العجز من جانبه ولما استحق أن يسمى الجواد المطلق.

والواقع أن كمال جوده يقتضى أن يجود بنفسه فيظهر بواسطة تمكن البشر من مباشرتها والقرب منها دون أن يتوقف ذلك على شرط خطية آدم . والأدلة الكتابية تؤيد أن التجسد كان من الضروريات، فبطرس الرسول يقول إننا افتدينا « بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفا سابقا قبل تأسيس العالم » (١بط ١ : ١٨—٢١) . وبولس الرسول يقول « شركة السر المكتوم منذ =

١٢ — ولكى يميز الرعاة الطفل يسوع عن سائر أطفال بيت لحم أعطاهم

= الدهر فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح » (أف ٣ : ٩) .

كذلك يقال عن خروج آدم من الفردوس ، فقد كان ممكنا أن يقيم فى الفردوس لو لم يرتكب المعصية . ومع ذلك فخروجه فى هذه الحالة كان ضروريا لأن الله خلقه ليظهر منه النوع الآدمى حتى يظهر الله عليه جوده . وظهور النوع الإنسانى كان مستحيلا فى الفردوس لأن النمو والكثرة لا يحصلان إلا بالتناسل والولادة ، وهذه يستحيل حدوثها فى الفردوس الذى هو عربون الخلد الأبدى . وعلى ذلك فخروج آدم كان محتما ، ولكنه كان يمكن أن يحصل بغير مخالفة الوصية .

والأسباب الموجبة للتجسد منها ما هو متعلق بالإنسان ومنها ما هو متعلق بالله . فالمتعلقة بالإنسان هى أولا — لتبرير البشرية من الخطية الجدية والفعلية، فآدم حين أخطأ جلب الموت على نفسه وذريته (أنظر صفحة ١٧) ، ولما كانت السيئة تقاس قيمتها بقيمة من ارتكبت فى حقه فقد كانت خطية آدم ذات شر غير متناه لأنها ارتكبت فى حق الخالق جل شأنه وهو ذو شرف غير متناه . ومن ثم أصبح غير ممكن للخليقة كلها من بشر وملائكة أن يكفروا عنها لأن أفعالهم متناهية، اللهم إلا إذا خولف العدل الإلهى وهذا غير ممكن . لذلك دبرت الحكمة الإلهية واسطة عجيبة لخلاص البشرية ووفاء العدل الإلهى حقه وهى ترقية الطبيعة الإنسانية إلى رتبة إلهية تستطيع أن تكفر عن المعصية ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتجسد ابن الله وتأله طبيعته البشرية لأنه لا يستطيع أحد أن يتوسط بين الله والناس إلا إذا كان ذا شرف مساو لله نفسه . وباتحاد الجسد الطاهر من مريم بأقنوم الكلمة اتحادا جوهريا دعيت هذه الطبيعة طبيعة ابن الله، وحصلت على كمال غير متناه وأصبح متيسرا لها تقديم الكفارة . ولترضية العدل الإلهى فى الفترة التى بين المخالفة والتجسد كانت تقدم الذبائح الدموية ، وهى وإن كانت فى حد ذاتها لا قدرة لها على تكفير الخطية إلا أنها اكتسبت قوتها وثمنها برمزها إلى الذبيحة الحقيقية ذبيحة الصليب ، وكانت تقدم لترضية العدل الأهى ولتذكير اليهود بخطاياهم وأنهم مفتقرون إلى ذبيحة أخرى هى ذبيحة المخلص فتضطرم أشواقهم إلى مجيئه .

ثانيا — لإتمام الشريعة إذ أن العدل الإلهى قضى بأن الطبيعة التى أخطأت هى التى تموت (تك ٢ : ١٧)، ولذلك أخذ السيد طبيعة الإنسان لكى يحمل فيها قصاص الخطاه .

ثالثا — للحصول على البركات الإلهية : فسر الجسد والدم الأقدسين ونعمة =

الملاك علامة بقوله « تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى مذود » . وكما قدم جبرائيل الملاك لمريم علامة دون أن تطلبها ، حين قال لها « وهوذا أليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى » ، هكذا قدم هنا الملاك للرعاة العلامة دون أن يطلبوها ، وهى وإن كانت غريبة لا تتناسب مع أصل المولود وعظمة وظيفته إلا أنها كافية للإرشاد إليه .

وقد زفت بشرى الميلاد للرعاة أولا لأن المولود هو الراعى الصالح الذى سوف يبذل نفسه عن خرافه ، ولأنه الحمل الذى سوف يقدم نفسه فدية عن العالم ، وليكون الرعاة مثالا لتلاميذه الذين كانوا أول من تبعه فجعلهم رعاة للأمم ، هذا إلى أن الآباء الأولين كهابيل ويعقوب وموسى وداود كانوا رعاة ومحبين لله ، ولما كان الراعى هو أول من يشعر بمولد الحمل فكان لائقا أن

= البنوة والميلاد الثانى وغير ذلك من النعم ما كان يمكن الحصول عليها إلا بالتجسد الإلهى .

رابعا — لبيان شدة العدل الإلهى : لأنه إذا كان ابن الله البار قد تألم هكذا عن الخطاة فكم يكون عقاب الخاطئ وعذابه الأبدى .

خامسا — لتعريفنا شناعة الخطية إذ استلزم الوفاء عنها أن إلها متجسدا يبذل نفسه ويصير «لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة» (غل٣ : ١٣) .

سادسا — لتوضيح جلال الخلاص إذ أنه هكذا ثمين وجليل حتى أنه للحصول عليه بذلت حياة إلهية .

أما الأسباب الموجبة للتجسد من جانب الله فهى :

أولا — للتوفيق بين عدله ورحمته : فلو أن الله أهلك آدم لجريمته لكان فى ذلك وفاء لحقوق العدل الإلهى وحده ، ولو أنه برره بلا كفارة لكان فى ذلك ترضية للرحمة الإلهية وحدها دون العدل ، ولكن وسيلة التجسد أعطت كلا من العدل والرحمة حقه .

ثانيا — لإظهار جودته لمخلوقاته : فالخيرات التى يجود بها على عبيده ليست كافية لأن تظهر جودته وفضله وسخاءه بحسب ما هى عليه فى طبيعته الإلهية ، لأن هذه الخيرات إنما تصدر عن مقدرته أو أمره فقط ، أما التجسد فيدل على أنه جاد على عبيده بذاته عينها ، وفى ذلك أقصى الجودة ومنتهى الإحسان .

ثالثا — لبيان مقدار جلاله : فما وصل إلينا عن هذا الجلال من قبل خلقة العالم والكتب السماوية ما هو إلا ظل ورسم لما علمناه عن طريق التجسد الذى بين أن وجود الله ذو وجود فائق الجلال والكرامة حتى أنه لم يمكن استعطافه وجلب رضاه بواسطة إنسان أو ملاك بل بواسطة إله متأنس .

تزف بشرى مولد الراعى الأعظم أولا إلى رعاة . أما زف البشرى لرعاة دون فضلاء فذلك أدعى لتصديقها والتعجب منها ، إذ جرت عادة الفضلاء أن تزف إليهم البشرى بالعجائب الجليلة ، أما العوام فيصعب أن يصدقوا بها إلا بعد جهد جهيد ، حتى إذا استساغتها عقولهم عد ذلك دليلا على وضوحها .

ومجد الرب الذى أضاء حول الرعاة الساهرين فى البادية على قطعانهم ينطوى من الناحية الروحية على معنى جليل إذ يفيد أنه لا يستحقه جميع رعاة النفوس بلا تمييز بل الذين منهم يسهرون على حراسة رعيتهم من عدوان الشيطان والخطية .

أنشودة الميلاد :

١٣ — وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى
مسبحين الله وقائلين ١٤ — المجد لله فى الأعالى وعلى
الأرض السلام وفى الناس المسرة .

١٣ — وتأييدا لشرف المولود وجلالته ، وقطعا لكل شك قد يخامر نفوس الرعاة فى أمره ، ومنعا لاستهزائهم به إذا رأوه فى مذود ، ظهر مع الملاك المبشر جمهور من الجند السماوى مسبحين . ذلك أن كمال التدبير الإلهى قد اقتضى أن يكون مجئ المخلص إلى العالم وعودته إلى السماء بعد إتمام الفداء مقترنا بالتسبيح الملائكى ، وهذا طبقا لقول المزمور « باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه . باركوا الرب يا جميع جنوده خدامه العاملين مرضاته » (مز ١٠٣ : ٢٠—٢١) وقوله أيضا « سبحوه يا جميع ملائكته سبحوه يا كل جنوده » (مز ١٤٨ : ٢) . ١٤ — ولكى تكون البشرى للبشريين بفاديهم على يد الروحانيين سبح هؤلاء الله الآب والابن والروح القدس على عظم ما فهموا من هذا السر ، فقد علموا أنه أبدع البشرية من العدم ، ثم رأوه وقد تأنس لخلاصها فسبحوه ومجدوه قائلين « المجد لله فى الأعالى » . وهذه العبارة تعنى أن مجده ، وهو غير محدود لا يقبل الزيادة ، يزداد ظهورا لمخلوقاته بمعلنات جديدة . وهذا المجد هو صفات الآب التى أظهرت للمخلوقات بالمسيح يسوع كالحكمة والعدل والحق والرحمة والمحبة ، وهى الصفات التى ما كان يمكن ظهورها بغير المسيح لأنه « بهاء مجده ورسم جوهره » (عب ١ : ٣) . أما كلمة « وعلى الأرض السلام » فمعناها أن يسوع المسيح هو رئيس السلام كما تنبأ عنه

أشعياء حين قال « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام » (أش ٩:٦) ، وهو بهذه الصفة قد قضى على السخط الذى كان قائما أولا بين الله والناس بسبب تجاوزهم ناموسه تعالى ، بأن فدانا بدمه كما يقول الرسول « لأنه فيه سر أن يحل كل الملء وأن يصالح به الكل لنفسه عاملا الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات » (كو ١:١٩—٢٠) ، وثانيا بين الناس بعضهم وبعض بأن جعلنا وإياهم فى سلام ، وثالثا بين الملائكة والناس بسبب عداوتهم لله ، ورابعا بين الشعب والشعوب بسبب انفراد إسرائيل بشريعة خاصة ، فجعل للكل شريعة واحدة هى شريعة الكمال طبقا لقول الرسول إنه « هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحدا ونقض حائط السياج المتوسط » (أف ٢:١٤) ، وخامسا وأخيرا بين النفس والجسد إذ رسم للعقل طريقة إخضاع الجسد وقهر شهواته ، ومنح الضمير سلاما بتحقيق مغفرة الخطايا والحث على الفضيلة . وأما عبارة « وفى الناس المسرة » فتفيد أن الله قد رضى عن الناس وأظهر محبته لهم بميلاد ابنه وفقا لقول الرسول « بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به » (١ يو ٤:٩) . وكان هذا التسبيح من الملائكة تمجيدا واحدا مساويا للثالوث الأقدس الواحد فى اللاهوت ، إذ أوصلوا المجد للآب الكائن فى العلاء ، والابن ملك السلام الذى صار على الأرض بالمولود من البتول وهو لم يزل فى السماء بلاهوته ، ومسرة موهبة الروح القدس الذى هو مزمع أن يحل فى المؤمنين بالميلاد الثانى .

معاينة الميلاد :

١٥ — ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذى أعلمنا به الرب . ١٦ — فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعا فى المذود . ١٧ — فلما رأوه أخبروا بالكلام الذى قيل لهم عن هذا الصبى . ١٨ — وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة . ١٩ — وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به

فى قلبها . ٢٠ — ثم رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم .

١٥ — ولما انصرف الملائكة قرر الرعاة الذهاب إلى بيت لحم ، لا للتحقق مما قاله الملاك فقد صدقوه ، بل لمشاهدة ذلك الأمر العظيم . ولعل صغر بيت لحم وسهولة الاهتداء إلى المنزل الذى به المذود لم يستلزم تعيين مرشد لهم كما عين الكوكب للمجوس ، أو لعل ذهابهم ليلا ، واحتمال وجود ضوء حيث كانت مريم ، كان كافيا لإرشادهم بغير دليل . ١٦ — وقد أسرعوا فى الذهاب فرحين بالبشرى العظيمة ، تحدوهم رغبة قوية فى مشاهدة المسيح الذى كانوا يتوقعون مجيئه . ١٧ — فلما رأوه فى المذود قصوا على يوسف ومريم ما كان من أمر الملاك والجند السماوى معهم . ١٨ — ولما أصبح الصباح بشروا كثيرين من أهل القرية ، وكان تعجب الذين سمعوا القصة راجعا إلى حقارة المحل الذى ولد فيه المخلص ، إذ كانوا يتوقعونه ملكا أرضيا يولد فى أفخر القصور . ١٩ — وأما السيدة مريم فكانت تحفظ ما سمعته من الملاك وأليصابات وزكريا والرعاة ، وكانت تقلبه على كل وجه فترى بعضه يشهد لبعض بالفعل ، ولا شك أن التفكر فى الحقائق العظيمة هو أفضل وسيلة لحفظها فى الذاكرة . ٢٠ — وقد عاد الرعاة وهم يمجدون الله على ما سمعوا فكانوا بهذا مثلا يحتذى فى الأيمان والطاعة وشكر الله وتسبيحه والتبشير بخلاصه .

ميلاد المخلص

كلمة عامة عن الأعياد

فرض الله تعالى على شعبه فى العهد القديم أعيادا ينصرفون فيها عن مزاولة الأعمال الدنيوية العادية إلى إقامة الشعائر الدينية، والتنافس فى الأعمال الصالحة المرضية . وأول هذه الأعياد « السبت » الذى استراح فيه وقدسه وباركه (خر ٢٠ : ٨—١١) . ثم هناك « عيد الفصح » (خر ١٣ : ١٤) ، « وعيد الحصاد » (خر ٢٣ : ١٦) ، وعيد المظال (خر ٣٤ : ٢٢) ، وعيد تذكار هتاف البوق أو السنة الجديدة (لا ٢٣ : ٢٤) ، وعيد الكفارة (لا ٢٣ : ٢٦ — ٣٢) ، وعيد رأس الشهر (عد ٢٨ : ١١) ، وعيد الفرح (أس ٩ : ١٨) . وقد اختص ذاته المقدسة بهذه الأعياد ، وأمر بحفظها وحذر من إهمالها وعاقب كل من لايرعى حرمتها ، وكلها تشير إلى حوادث معلومة يجب تذكرها على الدوام .

ولما كانت هذه الأعياد ظلا للأعياد القادمة ، كما كانت الطقوس القديمة ظلا للخيرات العتيدة ، فقد وجب أن يستعاض عن الزائل بالثابت وعن الظل بالحقيقة ، ولهذا أبدلت فى العهد الجديد بما هو أفضل وأتم . ولما أن الله تعالى قصد من رسم هذه الأعياد والاحتفال بها أولا إحياء ذكرى نعمه وعجائبه (خر ١٢ : ١٤) التى لولا الأعياد لاندثرت مع الزمن وثانيا تذكير الخلف بأحساناته وعنايته بشعبه (خر ١٢ : ٢٢ — ٢٧) ، وثالثا وأخيرا جعلها واسطة فى حفظ الشريعة (خر ١٣ : ٨ — ١٦) ، لهذا رسمت الكنيسة الاحتفال بالأعياد تذكاراً لبركات الله التى أفاضها بغنى على كنيسته فى شخص ابنه الحبيب ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، ولتكون عبرة للمتأخرين بما جرى فيها من أحداث خطيرة فى عهد المتقدمين ، هذا فضلا عما تفعله فى النفوس إذ تبث فيها روح الدين وتربى عاطفة التقوى وتغرس الشريعة فى القلوب فينطلق بها كل لسان .

بيد أنه رغم البركات الغزيرة التى نحصل عليها من هذه الأعياد ، سواء أكانت لله تعالى أو لقديسية فأننا نرى البروتستنت يرفضون الاحتفال بها بدعوى أن العهد الجديد خال من الأوامر الإلهية التى توجب ذلك ، وهى فى نظرهم ترتيب بشرى ، ولكن الواقع يثبت عكس ذلك ، فالكتاب أثبتها ، والرسل مارسوها ، وتاريخ الكنيسة البروتستنتية يشهد بصحتها وإليك الأدلة :

أما أن الكتاب أثبتها فدليله أن الرب يسوع نفسه أظهر أعتباره لها، وقدسها بحضوره فيها وممارسته إياها كما يتضح ذلك من حضوره بشخصه إلى أورشليم فى عيد الفصح (يو ٢ : ١٣) ، وفى عيد المظال (يو ٧ : ٢ ، ١٠) ، وفى عيد التجديد (يو ١٠ : ٢٢) ، ومن أمره الصادر لتلاميذه بأعداد الفصح (مت ٢٦ : ١٩) . فأن اعترض البروتستنت بأنه وإن اعتبرها إلا أنه لم يتكلم عنها بشىء لقلنا إن سكوته ليس معناه القضاء عليها وإلا لنهى عنها صراحة .

وأما أن الرسل مارسوها فيتضح من قول بولس الرسول « إن فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا إذا لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق » (١ كو ١٦ : ٨) ، وكان هو يعيد مع المؤمنين ودليل ذلك أنه لما كان فى أفسس قال « ينبغى أن أعمل العيد القادم فى أورشليم » (أع ١٨ : ٢١) ، وقد أسرع إليها فعلا فى عيد العنصرة . وإذا اعترضوا بأن العيد المقصود كان من أعياد اليهود لقلنا إن الرسول حرم على المسيحيين تحريما باتا الخضوع للطقوس اليهودية ، ولا يعقل أن يبيح لنفسه ما حرمه على غيره (كو ٢ : ١٦) . وكذلك لما كان فى آسيا وعد مؤمنى كورنثوس بالذهاب إليهم بعد أن يعيد عيد العنصرة (١ كو ١٦ : ٨) . غير أن بعضهم يعود فيعترض قائلا إن الرسول نهى عن الأعياد حين قال « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » (كو ٢ : ١٦) ، والواقع أنه أراد بذلك ألا يجارى المؤمنون اليهود فى أعيادهم القديمة سواء أكانت أسبوعية أو شهرية أو سنوية أو اعتبارها فريضة ثابتة واجبة عليهم ، والدليل على ذلك أنه سماها بعد ذلك « ظل الأمور العتيدة » (كو ٢ : ١٧) ، فكلامه لا ينفى الأعياد المسيحية التى تمتاز فى الغاية والكيفية .

وأخيرا فقد شهد موسهيم المؤرخ البروتستنتى بأن الأعياد كانت ولا تزال تمارس فى الكنيسة منذ العصر الرسولى ، وأثبت القس بنيامين ثيندر البروتستنتى فى كتابه « ريحانة النفوس » أن عيدى القيامة وحلول الروح القدس كانا فى الجيل الأول وربما فى أيام الرسل أيضا ، وقال صاحب كتاب علم اللاهوت البروتستنتى « إن بعض الكنائس الأنجيلية تعتبر بعض العوائد الكنسية التى تسلسلت منذ القديم فى الكنيسة المسيحية مما لا يضاد الكتاب المقدس مطلقا كاعتبار عيد الفصح وعيد

الميلاد وغيرهما » (باب ٥ ف ٣ وجه ٤٧) . هذا والكنيسة الأسقفية تحتفل بنفس الأعياد التى تمارسها كنيستنا ، وعندها من الأعياد السيدية والأعياد الخاصة بالشهداء ما يزيد على ثلاثة وثلاثين عيدا (راجع مقدمة الصلاة العامة) .

والأعياد فى كنيستنا نوعان سيدية وعددها أربعة عشر عيدا وهى خاصة بالسيد المسيح له المجد ، وغير سيدية وهى خاصة بالعذراء والملائكة والرسل والقديسين والشهداء وغيرهم وقد سبق الكلام عليها فى الجزء الأول من هذا المؤلف ، ونقتصر هنا على شرح ما يستدعى المقام شرحه من الأعياد السيدية :

عيد الميلاد عند الشرقيين والغربيين

التقويم اليوليانى :

كانت السنة الرومانية سنة شمسية ومقسمة إلى اثنى عشر شهرا ، وعدد أيامها ٣٦٥ يوما فقط ، وظلت هكذا إلى عهد الأمبراطور يوليوس قيصر . ولما لوحظ خطأ هذا التقويم واختلافه عن التقويم المصرى قام يوليوس قيصر فى عام ٤٥ ق.م. بتكليف العالم الفلكى الاسكندرى سوسيجين بتعديل التقويم الرومانى حتى يكون شمسيا صحيحا ، فقام هذا العالم بزيادة ست ساعات على كل سنة أى يوما كل أربع سنوات ، وسمى الحساب المصلح بالحساب اليوليانى نسبة إلى يوليوس قيصر ، ثم ألحق اليوم الإضافى بآخر شهر فبراير ، وسميت مثل هذه السنة كبيسة وما عداها بسيطة . وظل هذا التقويم متبعا شرقا وغربا حتى آخر القرن السادس عشر حين عدله البابا غريغوريوس على النحو الآتى :

التقويم الغريغورى :

رأينا أن التقويم اليوليانى يقوم على أساس أن السنة ٣٦٥ يوما وست ساعات ، فى حين أنها فى الواقع تنقص عن ذلك إحدى عشرة دقيقة وأربع عشرة ثانية ، وصار هذا الفرق يحدث يوما كاملا فى كل ١٢٩ سنة . ووصل هذا الغلط إلى عشرة أيام فى أواخر القرن السادس عشر فى عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر الذى تولى الكرسى البابوى من عام ١٥٧٢ إلى عام ١٥٨٥ . وقد أصلحه هذا البابا بأن اعتبر اليوم الخامس من شهر أكتوبر عام ١٥٨٢ أنه اليوم الخامس عشر

منه ، وأمر بأن يضاف يوم كامل كل أربع سنوات ، ولتلافى الخطأ قرر أيضا أن يحذف يوم كل ١٢٩ سنة أو ثلاثة أيام كل ٣٨٧ سنة . وتسهيلا لذلك قرر اعتبار السنين المتممة للقرن مثل ١٠٠ ، ١٠٠٠ سنين كبيسة إلا إذا كان عدد القرون يقبل القسمة على أربعة بدون باق فتعتبر بسيطة . فمثلا السنوات ١٧٠٠ ، ١٨٠٠ ، ١٩٠٠ هى بحسب التقويم الغريغورى بسيطة لأن الأعداد ١٧ ، ١٨ ، ١٩ لا تقبل القسمة على أربعة بدون باق . ورغم هذا الاحتياط فأنه يحصل غلط فى يوم كل ٤٠٠٠ سنة ، وعند حلول ميعاده يحذف من التقويم اليوم الزائد . وقد عرف هذا التقويم باسم التقويم الغريغورى وأطلق على سنته السنة الميلادية الغربية ، بينما عرفت السنة اليوليانية باسم السنة الميلادية الشرقية .

التقويم القبطى :

وكان عيد الميلاد قبل الإصلاح الغريغورى يقع فى يوم ٢٥ ديسمبر الموافق ليوم ٢٩ كيهك ، ولكن فى سنة الإصلاح أصبح يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٥٨٢ يوافق يوم ٤ يناير شرقى أى يوليانى . فالذين لم يقبلوا الإصلاح تقهقر تاريخهم عشرة أيام ، وزاد هذا التقهقر يوما فى عام ١٧٠٠ ، ويوما ثانيا فى عام ١٨٠٠ ، ويوما ثالثا فى عام ١٩٠٠ ، فصار الفرق ثلاثة عشر يوما ، والسبب فى ذلك أن هذه السنوات الثلاث اعتبرت سنوات بسيطة فى الحساب الغريغورى فى حين أنها تعتبر كبيسة فى اليوليانى ، وسيزداد هذا الفرق يوما فى عام ٢١٠٠ وهكذا . وبما أن كنيستنا القبطية الأرثوذكسية لم تأخذ بالإصلاح الغريغورى فى عام ١٥٨٢ م فقد تأخر الحساب عندنا عشرة أيام ، وبلغ هذا التأخر ثلاثة عشر يوما منذ عام ١٩٠٠ م .

وكان أول توت قبل عام ١٢٩٩ ش الموافق لعام ١٥٨٢ م يقع فى ٢٩ أغسطس فى السنوات البسيطة وفى ٣٠ منه فى السنوات الكبيسة ، ولكنه ابتداء من عام ١٢٩٩ ش صار يقع فى ٨ سبتمبر فى السنين البسيطة وفى ٩ منه فى السنين الكبيسة . ومنذ عام ١٤١٧ ش صار يقع فى ٩ سبتمبر فى السنين البسيطة وفى ١٠ منه فى السنين الكبيسة . ثم منذ عام ١٥١٧ ش صار يقع فى ١٠ سبتمبر فى السنين البسيطة ، وفى ١١ منه فى السنين الكبيسة . ثم ابتداء من عام ١٦١٧ ش صار يقع فى ١١ سبتمبر فى السنين البسيطة ، وفى ١٢ منه فى السنين الكبيسة وهكذا ، والمرجو أن يتدارك المصلحون أمر هذا التقويم .

اليوم التاسع والعشرون من شهر كيهك(١)

عيد الميلاد المجيد :(٢)

عيد ميلاد الكلمة الأزلى هو مبدأ الأسرار الإلهية ، وينبوع النعم والبركات الخلاصية ، فيه تجلت الحقائق الروحية تمحو بسناها الظلال الطقسية ، فاطمأنت نفوس جميع المنتظرين تعزية إسرائيل (لو٢ : ٢٥) . وفى هذا اليوم العجيب الذى سماه الوحى ملء الزمان ابتهج سكان الأرض لأن الله أرسل ابنه مولوداً من امرأة مولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى (غل ٤ : ٤ — ٥) ، وفيه شاركت السماء الأرض أفراحها فهتفت الجنود العلوية قائلة « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة » (لو٢ : ١٤) . وابتهاج الملائكة بهذا العيد يدلنا على فضله وامتيازه على بقية الأعياد ، ونحن

(١) **عيد الميلاد فى السنين الكبيسة** : تحتفل الكنيسة بعيد الميلاد فى ليلة ٢٩ كيهك من كل سنة من السنين البسيطة وذلك لأنه اليوم الذى ولد فيه المخلص . أما فى السنين الكبيسة فيقع العيد فى ٢٨ كيهك . وحيث أن السنة الرابعة من الدور يكبس عليها يوم واحد ، ولا يجوز مد مدة إقامة مخلصنا فى الأحشاء الطاهرة عن تسعة شهور وهى مدة الحمل ، كما أنه لا يجوز تغيير عيد الختان عن ٦ طوبة ولا عيد دخول السيد الهيكل عن ٨ أمشير ، وعما أنه لا يجوز تحويل الميلاد عن ٢٩ كيهك كما اتفق سنة ميلاده له المجد ، كما لا يجوز إبطال يوم الكبيس لئلا تتحول السنين عن أوقاتها ، لذلك فالكنيسة فى السنين الكبيسة تحتفل بصلاة العيد فى مساء ٢٧ كيهك ، وفى مساء ٢٨ تعمل عشية العيد وفى صباح ٢٩ تحتفل بصلاة العيد أيضا لاعتبارهم يومى ٢٨ و ٢٩ يوما واحدا . وهناك طريقة أخرى وهى أن يعتبر يوم ٢٨ بدلا من ٢٩ ويصير الأول هو ال ٢٩ بذاته . وقالوا فى سبب التعييد فى ٢٨ بدلا من ٢٩ فى السنين الكبيسة أن ولادة المسيح كانت ما بين العشاءين ، فمن ضم اليومين إلى بعضهما واعتبرهما يوما واحدا يقول إن ٢٨ يشبه بالمساء ويوم ٢٩ يشبه بالصباح ، ومن قال إن ٢٨ حل محل ٢٩ يقول إننا عيدنا فى الميعاد عينه . (اه عن اللآلى الكبيسة صفحة ٥٠٧—٥٠٨ واللؤلؤة صفحة ٢١٩) .

(٢) **الأعياد السيدية** : أنظر ما جاء عنها فى المقدمة بصفحة ٥٩ وما يليها من الجزء الأول وبصفحة ٣٥ من هذا الجزء .

إذ نشترك معهم فى فرحهم به إنما نمجد الله الذى افتقد شعبه وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه ليضيء على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت (لو ١ : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٩) .

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « سيادة المخلص » ، فالتجيل العشية يتكلم عن نسبه ، وإنجيل باكر عن مجده ، وإنجيل القداس عن ميراثه أى سيادته على الكل :

مزمور العشية : (٧١ : ٨)

يشير هذا المزمور إلى زيارة المجوس للصبى يسوع وتقديم الهدايا له فيقول «ملوك ترسوس والجزائر يقدمون له هدايا . ملوك العرب وسبا . يقربون له العطايا» .

انجيل العشية : (لو ٣ : ٢٣—٣٨)

يتكلم هذا الفصل عن نسب المخلص ففيه يسرد البشير سلسلة النسب ابتداء من يوسف بن هالى إلى «شيث بن آدم بن الله» .

مزمور باكر : (٧١ : ١٣)

يشير هذا المزمور إلى هدايا المجوس للصبى يسوع وإلى ما جاء بفصل الإنجيل عن شهادة يوحنا عن مجده فيقول « يعيش ويعطى له . من ذهب أرابيا . ويصلون من أجله كل حين . ويباركونه كل يوم » .

انجيل باكر : (يو ١ : ١٤—١٧)

يتكلم هذا الفصل عن مجد المخلص ودليل ذلك قول البشير « والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا » .

مزمور القداس : (٢ : ٥ و ٦)

يشير هذا المزمور إلى ولادة المخلص ، وإلى تعبد الأمم له على مثال سجود المجوس له وإلى اتساع سلطانه فيقول « الرب قال لى أنت ابنى . وأنا اليوم ولدتك . سلنى فأعطيك الأمم ميراثك . وسلطانك إلى أقطار الأرض » .

انجيل القداس : (مت ٢ : ١–١٢)

: يتكلم هذا الفصل عن ميراث المخلص أى خضوع الأمم له ودليل ذلك قول البشير عن المجوس « وأتوا إلى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه . فخروا وسجدوا له . ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا » .

الرسائل :

تدور رسائل هذا اليوم حول موضوع واحد هو « سيادة المخلص » ، فالبولس يتكلم عن تفوقه على الملائكة ، والكاثوليكون عن مجده ، والأبركسيس عن إتمام الموعد به :

البولس : (عب ١ : ١–٢ : ١–٤)

يقول الرسول إن « الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شىء » : ثم يبين امتيازه على الملائكة بقوله « لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك . وأيضا أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا . وأيضا متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله » . ثم يوصينا قائلا « لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته » . ويحذرنا بقوله « فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصا هذا مقداره » .

الكاثوليكون : (٢ بط ١ : ١٢–١٧)

وبطرس الرسول يقول « لذلك لا أهمل أن أذكركم دائما بهذه الأمور » ، ثم يبين أهميتها بقوله « لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل كنا معاينين عظمته . لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجدا إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به » .

الأبركسيس : (أع ١٣ : ٢٦–٣٣)

وهنا يقول بولس الرسول مخاطبا الإسرائيليين « أيها الرجال الأخوة بنى

جنس إبرهيم والذين بينكم يتقون الله إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص » ، ثم يقول « ونحن نبشركم بالموعد الذى صار لآبائنا أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولاده إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضا فى المزمور الثانى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » .

إنجيل العشية

(لو ٣ : ٢٣ – ٣٨)

نسب السيد المسيح

تمهيد

لم يبدأ لوقا إنجيله بذكر نسب السيد المسيح كما فعل متى ، بل بدأه بذكر مولد يوحنا المعمدان ليدلل على شرف ولادة المخلص الجسدانية بما تقدم من أمر يوحنا خادمه . وبعد أن ذكر اعتماد يسوع من يوحنا وشروعه فى مباشرة خدمته العلنية ذكر نسبه على نحو ما هو وارد فى فصل الأنجيل . ويستدعى هذا عقد مقارنة بين روايتى متى ولوقا عن هذا النسب لبيان اتفاقهما فى هذا الصدد :

سلسلة النسب :

٢٣ – ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى ٢٤ – بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينا بن يوسف ٢٥ – بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلى بن نجاى ٢٦ – بن ماث بن متاثيا بن شمعى ابن يوسف بن يهوذا ٢٧ – بن يوحنا بن ريسا بن زربابل ابن شألتيئيل بن نيرى ٢٨ – بن ملكى بن ادى بن قصم ابن المودام بن عير ٢٩ – بن يوسى بن اليعازر بن يوريم ابن متثات بن لاوى ٣٠ – بن شمعون بن يهوذا بن يوسف ابن يونان بن الياقيم ٣١ – بن مليا بن ميمان بن متاثا بن ناثان ابن داود ٣٢ – بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون ابن نحشون ٣٣ – بن عمينداب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا ٣٤ – بن يعقوب بن اسحق بن إبرهيم بن تارح بن ناحور ٣٥ – بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح . ٣٦ – بن قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح

بن لامك ٣٧– بن متوشالح بن اخنوخ بن يارد بن مهللئيل
بن قينان ٣٨– بن انوش بن شيث بن آدم ابن الله .

مقارنة :

إذا قارنا بين جدول نسب السيد المسيح كما ذكره متى (مت ١ : ١–١٧)(١) والجدول المذكور آنفا كما ذكره لوقا اتضحت لنا الأمور الآتية :

أولا : ابتدأ متى نسبة السيد من إبرهيم، لأن دعوة متى كانت موجهة إلى العبرانيين الذين كانوا يتوقعون مجيء المسيح من نسل إبرهيم وداود ، وذلك ليبين لهم أن المسيح المنتظر قد جاء . أما لوقا فابتدأ النسبة من آدم لأن دعوته كانت موجهة للأمم الغريبة وأراد بها أن يبين لهم أن ملك الحق ظهر من نسلهم ، وأن يبين لليهود المفتخرين بانتسابهم إلى إبرهيم أن الأمم جميعا تنتسب إلى أب واحد هو آدم ولا تمتاز واحدة عن الأخرى إلا بالعمل الصالح ، وأن يبين لمن تساورهم الشكوك فى كون المسيح بغير أب أن آدم كان كذلك .

ثانيا : إن متى ذكر سلسلة النسب من فوق إلى أسفل ، ولوقا ذكرها من أسفل إلى فوق، وهذه كانت العادة فى الكتب المقدسة وعليها سار الكاتب فى سفر راعوث إذ سار من فوق إلى أسفل، وفى سفر صمويل إذ سار من أسفل إلى فوق (صم ١ : ١) . وهذا الأسلوب من الكتابة يؤكد صحة النسبة لأنه إذا وافق الصاعد فى النسبة النازل فيها كان ذلك أدعى إلى تصديقها . هذا وذكر متى للنسبة من فوق إلى أسفل فيه إشارة إلى تنازل ابن الله من السماء لخلاصنا ، وذكر لوقا لها من أسفل إلى فوق فيه إشارة إلى ارتقاء البشرية بالقوة السمائية والأجناد الإلهية .

ثالثا : جعل متى عدد الآباء من داود إلى يوسف ثلاثين ، وجعلهم لوقا اثنين وأربعين ويفسر ذلك بأن الأول نسب من سليمان والثانى نسب من ناثان ولا يلزم أن يكون بقاء كل واحد ممن هو فى السلسلة المذكورة فى لوقا مثل بقاء آخر من السلسلة المذكورة فى متى أى أن مجموع سنى حياة الأشخاص فى النسبتين متساوية المقدار بصرف النظر عن الأشخاص .

رابعا : نسب متى يوسف خطيب مريم إلى أبيه الطبيعى يعقوب (مت ١ : ١٦)،

(١) **نسب المخلص** : أنظر عشية ٢٨ كيهك .

ونسبه لوقا إلى أبيه الشرعى أى الناموسى هالى (لو ٣ : ٢٣) ، وذلك أن اليهود لتمسكهم بالعالم الفانى وعدم شعورهم بالعالم الباقى كانوا إذا مات الرجل بلا ولد سلموا زوجته إلى أخيه والولد الذى يولد ينسب إلى المتوفى نسبة شرعية أى ناموسية وإلى الحى نسبة طبيعية . فلو نسب البشيران يوسف إلى هالى الذى هو أحق بأن ينسب إليه لما ارتقى نسبه إلى داود فلذا نسبه لوقا إلى هالى وبحسبه ارتقى إلى ناثان ابن داود ، ونسبه متى إلى يعقوب وبحسبه ارتقى إلى داود مباشرة وبذلك صار نسب يوسف يرتقى إلى داود كيفما قيلت النسبة .

خامسا : اتفق متى ولوقا اتفاقا تاما فى ترتيب النسب من إبرهيم إلى داود وهو نسب طبيعى، واختلفا فى ترتيبه من داود إلى يوسف فذكر متى النسب الطبيعى وذكر لوقا النسب الشرعى كما سبق القول . ويلاحظ أن السيدة مريم هى من سليمان لأنها ابنة صادوق بن عازور، ويوسف هو من ناثان لأنه ابن متان بن اليعازر ، فهما أولاد عم . ولكن أولاد ناثان وسليمان اختلطوا وتزاوجوا وفيهم آباء طبيعيون وآباء ناموسيون فيوسف ينسب بحسبهما كليهما إلى داود .

سادسا : هناك رأى يقول بأن لوقا ذكر نسب مريم لا نسب يوسف(١) ، وأن هالى كان أبا مريم وحما يوسف وهذا التفسير يوافق النص إذ لا يقال إن هالى ولد يوسف بل قال إن يوسف كان ابن هالى ولا يخفى أنه كان يجوز بحسب اصطلاح المؤرخين القدماء أن يقال له ابنا وإن لم يكن ابنه الطبيعى ، وأن ذكر سلسلة مريم ضرورى لكى يظهر جليا أن يسوع كان من نسل داود، لا من جهة يوسف فحسب ، بل من جهة مريم كذلك .

(١) **صدق الكتاب المقدس** : يعترض الملحدون على صدق الكتاب المقدس بدعوى أنه وردت فيه أمور تدل على عدم إرشاد الله لكاتبيه ومن ذلك الخلاف بين روايتى متى ولوقا عن نسب السيد ، وقد أوضحنا تعليله . ومن ذلك قولهم إن الكتّاب ذكروا أمورا تدل على الريب والشك كقول لوقا عن السيد « وهو على ما كان يظن ابن يوسف » (لو ٣ : ٢٣) ، والواقع أنه ليس فى هذا التعبير ما يشين الوحى لأنه من الأساليب المعروفة عند الناس وقد اعتاد جل شأنه أن يجاريهم فى تعابيرهم ، هذا فضلا عن أن هذه العبارة لا تفيد الريب بل الرجحان أى أن الناس كانوا يظنون أو يرجحون أنه ابن يوسف .

إنجيل باكر

(يو ١ : ١٤ — ١٧)

تجسد الكلمة

(راجع قداس اليوم الرابع والعشرين من هاتور)

إنجيل القداس

(مت ٢ : ١ — ١٢)

سجود المجوس للمخلص

تمهيد :

تحتفل كنيستنا القبطية اليوم بعيد من الأعياد السيدية الكبرى هو عيد الميلاد المجيد ، مبدأ الأسرار الإلهية وينبوع النعم والبركات الخلاصية ، ففيه أعلنت محبة الله للأنسان إذ « لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى » (غل ٤ : ٤ — ٥) . ولهذا طربت السموات وكان جنودها أول من قدس هذا العيد واحتفل به إذ هتفوا قائلين « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة » (لو ٢ : ١٤) . وكذلك ابتهجت الأرض بهذا الميلاد وصار حقا على الكنيسة أن تشارك الملائكة فى الفرح ممجدة الله « لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه » (لو ١ : ٦٨ — ٦٩) .

وفى هذا اليوم المجيد تتلو الكنيسة على بنيها ذلك الفصل من الأنجيل الذى يتكلم عن تعبد الأمم الذين يمثلهم المجوس لهذا المخلص الموعود به ، فيشير أولا إلى مجيئهم إلى أورشليم ، وأثر زيارتهم فيها ، ثم ذهابهم إلى بيت لحم حيث الصبى ، وسجودهم له وتقديم الهدايا إليه :

المجوس فى أورشليم :

١ — ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم ٢ —

قائلين أين هو المولود ملك اليهود . فأننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له .

١ — أشار متى فى مستهل كلامه إلى المكان والزمان اللذين ولد فيهما المخلص ليبين لنا أن النبوات قد تمت . أما المكان فهو بيت لحم وعنها قال ميخا « أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » (مى ٥ : ٢) . وأما الزمان فهو أيام هيرودس الملك الذى به تمت نبوة يعقوب القائلة « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون(١) (أى أمان أو الذى له) وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) ، لأنه بعد سبى بابل كان يملك على بنى إسرائيل رؤساء الكهنة من سبط لاوى لأجل الاختلاط الذى كان بين سبط هؤلاء وسبط يهوذا . ولما انتهى الملك إلى ارسطابولس وهادرقينوس تنازعا الرياسة فضاعت منهما ، وتولى على بنى إسرائيل هيرودس العسقلانى وتمت به نبوة يعقوب ، وفى أيامه جاء المجوس إلى أورشليم . والمجوس من كبار فلاسفة بلاد فارس وكانوا يعتبرون فى المرتبة التالية للملك حتى أنهم كانوا يرافقونه فى ساحة الحرب كما يشير إلى ذلك أرميا (أر ٣٩ : ٣) ، لوجاهتهم وتمكنهم فى العلوم الدينية والحكمة والأرصاد الفلكية . ويرى بعض المفسرين أنهم كانوا ثلاثة(٢) ، ودليلهم على ذلك الهدايا الثلاث التى قدموها ، وأنه كان معهم ألف رجل بدليل قول الإنجيلى إن أورشليم اضطربت .

٢ — ولما دخلوا المدينة قالوا « أين هو المولود ملك اليهود » ، وسموه ملكا لتذكير اليهود بنبوة ميخا السابقة التى يقول فيها « يخرج منك مدبر ، أى ملك ،

---

(١) شيلون : فسرت هذه الكلمة حديثا مما يأتى : حرف الشين ومعناه « ابن » ولفظة « ايل » معناها الله ، وكلمة أون معناها حى فتكون الكلمة كلها معناها « ابن الله الحى » .

(٢) المجوس : والتقليد الشائع فى الكنيسة يذكر أنهم ثلاثة وهم ملخيور وبلتازار وغسبار ويعتبرونهم من ملوك العرب وقد اكتشفت القديسة هيلانة والدة الملك قسطنطين الكبير ذخائرهم وهى محفوظة الآن بكتدرائية كولونيا بألمانيا (لاروس القرن العشرين ج ٣ ص ٢٢٣) .

يرعى شعبي إسرائيل » ، ولا شك أن فى هذه التسمية امتهانا لهيرودس الملك . ثم قالوا « فأننا رأينا نجمه(١) فى المشرق ، وأتينا لنسجد له » . ولما كانوا من علماء الفلك فقد اقتضى التدبير الإلهى أن يكون مرشدهم نجما ليجتذبهم ويؤانسهم بما جرت به عادتهم ، وذلك على مثال اجتذاب بنى إسرائيل إلى الحق باستعمال القرابين والذبائح التى اعتادوها فى مصر ، وكأنذار شاول بموته على يد العرافة ، وكما جذب الرسل بصيد السمك الذى اعتادوه . وبما أن هذا المولود سماوى فكان لابد فى المرشد إليه أن يكون سماويا ، هذا إلى أن ظهور هذا النجم كان إتماما لنبوة بلعام القائلة « أراه ولكن ليس الآن أبصره ولكن ليس قريبا . يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل يحطم طرفى موآب ويهلك كل بنى الوغا » (عد ٢٤ : ١٧) ، وكذلك إتماما للنبوة القائلة « ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها » (ملا ٤ : ٢) ، والنبوة القائلة « قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم . أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى قتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك » (أش ٦٠ : ١ — ٣) . وبظهور هذا النجم نهارا يكون مولد المخلص قد اقترن بآية عظيمة ، كما اقترن صلبه بآية أخرى عجيبة هى كسوف الشمس نهاراً . وقد اشترك فى نشر الدعوة لهذا الملك المولود ثلاثة لكل منهم دلالته ، فالرعاة إشارة إلى أنه راع وخروف ، والكواكب رمزا لأنه سماوى ، والمجوس للدلالة على أنه غافر الخطايا .

ولا شك أن هذا الكوكب لم يكن كوكبا طبيعيا بل قوة إلهية أو كما يرى أغلب المفسرين ملاكا روحانيا ، والأدلة على ذلك متوفرة فليس من شأن الكواكب أن تتحرك من فوق إلى أسفل كما فعل هذا ، أو تدل على موضع دون آخر كما أرشد هو إلى موضع المسيح . ومعلوم أن الكواكب تتحرك من الغرب إلى الشرق أو بالعكس، أما هذا فتحرك من الشرق حيث بلاد الفرس إلى الشمال حيث بيت المقدس . ومن عادة الكواكب أن تختفى نهارا وتظهر ليلا أما هذا فكان تارة

(١) علم النجوم : زعم قوم أن علم النجوم صحيح بدليل ظهور هذا الكوكب، والواقع أن صناعة النجوم لا تعمل المواليد من كوكب واحد بل من الاثنى عشر البروجية والسبعة المتحيرة ولذا فظهور هذا الكوكب لايدل على صحة علم النجوم.

يطلع ليلا وتارة نهارا عند الحاجة إليه . يضاف إلى هذا أن المجوس وحدهم كانوا يستضيئون به على خلاف ما يعرف عن الكواكب العادية وإضاءتها للجميع .

ويقول الأنبا بولس البوشى أسقف مصر(١) فى ميمره على الميلاد « والدليل على أن هذا الكوكب لم يكن من تلك الكواكب الظاهرة أن أفعاله مختلفة عن سائر النجوم . أول ذلك أنه كان يظهر لهم نهارا ولا يختفى ليلا فيدل على أن المولود هو نهار وشمس البر . ثم كان يسير من الشمال إلى اليمين منحرفا قليلا إلى الغرب وهو من أرض فارس إلى بيت المقدس فيدل أن كماله يكون بأورشليم . وكان يسير بسيرهم ويقف لوقوفهم فيدل على أن الرب يلاطف البشرية ويكمّل الأشياء الجسدية . وكان سيره عجيبا أسفل بالقرب منهم ليدل على اتضاع الرب المولود بالجسد وكونه قد صار معنا على الأرض بينما يعلو على الكل بلاهوته . وكان قربه منهم لكى يقدمهم كمثل مرشد لهم إلى الموضع الذى يريدون نحوه مستقيمين بلا اعوجاج ليدل أن المولود هو الذى يتقدم لنا فى كل الخيرات ويرشدنا إلى أورشليم العليا ، ملكوت السموات ، كما قال « أنا هو الطريق والحق والحياة » (يو ١٤ : ٦) ، ومع هذا بأسره لم يقدر ضوء الشمس أن يخفيه ليدل على أن المولود يعلو ويفوق كل بهاء وحسن ويفضل على كل اسم مما يرى وما لا يرى كما تنبأ عنه داود قائلا « إنه بهى فى الحسن أكثر من بنى البشر » (مز ٤٥ : ٢) أعنى وإن كان ظهر بالجسد ووجد بالشكل كالإنسان فهو يفوق الكل ببهاء لاهوته . ولما وصل النجم إلى أورشليم اختفى عنهم بالتدبير لكى يبشروا بميلاد المسيح الرب لأولئك الذين كانوا ينتظرونه ، أعنى بنى إسرائيل الجسدانى ليدل أن الشعوب تفوقهم فى الإيمان وتفضل عليهم » .

ويتساءل الباحثون عن الدافع للمجوس على السير مع الكوكب ، ويرى البعض ردا على ذلك أنهم رأوا فيه إشراقا ورأوا فيه كتابة تقول إنه كوكب ملك اليهود ، وتأمرهم بالذهاب وتقديم القرابين إليه . ويرى البعض الآخر أن زرداشت رئيسهم أمرهم بالانطلاق لتقديم القرابين لملك اليهود الذى يدل ذلك الكوكب عليه . ويقال إن زرداشت هذا هو باروخ تلميذ أرميا ، ولما لم يعط موهبة النبوة

(١) الأنبا بولس : سيم عام ١٢٤٠ م أسقفا على مدينة مصر فى بطريركية الأنبا كيرلس بن لقلق الخامس والسبعين من باباوات الأسكندرية .

انصرف إلى الشعوب وكتب كتابه . وقال يوما لتلاميذه إن عذراء عبرانية ستلد بغير رجل صبيا فيه قوة إلهية ويظهر لكم عند مولده كوكب فاذهبوا وقربوا له قرابين ثلاثة .

ولا بد من الإشارة إلى أن مولد المخلص ظهر للشعوب الغريبة قبل ظهوره لليهود ، وظهر للبعيدة منها دون القريبة ، واختص به المجوس منهم دون سواهم ، وقصر ذلك على فريق منهم دون جميعهم ، وأن هذا الفريق هم مجوس الشرق لا مجوس الغرب . أما ظهوره للشعوب الغريبة أولا فلأن شهادة الغريب على الأنسان وبخاصة فى الأمور الحسنة تكون أقرب إلى التصديق من شهادة القريب ، وحتى لاتتاح لليهود فرصة يخفون فيها زمان ميلاده ومكانه وإتمام النبوات المتعلقة بمجيئه ، وليكون ذلك توبيخا لهم على تقاعدهم عن المناداة به وبمبادئه وهم أحق بذلك من غيرهم .

وأما ظهور الميلاد للشعوب البعيدة دون القريبة كالفلسطينيين والعمونيين فالمقصود به التوسع فى نشر الدعوة بين أمم كثيرة . وقصر ذلك على المجوس هو لأشعار الأمم بالتوبة وتنبيههم إلى أن عناية الله تعالى منصرفة نحو الخطاة لأن المجوس كانوا فى أسفل درجات الضلال ، إذ كانوا يسجدون للخليقة ويذبحون للشياطين ويتزوجون من أمهاتهم وأخواتهم ، ولذا استلزم الحال البدء بهم ، على أن ظهور الميلاد كان لبعضهم دون البعض الآخر إشارة إلى أن بعضهم لا كلهم سيؤمن بالمسيح . وقد يعترض معترض فيقول لماذا لم يظهر لأمة الرومان وهى غريبة وبعيدة ، ويرد على ذلك بأن بنى إسرائيل كانوا فى ذلك الوقت تحت سلطانهم وأن خبر المخلص لاشك واصل إليهم بضرب من الضروب .

وأما الاقتصار على مجوس المشرق فلمحاكاة التدبير الألهى الأول حين « غرس الرب الأله جنة فى عدن شرقا ووضع هناك آدم الذى جبله » (تك٢ : ٨) ، ولأن الشمس تطلع من المشرق والسيد شمس هذا العالم ، ولتتم النبوات القائلة « من مشرق الشمس إلى مغربها اسم الرب مسبح » (مز ١١٣ : ٣) ، وأيضاً « لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم » (ملا ١ : ١١) ، ولأنه سيأتى من المشرق للدينونة .

وبالتدبير الألهى ساد السلم فى تلك السنة بين الروم والفرس وبذا تمكن المجوس من الوصول إلى أورشليم إذ أن كل ما ولى نصيبين شرقا كان للفرس ، وما ولاها

غربا للروم ، وهكذا كان المجوس واسطة فى إذاعة البشرى بين الشعوب كما كان الرعاة واسطة فى إذاعتها بين الشعب الإسرائيلى(١) .

أثر هم فيها :

٣ — فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه . ٤ — فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح . ٥ — فقالوا فى بيت لحم اليهودية . لأنه هكذا مكتوب بالنبى . ٦ — وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل .

٣ — ولما نمى خبر مقدم المجوس إلى هيرودس اضطرب لأنه كان رجلا غريبا تسلم الملك من قيصر ، وخشى حين سمع بولادة ملك لليهود أن يكون المولود أحق بالملك منه ، إذ ظنه ملكا أرضيا فيعمد إلى قتله هو وأولاده ، وكانت كثرة المجوس وجلالة شأنهم وجرأتهم فى الجهر بالسؤال عن ملك اليهود وسط أورشليم من دواعى جزعه ، فضلا عن ذلك الكوكب اللامع الذى كان يرشدهم فى الطريق . وقد اضطربت أورشليم تضافرا مع الملك ، ولأن أهلها قد درجوا على كراهية الحق وبغض المخلص . ٤ — وجمع هيرودس رؤساء الكهنة والكتبة ليستفسر منهم عن محل ميلاد المسيح إذ قد استدل على أنه هو مما سمعه من اليهود ، وليس أدرى بالأمر من الكهنة والكتبة « لأن شفتى الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه يطلبون الشريعة لأنه رسول رب الجنود » (ملا ٢ : ٧) . ٥ — وقد أجابوه بأنه يولد فى بيت لحم اليهودية ، ٦ — وأكدوا صدق قولهم بأيراد النبوة المؤيدة لذلك بنصها المثبت آنفا والتى ذكرها ميخا (مى ٥ : ٢) وأشرنا إليها فى شرح الآية الأولى من هذا الإنجيل . وقد ثبت لديهم مولد المسيح فى هذا الوقت بعد ماحسبوا أسابيع دانيال السبعين ، وعرفوا أنها تمت إذ قيل عن ذلك « سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الأبدى . ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين » (دا ٩ : ٢٤) .

(١) زيارة المجوس : تعيد الكنيسة القبطية لتذكار زيارة المجوس يوم عيد ميلاد المخلص .

ويرى بعض الشراح أن عرض الكهنة من تأييد إجابتهم بالنبوة إنما كان لتحريض هيرودس على قتل الصبي ، في حين يرى فريق آخر أن الحسد لم يكن قد بلغ بهم هذا الحد ، وأنهم فعلوا ذلك محبة في المسيح ورغبة في إذاعة مولده بين الجميع . وسواء أكان هذا أو ذاك فقد أنكروا فيما بعد ما اعترفوا به وقتئذ من أن المولود في بيت لحم هو المسيح . أما قول النبوة عن المسيح إنه « يرعى شعبي إسرائيل » فيقصد به أن يرعى جميع من يؤمنون به .

ذهابهم الى بيت لحم :

٧ — حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر ٨ — ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي . ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضا وأسجد له . ٩ — فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي . ١٠ — فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا .

٧ — وقد يبدو غريبا ألا يسيء هيرودس إلى المجوس وقد جاءوا يلتمسون ملكا غيره ، سيما والكوكب الذي تحدثوا عنه قد غاب عنهم . ولكن الواقع أن ما اعتراه من الهم والحور حال دون ذلك ، فضلا عن أنه شغل بالاحتيال لقتل الصبي . وتوصلا لذلك وسترا لكراهيته للمولود الذي اعتبره اليهود مخلصا والمجوس ملكا استدعى المجوس سرا وسألهم عن وقت ظهور الكوكب ، لا عن وقت ولادة يسوع حتى لا تنكشف حيلته ، وحتى يقتل الصبيان الذين سنهم من وقت ظهور الكوكب فيكون السيد من جملتهم . وكان خليقا بهيرودس أن يكف عن شره بعد الذي رآه من المجوس وسمعه من نبوات ولكن ضميره لم يستيقظ ،

٨ — فقد دفعه المكر والخداع أن يطالب المجوس بالذهاب والتحري عن الصبي ثم إخباره حتى يذهب ويسجد له ، وما كان يريد في الواقع إلا قتله إنما قال ذلك تمويها لليهود حتى يأنسوا إليه .

٩ — وقد اقتضى التدبير الإلهي ألا يصحب المجوس في خروجهم أحد من اليهود أو من أعوان هيرودس حتى تظل الحاجة إلى الكوكب قائمة ، وحتى

لا يظن هيرودس الخارجين معهم أعداء له فيقتلهم ، وحتى لا يكون الشعب هو مرشد الشعوب إلى المخلص بل العكس . وقد اختفى الكوكب حينما دخل المجوس أورشليم لكي يضطرهم إلى السؤال عن المولود فيذيع أمره ويتضح جلاله ، ثم عاد إلى الظهور ليرشدهم إلى المكان الذي هو فيه ، وليسجد له مع الساجدين . وما لبث أن تقدمهم في السير حتى وقف حيث كان الصبي (١) . ١٠ — وبظهور النجم ابتهج المجوس جدا لأنهم كانوا يخشون عدم الاهتداء إلى الصبي .

سجودهم ليسوع :

١١ — وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه . فخروا وسجدوا له . ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا . ١٢ — ثم إذ أوحي إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم .

١١ — ويرى يوحنا فم الذهب أن المجوس جاءوا ليلة ميلاد السيد ، وأن النجم ظهر لهم قبل ميلاده بمدة ، ولكن الصحيح أن أم المخلص بعد سنتين من عمره أصعدته إلى أورشليم ومنها إلى بيت لحم حيث رآه المجوس ، ويؤيد ذلك قول متى إنهم دخلوا البيت ولم يقل المغارة ، وإنهم رأوا الصبي ولم يقل الطفل ، وهذا يدل على أنهم لم يأتوا ليلة ميلاده بل وهو في الثانية من عمره . ومن الأدلة على ذلك أيضا أنه في تلك الليلة أمر الملاك يوسف أن يذهب بالصبي إلى مصر هربا من هيرودس الذي أمر بقتل كل ابن سنتين فما دون .

ومن دواعي العجب ألا يتغير للمجوس حال ، فقد كانوا يتوقعون رؤية ملك فشاهدوا صبيا مسكينا لأبوين مسكينين . ولكن مرد ذلك إلى عدة عوامل هي حسن يقينهم ، وهداية الكوكب لهم ، وشهادة الكهنة للمولود بأنه ملك ، ونبوة ميخا المؤيدة لذلك ، واضطراب هيرودس وأورشليم عند زيارتهم . وقد استنارت قلوبهم بقوة لاهوت المخلص ، وتملكتهم الرهبة فخروا له ساجدين . ثم فتحوا كنوزهم التي كانت مختومة ، كما هي العادة في الهدايا المتبادلة بين الملوك ، وقدموا له قرابينهم الثلاثة من الذهب واللبان والمر . وقد أشار إلى هذه الهدايا

(١) قنديل الشرق : يعلق هذا القنديل في الحائط الشرقي للهيكل مقابل المذبح ليشير إلى النجم الذي ظهر في المشرق وأرشد المجوس إلى مكان الصبي يسوع .

داود حين قال « ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة . ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية » (مز ٧٢ : ١٠) ، وقال إشعياء « تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتى من شبا . تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب » (أش ٦٠ : ٦) . وقد كانت القرابين الثلاثة مما جرت به العادة عندهم فقد اعتادوا أن يقربوا اللبان لآلهتهم ، والذهب لملوكهم ، والمر لتحنيط موتاهم . فلما أشعرهم الرمز الإلهى بأنه إله وملك وأنه يموت قربوا هذه القرابين الثلاثة . وهذه القرابين حملتها السيدة مريم معها هى ويوسف النجار وهما ذاهبان بالصبى إلى مصر .

١٢ — ولما انتهى المجوس من الزيارة ظهر لهم ملاك فى حلم موحيا بألا يرجعوا إلى هيرودس حتى يكون للأسرة المقدسة متسع من الوقت للهرب إلى مصر قبل أن يصدر هيرودس الأمر بقتل الصبيان ، وحتى ينكشف خبثه وكذبه . وقد عاد المجوس إلى ديارهم من طريق أخرى حتى ينادوا فيها ببشرى المسيح . ونظراً لأن إيمانهم بالمولود قد توطد بعد الذى شاهدوه من عجائب فلم يكن ثمة مبرر لظهور الكوكب لهم فى العوده .

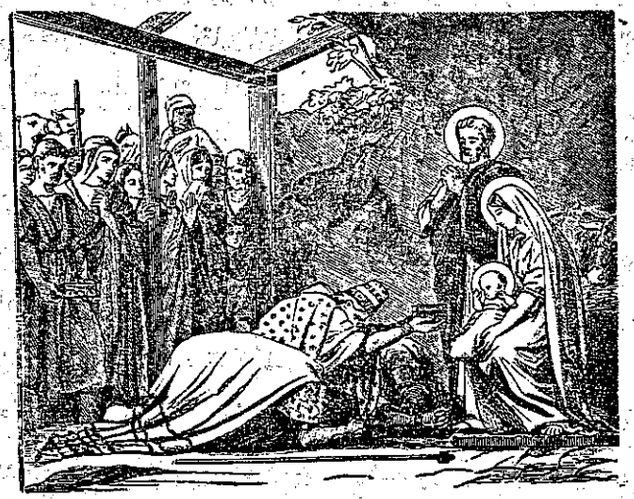

سجود المجوس للمخلص

اليوم الثلاثون من شهر كيهك

ثانى أيام عيد الميلاد المجيد :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « الحرية فى المسيح » . فأنجيل العشية يتكلم عن دعوته للحق ، وإنجيل باكر عن ربوبيته ، وإنجيل القداس عن تحريره المؤمنين به : .

مزمور العشية : (٧١ : ١)

يشير هذا المزمور إلى نبوة إشعياء النبى عن المخلص وهى الواردة بفصل الأنجيل وتتكلم عن مهمته فى نشر دعوة الحق والعدل بين الأمم فيقول « اللهم أعط حكمك للملك . وعدلك لابن الملك . ليحكم شعبك بالعدل . ولفقرائك بالحكم » .

انجيل العشية : (مت ١٢ : ١٥ — ٢٣)

يتكلم هذا الفصل عن دعوة المخلص للحق التى ينشرها بين الأمم ، ودليل ذلك نبوة أشعياء عنه القائلة « هوذا فتاى الذى اخترته . حبيبى الذى سرت به نفسى أضع روحى عليه . فيخبر الأمم بالحق » .

مزمور باكر : (٧١ : ٩ ، ١٨)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الإنجيل من تسمية داود الملك للمخلص ربى ، وخضوع الكل له فيقول « ويسجد له جميع ملوك الأرض . وكل الأمم تتعبد له . وتمتلىء الأرض كلها . من مجده » .

انجيل باكر : (مت ٢٢ : ٤١ — ٤٦)

يتكلم هذا الفصل عن ربوبية المخلص وخضوع الكل له ، ودليل ذلك قول داود عنه « قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » .

مزمور القداس : (٧١ : ١٦ ، ١٧)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الإنجيل عن المخلص من أن فيه كانت الحياة وأنه النور الحقيقى ، وأن كل الذين قبلوه قد صاروا أبناء الله فيقول « فليكن اسمه مباركا إلى الأبد . وقبل الشمس يدوم اسمه . وتتبارك به جميع قبائل الأرض . وكل الأمم تمجده » .

انجيل القداس : (يو ١ : ١—١٣)

يتكلم هذا الفصل عن تحرير المخلص للمؤمنين به . ودليل ذلك قول البشير عمن يؤمنون به « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه » .

الرسائل :

تدور رسائل هذا اليوم حول موضوع واحد هو « بركة المخلص » ، فالبولس يتكلم عن تحريره للمؤمنين به ، والكاثوليكون عن ثباتهم فى محبته ، والأبركسيس عن تبريره لهم :

البولس : (غل ٤ : ١٩—٥ : ١)

يتكلم الرسول هنا عن ذلك السلطان الذى يناله الذين يؤمنون بالمخلص فيبين أنهم يتحررون فى المسيح . فبعد أن أشار إلى أنه كان لإبرهيم ابنان أحدهما من الجارية والآخر من الحرة قال « إذا أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة » ، ثم يوصى أهل غلاطية قائلا « فاثبتوا إذاً فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضا بنير عبودية » .

الكاثوليكون : (١ يو ٤ : ١٥—٥ : ١—٤)

ويوحنا الرسول يقول هنا إن « من اعترف أن يسوع هو ابن الله فالله يثبت فيه ... ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه » ثم يقول « إن من يحب الله يحب أخاه أيضا » ، وأخيرا يقول « لأن كل من ولد من الله يغلب العالم » .

الأبركسيس : (أع ١٣ : ٣٦—٤٣)

يشير بولس الرسول هنا فى خطابه لليهود إلى أن غفران الخطايا يكون بالمسيح « وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى » .

إنجيل العشية

(مت ١٢ : ١٥ — ٢٣)

بنوة المخلص لداود

(راجع قداس الخامس والعشرين من هاتور)

إنجيل باكر

(مت ٢٢ : ٤١ — ٤٦)

ربوبية المخلص

(راجع عشية الأحد الرابع من يشنس)

إنجيل القداس

(يو ١ : ١ — ١٣)

بدء إنجيل يوحنا

(راجع قداس اليوم الرابع والعشرين من هاتور)

السبعة وأربعة

تقيم الكنيسة القبطية فى ليالى الآحاد الأربعة لشهر كيهك من كل عام صلواتها الاحتفالية المعروفة باسم « السبعة وأربعة » ، وهى الصلوات التى يسهر فيها جمهور الشعب حتى الصباح فى انتظار الملك الآتى بالفرح والتسبيح ، وينشدون أناشيد التمجيد والشكر لله على نعمه وبركاته . وفكرة السهر والاستعداد لملاقاة السيد المسيح فى مجيئه الثانى إنما هى تنفيذ لأمره الكريم القائل « إسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم » (مت ٢٤ : ٤٢) .

مجيئه الثانى :

أما أنه له المجد سيأتى ثانية فأمر لا خلاف عليه بدليل قوله « وإن مضيت

وأعددت لكم مكاناً آتى أيضا وآخذكم إلىّ » (يو١٤ : ٢) ، وبدليل قول البشير وهو يسرد علامات انقضاء الدهر « وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير » (مت ٢٤ : ٣٠) . ومبدأ مجيئه الثانى مقرر فى قانون الأيمان الذى فيه نقول « وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات » .

مجيئه ليلا :

ومن الثابت كذلك أن مجيئه الثانى سيكون ليلا كما يستفاد ذلك من قوله له المجد « لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب » (مت ٢٤ : ٤٣) ، وقوله أيضا فى كلامه عن عودة سيد العبيد الساهرين « وإن أتى فى الهزيع الثانى أو أتى فى الهزيع الثالث ووجدهم هكذا فطوبى لأولئك العبيد » (لو ١٢ : ٣٨) ، وقوله فى مثل العذارى « ففى نصف الليل صار صراخ عظيم هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه » (مت ٢٥ : ٦) . ومن أدلة مجيئه الثانى وحدوث القيامة العامة ليلا أن يسبق ذلك أن « الشمس تظلم والقمر لا يعطى ضوءه ونجوم السماء تتساقط » (مر ١٣ : ٢٤ — ٣٥) ، وظلام الشمس والقمر راجع لعدم الحاجة إلى نورهما لبطلان الزمان ، ولأن نوره يقهر نورهما . وكما قام من الأموات ليلا ، أو على حد قول البشير ، « باكرا جدا والظلام باق » (يو ٢٠ : ١) ، وكانت قيامته عربونا لقيامتنا ، كما يؤيد ذلك الرسول بقوله « فأن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام » (كو ١٥ : ١٣) ، كذلك يكون مجيئه ليلا . وكانت قيامته ليلا ليعلمنا أنه النور الذى به نستضيء من ظلمة الخطية ، ولهذا تحتفل الكنيسة بعيد القيامة ليلا .

مجيئه ليلة الأحد :

وقد قرر آباء الكنيسة أن ليلة مجيئه لا بد وأن تكون ليلة الأحد مستندين فى ذلك على الأدلة الآتية :

أولا — إن قيامته من الأموات كانت ليلة الأحد ، وهى عربون على القيامة العامة كما سبق القول .

ثانيا — فى اليوم السادس أكملت السموات والأرض وكل جندها (تك ٢ : ١) ،

وفيه لا بد أن ينقضى العالم طبقا للقاعدة الإلهية المعروفة وهى أن كمال التدبير يكون مثل بدايته . والأمثلة على هذه القاعدة كثيرة ، فآدم خلق وأخطأ ومات روحيا وطرد من الفردوس يوم الجمعة ، ولهذا صلب فاديه يوم الجمعة . وقد ارتكب خطيته فى بستان والسيد وهب الخلاص للبشرية بقبره الذى كان فى بستان . وخلق آدم وهو مبدأ العالم القديم فى سن الثلاثين ، واعتمد رب المجد وهو آدم الثانى ومبدأ العالم الجديد فى سن الثلاثين . وكما أنه عند إنشاء العالم تكونت أكثر الأشياء حتى السموات من المياه المخلوقة فى اليوم الأول ، فقد اقتضت إرادة الله أن يولد الإنسان ولادة ثانية روحية أى يأخذ وجودا جديدا روحيا إلهيا من ماء المعمودية . وكما أخفى الشيطان نفسه فى الحية فأسقط آدم هكذا أخفى المخلص لاهوته فى الناسوت وخلص البشرية . وكما بدأ شعب الله المختار من عجوز وشيخ هما سارة وإبرهيم كذلك كان انتهاؤه كشعب مختار على يدى عجوز وشيخ هما أليصابات وزكريا ، وثمة أمثلة أخرى كثيرة .

ثالثا — هذه الليلة هى نهاية الأسبوع اليومى الذى يشير إلى الأسبوع الدهرى الذى فى نهايته يكون المجىء الثانى للمسيح .

رابعا — هذه الليلة تسبق يوم الرب ، يوم الراحة الذى يشير إلى يوم الرب السعيد وراحته الأبدية ، ذلك اليوم الذى لا يعقبه ليل أو تعب .

مجيئه فى ليلة من ليالى آهار كيهك :

لقد قال رب المجد فى حديثه عن موعد مجيئه الثانى وانقضاء العالم « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد » (مت ٢٤ : ٣٦) ، ولكن هذا لم يمنع الكنيسة من أن تحاول تحديد هذا المجىء تحديداً تقريبيا بأدلة معقولة تستريح إليها النفس . وحيث قد رأينا مما سبق أن هذا المجىء سيكون فى ليلة من ليالى الآحاد ، فقد بقى أن نحاول حصر هذه الليلة فى فترة معينة من الفترات التى ينقسم إليها العام القبطى . فالتقويم الكنسى المعمول به عندنا يقسم السنة الدينية إلى ثمانى فترات هى على الترتيب صوم الميلاد ، والرفاع ، والصوم الكبير ، والخمسين ، وصوم الرسل ، وفترة الـ ٢٦ يوما ، وصوم العذراء ، والدميرة . وبتطبيق القاعدة الإلهية السابقة قاعدة « كمال التدبير مثل بدايته »

يرجح آباء الكنيسة أن أنسب هذه الفترات الثمان لمجيئه ثانية هى فترة الصوم التى تقع فى شهر كيهك وهى التى يعقبها الاحتفال بمجيئه الأول ، حتى يكون مجيئه الثانى فى مثل ميعاد مجيئه الأول ، وزيادة فى الإيضاح نقول :

أولا — إن أطول وحدة زمنية كاملة هى السنة وهى تبدأ بالميلاد وتنتهى بالميلاد ، وهى الدورة التى يتكون من تكرارها الدهر الحاضر . وهذه الدورة ترمز إلى الدهر الحاضر لأنها أطول الوحدات الزمنية ولأنها تتكون من وحدات زمنية صغرى هى الساعة واليوم والأسبوع والشهر . فأذا ما تكررت هذه الوحدات الصغرى تكوّن من مجموعها السنة ، كما أنه إذا تكررت السنوات تكوّن من مجموعها الدهر .

ثانيا — بين المجيئين الأول والثانى يجب أن تكون هناك دورة زمانية كاملة ، أى أنه من المعقول جدا أن تصل الفترة التى بين المجيئين إلى دورة كاملة ، بحيث أنه مهما تعددت حلقاتها ، أى سنواتها ، فلا بد وأن تكون كل حلقة كاملة الاستدارة أى من ميلاد إلى ميلاد . وبناء على ما تقدم رتب آباء الكنيسة السهر فى ليالى الآحاد الأربعة لشهر كيهك وهو الذى يرجحون فيه حصول المجىء الثانى .

طقس السبعة وأربعة :

ويقضى الشعب الليالى الأربع بين التسابيح والعبادة ، والتسابيح يضمها كتاب ضخم اسمه « التسبحة الكيهكية » ، وذلك فضلا عما هو مستعمل فى الكنيسة فى باقى ليالى الآحاد السنوية من تسابيح يضمها كتاب آخر هو كتاب « التسبحة السنوية » . وتسمى تسابيح كيهك اصطلاحا بتسابيح ٧ ، ٤ لأنها تشتمل على سبع « تذاكيات » وأربعة « هوسات » نوجزها فيما يلى :

التذاكيات : التذاكيات هى قطع للترنيم والمديح والتسبيح موضوعة بطريقة شعرية موزونة باللغة القبطية وفيها تمجيد لاسم الرب وتطويب لوالدة الإله . ولفظة تذاكية مشتقة من الكلمة اليونانية « ثيوتوكس » أى والدة الإله . وتحوى التذاكيات كثيرا من العقائد الكنسية وأسرار الفداء . وتذاكيات الأحد والاثنين والثلاثاء لها طريقة وتلحين يختلف عن تلحين تذاكيات بقية الأسبوع .

الهوسات : الهوسات هى تسابيح مقتبسة من أسفار العهد القديم ، ولفظة «هوس» كلمة قبطية معناها تسبيح ، وإليك بيان الهوسات :

الهوس الأول : هو تسبحة موسى النبى وبنى إسرائيل بعد عبورهم البحر الأحمر ، ترنمها الكنيسة تشبها بهم وتمجيدا لله وشكرا له لأنه أنقذنا من عبودية الشيطان التى تشير إليها عبوديتهم لفرعون فى أرض مصر ، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته مجتازا بنا بحر الموت بميلاده العجيب كما اجتاز بنو اسرائيل البحر الأحمر .

الهوس الثانى : هو مزمور ١٣٦ الذى يتضمن الحث على تقديم الشكر لله والاعتراف بعظمته ورحمته لأنه ضرب أبكار المصريين وأخرج بنى إسرائيل من مصر بيد قوية وذراع رفيعة ، وترنمه الكنيسة منتظرة إتمام المواعيد ومتوقعة ملكوتا أفضل .

الهوس الثالث : هو تسبحة الفتية الثلاثة فى أتون النار وهى التسبحة التى وردت فى بقية سفر دانيال . وهذه البقية هى من ضمن الأسفار القانونية الثانوية التى حذفتها الطبعات البروتستنتية الحديثة للكتاب المقدس على اعتبار أنها غير قانونية فى حين أن الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية تعتبرها قانونية وتقتبس منها فى صلواتها . وهذه التسبحة هى بمعنى مز ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ونسبحها متضرعين إلى الرب أن يحفظنا من شر إبليس ويخلصنا من خروبه كما خلص الفتية من نبوخذنصر ، وأن يكون معنا كما كان معهم وسط أتون النار .

الهوس الرابع : وهو مجموع من مزامير ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ويتلى شكرا للرب على مراحمه وابتهاجا بالخلاص الذى منحه لكنيسته ، والكرامة التى نالها القديسون ، وفى بعضه نبوة بمجىء المسيح ، فيرتل على رجاء أن نكون فى زمرة الآتين معه فى مجده مع الملائكة القديسين .

ويتلى الهوس الأول ويليه تذاكيتا الإثنين والثلاثاء ، ثم الهوس الثانى ويليه تذاكيتا الأربعاء والخميس ، ثم الثالث ويليه تسبحة الفتية الثلاثة ، ومديحة مكسيموس ودوماديوس ، وتذاكيتا الجمعة والسبت ، ثم الهوس الرابع ويليه بعض المدائح وتذاكية الأحد . ويتخلل الهوسات والتذاكيات ألحان ومدائح وتفاسير وملخصات لبعض الفصول الإنجيلية المناسبة .

وهذه القراءات لكثرتها تستغرق الليل كله ، وقديما كانوا يقيمون القداس يوميا فى خلال أيام هذا الصوم ويقومون بالتسبحة كل ليلة فستغرق بضع ساعات يقرأون فيها تذاكية اليوم التالى وما يخصه من هوسات ومدائح وصلوات كما تفعل بعض الأديرة الآن ، إلا أنه لما زادت الاضطهادات خشى الآباء هجوم الأعداء وآثروا السهر فى هذه الصلوات ليلة الأحد بطولها حتى الصباح حيث يقام القداس .

وطقس السبعة وأربعة ترتيب رسولى تسلمه الآباء واستمرت الكنيسة تمارسه ، وما زالت الكنيسة البابوية تمارسه وتدعو فرصته الشهر المريمى ، فالمبدأ موجود وان اختلف الترتيب . وجدير بنا أن نجعل الاحتفال بهذه الليالى فرصة للعبادة الخشوعية والتأملات الروحية وتمجيد الله وشكره على نعمه وإحساناته .

آحاد شهر كيهك

ظهور المخلص

تدور أناجيل القداس فى أيام الآحاد الأربعة لشهر كيهك حول موضوع واحد هو « ظهور المخلص » وذلك حسب التفصيل الآتى :

يتكلم إنجيل الأحد الأول عن « البشارة برحمته » أى البشارة بميلاد يوحنا المعمدان سابقة كأول مظهر من مظاهر رحمة الله الآب لشعبه ، ودليل ذلك قول الملاك لزكريا « لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا » (لو ١ : ١٣) ويوحنا كلمة عبرانية مشتقة من الرحمة .

ويتكلم إنجيل الأحد الثانى عن « البشارة بمولده » ، ودليل ذلك قول الملاك الجليل غبريال المبشر للقديسة مريم العذراء « وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع » (لو ١ : ٣١) .

أما إنجيل الأحد الثالث فيتكلم عن « تطلع عدله ورحمته » ، أى عن التقاء رحمته وعدله ممثلين فى شخصه ، بسلامه وحقه ممثلين فى يوحنا المعمدان كما يتضح هذا الالتقاء من زيارة مريم لأليصابات ، ودليل ذلك قول والدة الإله فى تسبيحها للرب إنه « عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة » (لو ١ : ٥٤) .

وأخيرا يتكلم إنجيل الأحد الرابع عن « التنبؤ بظهوره » ، ودليل ذلك قول زكريا فى نبوته عن يسوع « مبارك الرب الذى افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه » (لو ١ : ٦٩) .

أما ظهور المخلص فعلا فتحتفل به الكنيسة فى يوم ٢٩ كيهك كما مر بنا سابقا .

الأحد الأول من شهر كيهك

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « رحمة المخلص » : فأنجيل العشية يتكلم عن ذكره للصديق ، وإنجيل باكر عن استجابته له ، وإنجيل القداس عن البشارة برحمته :

مزمور العشية : (مز ١٢ : ١ ، ٤)

يشير هذا المزمور إلى أن زكريا قد شاخ وأليصابات زوجته العاقر قد مضى زمان حملها ، وأن زكريا كان مداوما الصلاة إلى الله لكى يرزقه ولدا ، لأن بنى إسرائيل كانوا يعيرون من لم يرزق ولدا ويعتبرونه عادم البركة فيقول « إلى متى يا رب تنساقى إلى الانقضاء . حتى متى تصرف وجهك عنى . أنظر واستجب لى يا ربى وإلهى . أنر عينى » .

(راجع تحت يوم ٢٦ توت فصول العشية وباكر والقداس)

الرسائل :

يراد برسائل هذا اليوم أن تشير إلى موضوع واحد هو طلبة زكريا الكاهن البار ، فالبولس يتكلم عن إيمانه باستجابتها ، والكاثوليكون عن صبره ، والأبركسيس عن مداومته عليها :

(رجع شرح البولس والكاثوليكون تحت يوم ٢٦ توت)

الأبركسيس :

يتكلم هذا الفصل عن وصية المخلص لتلاميذه قبل صعوده ألا يفارقوا أورشليم بل ينتظروا حتى يحل عليهم الروح القدس ، وأنهم رجعوا إلى أورشليم من جبل

الزيتون ، وأنهم « كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته » . وفى هذا الفصل إشارة إلى مواظبة زكريا على الطلبة لكى يرزقه الله ولدا .

إنجيل العشية

(مر ١٤ : ٣ ــ ٩)

المرأة التى دهنت يسوع بالطيب(١)

تمهيد :

بينما كان السيد المسيح فى طريقه إلى أورشليم للمرة الأخيرة عرج على أريحا حيث زار زكا العشار فى بيته وأنعم عليه بالخلاص ، ثم ألقى على سامعيه مثل عشرة الأمناء على نحو ما جاء فى (لو ١٩ : ١٢ ــ ٢٧) . وبعد ذلك تقدم صاعدا إلى أورشليم ومر بقرية بيت عنيا وهى على بعد ميلين من أورشليم ودخل بيت سمعان الأبرص حيث أكرمته مريم بمسحه بالطيب(٢). وفصل الأنجيل الذى يتناول مسألة تكريم مريم ليسوع يتكلم عن تقدمتها التى كان مبعثها الوفاء له . وعن تذمر التلاميذ من هذا الصنيع بدافع الغيرة الكاذبة على الفقراء ، ثم يشير إلى امتداح المخلص لعمل مريم ، ويقرر دوام ذكرها على الأيام :

(١) دهن يسوع بالطيب : ورد هذا الموضوع أيضا فى (مت ٢٦ : ٦ ــ ١٣ ، يو ١٢ : ١ ــ ٨) .

(٢) دهن يسوع بالطيب : يظن بعض الشراح أن النساء اللواتى مسحن المخلص بالطيب ثلاث : الأولى هى الخاطئة التى مسحت رجليه بشعرها فى بيت سمعان الفريسى وذكرها لوقا (لو ٧ : ٣٦ ــ ٥٠) ، والثانية مريم أخت لعازر فى بيت لعازر قبل الفصح بستة أيام وذكرها يوحنا (يو ١٢ : ١ ــ ٨) ، والثالثة فى بيت عنيا قبل الفصح بيومين فى بيت سمعان وذكرها متى (مت ٢٦ : ٦ ــ ١٣) ، ومرقس (مر ١٤ : ٣ ــ ٩) . ولكن مما أن سمعان الأبرص ، وسمى كذلك باعتبار ما كان ، هو على الأرجح والد لعازر فتكون المرأة التى سكبت الطيب فى بيت عنيا ، كما ذكر متى ومرقس ، هى مريم أخت مرثا ولعازر .

تقدمة الوفاء :

٣ ــ وفيما هو فى بيت عنيا فى بيت سمعان الأبرص وهو متكىء جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن . فكسرت القارورة وسكبته على رأسه .

٣ ــ إن إقامة المخلص فى قرية بيت عنيا على قربها من أورشليم تدل على أنه أسلم ذاته بأيثاره حينما دنت ساعته . وكان قصده من الإقامة هناك أن يعتزل أورشليم حينا من الزمن ، وهناك فى بيت سمعان الأبرص صنعوا له عشاء ، كما ذكر يوحنا ، إكراما له وابتهاجا بزيارته . وسمعان الأبرص هذا ربما كان والد مريم ومرثا ولعازر الذى أقيم من الموت ، أو أنه تمت إليهم بصلة القرابة ولو أن نوع هذه القرابة غير معلوم تماما ، ولا بد أن السيد كان قد شفاه من برصه وإلا لما جاز له شرعا أن يخالط الناس . وكان من عادة القوم فى تلك الأيام أن يتكئوا على الأسرة عند تناول الطعام ، وهذا ما سهل لمريم مهمة سكب الطيب على رأس المخلص وقدميه . وقد حفزها إلى ذلك عجائبه التى شاهدت ، وشفاؤه لسمعان الأبرص ، ولعلها فعلت ما فعلت بوازع من إيمانها ومحبتها وثقتها بأنه يطهرها من خطاياها .

ويقول يوحنا إنها أخذت « منا من طيب ناردين » والمنا وزن يونانى ورومانى يعادل نحو مائة درهم ، وناردين معناه السنبل وهو النبات الذى كان يستخرج منه ذلك الطيب ، وهو أثمن ما عرف يومئذ من الأطياب ، وكان يرد من بلاد الهند بعد استخراجه ، وهو سيال كالزيت ، ورائحته زكية . وكسرت مريم عنق الزجاجة التى كان بها الطيب أى كسرت ختمها ثم دهنت أولا رأس المخلص على نحو ما كان يحصل غالبا ، فامتلأ البيت من أريج الطيب لكثرته وجودته ، ثم زادت بأن دهنت قدميه بعد أن مسحتهما بشعر رأسها من أثر التراب ، إذ كان يسير بالنعل فقط كعادة اليهود . ويجب أن يلاحظ أن مريم مسحت أولا ثم دهنت ، إذ لو كان المسح بعد الدهن كما قد يفهم خطأ من عبارة يوحنا ، فكأنها مسحت شعرها بالطيب لا قدميه . وقد أظهرت بمسح القدمين بالطيب الثمن غناها وسخاءها ووفرة شكرها ومحبتها . أما اختيارها الدهن دون سواه فلأن العادة جرت فى

ذلك الزمان أن يمسح به أفاضل الناس وعليتهم كالكهنة والملوك إكراما لهم . وقد تقبل المخلص صنيعها لما لمسه فيها من تواضع وحسن نية وإخلاص .

الغيرة الطاهرة :

٤ ــ وكان قوم مغتاظين فى أنفسهم فقالوا لماذا كان تلف الطيب هذا . ٥ ــ لأنه كان يمكن أن يباع هذا بأكثر من ثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء . وكانوا يؤنبونها .

٤ ــ تميز التلاميذ غيظا من إتلاف الطيب، واجترأ يهوذا الأسخريوطى على الأعراب عن تذمرهم منوها بأحقية الفقراء لثمنه، ولكن يوحنا الإنجيلى فضح رياءه بقوله إنه قال ما قال « ليس لأنه كان يبالى بالفقراء بل لأنه كان سارقا وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقى فيه » (يو ١٢ : ٦) . ٥ ــ وزاد يهوذا على تذمره قوله عن الطيب إنه كان يمكن أن يباع بثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء، وهو قول ظاهره الغيرة ولو أنها غيرة صورية مردها أن يده لم تصل إلى ثمن الطيب فتختلس منه(١) ، ويمثل هذا الأسلوب يعمد الأشرار إلى إخفاء مقاصدهم السيئة تحت ستار من التقوى . على أن التلاميذ لم يكتفوا بأظهار استيائهم من تصرف مريم بل أخذوا يعنفونها . ومع أنه لا شيء مما نقدمه للمسيح يعتبر إتلافا مهما كان ثمينا كصرف الحياة فى خدمته وبذلها من أجله كما يقول بولس الرسول « من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح » (فى ٣ : ٨)، إلا أن عدم حاجة السيد لهذا الطيب ، وما قاله عن الرحمة فى مثل العذارى العشر وفى كلامه على يوم الدينونة وفى قوله للفريسيين « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان » (مت ٢٣ : ٣) ، كل هذا قد يبرر تساؤل الباحث

(١) صندوق التلاميذ : كان لدى التلاميذ صندوق يحتفظون فيه بالمال الزهيد الذى كان المؤمنون يكرمون به السيد وتلاميذه ، ويفيد هذا أنه يجوز أن يكون للكنيسة صندوق ومقتنيات للنفقة المعتدلة دون أن يتنافى هذا مع الكمال . والدينار المذكور فى الآية هو من نقود الفضة عند الرومانيين وقيمته نحو ثلاثة قروش نصف قرش مصرى .

عما إذا كان من الأفضل أن يعطى ثمن الطيب للفقراء ما دامت الصدقة أوجب. وقد حل المخلص له المجد هذا الإشكال بأجابته التالية لتلاميذه :

استراح الوفى :

٦ ــ أما يسوع فقال اتركوها . لماذا تزعجونها . قد عملت بى عملا حسنا . ٧ ــ لأن الفقراء معكم فى كل حين ومتى أردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيرا . وأما أنا فلست معكم فى كل حين . ٨ ــ عملت ما عندها . قد سبقت ودهنت بالطيب جسدى للتكفين .

٦ ــ طلب يسوع من تلاميذه أن يكفوا عن إزعاج المرأة ، ثم أشاد بصنيعها قائلا « عملت بى عملا حسنا » ، وكان يرمى من وراء ذلك إلى غرضين أولها تعليم التلاميذ أنه ما كان يليق بهم أن يكسروا حمية إيمانها ومحبتها بالتوبيخ ، إذ أن نقل الناس إلى الفضيلة الكاملة يجب أن يتم بالتدريج لا دفعة واحدة ، وأنه كان من الواجب شكرها أولا على ما عملت ثم حثها بعد ذلك على الصدقة على الفقراء . وبناء على ذلك إذا قدم إنسان للكنيسة ستورا زائدة مثلا أو أوانى فضية أو ذهبية فوق ما تحتاجه فلا يجب أن نكسر حمية إيمانه بل نشكره ، ثم ننبهه فى رفق إلى خطأه ونحثه بعد ذلك على الفضيلة الكاملة التى هى مساعدة المساكين ، وإذا استشارنا قبل التقدمة أشرنا عليه بما يجب .

أما غرض يسوع الثانى فهو إقامة الحجة على تلاميذه بأن ما فعلته المرأة هو ما قضى به الناموس إذ أن الوصية الأولى تقول « تحب الرب إلهك من كل قلبك والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك » (مت ٢٢ : ٣٧ــ٣٩) ، وبهذا القول شدد علينا ألا نقدم على محبته شيئا من سائر الفضائل . وتطبيقا لذلك إذا وقفنا بالكنيسة وقت القداس الذى هو تقديس جسد الرب ودمه وجب أن يكون ذلك بخوف ووقار وتمجيد وتسبيح وتقديس من كل قلوبنا، وألا نلتفت إلى سواه حتى إذا قال الكاهن « أين هى عقولكم » أجبناه بصدق قائلين « هى عند الرب » .

٧ ــ ولكى يبرر المخلص رضاه عن سكب الطيب وشكره لمريم على إيمانها قال لتلاميذه « إن الفقراء معكم كل حين » أى لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، ومن واجب الكنيسة العناية بأمرهم دائما ، سيما وقد أوصى الله عليهم فى سفر

التثنية حين قال « أعطه ولا يسوء قلبك عندما تعطيه لأنه بسبب هذا الأمر يباركك الرب إلهك فى كل أعمالك وجميع ما تمتد إليه يدك . لأنه لا تفقد الفقراء من الأرض . لذلك أنا أوصيك قائلا إفتح يدك لأخيك المسكين والفقير فى أرضك » (تث١٥ : ١٠ـ١١) . ثم مضى المخلص يقول « وأما أنا فلست معكم كل حين »(١) أى سوف لا أكون عندكم بحضورى المنظور طويلا إذ أنى على وشك الموت والصعود إلى السماء ، ولذلك فلا يمكنكم إكرامى جسديا إلا فى هذه الفرص . وتطبيقا لما تقدم فجسد المسيح ودمه ليسا موجودين طول النهار فى الكنيسة بل مدة القداس فحسب، فالذى يقف فى خلاله بمخافة ووقار وتكريم لا محالة ممدوح من السيد كما مدحت مريم .

٨ ـ وإيضاحا لحكمة امتداحه لعمل المرأة وخطأ التلاميذ فى تذمرهم قال إنها « فعلت ذلك لأجل تكفينى »(٢) أى أن ذلك كان منها إنذارا بموتى ودفنى وقيامتى ، أو بمعنى آخر أنكم أنتم أصحابى تهربون عند صلبى فلا تحنطونى ولا تدفنونى وأما هذه فقد تقدمت لذلك بلا وجل . وقد قصد بأشارته إلى موته ألا يتوهم التلاميذ إذا رأوا آلامه أنه غير عارف بما سيحل به .

(١) **الاستدلال** : من الآيات التى يستند عليها البروتستنت فى رفض عقيدة استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين قوله « لست معكم كل حين » وهو يدل على أن الخبز والخمر لا يتحولان ، وردا على ذلك نقول إن هذه الآية لا علاقة لها بموضوع الاستحالة إذ المراد منها أنه لا يكون عندهم بحضوره المنظور ليتعاطوا معه بهذه الصورة وهى دهن جسده بالطيب ، وإلا لو كان هذا الاعتراض صحيحا لما قال « ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) .

(٢) **الدهن بالزيت** : رتبت الكنيسة أن يدهن المتقدم للعماد بزيت الزيتون ، الذى تقدس بالصلاة ، بعلامة الصليب قبل أن يعمد ، وهذا الزيت غير زيت المرون الذى يمسح به الطفل بعد خروجه من جرن المعمودية مباشرة . وذلك لأن الطفل قبل العماد يعتبر بحالة مرض روحى يستلزم دهنه بالزيت كما قال يعقوب الرسول (يع ٥ : ١٤ ـ ١٥) . ويشير ذلك أيضا إلى الطيب الذى دهنت به المرأة جسد المخلص لأننا بالمعمودية ندفن على شبه موت الرب ودفنه . وبما أن جسد السيد حنط بطيوب يوسف ونيقوديموس ثم دفن فى القبر كذلك المعتمد يدهن بالزيت ثم يدفن فى ماء المعمودية الذى يشير إلى القبر الجديد الذى وضع فيه مخلصنا .

استدامة ذكره :

٩ ـ الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الأنجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها .

٩ ـ وختم رب المجد الحديث بقوله عن المرأة أن ذكرها سيشيع فى أرجاء المسكونة بانتشار إنجيله فى جميع أنحاء العالم وترجمته إلى كل اللغات، وهى نبوة من نبواته التى تمت وتبين صدقها منذ ألفى سنة(١). وتنفيذا لأمره الكريم رتبت الكنيسة الاحتفال بأعياد القديسين تخليدا لذكرهم(٢).

(١) **تذكار زيارة بيت عنيا** : رتبت الكنيسة أن نعيد فى ٢١ برمهات من كل عام تذكارا لحضور مخلصنا إلى قرية بيت عنيا وزيارته لبيت سمعان الأبرص حيث أكرمته مريم بسكب الطيب على رأسه وقدميه . وهذا التعييد إنما هو تنفيذ لأمره القائل « حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها » (مت ٢٦ : ١٣) . ويوم ٢١ برمهات هو أيضا العيد الثالث من أعياد لعازر وهى ١٧ برمهات نياحته و ٢٠ برمهات إقامته و ٢١ برمهات التشاور على قتله كما فى (يو ١٢ : ١٠) .

(٢) **أعياد القديسين** : الاحتفال بأعياد القديسة والدة الإله والملائكة والرسل والقديسين والشهداء وأبطال الكنيسة الذين رفعوا منارتها عالية هو من الموضوعات الخلافية بين الكنائس الرسولية والبروتستنتية ، وفيما يلى رأى كل من الفريقين :

رأى البروتستنت :

لا يهتم البروتستنت بأعياد القديسين وإكرامهم لأسباب أهمها قولهم :

أولا : إن الاحتفاء بهم ينقص من مجد الله وتكريمه ، ويرد على ذلك بما يأتى :

(١) إننا لا نكرمهم إلا لأنهم جاهدوا الجهاد الحسن وضحوا بكل شىء فى سبيل تمجيد اسم الله وتعظيمه ، فتمجيدهم يرجع إلى انتسابهم إليه ، ولا يعقل أن تنتقص كرامة السيد إذا أكرم خادمه ، أو الوالد ولده ، أو الملك أعوانه وخدمه ، والأخذ بهذا الرأى معناه نسبة الغيرة والحسد لله جل شأنه .

(٢) إن الله صرح بأكرام قديسيه فقد قال لموسى « ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك فى الطريق .... احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه » (خر ٢٣ : ٢٠ـ٢١) . وقال المرنم عن قديسيه « فلم يدع إنسانا يظلمهم بل وبخ ملوكا من أجلهم قائلا لا تمسوا مسحائى ولا تسيئوا إلى أنبيائى » (مز ١٠٥ : ١٤ ـ ١٥) .

= (٣) إنه تعالى حسب إكرامهم إكراما له واحتقارهم احتقارا له إذ قال السيد لتلاميذه « الذى يسمع منكم يسمع منى . والذى يرذلكم يرذلنى . والذى يرذلنى يرذل الذى أرسلنى » (لو ١٠ : ١٦) . وقال الرسول « إذاً من يرذل لا يرذل إنسانا بل الله الذى أعطانا روحه القدوس » (١ تس ٤ : ٨) ، ولا شك أن إهانة السفير هى إهانة للملك الذى أرسله .

(٤) وهو جل شأنه أكرمهم فى أعين شعبه، والأمثلة على ذلك متوفرة فقد قال لأبيمالك الذى أخذ زوجة إبرهيم « والآن رد امرأة الرجل فأنه نبى فيصلى لأجلك فتحيا . وإن كنت لست تردها فاعلم أنك موتا تموت أنت وكل من لك » (تك ٢٠ : ٧) . وقال لهرون ومريم اللذين تكلما على موسى لما اتخذ المرأة الكوشية « أما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى . فما إلى فم وعيانا أتكلم معه ..... فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى » (عد ١٢ : ٨) . ولما أخذ اليشع رداء إيليا الذى سقط عنه حين ارتفاعه فى المركبة النارية وضرب به الماء انفلق إلى هنا وهناك (٢ مل ٢ : ١٤) . وكذلك الميت الذى خاف أهله من الغزاة فطرحوه فى قبر اليشع لما مس عظام اليشع عاش وقام على رجليه (٢ مل ١٣ : ٢١) . ولما حمى غضب الله على أصحاب أيوب الثلاثة قال لهم « والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش واذهبوا إلى عبدى أيوب واصعدوا محرقة لأجل أنفسكم وعبدى أيوب يصلى من أجلكم لأنى أرفع وجهه لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم لأنكم لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب » (أى ٤٢ : ٨) . كذلك قال مخلصنا للجموع عن يونان المعمدان « لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يونان المعمدان » (مت ١١ : ١١) . .

(٥) وقد حذر الله من إهانتهم ، فقد أتى إلى لابان الأرامى فى حلم الليل وقال له « احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر » (تك ٣١ : ٢٤) ، وقال عنهم أن من يمسهم يمس حدقة عينه (زك ٢ : ٨) ، والذين يضايقونهم يجازيهم ضيقا (٢ تس ١ : ٦) .

(٦) إنه عاقب للذين أهانوهم فى حياتهم أو بعد وفاتهم فقد قال لقايين الذى قتل أخاه هابيل « متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها . تائها وهاربا تكون فى الأرض » (تك ٤ : ١٢) ، وضرب مريم بالبرص لأنها تكلمت على موسى (عد ١٢ : ١٠) .

ثانيا : أن هذه الأعياد ليست مرتبة من الله ، ويرد على ذلك بأن الكتاب أثبتها ، والرسل مارسوها وشهد بصحتها أشهر مؤرخى البروتستنت .

= (١) قال بولس الرسول « ينبغى على كل حال أن أعمل العيد القادم فى أورشليم » (أع ١٨ : ٢١) ، ولا يمكن أن يكون هذا العيد عيدا يهوديا بعد ما حرم الرسول على المسيحيين الخضوع للطقوس اليهودية بقوله « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » (كو ٢ : ٧) فهو إذن عيد مسيحى .

(٢) قال موسهيم المؤرخ البروتستنتى بعد أن تكلم على الأعياد فى الكنيسة الجامعة « أضف إلى هذه الأعياد أعيادا أخرى اعتنق فيها الموت رجال قديسون لأجل المسيح التى بالأكثر احتمالا كانت أياما مقدسة وعظيمة منذ ابتداء الديانة المسيحية » .

وجاء فى كتاب تاريخ الانجليز المطبوع سنة ١٨٣٩ « وكانوا يكرمون الشهداء ويعيدون عن ذكر يوم وفاتهم بمولدهم ويعيدون الأعياد عند قبورهم بغاية السرور والمحبة والأحسان » .

رأى الكنيسة :

إن الكنيسة مدينة لهؤلاء الشهداء والقديسين الذين أناروها بتعاليمهم وثبتوها بدمائهم ، ولذلك رتبت منذ القدم أياما خاصة تحتفل فيها بذكراهم إقرارا بجميلهم وإطاعة لأمر المخلص القائل « حيثما يكرز بهذا الأنجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها » (مر ١٤ : ٩) ، وقول بولس الرسول « أذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم » (عب ١٣ : ٧) ، وقول المزمور « ذكر الصديق يدوم إلى الأبد » (مز ١١٢ : ٦) .

وإذا كانت الشرائع المدنية قد أجمعت على إكرام من أتى عملا جليلا أفاد أمته ، فقام أهل العالم يحتفلون بذكرى أبطالهم ونوابغهم فى كل علم وفن وأقاموا التماثيل لهم ، أفلا يجدر بالكنيسة أن تقوم ببعض ما يجب عليها نحو رجالها الذين بذلوا نفوسهم رخيصة من أجل المسيح ، والذين جعل فيهم مسرته ، وأهلهم لشركة ميراث القديسين فى النور (كو ١ : ١٢) ، وحفظ لهم إكليل المجد (١ بط ٥ : ٤) ، وجعل لهم أسمى مقام فى ديارة (يو ١٤ : ٣ ، ١٧ : ٢٤) ، بل جعل لهم حظ الجلوس معه فى عرشه (رؤ ٣ : ٢١ ، ٧ : ١٥) ، وأشركهم معه فى مداينة الناس والملائكة (مت ١٩ : ٢٨ ، ١ كو ٦ : ٢ ـ ٣) .

ولما كان دوام ذكر هؤلاء الصديقين لا يتم على الوجه المرغوب فيه إلا بالطرق الاحتفالية ، لذلك رتبت الكنيسة إقامة التذكارات لهم وعمل الرحمة على اسمهم (مت ١٠ : ٤٢) ، وحفظ صورهم وتعاليمهم . وليس أدل على ذلك من أن القديسين الذين لم يحتفل بأعيادهم يكاد يكون ذكرهم مجهولا لدى الجميع .

ومع ما فى إقامة الأعياد من مزايا أدبية وسياسية واجتماعية كتقوية الرابطة =

إنجيل باكر

(مر ١٢ : ٤١ — ٤٤)

الأرملة التى ألقت فلسين فى الخزانة(١)

تمهيد

بعد ما أجاب السيد على أسئلة رؤساء اليهود الثلاثة الخاصة بالجزية التى تعطى لقيصر ، والزواج بعد القيامة ، والوصية العظمى فى الناموس ، وبعد ما تساءل فى تعليمه عن المسيح بن داود ، وكيف يدعوه داود ربا ، أخذ يحذر الناس من الكتبة والفريسيين ، ونطق عليهم للمرة الثانية بالويلات المعروفة التى شغلت أصحاحا كاملا من بشارة متى (مت ٢٣) ، وفيه كشف النقاب عن خطاياهم ، وأوضح أن لهم صورة التقوى ولكنهم ينكرون قوتها وجوهرها ، وأنهم يهتمون بأكرام الناس لهم دون الاهتمام بما يرضى الله ، وقد حدث كل هذا يوم الثلاثاء الأخير من حياته على الأرض ، ثم جلس تجاه الخزانة يراقب الذين يلقون صدقاتهم فيها . ومن بين الذين ألقوا بعطاياهم تلك الأرملة التى جاء ذكرها بفصل الأنجيل وفيه يشير المخلص إلى تقدمتها الصغيرة فى حد ذاتها ، والتى تفوق فى قدرها عطايا الآخرين :

تقدمة الأرملة :

٤١ — وجلس يسوع تجاه الخزانة ونظر كيف يلقى الجمع

= والمحبة ، والصدقة على المحتاجين ، ومواساة الحزانى ، وإزالة الأحقاد وما إلى ذلك ، فللكنيسة أغراض هامة من إقامة هذه الاحتفالات لرجالها أهمها :

١ — إحياء اسمهم وتخليد آثارهم (مز ١١٢ : ٦) .
٢ — الاعتراف بفضلهم ومكافأتهم على أتعابهم .
٣ — تذكر أعمالهم فنشكر الله على نعمته وعجائبه التى صنعها فى قديسيه ونتمثل بهم .
٤ — للدلالة على أنهم وإن ماتوا فهم أحياء (لو ٢٠ : ٣٨) بخلاف الأشرار .
٥ — اعترافا منا بالحياة الأبدية التى فيها ينالون المجد الذى لا يبلى (١ بط ٥ : ٤) .
٦ — تكريما للفضيلة التى التحفوا بها كرداء فيعرف المؤمنون أن الفضيلة مكرمة .

(١) فلس الأرملة : ورد هذا الموضوع أيضا فى (لو ٢١ : ١ — ٤) .

نحاسا فى الخزانة . وكان أغنياء كثيرون يلقون كثيرا . ٤٢ — فجاءت أرملة فقيرة وألقت فلسين قيمتهما ربع .

٤١ — إن الخزانة التى جلس تجاهها الرب يسوع يرجع الأصل فيها إلى أيام الملك يوآش الذى جاء عنه فى الكتاب قوله « وأمر الملك فعملوا صندوقا وجعلوه فى باب بيت الرب خارجا ونادوا فى يهوذا وأورشليم بأن يأتوا إلى الرب بجزية موسى (١) عبد الرب المفروضة على إسرائيل فى البرية » (٢ أى ٢٤ : ٨ — ٩) . أما الذى صنع هذا الصندوق بأمر الملك فهو يهوياداع الكاهن كما يتضح من قول الكتاب « فأخذ يهوياداع الكاهن صندوقا وثقب ثقبا فى غطائه وجعله بجانب المذبح من اليمين عند دخول الأنسان إلى بيت الرب والكهنة حارسو الباب جعلوا فيه كل الفضة المدخلة إلى بيت الرب » (٢ مل ١٢ : ٩) .

وكان مفروضا على اليهود أن يحضروا إلى بيت الرب فى الأعياد الثلاثة ومعهم تقدماتهم كما جاء فى سفر التثنية إذ قال الرب لموسى « ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره فى عيد الفطير وعيد الأسابيع وعيد المظال . ولا يحضروا أمام الرب فارغين . كل واحد حسبما تعطى يده كبركة الرب إلهك التى أعطاك » (تث ١٦ : ١٦ — ١٧) .

وكانت القرابين التى توضع فى الخزانة تحفظ لاحتياجات الهيكل وإعالة الكهنة والفقراء . وقد جلس مخلصنا يراقب الذين يلقون بتقدماتهم فى الخزانة ، أما قول الإنجيلى إن الجمع كان يلقى نحاسا فكناية عن النقود عامة لا النحاسية وحدها .

٤٢ — وكان من بين الذين ألقوا فى الخزانة أرملة فقيرة جادت بفلسين قيمتهما ربع (٢) وهو ما يوازى بعملتنا نصف مليم ، فدلت بعملها هذا على وجوب إكرام الله تعالى من مالنا فقراء كنا أم أغنياء . والله لا ينظر إلى قيمة التقدمة بل إلى غاية مقدمها ، فأن قصد بها إظهار محبته له قبلت وإن قصد إلى

(١) جزية موسى : « هذا ما يعطيه كل من اجتاز إلى المعدودين نصف الشاقل .. تقدمة للرب ... للتكفير عن نفوسهم » (خر ٣٠ : ١٣ — ١٥) وشاقل الفضة هو نحو أحد عشر قرشا .

(٢) الربع : نوع من النقود الرومانية النحاسية قيمته أربع بارات أى نصف مليم .

الفخر والنفاق رفضت . كذلك ترفض إن صدرت عن إكراه أو تذمر ، وتقبل إن صدرت عن سرور فالمعطى بسرور يحبه الله (٢ كو ٩ : ٧) .

ويرى بعض المفسرين أن فى تقديم الأرملة لفلسين بدلا من واحد إشارة إلى أن العبادة الجسدية يجب أن تكون مقرونة بمعرفة عقلية .

قبولها :

٤٣ ـ فدعا تلاميذه وقال لهم الحق أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة . ٤٤ ـ لأن الجميع من فضلتهم ألقوا . وأما هذه فمن إعوازها ألقت كل ما عندها كل معيشتها .

٤٣ ـ ولما رأى المخلص ما قدمته الأرملة قال لتلاميذه إنها ألقت « أكثر من جميع الذين ألقوا » أى أن ما قدمته بنسبة مالها أكثر مما قدمه الآخرون ، وهو وإن كان زهيدا فى نظر الناس إلا أنه عظيم فى عينى الله لأنها قدمته محبة له .

٤٤ ـ ووجه امتيازه أيضا على تقدمات الآخرين أن الجميع من فضلتهم ألقوا أما هى فمن إعوازها ألقت . وهكذا السيد لا يزال ينظر إلى تقدمات شعبه فى الكنيسة ليتحقق محبتهم . وقياسا على هذا يرى بعض الآباء أن صوم الضعيف وسجوده وقيامه للصلاة مفضل على فعل القوى ، والعبادة اليسيرة التى يقوم بها فى كلفة وجهاد من هو فى الأوجاع أفضل بكثير من عبادة الأصحاء التى يقومون بها بلا كلفة . وقول السيد إنها ألقت « كل ما عندها كل معيشتها » فيه شارة إلى أنه يعلم المستورات .

إنجيل القداس

(لو ١ : ١ ـ ٢٥)

بشارة الملاك لزكريا

تمهيد :

ليس غرض الكنيسة من تلاوة فصل إنجيل اليوم الاحتفال بتذكار البشارة بمولد المعمدان ، فقد خصصت لذلك يوما هو يوم ٢٦ توت ، إنما هى تقصد

الاحتفال برحمة الله للعالم التى تتجلى فى ميلاد يوحنا باعتباره سابق المخلص الذى يهيء له شعبا مستعدا ، لأن ميلاده أول مظاهر هذه الرحمة . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يتكلم بعد المقدمة عن أمنية زكريا وأليصابات فى الحصول على نسل ، وعن الملاك المبشر باستجابة هذه الأمنية ، ثم يشير إلى البشرى التى زفها الملاك لزكريا عن قرب تحقق أمله المنشود ، وعن تشككه فى البشرى ، ثم تحققها فعلا :

مقدمة :

١ ـ إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ٢ ـ كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة ٣ ـ رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس ٤ ـ لتعرف صحة الكلام الذى علمت به .

١ ـ إن لوقا الطبيب الحبيب (كو ٤ : ١٤) الذى كان تلميذاً لبولس الرسول ورفيقا له فى أسفاره قد أخذ عنه الاهتمام بالمسيحيين من الأمم ، كما يتضح ذلك من إفاضته فى كل ما يتصل بهم كمثل السامرى الصالح (لو ١٠ : ٢٩ ـ ٣٧) ، والرجل الذى صنع عشاء عظيما (لو ١٤ : ١٥ ـ ٢٤) . وهو يقول فى مطلع إنجيله إنه لما رأى أن كثيرين من الناس قد شرعوا يكتبون عن المخلص ما لم يفهموه أو يعرفوه ، ولا يقصد بذلك متى ومرقس اللذين سبقاه فى الكتابة عن المخلص بل غيرهما مثل أصحاب سيمون والناصريين والعبرانيين . ولما كان ما تصدوا للكتابة فيه من الأمور المقطوع بصحتها عندنا ، مشيرا بذلك إلى متى ومرقس وإلى نفسه ، مع أنه لم يكن من الرسل الاثنى عشر ، ولا من الذين شاهدوا هذه الأمور بأعينهم ، ٢ ـ بل تسلمها ممن كانوا شهود عيان يوثق بهم ، مشيرا بذلك إلى السيدة مريم والدة الأله وإلى الرسل الاثنى عشر(١)

(١) **عمومات الكنيسة** : هذه الآية تشير إلى العلامة الرابعة من علامات كنيسة المسيح الحقيقية التى توصف بأنها واحدة ، مقدسة ، جامعة ، رسولية . والمقصود بالكنيسة الرسولية أنها(١) من جهة تعليم الأيمان قد تسلمته من الرب نفسه ومن رسله الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة . (٢) وأنها حفظت هذا التعليم سليما كما تسلمته . (٣) وأقامت رعاة شرعيين تسلموا الرعاية بالتسلسل عن الرسل ولذلك فالطوائف البروتستنتية لا تعد كنيسة رسولية .

الذين شاهدوا السيد المسيح ولازموه وسمعوا أقواله وشاهدوا أعماله ويشرو
بتعاليمه المقدسة ٣ — يقول لوقا ، وقد رأى كل هذا ، كذلك رأيت أسوة بمتى
ومرقس أن أكتب إليك ياثاوفيلس(١) بما تحققته من هؤلاء ذاكرا الأمور
بحسب ترتيبها الزمنى ، ٤ — حتى تكون واثقا من صحة ما كتبت إليك لأننى
استقيته من مصادره الموثوق بها .

الفصل المقسورة :

٥ — كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه
زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هرون واسمها أليصابات.
وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب
وأحكامه بلا لوم . ٧ — ولم يكن لهما ولد إذ كانت أليصابات
عاقرا وكانا كلاهما متقدمين فى أيامهما.

ولما كان متى قد بدأ إنجيله بالولادة الجسمانية التى لمخلصنا من السيدة مريم فقال « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم » (مت ١ : ١) ، ومرقس بدأ إنجيله بالولادة الروحانية التى من العماد فقال « بدء إنجيل يسوع المسيح بن الله » (مر ١ : ١) ، ويوحنا بدأ إنجيله بالولادة الأزلية التى من الآب قبل كل الدهور فقال « فى البدء كان الكلمة » (يو ١ : ١) ، فقد رأى لوقا أن يبدأ إنجيله بولادة يوحنا ليدلل على شرف الولادة الجسدانية التى لمخلصنا .

٥ — فقال إنه كان فى أيام هيرودس الملك كاهن اسمه زكريا وامرأته تدعى أليصابات . وذكره لهيرودس ملك اليهودية هو لبيان أن نبوة يعقوب القائلة « لايزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) قد تمت . وهذه النبوة معناها أنه متى زال الملك من يهوذا وانتقل إلى أجنبى جاء المسيح . وقد حدث هذا فعلا فأنه من

(١) ثاوفيلس : هذه الكلمة معناها المحب للإله ويقال إن هذا الرجل الذى كتب إليه لوقا هذا الأنجيل وسفر الأعمال كان من الأمم الذين اعتنقوا المسيحية وكان رئيس المؤمنين بالأسكندرية وصديقا للوقا ومنه اعتمد . وتلقيبه بالعزيز يدل على أنه من أصحاب الرتب السياسية لأن هذه الكلمة كان يلقب بها الحكام كما لقب بها الواليان فيلكس (أع ٢٤ : ٣) ؛ وفستس (أع ٢٦ : ٢٥) .

موسى إلى داود كان يدبر شئون بنى إسرائيل القضاة ، ومن داود إلى سبى بابل الملوك، ومن سبى بابل إلى المسيح الكهنة . فلما بطل حكم هؤلاء كان هيرودس نائب القيصر حاكماً على اليهود، وهو أجنبى لأنه أدومى الأصل وعسقلانى الموطن، وفى العام الثالث والثلاثين من حكمه ولد المسيح . وفرقة أبيا التى كان ينتمى إليها زكريا الكاهن كانت الثامنة فى ترتيب الفرق كما جاء فى (١ أى ٢٤ : ١٠) ، ذلك أنه لما كثر عدد الكهنة قسمهم داود الملك إلى أربع وعشرين فرقة تخدم كل منها الهيكل أسبوعا ابتداء من صباح السبت . وأما قول البشير إن أليصابات كانت من بنات هرون فللدلالة على أنها لم تكن من غير سبط لاوى ، ولا منه كيفما اتفق بل من بنات هرون ، فبيت هرون كان يجوز له أن يتخذ زوجات من سبط يهوذا . وقد ابتدأ الكهنوت من أليشع زوجة هرون التى من سبط يهوذا وانتهى بأليصابات . أما الكهنة الذين جاءوا بعد زكريا فقد بطل كهنوتهم بمجىء المسيح .

٦ — ومضى البشير يقول إن زكريا وأليصابات كانا سالكين بمخافة الله وطاعته يتممان ما كان مفروضا عليهما من الخدمة والأعمال الشاقة التى تتطلبها الشريعة الطقسية . وهذه شهادة عظيمة تبين أن مولد يوحنا كان من أبوين بارين ، وأن البار يظل موضع عناية الله دائماً ، والأمثلة على ذلك كثيرة فنوح البار نجاه الرب بقوله « أدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك . لأنى إياك رأيت بارا لدىّ فى هذا الجيل » (تك ٧ : ١) ، وابرهيم ظهر له الرب وقال له « أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملا فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا » (تك ١٧ : ١ — ٢) ، وسليمان قال له « وأنت إن سلكت أمامى كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضى وأحكامى فأنى أقيم كرسى ملكك على إسرائيل إلى الأبد » (مل ٩ : ٤ — ٥) ، وحزقيا الملك حينما مرض وصلى قائلا « آه يا رب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن فى عينيك . وبكى حزقيا بكاءا عظيما » (٢ مل ٢٠ : ٣) ، أطال الله حياته خمس عشرة سنة ، وأيوب البار كان « كاملا ومستقيما يتقى الله ويحيد عن الشر » فكان جزاؤه بعد صبره فى محنته أن بارك الرب آخرته أكثر من أولاه ، وعوضه أضعاف

ما فقد ، وعاش بعد تجربته مائة وأربعين سنة ، ورأى بنيه وبنى بنيه إلى أربعة أجيال ثم مات شيخا وشبعانا من الأيام (أى ٤٢ : ١٦ ــ ١٧) . وفى العهد الجديد يقول بولس الرسول عن نفسه قبل اهتدائه «من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة . من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم» (فى ٣ : ٦) . وبعد دعوته للكرازة يقول فى مجمع اليهود «إنى بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم» (أع ٢٣ : ١) ، ثم لا يكتفى بذلك بل يقول «لذلك أنا أيضا أدرّب نفسى ليكون لى دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس» (أع ٢٤ : ١٦) ، وأخيرا حينما أحس بدنو أجله قال «قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى حفظت الإيمان وأخيرا قد وضع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا» (٢ تى ٤ : ٧ ــ ٨) .

٧ ــ وبما أن زكريا وأليصابات كانا بارّين فلم يكن حرمانهما من النسل بسبب خطاياهما بل لتظهر فيهما الآية العجيبة، آية الولادة من عاقر طاعنة فى السن هى وزوجها ، ويكون ذلك عربونا لولادة المخلص من غير أب ، وحتى تكون نهاية التدبير مشابهة لأوله فكما بدأ شعب الله المختار من عجوز وشيخ ، هما سارة وإبرهيم ، كذلك كان انتهاؤه كشعب مختار على يدى عجوز وشيخ هما أليصابات وزكريا .

المبشر باستجابتها :

٨ ــ فبينما هو يكهن فى نوبة فرقته أمام الله ٩ــ حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر . ١٠ــ وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور . ١١ ــ فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور . ١٢ــ فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف .

٨ ــ وبينما كان زكريا يؤدى خدمة الكهنوت فى نوبة فرقته ، وخدمات الكهنوت كانت تشمل ذبح حيوانات التقدمة ، ورش دمائها ، وإحراق الذبائح ، والتبخير ، وإجراءات التطهير عن النجاسات ، وإسراج المصابيح ،

وتغيير خبز التقدمة وغير ذلك ، ٩ــ أصابته القرعة أن يدخل إلى الهيكل(١) ويبخر . ذلك أن العادة جرت أن توزع أنواع الخدمة بطريق القرعة على أفراد كل فرقة من فرق الكهنة متى جاءت نوبتها . وعملية التبخير كانت تتناول إحراق البخور مرتين فى النهار فى الساعة الثالثة والساعة التاسعة (خر ٣٠ : ٧ــ٨) فى مجامر من الذهب الخالص (١ مل ٧ : ٥٠) ، ولا تؤخذ نيران الأيقاد إلا من مذبح المحرقات . ١٠ــ وكان على الشعب وقت البخور أن يؤدوا صلواتهم خارجا(٢) ، بغير أن يرتفع لهم صوت حتى لا يشوشوا على الكاهن المصلى . ١١ــ وحدث وزكريا يبخر ، وكان ذلك فى اليوم العاشر من الشهر السابع من شهور اليهود ، أن تراءى له ملاك عن يمين مذبح البخور(٣) . وظهور هذا الملاك للبشرى له مغزاه ، فيوحنا المعمدان ملاك كما نطق الوحى بلسان ملاخى النبى القائل «ها أنذا أرسل ملاكى فيهيء الطريق أمامى» (ملا ٣ : ١) ، ويقتضى هذا أن يكون المبشر به ملاكا . وظهور الملاك عن يمين المذبح يشير إلى أن يوحنا المعمدان سوف يضع يمينه على رأس المخلص ، وأن التدبير الذى سار فيه يوحنا تدبير إلهى . ١٢ــ وقد اضطرب زكريا بسبب غرابة هيئة الملاك ، وظهوره فجأة ، وبسبب وقاره ، وهيبته ، وعظمته ، وطهارته . وما لبث أن اعتراه الخوف لأن الملائكة لم تكن تظهر لأحد إلا لتبكيته وعقابه ، ولأن العبرانيين كانوا يعتقدون أنه لا يرى أحد الله أو ملاكه إلا ويموت ، ولعل هذا يفسر خوف جدعون (قض ٦ : ٢٢) ، ومنوح (قض ١٣ : ٢٢) ، ودانيال (١٠ : ٨) ، والنسوة عند قبر يسوع (مت ٢٨ : ٥) ، ويوحنا الرسول فى بطمس (رؤ ١ : ١٧) .

---

(١) **أقسام الهيكل** : كان الهيكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام أولها مكان وقوف الشعب ، وثانيها القدس وهو يلى الأول وفيه مذبح البخور ، وثالثها قدس الأقداس وفيه تابوت العهد ولا يدخله إلا رئيس الكهنة مرة فى السنة .

(٢) **التبخير** : «ولا يكن إنسان فى خيمة الاجتماع عند دخوله (هرون) للتكفير فى القدس إلى خروجه فيكفر عن نفسه وعن بيته وعن كل جماعة إسرائيل» (لا ١٦ : ١٧) .

(٣) **مذبح البخور** : كان طوله ذراعا وعرضه ذراعا وارتفاعه ذراعين وكان من خشب الأرز ومغشى بالذهب .

تبشيره بها :

١٣– فقال له الملاك لاتخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت
وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا . ١٤–
ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته .
١٥– لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب .
ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس . ١٦– ويرد
كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم . ١٧– ويتقدم
أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة
إلى فكر الأبرار لكى يهيىء للرب شعبا مستعدا .

١٣– ولما كان من عادة الملائكة ، إذا ما ظهروا للناس ، أن يزيلوا مخاوفهم كما حدث مع دانيال ، والرعاة ، والنسوة عند قبر يسوع ؛ لهذا ابتدر الملاك زكريا بقوله « لاتخف » ، حتى تطمئن نفسه فيعى ما يلقى عليه ، ثم قال له أن « طلبتك قد سمعت(١) وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنا وتسميه

(١) طلبة البار واقتداره : إن الكتاب المقدس ملىء بشواهد تؤيد استجابة الله لطلبات عبيده الأبرار كما قرر ذلك يعقوب الرسول حين قال « طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها . كان إيليا إنسانا تحت الآلام مثلنا وصلى صلاة أن لاتمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر ثم صلى أيضا فأعطت السماء مطرا وأخرجت الأرض ثمرها (يع ٥ : ١٦–١٨) ، وفيما يلى بعض الأمثلة على ذلك :

فقد صلى إبرهيم إلى الله « فشفى الله أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن » (تك ٢٠ : ١٧) ، وصلى موسى إلى الرب فخمدت النار التى أحرقت طرف المحلة (عد ١١ : ٢) . ولما عبد بنو إسرائيل العجل الذهب قال « ثم سقطت أمام الرب كالأول أربعين نهارا وأربعين ليلة لا آكل خبزا ولا أشرب ماء من أجل خطاياكم ... فسمع له الرب تلك المرة أيضا » (تث ٩ : ١٨–١٩) .

وكلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى إسرائيل وقال أمام عيونهم « يا شمس دومى على جبعون ويا قمر على وادى أيلون . فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه ... فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان لأن الرب حارب عن إسرائيل » (يش ١٠ : ١٢–١٤) .

ولما أخطأ بنو إسرائيل إلى الله بطلبهم ملكا لأنفسهم دعا صموئيل الرب

يوحنا» .(١) وقد اختلف المفسرون فى طلبة زكريا فمن قائل إنه كان يطلب لنفسه ابنا ، ومن قائل إنه طلب لنفسه ابنا ولشعبه غفرانا من خطاياهم وخلاصا من أعدائهم ، وقال آخرون إنه كان عالما حسب أسابيع دانيال السبعين التى يظهر بعدها قدوس القديسين (دا ٩ : ٢٤) ، وأدرك أن وقت ظهور المسيح قد حان فسأل الله إظهاره فأبلغه الملاك أن طلبته قد سمعت ، وأنه مصداقا لذلك ستلد امرأته ابنا يتقدم أمام المسيح بروح إيليا وقوته ، وأنه زيادة فى التأكيد قد تعين اسم المولود من الله للدلالة على أنه ولد للمسيح وليس لزكريا .

وكما كانت ولادة يوحنا معجزة ، كذلك كان اسمه خارقا للعادة إذ لم يتسم به أحد من قبل فى القبيلة . ويوحنا كلمة عبرانية مشتقة من الرحمة لأن صاحبها كان رحمة للعالم بمجيئه كسابق للمسيح ، ورحمة لوالديه بتحقق أمنيتهما فيه ، وقد رحمه الله بأن ملأه من الروح القدس وجعله معلما ونبيا وشهيدا .

١٤ – ثم مضى الملاك يقول لزكريا « ويكون لك فرح وابتهاج » ، أى

= « فأعطى وعودا ومطرا فى ذلك اليوم وخاف جميع الشعب الرب وصموئيل جدا » (١ صم ١٢ : ١٧–١٨) .

وتضرع إيليا إلى وجه الرب فرجعت يد الملك يربعام إليه (١ مل ١٣ : ٦) ، وأليشع أقام ابن المرأة الشونمية (٢ مل ٤ : ٣٣) ، وحزقيا الملك البار تضرع قائلا « آه يا رب أذكر كيف سرت أمامك » (مل ٢٠ : ٢ ، ٤) فأطال الله عمره خمس عشرة سنة ، وداود يقول « تأوه الوذعاء قد سمعت يا رب . تثبت قلوبهم تميل أذنك » (مز ١٠ : ١٧) ، ويقول « عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم . وجه الرب ضد عاملى الشر ليقطع من الأرض ذكرهم » (مز ٣٤ : ١٥) . وكذلك يقول « الرب قريب لكل الذين يدعونه الذين يدعونه بالحق يعمل رضا خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم » (مز ١٤٥ : ١٨) ، والمولود أعمى يقول « ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة ولكن إن كان أحد يتقى الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع » (يو ٩ : ٣١) . ويؤيد هذا الرأى يوحنا الرسول فيقول فى رسالته « ومهما سألناه ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه » (١ يو ٣ : ٢٢) .

(١) بشارة زكريا ومريم : كانت بشارة الملاك لزكريا فى ١٠ تشرين الأول القمرى كما سبق وهو يوافق ٢٦ توت وكانت بشارة مريم فى ١٠ نيسان القمرى الموافق ليوم ٢٩ برمهات والمدة بين البشارتين ستة أشهر .

أن هذا المولود سيكون من دواعى غبطته لأنه كان بلا ولد ، وبلا أمل من جهة النسل لشيخوخته وعقم زوجته . ويزيد فى اغتباطه أن المولود سابق لمن هو أعظم منه وهو المسيح . وأضاف الملاك قوله « وكثيرون سيفرحون بولادته » ، والإشارة هنا هي إلى ذوى قرباه ومن تابوا بمناداته ، كما يتضح من قول لوقا « وسمع جيرانها وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها » (لو ١ : ٥٨).

١٥ ـ ثم أخذ الملاك يتكلم عن هذا المولود العتيد قائلا « ويكون عظيما » ، وعظمته ترجع إلى امتلائه من الروح القدس من بطن أمه ، وإلى طعامه ولباسه الخاص ، وتقشفه وسكنه فى البرية ثلاثين عاما ، ولأنه رسول المخلص ، والفائز بشرف تعميده ، وفاتح باب التوبة أمام الجميع ، ومحرض الجموع على اتباع المخلص ، والمستشهد فى سبيل الحق ، والحائز على أكبر شهادة بأن أحدا من مواليد النساء لم يقم أعظم منه . وأضاف الملاك إلى ما تقدم قوله « وخمرا ومسكرا لا يشرب » ، للدلالة على تقشفه ، وعلى أنه نذير ، والنذير لا يشرب خمرا ولا مسكرا ولا يأكل عنبا رطبا ولا جافا ولا يعلو موسى رأسه كما يتضح من سفر العدد (عد ٦ : ١ ـ ٥) ، ومن وصية الملاك لأم شمشون (قض ١٣ : ٤ ـ ٥) . ولقد كان تقشف يوحنا توبيخا لليهود المنعكفين على المآكل والمشارب . وأما قول الملاك إنه « من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » فدليله ارتكاضه فى البطن مبشرا بسيده المسيح(١) عند زيارة والدة الآله لأمه أليصابات . وموهبة الامتلاء من الروح القدس من البطن لم ينلها من بنى إسرائيل سوى أرميا الذى قال عنه الوحى « قبلما صورتك فى البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبيا للشعوب » (أر ١ : ٤ ـ ٥) .

١٦ ـ ثم استطرد الملاك يبين عمل المولود فقال « إنه يرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم » وذلك بأنذارهم بالتوبة ، وبأقراره بأنه ليس المسيح (يو ١ : ٢٠) ، وبأنه لا يستحق أن يحل سيور حذائه (يو ١ : ٢٦ ـ ٢٧) ، وبقوله عنه « هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩) . فهو قد

(١) لقد بشر بالمسيح فى بطن أمه ، وعلى الأرض ، وفى الجحيم إذ سبقه إلى هناك .

رد اليهود من نسيان الله ، ومن الضلال والبر الذاتى ، ومن العالم والشهوات . وفى مقابل كل هذا نال ما وعد به الله هداة الضالين بقوله على لسان دانيال « الذين ردوا كثيرين إلى البر يضيئون كالكواكب إلى أبد الآبدين » (دا ١٢ : ٣) .

١٧ ـ وتكلم الملاك عن أسلوب يوحنا فى العمل فقال إنه « يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته » ، والضمير فى كلمة أمامه يعود على « الرب إلههم » فى الآية السابقة ، فيكون ذلك دليلا واضحا على أن المسيح هو الله الذى معنا كما جاء فى (مت ١ : ٢٨) ، وهو الله الذى ظهر فى الجسد كما فى (١ تى ٣ : ١٦) . وروح إيليا يراد بها التدبيرات الروحانية التى اشترك فيها وهى البتولية والتقشف ولبس الصوف . أما قوته فتشير إلى أنه كما وبخ إيليا آخاب وإيزابل بكل قوة وشجاعة (١ مل ٢١ الخ) كذلك وبخ يوحنا هيرودس وهيروديا (مت ١٤ : ٣ ـ ٤) . فيوحنا وإيليا اتفقا فى هذه الصفات وفى توبيخ الخطاة من الأشراف والأدنياء ، وفى هداية الضالين واحتقار الأرضيات . ولهذا قال السيد عن يوحنا « لكن أقول لكم إن إيليا أيضا قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنه » (مر ٩ : ١٢) . وفوق هذا فكما أن يوحنا تقدم المسيح فى مجيئه الأول كذلك يتقدمه إيليا فى مجيئه الثانى ، وفى ذلك يقول السيد « وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى » (مت ١١ : ١٤) .

والمراد بقوله « يرد قلوب الآباء إلى الأبناء » أن الآباء إبرهيم وإسحق ويعقوب الذين أعرضوا عن أبنائهم بنى إسرائيل لضلالهم يعودون بفضل تبشير يوحنا إلى الرضا عنهم . وعلى رأى آخر تعود الألفة العائلية فى الأسرة بمناداة يوحنا فيعود الآباء إلى العناية بنفوس أولادهم ، ويعود الأبناء إلى طاعة والديهم كما يؤيد ذلك ملاخى (ملا ٤ : ٦) . وعودة « العصاة إلى فكر الأبرار » يراد بها أن الذين تمردوا على الله وزاغوا عن الحق يعودون بمناداة يوحنا إلى الطاعة والقداسة والإيمان .

وأخيرا يبين الملاك غاية يوحنا من جهاده بقوله إنه « يهيىء للرب شعبا مستعدا » أى شعبا مسيحيا متطهرا بالعماد وبجسد المسيح ودمه لا بدماء الحيوان المرشوشة ، وبفكر منصرف إلى السمائيات لا إلى الأرضيات . وقد أدى يوحنا رسالته على أكمل وجه ، ومع أن النجاح لم يتحقق فى اليهود حتى الآن إلا أنه لابد

متحقق فيما بعد لتمم نبوة عاموس القائلة « فى ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة » (عا ٩ : ١١ ـ ١٢ ، أع ١٥ : ١٦ ـ ١٧) .

الشكك فيها :

فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأنى أنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها . ١٩ ـ فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا . ٢٠ ـ وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته . ٢١ ـ وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل . ٢٢ ـ فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل . فكان يومىء إليهم وبقى صامتا .

١٨ ـ وكان حريا بزكريا وهو الرجل العالم الفاضل أن يصدق البشرى ، سيما وهو يعلم أن إسحق ولدته أم عاقر هى سارة وأب مسن هو إبرهيم ، وأن صمويل أنجبته حنة العاقر ، وشمشون جاء من عاقر أخرى هى زوجة منوح ، ولكنه رغم كل ذلك تشكك ، ودل بتشككه على ضعف الطبيعة البشرية التى كثيرا ما تغيب عنها الحقيقة . وكان خليقا به أيضا أن ينظر بعين الأيمان إلى قوة الله وصدق مواعيده ، ولكنه نظر بعين الجسد إلى ما يقوم دون إتمام هذه المواعيد من موانع ، وطالب الملاك بعلامة ظاهرة تؤيد صدق هذا الوعد الذى تكتنفه ظروف الشيخوخة والعقم . نعم إن إبرهيم طلب من الله علامة على أنه يرث الأرض التى أراه إياها ، ولكنه طلب بأيمان كما يتضح ذلك من سفر التكوين (تك ١٥ : ٦ ، ٨) ، ومن قول بولس الرسول عنه « وإذ لم يكن ضعيفا فى الأيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا إذ كان ابن نحو مائة سنة ولا مماتية مستودع سارة ولا بعدم إيمان ارتاب فى وعد الله بل تقوى بالأيمان معطيا مجدا لله وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضا . لذلك أيضا حسب له برا » (رو ٤ : ١٩ ـ ٢٢) . وكذلك طلب جدعون علامة من الله قائلا « إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فاصنع لى علامة أنك أنت تكلمنى » (قض ٦ : ١٧) ، وكذلك طلب حزقيا علامة بقوله لأشعياء « ما العلامة أن الرب يشفينى » (٢ مل

٢٠ : ٨) ، ولكن شتان بين هذه الطلبات الثلاث المقترنة بالأيمان وبين طلب زكريا الذى تشوبه الريبة والشكوك .

١٩ ـ وأراد الملاك أن ينبهه إلى شرف البشرى التى زفها إليه ، ويحققها فى نفسه ، ويقضى على شكوكه من جهتها فعرفه بنفسه وبمكانته السماوية ، ٢٠ ـ ثم أنبأه بالعقاب الذى قضى به الله عليه جزاء عدم إيمانه فقال « وها أنت تكون صامتا .... إلى اليوم الذى يكون فيه هذا » . ولا شك أن هذا الخرس كان مصحوبا بالصمم بدليل أن الناس أخذوا يخاطبونه بالأشارة لا باللفظ حين أرادوا سؤاله عن الأسم الذى يريده لابنه (لو ١ : ٦٢) . والحكمة فى هذا العقاب بالذات دون غيره أن العضو الذى يخطىء هو الذى يحل به العقاب ، وأن الجزاء لابد وأن يكون من جنس العمل ، فكما ارتاب فى مولد ابنه وهو الصوت الصارخ فى البرية هكذا أبطل الله صوته . هذا إلى أن صمته فيه دلالة على بطلان الكهنوت الذى كان خادما له ، وفوق ذلك فلو تكلم وقص على الشعب ما سمع ورأى ، وآنسوا منه تكذيبا لمواعيد الله لكان ذلك مدعاة لأن يكذبوها هم من باب أولى . ويضاف إلى ما تقدم أنه لو لم يبق صامتا لاضطر الملاك أن ينبئه بالأسرار قبل أوانها كمولد المسيح وقتل الأطفال ، وعند ذلك تبلغ هذه الأسرار مسامع هيرودس فيسعى فى قتل البتولات ومن بينهن مريم حتى لا يولد يسوع .

وقد حدد الملاك لزكريا موعد انتهاء صمته وهو اليوم الذى يتم فيه كل ما أنبأه به ، ولا يقصد بكلمة « يوم » يوم ميلاد يوحنا بل الوقت التقريبى ، لأن زكريا بقى صامتا حتى اليوم الثامن من ميلاد ابنه . ثم استطرد الملاك فبين له سبب هذا القصاص وهو تشككه الذى حمله على طلب العلامة ، لا طلب العلامة فى حد ذاته ، فهو تأديب لعدم إيمانه بنوال ما كان يصلى من أجله .

٢١ ـ وقد أثار إبطاء زكريا عن المعتاد فى الهيكل دهشة الشعب وظنونه ، ٢٢ ـ ولما خرج وأخذ يومىء إليهم فى صمت أدركوا أنه رأى رؤيا(١) . ولا بد أن ذلك تأيد لهم من إمارات الخوف والرهبة التى بدت على وجهه ، ولا بد أيضا أنه كان يشير بيديه إلى السماء ، وإلى هيئة الملاك ، وإلى لسانه الذى انعقد وأذنيه اللتين أصيبتا بالصمم .

(١) الرؤيا والحلم : الرؤيا إعلان إلهى للمستيقظ أما الحلم فأعلان إلهى للنائم .

تحققها :

٢٣ ـ ولما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته . ٢٤ ـ وبعد
تلك الأيام حبلت أليصابات امرأته وأخفت نفسها خمسة
أشهر قائلة ٢٥ ـ هكذا قد فعل بى الرب فى الأيام التى فيها
نظر إلىّ لينزع عارى بين الناس .

٢٣ ـ لم يتخذ زكريا من عقابه مبررا لترك عمله بل واصله حتى تمت أيام خدمته السبعة(١)، وعاد إلى بيته بين جبال يهوذا . ٢٤ ـ وبعد البشارة حبلت زوجته وأخفت حبلها خمسة أشهر تواضعا منها ، ورغبة عن الافتخار بما أنعم الله عليها ، وحتى لا تعرض نفسها للعار لأنها كانت تدعى عاقرا ، ولذلك ظلت مستترة حتى اتضح أنها ليست كذلك، وهذا هو الرأى الراجح ، ودليله أنها لم تختف سوى خمسة أشهر . ٢٥ ـ وكانت تردد القول إن الله قد رحمها ونظر إليها بعين الشفقة والمحبة ، ونزع عار العقم عنها ، وكان بنو إسرائيل يحسبون العقم علامة غضب الله فيعيرون العقيم . ويتضح عار العقم من قول راحيل العاقر عن نفسها بعد أن حبلت وولدت « قد نزع الله عارى » (تك ٣٠ : ٢٣) . ويتضح تعير اليهود للعاقر من أن ضرة حنة أم صموئيل كانت « تغيظها أيضا غيظا لأجل المراغمة . لأن الرب أغلق رحمها » (١ صم ١ : ٦) . وكما حسبوا العقم عارا اعتبروا الولادة رضا من الله مستدلين على ذلك بقوله تعالى إن سلكوا فى فرائضه « وألتفت إليكم وأثمركم وأكثركم وأفى ميثاقى معكم » (لا ٢٦ : ٩) ، ومن قوله لنوح وبنيه « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » (تك ٩ : ١) . ولكن الحال فى عهد النعمة غير ذلك فالعاقر هو من عدم ثمرة الروح لا ثمرة الجسد . وقد كان فرح أليصابات تأييدا لقول أشعياء « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل يقول الرب . لا تخافى لأنك لا تخزين . ولا تخجلى لأنك لا تستحين . فأنك تنسين خزى صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد » (أش ٥٤ : ١ ، ٤) .

(١) مدة خدمة فرق الكهنة : كانت هذه المدة أسبوعا كما يتضح ذلك من (١ أى ٩ : ٢٥) .

الأحد الثانى من شهر كيهك

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « البشارة بالمخلص » ؛ فأنجيل العشية يتكلم عن خلاصه لشعبه من خطاياهم ، وإنجيل باكر عن سلامه لهم بطرد الشيطان منهم ، وإنجيل القداس عن البشارة بمولده وإيمان مريم بها :

مزمور العشية : (١٤٣٠ : ٥ ، ٧)

يشير هذا المزمور إلى طلب نزول المخلص من السماء ، وحلوله فى أحشاء البتول ، وإلى حادثة المرأة الخاطئة التى بلت قدميه بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها ودهنتهما بالطيب طالبة المغفرة كما جاء بفصل الأنجيل فيقول « يا رب طأطىء السماوات وانزل . إلمس الجبال فتدخن . إرسل يدك من العلو . أنقذنى ونجنى » .

انجيل العشية : (لو ٧ : ٣٦ ـ ٥٠)

ويتكلم هذا الفصل عن خلاص يسوع ، ودليل ذلك قوله للمرأة الخاطئة التى دهنت قدميه بالطيب « إيمانك قد خلصك . اذهبى بسلام » .

مزمور باكر : (٧١ : ٥ ، ٦)

يشير هذا المزمور إلى حلول المخلص فى بطن العذراء، وإلى ما جاء بفصل الأنجيل من طرده الشيطان من الرجل الأعمى الأخرس ، وإلى سلامه فى قلب هذا الرجل بعد خروج الشيطان منه فيقول « ينزل مثل المطر على الجزة . ومثل قطرات تقطر على الأرض . يشرق فى أيامه العدل . وكثرة السلامة » .

انجيل باكر : (لو ١١ : ٢٠ ـ ٢٨)

يتكلم هذا الفصل عن سلام المخلص ، ودليل ذلك طرده الشيطان وهو المقصود بلفظة القوى من الرجل الأخرس وقوله عن ذلك « ولكن متى جاء من هو أقوى منه فأنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذى اتكل عليه ويوزع غنائمه » .

مزمور القداس : (٤٤ : ١٣)

يشير هذا المزمور إلى العذراء القديسة مريم . وإلى اختيار المخلص لها ليحل فى أحشائها لطهارتها فيقول « إسمعى يا ابنتى وانظرى وميلى سمعك . وانسى شعبك وبيت أبيك . فأن الملك قد اشتهى حسنك . لأنه هو ربك » .

انجيل القداس : (لو ١ : ٢٦ — ٣٨)

ويتكلم هذا الفصل عن البشارة بمولده، ودليل ذلك قول الملاك الجليل غبريال المبشر للقديسة مريم العذراء «وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع».

الرسائل :

وتدور رسائل هذا اليوم حول موضوع واحد هو « البشارة بالمخلص »، فالبولس يشير إلى إيمان مريم ببشارة الملاك به ، والكاثوليكون إلى نوره ، والأبركسيس إلى الحبل به :

البولس : (رو ٣ : ١ — ٤ : ١ — ٣)

يشير الرسول فى هذا الفصل إلى إيمان السيدة مريم ببشارة الملاك فيقول « وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس . . . بر الله بالأيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون » ، ثم يقول « إذاً نحسب أن الأنسان يتبرر بالأيمان بدون أعمال الناموس » ، ثم يختم ببيان تبريرها على نحو ما تم لإبرهيم إذ « آمن إبرهيم بالله فحسب له برا » .

الكاثوليكون : (يو ١ : ١ — ٢ : ١ — ٢)

يتكلم الرسول هنا عن ظهور السيد المسيح فيقول « فأن الحياة أظهرت » ، ثم ينادى قائلا إن الله نور وإننا « إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق » ، « وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا » .

الأبركسيس : (أع ٧ : ٣٠ — ٣٤)

يذكر هذا الفصل ظهور الله لموسى « فى برية جبل سينا فى لهيب نار

عليقة » وهو رمز على حبل السيدة مريم بغير رجل وعلى حلول اللاهوت فى أحشائها الطاهرة ، ثم يختم الفصل بقول الله لموسى « إنى لقد رأيت مشقة شعبى الذين فى مصر وسمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم . فهلم الآن أرسلك إلى مصر » ، وفى هذا إشارة إلى تنازل السيد المسيح المرموز له بموسى ومجيئه لخلاصنا من عبودية الخطية كما خلص موسى بنى إسرائيل من عبودية المصريين .

إنجيل العشية

(لو ٧ : ٣٦ — ٥٠)

المرأة الخاطئه التى دهنت قدمى الرب بالطيب

(راجع قداس الأحد الرابع من توت)

إنجيل باكر

(لو ١١ : ٢٠ — ٢٨)

يسوع وتهمه الاستعانة ببعلزبول

(راجع قداس الأحد الثالث من بشنس)

إنجيل القداس

(لو ١ : ٢٦ — ٣٨)

بشارة الملاك لمريم

« وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع »

تمهيد :

كان إنجيل القداس فى الأحد الأول يتكلم عن رحمة الله للعالم التى تتجلى فى البشارة بميلاد يوحنا المعمدان سابق المخلص، أما إنجيل اليوم فيتكلم عن البشارة بمولد المخلص نفسه ، فهو بعد المقدمة يتكلم عن البشارة التى زفها جبرائيل المبشر إلى مريم ، ثم يبين الأدلة التى ساقها إليها لإقناعها بها ، ويختم بالإشارة إلى إيمان مريم بها :

مقدمة :

٢٦ — وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله
إلى مدينة من الجليل إسمها ناصرة ٢٧— إلى عذراء مخطوبة
لرجل من بيت داود اسمه يوسف . واسم العذراء مريم .

٢٦ — إن جبرائيل الملاك الذى بشر زكريا فى اليوم العاشر من تشرين الأول القمرى الموافق لليوم السادس والعشرين من توت ، جاء فى الشهر السادس من حبل أليصابات ، أى جاء فى اليوم العاشر من شهر نيسان القمرى الموافق لليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات، لكى يبشر مريم العذراء بالحبل ، فالشهر السادس لا يحسب من بدء السنة الدينية(١) بل من بدء حبل أليصابات ، كما يتضح ذلك من قول الملاك لمريم « وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا » (لو ١ : ٣٦) . والحكمة فى اختيار العدد السادس دون غيره من الأعداد هى أن فيه تمت الخليقة ، وخلق الإنسان ، وسقط فى الخطية، فوجب أن يوجد فيه مجدده . واختيار شهر نيسان بالذات هو لأنه أول شهور العالم ومخلصنا مبدأ العالم الثانى ومجدده ، ولأن فيه عمل الفصح الأول الذى هو رمز لإهراق دم المسيح لخلاصنا . وأن من شأن الرب يسوع أن يتألم فيه ويقوم ، وفيه تكون

(١) **شهور السنة الدينية وما يقابلها** : شهور السنة الدينية هى : ١— نيسان ٢— زيو ٣— سيوان ٤— تموز ٥— آب ٦— أيلول ٧— ايثانيم ٨— بول ٩— كسلو ١٠— طيبيت ١١— شباط ١٢— آذار .
ويقابلها بالشهور العربية : ١— نيسان ٢— آيار ٣— حزيران ٤— تموز ٥— آب ٦— ايلول ٧— تشرين أول ٨— تشرين ثان ٩— كانون أول ١٠— كانون ثان ١١— شباط ١٢— آذار .

القيامة ويأتى المسيح ثانية(١) . وأما تحديد اليوم العاشر منه فلأن العدد العشرى كامل ، ولكى يتم الرمز الإلهى المتقدم وهو أخذ الحمل لبيت الرب فى العاشر من الشهر ، والحمل رمز للمسيح .

واقتضى التدبير الإلهى أن تبشر سيدتنا بالحبل حتى إذا رأت نفسها حبلى لا تضطرب أو تنتحر خوف العار ، وكانت بشارتها بالجليل حيث كانت مع خطيبها يوسف ، ولتتم النبوة القائلة « جليل الأمم . الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورا عظيما » (مت ٤ : ١٥ — ١٦) ، ولأن من شأن المخلص أن يجتمع عند الصعود مع تلاميذه فى الجليل ويكمل تدبيره، وحيث يكون كمال الشىء تكون بدايته ، وكانت البشارة فى مدينة الناصرة لا فى الهيكل بأورشليم .

٢٧ — وقد أوضحنا فيما سبق(٢) علة خطبة مريم ليوسف قبل حبلها وأنه كان من بيت داود . أما كلمة مريم فمعناها الموهبة وقيل سيدة .

البشارة :

٢٨ — فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها الممتلئة نعمة .
الرب معك . مباركة أنت فى النساء . ٢٩ — فلما رأته اضطربت
من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية . ٣٠—
فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله .
٣١ — وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع .
٣٢— هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله
كرسى داود أبيه . ٣٣— ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد
ولا يكون لملكه نهاية .

٢٨ — وظهر الملاك لمريم فى صورة إنسان شيخ حتى لا يزعجها بهيئته ، ومع ذلك فقد بدا منظره روحانيا وإلا لما صدقت ما قاله لها . وبشرها وهى وحدها قياسا على ما حدث لزكريا ويوسف النجار ، مع صغر شأن ما بشرا به

(١) قارن رأى العلامة المشرقى هذا بما أثبتناه تحت موضوع « السبعة وأربعة » بصفحة ٥٧ .

(٢) **خطبة مريم** : أنظر شرح هذا الموضوع فى (مت ١ : ١٨ — ٢٠) فى إنجيل باكر ليوم ٢٨ كيهك صفحة ١٦ وما بعدها .

بالنسبة لما بشرت هى به وهو جديد وخارق للطبيعة ، وقد أشرنا فيما تقدم إلى حكمة زف البشرى إليها دون خطيبها يوسف النجار(١).

ولما كان من شأن المولود منها أن ينشر ألوية السلام فى العالم ، ويقيم الصلح بين السمائيين والأرضيين ، وبين النفس والجسد ، ويقتل الأعداء الثلاثة الذين أثاروا الحروب فى العالم وهم الشيطان والخطية والموت ، لذلك ابتدرها الملاك بالسلام قائلا « سلام لك » . هذا إلى أن إلقاء التحية لدى العبرانيين كان يحمل معنى إزالة الخوف ، أو التبشير بما يسر ، فضلا عن كونه التحية العادية بين الناس . ثم وصفها بعد التحية بقوله « أيتها الممتلئة نعمة »(٢) وذلك لحصول كلما الله معها ، وهو مفيض النعمة على الخلائق . وتفيد هذه العبارة أيضا أنها استعاضت عن الأمور الجسدية بقسط فائق السمو من الروح والنعمة الإلهية أكثر مما حظى به سائر الأبرار والقديسين ، ولهذا قدمتها الكنيسة فى المرتبة عليهم بل وعلى مجميع الأجناد السمائية(٣) ، إذ جعلتها تلى فى المنزلة رب المجد نفسه . ثم قال لها « الرب معك » لأنه هو الذى ملأها نعمة ، وسوف يساعدها ويكمل بها سر التجسد ، ويحقق لها الحماية والنجاح والسعادة والقداسة وسائر البركات الإلهية . وأضاف الملاك إلى ذلك قوله « مباركة أنت فى النساء » ، أى أنها دون سائر النساء اختصت ببركة خاصة ، وأن اللعنة التى حلت بالعالم بسبب حواء البتول الأولى ارتفعت عنه بمريم البتول . هذا إلى أن المولود منها صار بركة لجميع الشعوب حسب وعد الله لإبرهيم بأن فى نسله تتبارك جميع قبائل الأرض . وبالجملة فليس بين نساء العالمين من فازت بمثل نصيبها من الشرف العظيم والنعمة الإلهية حيث صارت أما للمسيح وواسطة لظهور الله فى الجسد .

ويلاحظ أن الملاك حينما بشرها باركها أولا إذ لا يمكن أن تحمل المسيح المبارك إلا إذا باركها ملاكه أولا ، وكذلك من يروم تناول الأسرار المقدسة

(١) بشارة مريم دون يوسف : راجع باكر ٢٨ كيهك صفحة ٢٠ آية رقم ٢٠

(٢) الممتلئة نعمة : قرئت هذه العبارة فى طبعتى بيروت ولندن للكتاب المقدس « أيتها المنعم عليها » ، وذلك عملا بالتعليم البروتستنتى المخالف الذى يقضى بالأغضاء عما يجب نحو هذه القديسة الفائقة من الإكرام والتعظيم .

(٣) مرتبة والدة الإله : أنظر الخولاجى المقدس تحت عنوان «صلاة البركة» .

لا بد من أن يتبارك ويتطهر أولا بالتوبة من معلم التوبة وهو الكاهن الذى هو ملاك الله المرسل أمام المسيح ليسهل طريقه كما فعل يوحنا المعمدان . وإذا كانت السيدة وهى طاهرة وممتلئة نعمة لم يكن ممكنا أن تحمل المسيح إلا إذا سبق فباركها الملاك ، فكم هى عظيمة خطية من يتجاسر على الدنو من الأسرار المقدسة قبل أن يتطهر بالتوبة ويتهيأ لذلك .

٢٩ — فلما رأت مريم الملاك اضطربت من هيبته ومن كلامه الغريب واستعظمت التحية تواضعا منها ، وفكرت فى نفسها كيف يدعوها ممتلئة من النعمة وهى مفتقرة إلى كل نعمة ، وكيف يقول لها الرب معك وهى تعيش مع عذارى فقيرات ، وكيف يدعوها مباركة فى النساء وهى أحقرهن . ٣٠ — وهنا هدأ من روعها بقوله لا تخافى ، وأدخل السرور على قلبها بقوله « قد وجدت نعمة عند الله » ، أى نعمة الحبل برب البرية حبلا بغير رجل رفع مكانتها فوق جميع الناس ، هذا إلى الطهارة والقداسة اللتين استنارت بهما .

٣١ — ثم مضى الملاك يقول لها « وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع » ، وبهذا تمت نبوة إشعياء القائلة « ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (أش ٧ : ١٤) ، وقد تقدم شرح كلمة « يسوع » فى (مت ١ : ١٨)(١). وقد دعى بهذا الاسم لأجل التجسد ، إلا أن التجسد صدر منه من قبل كلمة الآب المتجسد ، ولذا تدعى العذراء والدة الإله وإن لم تلد اللاهوت ، كما يدعى الوالد أبا لابنه وإن لم يلد نفسه بل جسده فقط (أنظر شرح تسمية العذراء والدة الإله فى الآية رقم ٤٣ بقداس الأحد الثالث من كيهك) .

٣٢ — واستطرد الملاك يصف المولود فقال إنه « يكون عظيما » وهو وصف مستمد من نبوة إشعياء القائلة « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام » (أش ٩ : ٦) . وإذا قيل بأن الملاك حينما بشر زكريا بيوحنا وصفه بالعظمة فقال « لأنه يكون عظيما أمام الرب » (لو ١ : ١٥) قلنا شتان بين العظمتين ، فعظمة يسوع تفوق عظمة يوحنا كما تفوق عظمة الملك عظمة خادمه . وعظمة يوحنا

(١) كلمة يسوع : أنظر إنجيل باكر ليوم ٢٨ كيهك صفحة ٢١ .

هبة من الله فى حين أن عظمة يسوع ذاتية ، وعظمة يوحنا مصدرها يسوع فهى كنور القمر مستمد من نور الشمس . ثم قال عنه الملاك « وابن العلى يدعى » وذلك ليس بسبب ولادته الخارقة للطبيعة بل لأنه كان ابن الله قبل أن يتجسد لأنه أزلى .

ثم قال الملاك « ويعطيه الرب الأله كرسى داود أبيه » وذلك إتماماً للوعد الصادر لداود والوارد فى المزمور القائل « أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك » (مز ١٣٢ : ١١) ، وكذلك فى سفر صمويل حيث جاء فيه « متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته » (٢ صم ٧ : ١١) . وهذا الوعد أيدته نبوة إشعياء القائلة عن المسيح « لنمو رياسته وللسلام لانهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعتضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد » (أش ٩ : ٧) ، وكذلك نبوة أرميا القائلة « ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الأرض » (أر ٢٣ : ٥) . ومما أنه لم يقم لداود ملك يرثه المسيح لأن الملك بطل من بنى إسرائيل بعد السبى ، فملك المخلص المقصود إذاً سماوى لا أرضى ، وليس على اليهود وحدهم بل على سائر أهل الأرض والسماء ، وهو ملك دائم لا يزول لأن ملك الابن الأزلى من شأنه أن يدوم . ٣٣ – وأما قول الملاك « ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد » فمقصود به جميع من يؤمنون به أى أولاد إبرهيم بالإيمان وهم اليهود والأمم . وتخصيصه بيت يعقوب هو لأن ابتداء ملكه يكون من يعقوب ، وهذا الملك لا انقضاء له لأنه روحانى إلهى لا جسمانى ينتقض . فيسوع يملك على المؤمنين هنا بالنعمة وعلى القديسين فى السماء بالمجد . وقد أشار دانيال فى رؤياه إلى ملكه الدائم بقوله أولا « وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد » (دا ٢ : ٤٤) ، وبقوله ثانيا « كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لن ينقرض » (دا ٧ : ١٣ – ١٤) . وقد أيد اليهود هذا

الرأى حين سألوا السيد قائلين « نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد » (يو ١٢ : ٣٤) ، وأيده بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين حيث قال فيها « وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » (عب ١ : ٨) .

ايضاحها :

٣٤ – فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا . ٣٥ – فأجاب الملاك وقال لها . الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله . ٣٦ – وهوذا أليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا . ٣٧ – لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله .

٣٤ – كان طبيعيا وقد سمعت العذراء العفيفة هذا النبأ الخارق للطبيعة من فم الملاك أن تقول « كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا »(١) ، ولم يكن سؤالها صادرا عن تشكك فى صحة الوعد كما فعل زكريا بل كان مصدره الرغبة فى معرفة الكيفية التى يتم بها . ومع ما ورد فى كتب الأنبياء عن المسيح وولادته العجيبة توقفت لتعرف حقيقة ما قيل ، فأين هذا المسلك من مسلك حواء ساعة أن أغواها الشيطان بأمور لم تسمع بها من قبل ولا وردت فى كتب أو نبوات وقال لها « يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر » ، فقد أصغت وقبلت ، وأكلت وسقطت ، وشتان بين رعونتها وجهالتها وروية مريم وحكمتها . ٣٥ – وهنا أوضح الملاك الطريقة التى يتم بها الوعد فقال « الروح القدس يحل عليك » ، أى يطهرها ويقدسها من الخطية الجدية(٢) ، ثم

---

(١) **الحبل بلا دنس** : بحبل مريم تمت نبوة إشعياء القائلة « وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم الذى يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا أستطيع لأنه مختوم » (أش ٢٩ : ١١) ، فمريم السفر المختوم وعارف الكتابة يوسف النجار الذى سبق له الزواج .

(٢) **بدعة الحبل بلا دنس** : تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن القديسة مريم العذراء حبل بها من غير دنس ، أى أنها « لم توجد ولا برهة واحدة من الزمن ملطخة بسقطة آدم بل أول برهة حبل بها وجدت بريئة من دنس الخطية الأصلية » . =

يعقد من دمها جسدا يتحد به الابن الأزلى كما سبق شرح ذلك (مت ١ : ١٨ ص ١٨ وما بعدها) ، « وقوة العلى تظللك » أى أن ابن الله وهو قوته وكلمته يظللها خارجا ، ويحل فيها داخلا دون أن يكون محصورا . والابن لا يحل فى شىء إلا إذا سبق فقدسه له الروح القدس ، ولهذا فهو لا يتحد بالخبز والخمر ويجعلهما

= ومع أنه لا يوجد فى الكتاب المقدس نص واضح يثبت هذه الحقيقة فالكاثوليك يستندون فى تأييدها على قول الله للحية « وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥) ، فحرفوها على الوجه الآتى : « . . . هى تسحق رأسك وأنت تسحقين عقبها » وقالوا « فأذاً المرأة لا تعنى هنا سوى مريم . . . وكيف لمريم أن تسحق رأس الشيطان منتصرة عليه إذا كان سبق وانتصر عليها ولو دقيقة واحدة وهى بحال الخطية الأصلية » ، مع أن المقصود بالآية نسل المرأة أى المسيح فهو الذى يسحق رأس الحية لا العذراء .

ويقولون فى إثبات هذه العقيدة أنه حدثت أعجوبتان ظهرت بهما القديسة مريم وأعلنت أنها الحبل بها بلا دنس الأولى سنة ١٨٢٥ حين ظهرت لأحدى راهبات المحبة فى باريس محاطة بالنور وساحقة برجلها رأس الحية وحولها كتابة بأحرف من نور تقول « يا مريم الحبل بها بلا دنس . . . » وطلبت من الراهبة سك أيقونة تمثل ما شاهدته ، وهذه هى الأيقونة العجائبية المشهورة . أما الأعجوبة الثانية فقد حدثت عام ١٨٥٨ حين ظهرت العذراء أكثر من خمس عشرة مرة فى مغارة لورد لفتاة تدعى برنادت ، ولما سألتها الفتاة عن اسمها قالت « أنا هى الحبل بلا دنس » .

وقد كانت عقيدة الحبل بلا دنس مثار جدل كبير وانشقاق فى الرأى فى الكنيسة الكاثوليكية بين مؤيديها ومنكريها وأخيراً تغلب الفريق الأول وتقرر هذا الاعتقاد فى عهد البابا بيوس التاسع سنة ١٨٥٤ .

وهذا التعليم الذى تنفرد به الكنيسة الكاثوليكية يتعارض مع آية المزمور القائلة « ها أنذا بالأثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مز ٥١ : ٥) ، ومع قول السيدة مريم « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى » (لو ١ : ٤٦ـ ٤٧) ، أى مخلصها من الخطية الجدية . ويضاف إلى ذلك أن الروح القدس الذى حل عليها كما بشرها الملاك قدسها وطهرها من الخطية الأصلية ، وإذاً فهى وإن كانت أشرف مخلوق فى السماء وعلى الأرض إلا أنه حبل بها وولدت حسب الطبيعة كما يولد سائر البشر .

جسده ودمه إلا إذا سبق الروح القدس وحل عليهما وقدسهما(١) . كذلك لا يتناولها أحد إلا إذا قدسه الروح بالمعمودية ، أو بوضع الكاهن يده عليه بعد التوبة والغفران ، ولذا قال السيد لتلاميذه « اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٣) .

وبعد أن بين الملاك طريقة إتمام الوعد، تكلم عن المولود قائلا « فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله » ، والقدوس ، أى الكثير القداسة ، صفة من أقطع الأدلة على لاهوته ، إذ لا يوصف بها إلا الله وحده ، وهى أيضا تؤيد صحة عقيدة الكنيسة فى تلقيب والدته بلقب والدة الأله(٢). وفى الكتاب كثير من النصوص التى تثبت أنه حقيقة ابن الله ، فالمرنم يقول فى المزمور « إنى أخبر من جهة قضاء الرب قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٧) ، والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين « بالحقيقة أنت ابن الله » (مت ١٤ : ٣٣) ، وبطرس الرسول اعترف بإيمانه قائلا « أنت هو المسيح بن الله الحى » (مت ١٦ : ١٦) ، ورئيس الكهنة سأله قائلا « أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح بن الله فقال له يسوع أنت قلت » (مت ٢٦ : ٦٣ـ٦٤) ، وقال الحبشى المعتمد « أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله » (أع ٨ : ٣٧) .

٣٦ ـ ولكى يؤكد الملاك لمريم بشارته قال « وهوذا أليصابات نسيبتك حبلى بابن فى شيخوختها » ، وصلة النسب بين الاثنتين أنهما بنات خالات(٣) .

(١) أوشية استدعاء الروح القدس : رتبت الكنيسة فى القداس الألهى أنه عندما ينتهى الكاهن من تلاوة كلمات الرب يسوع حسب وصيته يسجد لله أمام مذبحه المقدس ويصلى أوشية استدعاء الروح القدس طالبا من الله بحرارة وخشوع أن يرسل روحه القدوس على القرابين الموضوعة ليطهرها ويقدسها وينقلها أى « يحولها » إلى جسد ودم المسيح . ويطلب فى الوقت نفسه أن يحل علينا لكى يقدس نفوسنا ويطهر قلوبنا ويعدها لسكناه وقبول أسراره الألهية حتى تكون باستحقاق آلام الرب لمغفرة خطايانا وحياة أنفسنا وتطهير أجسادنا، ولتساعد المتناولين أن يأتوا بثمار الروح (غل ٥ : ٢٢) .

(٢) لقب والدة الأله : أنظر عقيدة تسمية القديسة مريم بوالدة الإله ص ١٠٧.

(٣) القرابة بين مريم وأليصابات : أنظر سنكسار ١١ هاتور . ويقول العلامة المشرقى « إن اليعازر كان له ابنان أحدهما يسمى يوثام والآخر متاثيا .. ويوثام =

ومع أن مريم من سبط يهوذا وأليصابات من سبط لاوى فقد كان يجوز أن يتزاوج هذان السبطان لأنهما سبطا الكهنوت والنبوة ، والدليل على ذلك أن أليصابات بنت عميناداب كانت من سبط يهوذا وتزوجها هرون الكاهن . وفى اختلاط سبطى يهوذا ولاوى سر عظيم وهو أن يكون ظهور المسيح إلهنا منهما لأنه ملك الملوك وحبر الأحبار . ٣٧ ـ ثم دلل الملاك على إمكان حدوث ذلك بقوله « لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله » ، فقدرة الله غير محدودة ولا يمكن لنواميس الطبيعة المعروفة لنا أن تمنعه من إجراء مقاصده . وثمة آيات أخرى تؤيد ذلك مثل قوله لإبرهيم « هل يستحيل على الرب شيء فى الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن » (تك ١٨ : ١٤) ، ومثل قول المخلص لتلاميذه « هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع » (مت ١٩ : ٢٦) ؛ وذلك حينما قالوا له « إذاً من يستطيع أن يخلص » على أثر سماعهم قوله « مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » .

الأيمان بها :

٣٨ ـ فقالت مريم هوذا أنا أمة الرب . ليكن لى كقولك .
فمضى من عندها الملاك .

٣٨ ـ اقتنعت مريم بقول الملاك وأعلنت تسليمها إلى إرادة الله وإيمانها بما وعد فدلت بذلك على منتهى التواضع . وقد اختلف المفسرون فى الوقت الذى تم فيه حبلها فمنهم من قال إنه تم عند قول الملاك لها « سلام لك أيتها الممتلئة نعمة » ، ومنهم من قال عند قوله « الرب معك مباركة أنت فى النساء » ، وقال بعضهم عند قوله « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك » ، وقال آخرون عند قول السيدة « هوذا أنا أمة الرب » لأنها عندما أذعنت قبلت النعمة . وقد انصرف من لدنها الملاك بعد ما أنجز مهمته .

= ولد صادوق الذى هو يناى ، وصادوق ولد مريم أم سيدنا من دينا أخت أليصابات أم يوحنا » . ويقول يعقوب السروجى إن النسب بينهما هو اشتراكهما فى الأنسانية . وقال آخرون اشتراكهما فى التقى والطهارة . وقال فريق آخر اشتراكهما فى البتولية والعقورية . وقال غيرهم إن أليصابات كانت خالة مريم .

الأحد الثالث من شهر كيهك

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « عدل المخلص » ، فأنجيل العشية يتكلم عن تطهيره لشعبه من الأرواح النجسة ، وانجيل باكر عن إبرائه لهم من الأمراض ، وإنجيل القداس عن تطلع عدله ورحمته :

مزمور العشية : (١٣١ : ١٠ ، ١١)

يشير هذا المزمور إلى اختيار المخلص للقديسة مريم ليحل فى أحشائها وهى المقصودة بلفظة « صهيون » ، وإلى تقديسها على مثال طرد الروح النجس من الرجل وشفاء حماة سمعان من الحمى كما جاء بفصل الأنجيل ، فيقول « لأن الرب اختار صهيون . ورضيها مسكنا له . ههنا أسكن لأنى أردته . لصيدها أبارك تبريكا » .

انجيل العشية : (مر ١ : ٢٣ ـ ٣١)

يتكلم هذا الفصل عن تطهير المخلص لشعبه من الأرواح النجسة والأمراض ، ودليل ذلك تطهير الرجل فى المجمع من الروح النجس « فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه » ، وكذلك شفاؤه لحماة سمعان من الحمى .

مزمور باكر : (٨٤ : ٦ ، ٧)

يتكلم هذا المزمور بلسان المرأة الكنعانية فيطلب رحمة المخلص لشفاء ابنتها ، ويشير إلى المرضى الذين قدموا له فشفاهم كما جاء بفصل الإنجيل فيقول « أرنا يا رب رحمتك وخلاصك أعطنا . سأسمع ما يتكلم به الرب فىّ . لأنه يتكلم بالسلام على شعبه . وعلى قديسيه » .

انجيل باكر : (مت ١٥ : ٢١ ـ ٣١)

يتكلم هذا الفصل على إبراء المخلص لمرضى شعبه ، ودليل ذلك قوله للمرأة الكنعانية « يا امرأة عظيم إيمانك . ليكن لك كما تريدين . فشفيت ابنتها من تلك الساعة » ، وكذلك شفاء المرضى الذين قدموهم إليه .

مزمور القداس : (٨٤ : ٩ ، ١٠)

يشير هذا المزمور إلى زيارة السيدة مريم لأليصابات وكلاهما حامل . وأولاهما تحمل « الرحمة والعدل » فى أحشائها ، والثانية تحمل « الحق والسلامة » ، أو بعبارة أخرى يشير المزمور إلى التقاء يسوع بيوحنا فيقول « الرحمة والحق التقيا . والعدل والسلامة تلاثما . الحق من الأرض أشرق . والعدل من السماء تطلع » ، فيسوع هو العدل والرحمة ، ويوحنا هو الحق والسلامة . .

انجيل القداس : (لو ١ : ٣٩ — ٥٦)

يتكلم هذا الفصل عن تطلع عدل المخلص ورحمته ، ودليل ذلك قول والدة الإله فى تسبيحها للرب إنه « عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة » لأنه تعهده بالمخلص الموعود به متجسداً منها .

الرسائل :

وتدور رسائل هذا اليوم حول موضوع واحد هو عدل المخلص ، فالبولس يتكلم على بر الأيمان به ، والكاثوليكون على نوره ، والأبركسيس على مسكنه :

البولس : (رو ٤ : ٤ — ٢٤)

يتكلم الرسول فى رسالته عن إبراهيم فيقول إنه آمن بالله فحسب له براً ، ثم يأخذ فى وصف حالته التى تشبه حالة السيدة مريم فيقول « فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء . . ولا بعدم إيمان ارتاب فى وعد الله بل تقوى بالأيمان معطياً مجداً لله وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً ولذلك حسب له براً » . ثم يبين الرسول غرضه مما كتب عن إبراهيم بقوله « ولكن لم يكتب من أجله وحده أنه حسب له بل من أجلنا نحن أيضا الذين سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات » .

الكاثوليكون : (١ يو ٢ : ٧ — ١٧)

يوجه الرسول إلينا هنا وصية جديدة فيقول « إن الظلمة قد مضت والنور الحقيقى الآن يضيء . من قال إنه فى النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن فى

الظلمة » . ثم يقول « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم » ، ويبين السبب قائلا « والعالم يمضى وشهوته وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد » .

الأبركسيس : (أع ٧ : ٣٥ — ٥٠)

يتكلم هذا الفصل أولا عن موسى الذى كان رمزاً للمسيح ، وعن العليقة التى كانت رمزا لمريم فيقول « هذا أرسله الله رئيسا وفاديا بيد الملاك الذى ظهر له فى العليقة » ، ثم يشير إلى خيمة الشهادة التى كانت فى البرية ، ويتكلم أخيراً عن البيت الذى بناه سليمان لله وكلها كانت رمزاً للسيدة مريم ، ويختم بقوله « لكن العلى لا يسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى » .

إنجيل العشية

(مر ١ : ٢٣ — ٣١)

طرد الروح النجس وشفاء حماة سمعان(١)

تمهيد

بعد ما دعا الرب يسوع بطرس وأندراوس أخاه ثم يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه إلى التلمذة ، قبيل جولانه التبشيرى الأول فى الجليل ، دخل كفرناحوم وأخذ يعلم فى المجمع فى السبت ، فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة . وفى المجمع صنع معجزة طرد الروح النجس من أحد الحاضرين ، وفصل الإنجيل الذى يتناول هذه الحادثة يتكلم عن تطهير المخلص للنفوس من الأرواح النجسة ، وعن ذيوع أمره ، ثم عن شفائه لتلك النفوس من أمراض الجسد بعد أمراض النفس :

تطهير النفوس :

٢٣ — وكان فى مجمعهم رجل به روح نجس . فصرخ ٢٤ — قائلا آه مالنا ولك يا يسوع الناصرى . أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله . ٢٥ — فانتهره يسوع قائلا

(١) **طرد الروح النجس** : ورد هذا الموضوع أيضا فى (مت ٨ : ١٤ — ١٥ ، لو ٤ : ٣٣ — ٣٩) .

اخرس واخرج منه . ٢٦ – فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه .

٢٣ – لا يخفى أن للشيطان قوة خارقة لاتدانيها قوة أخرى فى الكون ؛ فهو يستطيع أن يتراءى فى أى شكل من أشكال الإنسان والحيوان والجماد بل وملائكة النور . وفى مقدوره أن يدخل فى الإنسان والحيوان ويتصل بسائر أعضائه وأعصابه ، وفى إمكانه أن يثير العواصف ويهدم البيوت ويزلزل الجبال ويأتى غير ذلك من أعمال القوة ، وبالجملة فهو أصل كل شر وفساد فى الأرض ، وهو يفعل ذلك لإبعاد الناس عن الله ، وحرمانهم من مشاهدة جلاله فى الحياة العتيدة . غير أنه لايستطيع أن يعمل عملا أو يوقع الضرر بأحد إلا بسماح من الله لحكمة تعلو على أفهام البشر ، ومن هذا القبيل دخوله فى الرجل الذى كان فى المجمع . على أنه كما يقول البشير حين رأى يسوع ذعر وصرخ ٢٤– قائلا «آه مالنا ولك يا يسوع الناصرى . أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله » . وقد عرفه الروح النجس من معجزاته ، ومن قهره لرئيس الشياطين فى وقت التجربة ، ثم شهد له وشهادة العدو لها قيمتها الكبرى التى لايمكن إغفالها . وهذه المعرفة وإن دلت على أن له وجنوده معرفة بالأمور الدينية ، إلا أنها معرفة لاتقترن بالإيمان والرجاء والمحبة ، فلا تجديهم نفعاً لأنهم أرواح ساقطة شقية قلوبهم مشحونة بالكراهية الشديدة لله والناس . وبالمثل فالمعرفة بالديانة المسيحية مهما كانت عظيمة وسامية لا تفيد صاحبها شيئاً إن كانت مجردة عن الإيمان العامل والرجاء والمحبة ، بل إنها تضره ضرراً بليغاً . وكم من متفقهين فى هذه الديانة خلت قلوبهم من روح المسيحية والنعمة الإلهية ، فكانوا أشبه بالشياطين التى كانت «تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله » (لو ٤ : ٤١) .

وشهادة الشيطان وإن كانت بالحق لايجب أن تغرينا بالتعويل عليها ، لأنه لايشهد بالحق إلا لغاية شريرة فى نفسه ، فقد يكون مراده اجتذابنا بهذه الحيلة إلى الباطل ، ولعله بشهادته للمسيح كان يقصد إيهام الشعب بأن يسوع شريك للشياطين ، كما اتهمه الفريسيون فيما بعد . وكذلك كثيراً ما نرى الأشرار يتملقون الأخيار لمثل هذه الغاية ، ومن هذا القبيل ما فعله الفريسيون حينما أرادوا أن

يصطادوا المسيح بكلمة فقد أرسلوا إليه تلاميذهم قائلين « يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لاتنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن . أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا » (مت ٢٢ : ١٦ — ١٧) . وكان غرضهم من ذلك الملق أن يسر المسيح بهم ويجيبهم بلا حذر ، ولكنه عرف ما انطووا عليه من الخبث وقال « لماذا تجربونى يا مراؤون » ، ثم قال لهم « أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . فعلينا أن نكون على حذر من أمثال هؤلاء المتملقين الخادعين .

٢٥ – ولما عرف الشيطان يسوع وصرخ قائلا « أنا أعرفك من أنت قدوس الله » انتهره المخلص قائلا « اخرس واخرج منه » لكى يسكته ويدعه فى ريب من لاهوته على الدوام . ومعلوم أن الشيطان حينما استتر فى الحية وخدع أبوينا الأولين حتى سقطا وسقط معهما الجميع صار يفتخر بأنه غلب الجنس البشرى بحيلته وحكمته . فأراد المخلص أن ينقذهم منه وينتزعهم من عبوديته بالحكمة ليبطل فخره ، ولذا ستر لاهوته عنه بالتجسد . وقد أخذ الشيطان يكثر من تجربته ليعرف كنهه ، ورب المجد فى كل مرة كان يخفى لاهوته عنه حتى يظل فى حيرته ، وهذا ما حمله على انتهاره وإسكاته حينما اعترف بأنه قدوس الله . وكان أمر المخلص له بالخروج صادرا عن قدرته الإلهية كمتسلط ، لا كعبد يحتاج عند عمل المعجزة إلى صلاة وتضرع . ٢٦ – وللوقت أظهر الروح النجس خبثه وأراد أن يضر الرجل فصرعه ، وربما كان هذا الصرع من قبيل ما حصل للفتى الذى عجز تلاميذ يسوع عن إخراج الروح النجس منه ، إذ لما قدم للمخلص « صرعه الروح فوقع على الأرض يتمرغ ويزبد » ، ولما أمره بالخروج منه « صرعه شديداً وخرج فصار كميت » (مر ٩ : ٢٠ ، ٢٦) ، وربما كان من أعراض هذا الصرع ما ذكره والد هذا الفتى عن فتاه حين قال « ابنى به روح أخرس وحيثما أدركه يمزقه فيزبد ويصر بأسنانه ويبيس » (مر ٩ : ١٨) .

ولما صرعه الروح النجس صاح بصوت عظيم وخرج منه ، ولا بد أن صوت الشيطان كان فى هذه الحالة بلا لفظ لأن أمر المسيح منعه من التكلم . ويضيف لوقا أن الشيطان لما خرج لم يضر الرجل ، ويدل هذا على أن قوة السيد منعته من أن يمسه بسوء .

ذيوع أمرها :

٢٧ – فتحيروا كلهم حتى سأل بعضهم بعضا قائلين ما هذا . ما هو هذا التعليم الجديد . لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه . ٢٨ – فخرج خبره للوقت فى كل الكورة المحيطة بالجليل .

٢٧ – ولقد أخذت الحيرة من الحاضرين كل مأخذ بعد رؤية المعجزة ، لأن عمل شىء بمجرد كلمة أو أمر هو من خصائص القدرة الأهية فحسب ، ولا يقدر عليه مخلوق بشرى مهما كان رفيع المقام عظيم القدرة . وزاد فى عظم هذه المعجزة أن إتمامها لم يحدث بقوة طبيعية ، لأن الأعمال الطبيعية تستلزم طيلة الزمن كشفاء الأمراض مثلا ، ولا حدث بقوة الشيطان لأن المخلص ما كان يقصد بمعجزاته تخفيف ويلات الناس وآلامهم فحسب ، لجذبهم إلى الاعتقاد بألوهيته ، بل لتحطيم قوة الشيطان وملاشاة مملكته ، ومحال أن يضاد الشيطان نفسه بأن يخرج شيطاناً آخر من إنسان لأن ذلك يفضى إلى انقسام مملكته وخرابها . وفوق هذا فالمخلص صنع المعجزة ، كما سبق القول ، بسلطانه وأمره وقوته الذاتية الكائنة فيه ، شأن الإله القادر على كل شىء ، فى حين أن الأنبياء والرسل صنعوا معجزاتهم باسم وسلطان غيرهم ، مقدمين ابتهالات وتوسلات كثيرة للحصول على مبتغاهم ، فبطرس مثلا عندما شفى الأعرج قال له « باسم يسوع الناصرى قم وامش » فقام ومشى (أع ٣ : ٦) .

٢٨ – وقد ذاع صيت السيد المسيح فى سمو تعاليمه وفى عمل المعجزات ، وكان حديث الجماهير فى كل الكورة المحيطة بالجليل يدور حول هذين الأمرين .

شفاؤها :

٢٩ – ولما خرجوا من المجمع جاءوا للوقت إلى بيت سمعان وأندراوس مع يعقوب ويوحنا . ٣٠ – وكانت حماة سمعان مضطجعة محمومة . فللوقت أخبروه عنها . ٣١ – فتقدم وأقامها ماسكا بيدها فتركتها الحمى حالا وصارت تخدمهم .

(راجع لو ٤ : ٣٨ – ٣٩ فى عشية الأحد الثانى من توت)

إنجيل باكر

(مت ١٥ : ٢١ – ٣١)

الكنعانية التى طلبت شفاء ابنتها

(راجع قداس يوم الجمعة الرابع من الصوم المقدس)

إنجيل القداس

(لو ١ : ٣٩ – ٥٦)

زيارة مريم لأليصابات

تمهيد :

لما بشر جبرائيل الملاك والدة الإله بالحبل المقدس وأراد أن يحملها بقوة الحجة على تصديقه ، رغم علمها بأنها عذراء ، قال لها « وهوذا أليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله » (لو ١ : ٣٦ – ٣٧) . وما كاد يمضى من عندها حتى خفت لزيارة أليصابات لتشاهد الأمر بنفسها ، ولتقوم بواجب التهنئة لنسيبتها . وفصل الإنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يتكلم أولا عن ذهاب مريم لبيت أليصابات ، ثم عن ارتكاض الحق والسلامة ممثلين فى شخص يوحنا المعمدان ابتهاجا بمقدم سيد الكل إليه ، وعن الرحمة والعدل ممثلين فى شخص يسوع وهو يتعطف بالزيارة على خادمه العظيم :

زيارة مريم :

٣٩ – فقامت مريم فى تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا ٤٠ – ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات .

٣٩ – لقد كانت القديسة مريم بالناصرة حينما بشرها الملاك ، وقد رأت عقب انصرافه أن تزور أليصابات ، لا تشككا فيما سمعته منه عنها ، بل لتراه بعينيها وتهنئها عليه ، ولا شك أنها استأذنت يوسف خطيبها قبل الذهاب ، سيما

وكانت تنوى الإقامة هناك نحو ثلاثة أشهر(١). والراجح أن المدينة التى ذهبت إليها ليست عمواص أو عين كارم كما يرى بعضهم بل هى مدينة حبرون التى وقعت من نصيب يهوذا عند توزيع الأراضى على بنى إسرائيل كما يتضح ذلك من سفر يشوع (يش ٢١ : ١١ ، ١٣) ، وقد تشرفت تلك المدينة بسكنى إبرهيم أب الآباء مدة طويلة ، وفيها قبر سارة زوجته . ٤٠ – ولما دخلت القديسة مريم بيت زكريا سلمت على أليصابات .

الحبل والسلام :

٤١ – فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها . وامتلأت أليصابات من الروح القدس ٤٢ – وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك . ٤٣ – فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ . ٤٤ – فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنىّ ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى . ٤٥ – فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب .

٤١ – فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنها ، ولم يكن هذا الابتهاج من طبيعته أو من نفسه ، إذ لم يكن فى مقدوره أن يفكر ، بل من فعل الروح القدس الذى ملأه كسابق وعد الملاك لأبيه عند تبشيره به ، وقد امتلأ به على أثر سماعه صوت مريم . وما لبثت أمه أن استنارت به أيضا ،

٤٢ – وجهرت بعبارات التبريك التى أسرها الملاك لمريم من قبل . فكأن روح النبوة حل عليها وفهمت من الروح القدس معنى ارتكاض الجنين فى بطنها ، وأن التى أتت إليها إنما هى التى تلد المسيح . ثم نطقت بالألهام الألهى بهذا التبريك قائلة لمريم « مباركة أنت فى النساء » . ومعنى هذه العبارة أن اللعنة التى شملت البشرية من جراء معصية حواء قد ارتفعت عنها بالسيدة مريم ، وأن النساء بالمعصية صرن ملعونات وأما العذراء من دونهن فمباركة . ثم إن أليصابات باركت

(١) اقامة مريم عند أليصابات : أقامت مريم ثلاثة أشهر (لو ١ : ٥٦) وهذه المدة هى التى عادت بعدها إلى يوسف النجار فشعر بحبلها وأراد تخليتها سرا ولكن الملاك تراءى له وأزال مخاوفه من هذه الناحية .

أيضا ثمرة بطنها بقولها « ومباركة هى ثمرة بطنك » ، أى أنها باركت وسبحت ومجدت الرب يسوع الذى كان فى أحشائها ، فهو بناسوته ثمرة بطنها ، وأما بلاهوته فهو ربها لأنه مولود من الله ، وهو بهذا الناسوت أول مبارك من الرجال ، وفيه تتبارك جميع الرجال وتعتق من لعنة آدم ، كما أن أمه أول مباركة فى النساء .

٤٣ – ولما أحست أليصابات من الروح القدس بأن الذى حبلت به القديسة مريم هو سيد الكل ، وأن يوحنا عبده ورسوله قالت « فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ » ، فكأنها تساءلت كيف استحقت أن تأتى إليها أم الله(١) الكلمة

(١) لقب والدة الإله : يرفض بعض البروتستنت تسمية القديسة مريم « والدة الإله » رغم النصوص الآتية الصريحة :

١– « هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » . (مت ١ : ٢٣) .

٢– قول جبرائيل المبشر للسيدة مريم « فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله » . (لو ١ : ٣٥) .

٣– « من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ » . (لو ١ : ٤٣) .

٤– قول زكريا لابنه يوحنا « وأنت أيها الصبى نبى العلى تدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه » (لو ١ : ٧٦) .

٥– قول الملاك للرعاة « إنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١١) .

وهذه الآيات تدل على أن السيدة مريم تدعى بحق والدة الله لأنها ولدت المسيح الله الذى ظهر فى الجسد (١ تى ٣ : ١٦) .

وقديما أنكر نسطور الكافر بطريرك القسطنطينية هذا اللقب على القديسة مريم قائلا إنها أم المسيح فحسب لأن اللاهوت لا يمكن أن يولد من امرأة ، وقد رد على هذا الضلال القديس الأنبا كيرلس الكبير الرابع والعشرون من باباوات الأسكندرية بقوله « وبقولنا إن مريم والدة الإله لا يفهم منه أن طبيعة الكلمة أو اللاهوت أخذ بدايته من هذه القديسة بل أن منها تصور الجسد المقدس بنفس ناطقة وبه أى بالجسد اتحد الكلمة اتحادا أقنوميا . فمن ثم يقال إن الكلمة قد ولد حسب الجسد . وهكذا فى نظام الطبيعة فالأمهات لا يشتركن بنوع من الأنواع البتة فى خلقة النفس ومع ذلك لا يمنع القول بأنهن أمهات الإنسان كله ولسن أمهات الجسد فقط » .

وهى التى نالت مقاما هذا مقداره . ٤٤ — ثم صرحت بأن الجنين ارتكض بابتهاج فى بطنها على أثر سلام مريم ، ولم يكن هذا الابتهاج من طبيعته أو من نفسه كما تقدم القول بل من إنارة الروح القدس له . ٤٥ — وختمت أليصابات كلامها بقولها « فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب » ، فكأنها طوبت السيدة مريم لأنها آمنت ببشارة الملاك ، ناظرة إلى قوة من وعد ، لا إلى الموانع التى تحول دون إتمام الوعد . وبهذا كان إيمانها مما ينطبق عليه قول بولس الرسول إنه « الثقة بما يرجى والأيقان بأمور لاترى » (عب ١١ : ١) ، كالأيمان بقول الرب عن النعيم والجحيم مثلا . هذا وعبارة « ما قيل لها من قبل الرب » تدل على أن أليصابات لم تنطق بهذا الكلام إلا بوحى من الروح القدس .

الرحمة والعدل :

٤٦ — فقالت مريم تعظم نفسى الرب ٤٧ — وتبتهج روحى بالله مخلصى . ٤٨ — لأنه نظر إلى اتضاع أمته . فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوّبنى . ٤٩ — لأن القدير صنع فى عظائم واسمه قدوس . ٥٠ — ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه . ٥١ — صنع قوة بذراعه . شتت المستكبرين بفكر قلوبهم . ٥٢ — أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين . ٥٣ — أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين . ٥٤ — عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة . ٥٥ — كما كلم آباءنا لإبرهيم ونسله إلى الأبد . ٥٦ — فمكثت مريم عندها نحو ثلاثة أشهر ثم رجعت إلى بيتها .

٤٦ — رأت السيدة مريم ، وقد سمعت مديح أليصابات لها ، أن ترد هذا المديح لمستحقه وينبوعه ومصدره فقالت « تعظم نفسى الرب » ، فكأنها تسبحه وتقدسه وتقر له بالعظمة لأنه رفع مقامها إلى مرتبة أم الله ، وفى هذا أحسن رد على تحية أليصابات . وهكذا صلت حنة حين فتح الله رحمها وأعطاها صمويل

= وقد انعقد المجمع المسكونى الثالث ضد نستطور سنة ٤٣١ م وتحت رياسة القديس كيرلس المذكور بطريرك الأسكندرية مدينة أفسس وحرمه من الكنيسة ووضع مقدمة قانون الأيمان التى جاء فيها « نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله . . . » . (أنظر سنكسار ١٢ توت عن مجمع أفسس هذا) .

إذ قالت « فرح قلبى بالرب . ارتفع قرنى بالرب . اتسع فمى على أعدائى لأنى قد ابتهجت بخلاصك » (١ صم ٢ : ١) ، وهكذا يجب تقديم الحمد والتسبيح لله على كل نعمة . قال المرنم « أبارك الرب فى كل حين . دائماً تسبيحه فى فمى . بالرب تفتخر نفسى . يسمع الودعاء فيفرحون . . . ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب طوبى للرجل المتوكل عليه . الأشبال احتاجت وجاعت أما طالبو الرب فلا يعوزهم شىء من الخير » (مز ٣٤ : ١ الخ) . ٤٧ — ولم تقتصر مريم على إظهار شكرها لله بالشفتين بل عبرت عن ابتهاجها بالروح أيضا أى بقواها الباطنة التى تؤمن وترجو وتحب وتدرك مالا تدركه الحواس الظاهرة وذلك بقولها « وتبتهج روحى بالله مخلصى » ، ودعت الله مخلصها(١) إذ هو الذى يفدى المؤمنين به من الخطية والموت ، ويعطيهم نصيبا فى الحياة الأبدية . ٤٨ — ثم أوضحت سبب شكرها لله وهو أنه « نظر إلى اتضاع أمته » فرفعها من ذلها مما أنعم به عليها إذ جعلها والدة لابنه ، وأنه تفضل بالخلاص لكافة الناس ، وهكذا نسبت ما نالته من نعمة إلى فضيلة التواضع ، وقديما قالت حنة مثل ذلك قبل أن ترزق بصموئيل فوجهت خطابها لله قائلة « إن نظرت إلى مذلة أمتك . . . وأعطيت أمتك زرع بشر فأنى أعطيه للرب » (١ صم ١ : ١١) ، وقال داود النبى « لأن الرب عال ويرى المتواضع . أما المتكبر فيعرفه من بعيد » (مز ١٣٨ : ٦) . وجاء بسفر الأمثال قوله « كما أنه يستهزىء بالمستهزئين هكذا يعطى نعمة للمتواضعين » (أم ٣ : ٣٤) ، وقال السيد المسيح مخاطبا تلاميذه مع الجموع « من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » (مت ٢٣ : ١٢) . ويوصينا بطرس الرسول فى رسالته قائلا « وتسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة » (١ بط ٥ : ٥) .

ثم تنبأت القديسة مريم عن تقدير جميع الشعوب لها بسبب ما نالته من النعم فقالت « فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوّبنى » ، فكما طوبها جبرائيل الملاك وأليصابات بقولهما « مباركة أنت فى النساء » طوبتها المرأة التى سمعت تعاليم رب المجد المحيية بعد ما أخرج الشيطان من الرجل الأعمى الأخرس بقولها « طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذين رضعتهما » (لو ١١ : ٢٧) . وقد اتخذت

(١) بمعنى المخلص بعد نفسى : أنظر قداس الأحد الثانى من كيهك ص ٩٥ .

الكنيسة وسائل متعددة للإعراب عن تقديرها العظيم لمريم تنفيذا لنبوتها هذه(١) .

(١) تطويب مريم :

إن الكنيسة القبطية الملهمة من الروح القدس رغبة منها فى إجراء مقتضى الآية القائلة « هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى » قد اتبعت عدة وسائل احتفالية للتعبير عن تقديرها العظيم لوالدة الإله . وقد قام شعب الكنيسة من جانبه بنصيبه فى هذه الناحية أيضا وهكذا تضافر الفريقان على تمجيد هذه القديسة العظيمة ، وذلك على النحو الآتى :

١- الطقوس الكنسية الخاصة بمريم :

(أولا) مكانتها : إن الكنيسة فى صلواتها ترفع مكانة القديسة إلى المرتبة التالية مباشرة لمرتبة رب المجد نفسه فهى تفضلها على الملائكة ورؤسائهم ويوحنا المعمدان والرسل والقديسين والشهداء وغيرهم ،وبالجملة تجعل لها التقدم على الجميع ، كما يتضح ذلك من مراجعة صلاة البركة فى رفع البخور بالحولاجى المقدس لأنها أشرف مخلوق فى السماء وعلى الأرض . وفيها يقول الأنبا بولس البوشى أسقف مصر فى ميمره على الميلاد « أنت أرفع من السمائيين وأجل من الكاروبيم وأفضل من السارافيم وأعظم من طغمات الملائكة الروحانيين ، وممجدة أكثر من رؤساء الآباء والبنين ، وزائدة فى الكرامة على التلاميذ الأفاضل المرسلين. أنت فخر جنسنا . بك تفتخر البتولية وبك تكرم الطهارة والعفة .

أنت تابوت العهد الذى فيه العشرة الكلمات المصفح بذهب إبريز نقى . أنت هى الكرامة أعنى كرامة اللاهوت الحال عليك . أنت الإناء الذهب المملوء من المن المحيى النازل من السماء . أنت هى عصاة هرون التى أورقت من غير غرس ولا سقى ولا حرث الذى هو تجسد منك من غير زرع بشر . أنت هى القضيب الذى نبت من أصل يسى وأينع الزهر الذى يفوق كل عطر وطيب .

أنت هى صهيون الأم التى حل فيها الإنسان بالجسد وهو العلى الذى أسسها كما شهد داود (مز ٨٧ : ٥) . أنت هى السحابة الخفيفة التى هبط عليها الرب إلى مصر كما تنبأ إشعياء (أش ١٩ : ١) . أنت هى الباب المغلق بخاتم البتولية الذى منه ولد رب المجد وحفظ بتوليتها دائما كما عاين حزقيال النبى (حز ٤٤ : ٢). أنت هى صهيون التى حل فيها الرب الإله القوى كما أوحى إلى صفنيا (صف ٣ : ١٦) . أنت هى السماء الجديدة التى منها أشرق شمس البر لأتقيائه كما أعلن ذلك ملاخيا (ملا ٤ : ٢) . وقد يقصر بى الزمان أن أتكلم بكرامتك التى تفوق كل كرامة . =

٤٩– ثم أخذت تبين سبب تطويب الشعوب قاطبة لها فقالت « لأن القدير صنع بى

= أنت تفضلت على الخلائق التى ترى والتى لاترى لأجل عظمة كرامة الرب الإله المسجود له الذى اصطفاك وولد منك ، لأن الذى تتعبد له كل البرايا سر أن تدعى له أما . من أجل هذا كرامتك جليلة وشفاعتك زائدة فى القوة والإجابة كثيراً » .

(ثانيا) تطويبها اليومى : وتخليدا لذكرها العطر كل يوم فى نفوس المؤمنين حرصت الكنيسة على تطويبها فى الصلوات الجمهورية المذكورة فى الحولاجى المقدس والأجبية وغيرهما من كتب الكنيسة كما يتضح مما يلى :

(ا) فى التسبحة : فالتسبحة التى تفتتح بها صلوات رفع البخور ، مع ما يتبعها من الألحان وأرباع الدف والذكصولوجيات وأولها سلام العذراء كلها تتضمن معنى تمجيد العذراء .

(ب) فى رفع البخور : وفى رفع بخور العشية وباكر رتبت الكنيسة تلاوة مقدمة قانون الإيمان وهى نعظمك يا أم النور الحقيقى إلى آخرها .

(ج) فى الأجبية : وفى كتاب الأجبية الذى يتضمن الصلوات السبع الليلية والنهارية المرتبة للشعب نرى الكنيسة تطوبها وتستشفع بها . ففضلا عن مقدمة قانون الإيمان نجد فى معظم ساعات النهار والليل ذكرها متكررا على النحو الآتى :

(١) فى الساعة الثالثة : القطعة التى تقول « يا والدة الإله أنت هى الكرمة الحقيقية الحاملة عنقود الحياة . نسألك أيتها الممتلئة نعمة مع الرسل من أجل خلاص نفوسنا . . . . » .

(٢) فى الساعة السادسة : « إذ ليس لنا دالة ولا حجة ولا معذرة من أجل كثرة خطايانا فنحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك يا والدة الإله العذراء . لأن كثيرة هى شفاعتك ومقبولة عند مخلصنا . أيتها الأم الطاهرة لاترفضى الخطاة من شفاعتك عند الذى ولدته . . . » ، وأيضا القطعة القائلة « أنت هى الممتلئة نعمة يا والدة الإله العذراء نسبحك لأن من قبل صليب ابنك انهبط الجحيم وبطل الموت . . . . » .

(٣) فى الساعة التاسعة : « عندما نظرت الوالدة الحمل والراعى مخلص العالم على الصليب معلقا قالت وهى باكية أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص وأما أحشائى فتلتهب عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابنى وإلهى »=

عظائم » والإشارة فى ذلك هى إلى أنه اختارها للحبل بمسيحه ، وجعل ذلك الحبل

= (٤) صلاة الستار : « يا والدة الإله إذ قد حوينا الثقة بك فلا نخزى بل نخلص . وإذ قد اقتنينا معونتك ووساطتك أيتها الطاهرة الكاملة فلا نخاف . بل نطرد أعداءنا فنبددهم ونتخذ لنا ستر معونتك القوية فى كل شىء نظير الترس ونسأل ونتضرع إليك هاتفين يا والدة الإله لكى تخلصنا بوسائلك وتنهضنا من النوم المظلم إلى التمجيد بقوة الإله المتجسد منك » .

(٥) صلاة نصف الليل : الخدمة الأولى : « أنت هى سور خلاصنا يا والدة الإله العذراء الحصن المنيع غير المثلم مشورة المعاندين ابطلى ، وحزن عبيدك إلى فرح ردى ، ومدينتنا صونى ، وعن الملوك الأرثوذكسيين حاربى ، وعن سلامة العالم تشفعى ، لأنك أنت هى رجاؤنا يا والدة الإله » .

الخدمة الثالثة : « يا باب الحياة العقلى يا والدة الإله المكرمة خلصى الذين التجأوا إليك بأيمان من الشدائد لكى نمجد ميلادك الطاهر فى كل شىء من أجل خلاص نفوسنا » .

(د) فى خدمة القداس : وفى خدمة القداس يجرى تطويبها على الترتيب الآتى :

١ـ بركس « السلام لمريم الملكة » بلحنه الجميل المعروف .

٢ـ لحن « المجمرة الذهب النقى » ويقال بعد تحليل الخدام وقبل قراءة البولس وكذلك فى الأكاليل والصوم الكبير وفى الساعة التاسعة من يوم الجمعة الكبيرة .

٣ـ « الهيتينات » وأولها للسيدة مريم .

٤ـ المرد الأبركسيس وهو « السلام لك يا مريم الحمامة الحسنة التى ولدت لنا الله الكلمة » أو المرد الذى يتلى فى الأيام السنوية وهو « حينئذ بالحقيقة لا أغلط فى شىء إذا ما دعوتك المجمرة الذهب » .

٥ ـ الأسبسمس الأدام السنوى الذى يقال بطريقته الشجية وهو « افرحى يا مريم العبدة والأم لأن الذى فى حجرك الملائكة تسبحه » الخ ... وهو يقال فى أعيادها أيضا .

٦ـ الأسبسمس الواطس ويقال فى شهر كيهك وأوله « غبريال بشر العذراء قائلا افرحى يا ممتلئة نعمة الرب معك الخ ... » .

(ثالثا) تطويبها الشهرى :

رتبت الكنيسة أن تحتفل بتذكار السيدة مريم فى الحادى والعشرين من كل شهر قبطى . =

بغير رجل ، وجعل خلاص الشعوب بوساطتها . وبعد أن مجدته أولا بكونه

= (رابعا) تطويبها السنوى :

(ا) أعيادها : وقد رتبت الكنيسة خمسة أعياد للسيدة مريم تعيد فيها لذكرها وهى : ١ـ ميلادها (أول بشنس) ٢ـ دخولها الهيكل (٣ كيهك) ٣ـ نياحتها (٢١ طوبه) ٤ـ صعود جسدها ولا يعتقد به البروتستنت (١٦ مسرى) ٥ـ تكريس أول كنيسة لها بمدينة فيليبى (٢١ بؤونة) وهو العيد المعروف باسم حالة الحديد . وهى تحتفل بهذه الأعياد للأسباب الآتية :

١ـ إكراما لها للنعم التى نالتها إذ قد صارت والدة مخلصنا .

٢ـ تمثلا بالرب نفسه الذى أكرمها بخضوعه لها (لو ٢ : ٥١) ، وبأجابه ملتمسها فى عرس قانا الجليل (يو ٢ : ٥) ، وباعتنائه بها وهو على الصليب (يو ١٩ : ١٦ ، ٢٧) .

٣ـ تنفيذا لنبوتها بأن جميع الأجيال تطوبها لأن القدير صنع بها عظائم .

٤ـ اقتداء بأولاد الله الذين أكرموها مثل أليصابات .

(ب) سنكسارها : وفى الأعياد السابقة تتلو الكنيسة على بنيها تاريخ حياة القديسة من بدء ولادتها حتى صعود جسدها استدامة لذكرها .

(ج) الشهر المريمى :

وقد خصصت الكنيسة شهر « كيهك » من كل عام وهو الذى ينتهى بعيد الميلاد المجيد لتمجيد السيدة مريم على ما نالته من النعم فجعلت مزامير الأناجيل الثلاثة التى تتلى فى كل من آحاده الأربعة تشير إليها وجعلت ما يتلى فى ليالى السبعة وأربعة منصبا معظمه على تمجيدها والاستشفاع بها ، وكل ذلك على النحو الآتى :

١ـ مزامير الأناجيل : تتكلم مزامير الأناجيل فى العشية وباكر والقداس فى أيام الآحاد الأربعة من هذا الشهر عن موضوع واحد هو « والدة المخلص » ، ففى الأحد الأول يتكلم مزمور العشية عن طلب ذكرها ، ومزمور باكر عن تمهدها ، ومزمور القداس عن طلبها رأفة الله . وفى الأحد الثانى يتكلم مزمور العشية عن طلبها النجاة ، ومزمور باكر عن ظمأها إليه ، ومزمور القداس عن عن طهارتها . وفى الأحد الثالث يتكلم مزمور العشية عن اختيارها ، ومزمور باكر عن طلبها رحمة الله ، ومزمور القداس عن إشراق رحمتها . وفى الأحد الرابع يتكلم مزمور العشية عن حبلها بالمخلص ، ومزمور باكر عن الابتهاج به ، ومزمور القداس عن طلب ظهوره . =

قديرا ، مجدته ثانية بكونه قدوسا إذ قالت « واسمه قدوس » أى ذا طهارة

= ٢ ـ السبعة وأربعة : وفى عشيات أيام الآحاد الأربعة من شهر كيهك تحتفل الكنيسة بعد رفع البخور بصلوات السبعة وأربعة التى تدوم طول الليل وهى تمجيد السيدة مريم . والسبعة هى سبع تذاكيات أى قطع موزونة للترنيم لكل يوم من أيام الأسبوع واحدة ، والأربعة هى أربعة « هوسات » أى تسابيح ، وهذه مع ما يتبعها من مدائح وأبصاليات وطروحات كلها لتطويب القديسة مريم. هذا وفى القطارس القديم المطبوع كانت توجد فصول خاصة لسبوت شهر كيهك تختص بمريم .

(د) صومها :

ومدة هذا الصوم خمسة عشر يوما أولها أول مسرى وفى اليوم السادس عشر من هذا الشهر تحتفل الكنيسة بعيد صعود جسدها . وهذا الصوم له شأن كبير عند المسيحيين وغيرهم يصومونه لله بزهد وتقشف ، وقد نسب إلى السيدة مريم أو دعى باسمها لا لأنها وضعته بل لأنه ينتهى بعيدها إكراما لها وتخليدا لذكرها . وهو قديم فى الكنيسة ويقال إن الرسل رتبوه بعد نياحتها إكراما لذكرها وهذا هو الرأى المعول عليه ، ولو أن بعضهم قال إن العذراء هى التى باشرته وعنها أخذه المسيحيون القدماء والكنيسة عممته اقتداء بها .

(خامسا) شفاعتها :

وقد رتبت الكنيسة فى صلواتها الاستشفاع بهذه القديسة العظيمة لمكانتها الرفيعة ؛ ففى القداس يهتف الشعب بعد الأسبسمس الأدام قائلا « بشفاعات والدة الأله القديسة مريم يا رب أنعم لنا بمغفرة خطايانا » ، وفى الأجبية يتكرر الاستشفاع بها كما مر بنا . ويلجأ أفراد الشعب فى كثير من ضيقاتهم إلى هذه القديسة متوسلين إليها أن تبذل وساطتها لدى الله لتفريج كربتهم ، وما أكثر هذه التوسلات التى تجاب فتزيدنا إيماناً بعجائب الله فى قديسيه .

(سادسا) صورتها :

ومن دلائل تكريم الكنيسة وشعبها لهذه القديسة ما يقدمونه من الإكرام لصورتها فهى تزين البيع والبيوت ويقدم لها ما يليق من التقبيل والسجود لا للعبادة الدينية بل للاحترام فقط . كما أنه يقدم لها البخور وتوقد أمامها الشموع والمصابيح إكراما لعنصرها الأصلى .

كل ما تقدم هو أهم ما جاء بطقوس الكنيسة خاصا بتطويب القديسة مريم .

وتنزه عن الخطية والظلم ، وفق قول الكتاب « ليس قدوس مثل الرب » (١ صم ٢ : ٢) . ٥٠ ـ ثم مجدته ثالثة برحمته التى تجلت بالمسيح لأن غاية الفداء خلاص الهالكين . وهذه الرحمة هى « إلى جيل الأجيال » أى لكافة الناس ولكن لا للمتكبرين والعصاة منهم بل لخائفيه من كل شعب ، وهذا وفق قول الله فى الوصية الثانية « وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبىّ وحافظى وصاياى » (خر ٢٠ : ٥ ـ ٩) ، وقول المرنم فى المزمور « أما رحمة الرب فألى الدهر وإلى الأبد على خائفيه . وعدله على بنى البنين لحافظى عهده وذاكرى وصاياه ليعملوها » (مز ١٠٣ : ١٧) .

٥١ ـ ثم مضت القديسة مريم فى تمجيد الله بتعداد أعمال قوته فقالت إنه

٢ ـ تكريم الشعب لمريم

أما ما يقوم به الشعب من جانبه فى هذا الصدد وتشاركه فيه الكنيسة فهو :

(أولا) تسمية الكنائس باسمها : فهناك عدد عظيم جدا من الكنائس فى مصر بل وفى غيرها من الأقطار يحمل اسم القديسة مريم تعظيما لشأنها .

(ثانيا) مولدها : ومن تقاليد الكنيسة أن تقام « مولد » لوالدة الإله تستمر بضعة أيام فى بعض الكنائس التى تحمل اسمها ويحضرها عدد غفير من الأقباط وغيرهم فى وقت معين من السنة حيث تقدم النذور وتوزع الصدقات وتتلى المدائح والتراتيم تكريما لهذه القديسة العظيمة ، ومن أمثلة ذلك مولد العذراء بدقادوس فى ١٦ مسرى ، ومولدها بكنيستها المنقورة فى الجبل الغربى فى دير درنكة التابعة لكرسى أسيوط .

(ثالثا) أعمال الرحمة باسمها : وفضلا عما تقدم يقوم أفراد الشعب فى مختلف المناسبات وبخاصة فى عيد انتقالها بكثير من أعمال الرحمة باسمها اعترافا بما لها من الأيادى البيضاء عليهم ، هذا إلى ما يقدمونه من النذور والتقدمات الأخرى مقابل فضلها عليهم .

(رابعا) تمجيدها ومديحها : وأخيرا نرى الشعب فى كل مناسبة يعمل لها « التماجيد » وينشد المدائح والتراتيم وتقرأ الميامر تعظيما لقدرها .

ويلاحظ أخيرا أن الكنيسة القبطية فى كل ما اتخذته من وسائل التطويب لم تتطرف فى ذلك إلى حد رفعها إلى مكانة العبادة كما فعلت الكنيسة الكاثوليكية ، ولا أنكرتها كل الإنكار كما فعلت الكنائس البروتستنتية بل اتخذت لنفسها طريقا وسطا هو الحكمة بعينها .

« صنع قوة بذراعه » والذراع كناية عن القدرة عند العمل ، أو هى إشارة إلى الابن الذى هو ذراع الآب ، وبه يصنع القوة والخلاص . وترنم مريم بقوة الله ضرب من الوفاء نحوه ، كما حث على ذلك داود فى مزاميره حيث يقول أولا « رنموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب خلصته يمينه وذراع قوته » (مز ٩٨ : ١) ، ويقول ثانيا « صوت ترنيم وخلاص فى خيام الصديقين . يمين الرب صانعة ببأس » (مز ١١٨ : ١٥) ، وكذلك يقول إشعياء « هوذا السيد الرب بقوة يأتى وذراعه تحكم له » (إش ٤٠ : ١٠) .

ثم ضربت أمثلة على أعمال قدرته فقالت إنه « شتت المستكبرين بفكر قلوبهم » أى بدد المستكبرين وأذلهم ، لأن الكبرياء من أعظم العوامل التى تثير غضبه ومصدرها فكر القلب ، إذ يظن بعض الناس أنهم عظماء مقتدرون فيتجاسرون عليه جل بشأنه كما فعل فرعون وسنحاريب وغيرهم من الملوك العتاة فيبيد ملكهم . ٥٢ — وقولها « أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين » هو تكرار للمعنى السابق ويراد بالكراسى مناصب العظماء التى يظهرون فيها جبروتهم وتروتهم ، فالله يجرى التقلبات ويزل عروشهم ويجلس الأدنياء عليها كما رفض شاول لكبريائه واستبدل به داود لاتضاعه ، وبالمثل رفع شأن إبرهيم وإسحق ويعقوب لتواضعهم وأذل فرعون وسنحاريب وهيرودس لكبريائهم ، وبهذا صدق ما جاء بسفر صموئيل القائل « الرب يفقر ويغنى . يضع ويرفع . يقيم المسكين من التراب . يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء ويملكهم كرسى المجد » (١ صم ٢ : ٧) ، وكذلك قول المزمور « المقيم المسكين من التراب . الرافع البائس من المزبلة ليجلسه مع أشراف شعبه » (مز ١١٣ : ٦ — ٧) . ومن أمثلة انحطاط المتعظمين المتجبرين عن كراسى مجدهم زوال سلطان الشياطين المتعظمين عن عقول الناس وارتفاع هذه العقول عليهم ، وسقوط كهنة اليهود المتكبرين عن كراسيهم وارتفاع التلاميذ الصيادين المتواضعين إليها . والرب باتضاعه وتأنسه علمنا أن الخلاص يكون عن طريق التواضع . ٥٣ — وقولها « أشبع الجياع خيرات » إنما يراد به الخيرات الجسدية والروحية . وأما الأغنياء الذين « صرفهم فارغين » فهم الذين اكتفوا بالخيرات الزمنية دون أن يشعروا باحتياجهم إلى البركات الروحية ، كما فى مثل الفريسى والعشار (لو

١٨ : ٩ — ١٤) ، حيث قال المخلص عنهما إن ثانيهما نزل مبررا دون الأول ، ومن قبيل ذلك أيضا حال كهنة اليهود إذ بتعظمهم ظنوا أنفسهم أغنياء فى المعرفة ففاتهم معرفة المسيح ، فى حين شبع منها تلاميذه الجهلاء ، وكذلك حال اليهود الأغنياء بالمعرفة فقد جهلوا معرفة المسيح بينما شبع منها الأمم عباد الأصنام الذين آمنوا ، وكذلك عامة اليهود المتواضعين فقد خلصوا وفات كهنتهم ذلك الخلاص ، وفى كل هذا يقول الكتاب « الشباعى آجروا بالخبز والجياع كفوا . حتى أن العاقر ولدت سبعة وكثيرة البنين ذبلت » (١ صم ٢ : ٥) .

٥٤ — ثم قالت مريم أخيرا إن الله « عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة » أى أنه أعانه بشتى الوسائل ، وفى كل زمان ومكان ، ودبر حياته فى البرية أربعين سنة وتعهده الآن بالخلص الموعود به متجسدا منها ، كل ذلك إنجازا للوعد الذى اقتضته رحمة الله بأبرهيم واسحق ويعقوب بأن يكون المسيح من نسلهم . ٥٥ — والرحمة التى أظهرها الله فى أيام العذراء هى بعينها التى وعد بها آدم والآباء المذكورين ، وجوهرها المسيح ، وهى تدوم إلى الأبد ، وذلك أنه لما تجسد المسيح من زرع هؤلاء الآباء تم الوعد لهم ، والسيدة مريم وتلاميذ المسيح وهم من نسل الآباء قد خلصوا الأمم بتعليمهم حتى صاروا بالإيمان بنين لهم ، وهكذا تم قول الله لإبرهيم إنه يصير أبا لأمم كثيرة .

٥٦ — وقد أقامت السيدة مريم فى بيت أليصابات ثلاثة أشهر إكراما لها لأنها عجوز ، وزوجة كاهن ، ونسيبة . ثم عادت إلى بيتها قبل أن تلد أليصابات حتى لا يخدم السيد عبده فى مولده .

الأحد الرابع من شهر كيهك

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « التنبؤ بظهور المخلص » ، فأنجيل العشية يتكلم عن إعالته ، وإنجيل باكر عن جزائه لمن يعملون مشيئته ، وإنجيل القداس عن التنبؤ بظهوره :

مزمور العشية : (٨٦ : ٥)

يتكلم هذا المزمور بلسان القديسة مريم وهى المقصودة بلفظة « صهيون » فيشير إلى حبلها بالمخلص فى أحشائها ، وإلى أنه إلهها الذى خلقها فيقول « الأم صهيون تقول . إن إنسانا وإنسان صار فيها . وهو العلى . الذى أسسها إلى الأبد » .

إنجيل العشية : (لو ٨ : ١ — ٣)

يتكلم هذا الفصل عن إعالة المخلص ، ودليل ذلك قول البشير « وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن » ، وفى ذلك إشارة إلى حبل العذراء بالمخلص .

مزمور باكر : (٩٥ : ١٠ ، ١١ ، ١٢)

يشير هذا المزمور إلى ابتهاج الخليقة بقرب مجىء المخلص أى ولادته من مريم ، وإلى ما جاء بفصل الإنجيل عن جزاء من يصنع مشيئته فيقول « فلتفرح السموات ولتبتهج الأرض . وليتحرك البحر وجميع ملئه . يبتهج كل شجر الغاب من قدام وجه الرب لأنه يأتى . إنه يأتى ليدين المسكونة بالعدل والشعوب بحقه » .

انجيل باكر : (مر ٣ : ٢٨ — ٣٥)

يتكلم هذا الفصل عن جزاء المخلص لمن يعملون مشيئته ، ودليل ذلك قوله « لأن من يصنع مشيئة الله هو أخى وأختى وأمى » ، وفى ذلك إشارة ضمنية إلى قداسة والدته العذراء الطاهرة مريم .

مزمور القداس : (٧٩ : ٢ ، ٣)

بمناسبة اقتراب يوم ميلاد المخلص يهيب هذا المزمور به أن يظهر لتراه البشرية ، ويشير إلى نبوة زكريا عن خلاصه ، وإضاءته على الجالسين فى الظلمة كما جاء بفصل الأنجيل فيقول « يا جالس على الشاروبيم إظهر . قدام إفرايم وبنيامين ومنسى . خلاصك يا الله اردد نا . ولينر وجهك علينا فنخلص » .

انجيل القداس : (لو ١ : ٥٧ — ٨٠)

يتكلم هذا الفصل عن التنبؤ بظهور المخلص ، ودليل ذلك قول زكريا فى نبوته عن يسوع « مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه » .

ويجب أن يلاحظ أن الكنيسة لاتقصد من تلاوة هذا الفصل من الأنجيل اليوم الاحتفال بميلاد يوحنا المعمدان ، إذ هى خصصت لذلك يوما معينا هو اليوم الثلاثون من شهر بؤونه من كل عام وفيه يتلى هذا الفصل بعينه ، ولذا اقتضى التنويه .

الرسائل :

وتدور رسائل هذا اليوم حول موضوع واحد هو التنبؤ بظهور المخلص ، فالبولس يتكلم على الوعد بمولده ، والكاثوليكون على دالة المؤمنين به ، والأبركسيس على ظهور موسى رمزه :

البولس : (رو ٩ : ٦ — ٣٣)

يبين الرسول فى رسالته أن جميع الذين من نسل إبرهيم ليسوا جميعا أولادا بل أولاد الموعد يحسبون نسلا ، ثم يقول إن هذه مسرة الله إذ هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء ويوضح ذلك فيقول « إن الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك . ولكى يبين غنى مجده على آنية رحمته دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا » . ويختم الرسول بقوله « إن الأمم الذين لم يسعوا فى أثر البر أدركوا البر الذى بالأيمان ولكن إسرائيل وهو يسعى فى أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر لأنه اصطدم بحجر الصدمة » .

الكاثوليكون : (١ يو ٢ : ٢٤ — ٣ : ١ — ٣)

يطلب الرسول أن يثبت فينا ما سمعناه وبذلك نثبت فى الابن وفى الآب ، ثم يقول إن من يصنع البر فهو مولود منه ، وبما أننا أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون فسنكون مثله متى أظهر . وعلى ذلك فمن عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر .

الأبركسيس : (أع ٧ : ٨ — ٢٢)

فى هذا الفصل يتكلم استفانوس عن ولادة إسحق وختانه ثم يتتبع قصة بنى إسرائيل حتى اضطهادهم فى مصر وينتهى الفصل بالإشارة إلى ولادة موسى

منقذهم من المصريين ويصفه بأنه كان مقتدراً فى الأقوال والأعمال ، وكان موسى هذا بلا شك رمزا للمسيح .

إنجيل العشية

(لو ٨ : ١ — ٣)

كرازة المخلص وخدمة النسوة له

تمهيد :

كان السيد المسيح قد تلقى دعوة من سمعان الفريسى لتناول الطعام عنده فلباها ودخل بيته واتكأ . وإذا بامرأة خاطئة جاءت بقارورة طيب ودهنته ، وبعد مناقشة مع سمعان الفريسى قال للمرأة إيمانك قد خلصك اذهبى بسلام (لو ٧ : ٥٠) . وبعد هذه المأدبة خرج يسوع مع تلاميذه متجولا للمرة الثانية فى الجليل ومبشرا بملكوت الله . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يبين فى جلاء أن خادم الكلمة يجب أن يشترك فى سد احتياجاته الجسدية كل من يتلقون عنه التعليم والإرشاد :

كرازة يسوع :

١ — وعلى أثر ذلك كان يسير فى مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر .

١ — على أثر مأدبة سمعان الفريسى للسيد أخذ مخلصنا يجول مع تلاميذه فى المدن والقرى مناديا بالأنجيل وصانعا المعجزات .

خدمة النسوة له :

٢ — وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض. مريم التى تدعى المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين .

٣ — ويونا امرأة خوزى وكيل هيرودس وسوسنه وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن .

٢ — وكان يقوم على خدمته من توفير الطعام والكساء وغير ذلك من حاجات الجسد بعض النسوة المؤمنات به المحبات له اللواتى كان قد شفاهن من أرواح

شريرة أو أمراض . وذكر البشير منهن مريم المجدلية التى أخرج منها سبعة شياطين ، وسماها مجدلية نسبة إلى قرية مجدل على الشاطىء الغربى لبحيرة طبرية . أما شياطينها السبعة فيرى بعضهم أنها شياطين حقيقة ، فى حين يرى البعض الآخر أنها سبع خطايا خلصها منها يسوع وهى الزنا والكبرياء والبخل والشراهة والغضب والحسد والكسل .

٣ — أما يونا فهى زوجة خوزى وكيل هيرودس انتيباس والى الجليل ، ويظن بعضهم أنه خادم الملك الذى شفى المخلص ابنه فآمن هو وأهل بيته (يو ٤ : ٤٦ — ٥٤) ، وكان من سكان كفرناحوم . وأما سوسنه فلم تذكر فى الكتاب سوى هذه المرة . وهناك غير هؤلاء الثلاث كثيرات مثل سالومة أم يعقوب ويوحنا ابنى زبدى ، ومريم أخت السيدة مريم والدة المخلص ، وهى مريم زوجة كلوبا (يو ١٩ : ٢٥) ، وكلوبا هو أحد التلميذين اللذين كانا ذاهبين إلى عمواس (لو ٢٤ : ١٨) ، ومريم العذراء وغيرهن كثيرات لم يذكرهن الكتاب .

وهؤلاء النسوة آمن بالمخلص وثبتن على محبته وخدمنه ولازمنه حتى النهاية . فالمجدلية كانت إحدى المريمات الواقفات عند صليبه (يو ١٩ : ٢٥) ، وهى أول من ظهر لها عقب قيامته . ويونا ورد ذكرها فى خبر قيامته إذ كانت من حاملات الأطياب (لو ٢٤ : ١٠) . وسالومة أم ابنى زبدى هى التى تقدمت إليه مع ابنيها وطلبت منه أن يجلس ولداها واحد عن يمينه والآخر عن يساره فى ملكوته . وكانت من الواقفات عند صليبه أيضا ، ومن اللواتى حملن الحنوط . ومريم زوجة كلوبا كانت من الواقفات عند الصليب كما يقول البشير « وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه ، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية » (يو ١٩ : ٢٥) .

ولم يذكر فى الأنجيل أن أحدا من الرجال قدم للمخلص شيئا من حاجات الجسد ، وإنما نسب ذلك للنساء ، وكانت العادة فى عصر المسيح أن جماعة من النساء اليهوديات يقمن بنفقة بعض من يعتبرنه من الربانيين ، ولذلك فعلن هذا مع المسيح وتلاميذه . ومع أنه لا جدال فى أن الرب يسوع لم يكن محتاجا إلى مساعدتهن ولا إلى مساعدة كائن آخر لأن له السلطان على حيوان البر والبحر ، ويستطيع أن يأمر الأرض فتنتج ما يريد ، وهو الذى أشبع الألوف من الخبزات

القليلة غير مرة ، إلا أنه لم يشأ أن يعيش على هذا الأسلوب العجيب ليبرهن لنا أنه شابهنا فى كل شىء ما خلا الخطية ، ولكى يمتحن محبة المؤمنين به ومدى تقديرهم له ، لأن المحبة الحقيقية تسر ببذل أعز ما تملك للحبيب ، فى حين أن المحبة الكاذبة تدعى وتفتخر ولكنها لا تبذل ، ولهذا نراه بحكمته السامية يجعل انتشار الأنجيل على يد خدام يعيشون من نفقات المؤمنين كى يعرف البخيل من الكريم ، وفى هذا يقول الرسول « هكذا أيضا أمر الرب أن الذين ينادون بالأنجيل من الأنجيل يعيشون » (١ كو ٩ : ١٤) ، وهو يشير بذلك إلى قول الرب لتلاميذه « لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقكم ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا لأن الفاعل مستحق أجرته » (مت ١٠ : ٩ — ١٠) ، وقوله أيضا لهم « وأقيموا فى ذلك البيت آكلين وشاربين مما عندهم لأن الفاعل مستحق أجرته » (لو ١٠ : ٧) . ويؤيد الرسول هذا المبدأ فى رسالته إلى أهل روميه فيقول « . . . لأنه إذا كان الأمم قد اشتركوا فى روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم فى الجسديات » (رو ١٥ : ٢٧) ، وكذلك فى رسالته إلى أهل غلاطيه حيث يقول « ولكن ليشارك الذى يتعلم الكلمة المعلم فى جميع الخيرات » (غل ٦ : ٦) ، بل إن الرسول يرى أن يكون إكرام خدام الأنجيل بسخاء فيقول فى رسالته إلى تيموثاوس « أما الشيوخ المدبرون حسنا فليحسبوا أهلا لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم لأن الكتاب يقول « لا تكم ثورا دارسا والفاعل مستحق أجرته » (١ تى ٥ : ١٧ — ١٨) . وبناء على هذا فمن واجب من أخذوا النعمة من الرب يسوع أن يكرموه بشىء من أموالهم ، وفى ذلك يقول الحكيم « أكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلتك فتمتلىء خزائنك شبعا وتفيض معاصرك مسطارا » (أم ٣ : ٩ — ١٠) .

إنجيل باكر

(مر ٣ : ٢٨ — ٣٥)

دينونة المجدف وجزاء من يصنع مشيئة الله

(راجع قداس الأحد الثالث من شهر مسرى)

إنجيل القداس

(لو ١ : ٥٧ — ٨٠)

ولادة يوحنا المعمدان

تمهيد :

ليس غرض الكنيسة من تلاوة فصل إنجيل اليوم الاحتفال بتذكار ميلاد يوحنا المعمدان، فقد خصصت لذلك يوما خاصا هو اليوم الثلاثون من شهر بؤونة ، إنما هى تقصد الإشارة إلى تلك النبوة بقرب ظهور المخلص التى جرى بها الوحى على لسان زكريا تحقيقاً للوعد الصادر قديما للآباء . وفصل الإنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يتكلم أولا عن ميلاد سابق المخلص ، ثم عن التنبؤ بقرب ظهور هذا المخلص فى الجسد ، وعن مهمة سابقه ، وأخيرا عن نشأة هذا السابق .

ميلاد سابق :

٥٧ — وأما أليصابات فتم زمانها لتلد فولدت ابنا . ٥٨ — وسمع جيرانها وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها . ٥٩ — وفى اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبى وسموه باسم أبيه زكريا . ٦٠ — فأجابت أمه وقالت لا بل يسمى يوحنا . ٦١ — فقالوا لها ليس أحد فى عشيرتك تسمى بهذا الاسم . ٦٢ — ثم ومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يسمى . ٦٣ — فطلب لوحا وكتب قائلا اسمه يوحنا . فتعجب الجميع . ٦٤ — وفى الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله . ٦٥ — فوقع خوف على كل جيرانهم . وتحدث بهذه الأمور جميعها فى كل جبال اليهودية . ٦٦ — فأودعها جميع السامعين فى قلوبهم قائلين أترى ماذا يكون هذا الصبى . وكانت يد الرب معه .

٥٧ — ولما أتمت أليصابات شهرها التاسع ولدت ابنها الموعود(١) . ٥٨ —

(١) **الولادتان الروميتان** : ذكرت فى الأنجيل ولادتان هما ولادة يوحنا ثم =

وسرعان ما نمى الخبر إلى جيرانها وأقربائها بأن «الرب عظم رحمته لها» بأن وهبها ولدا بعد أن كانت عاقرا ، ففرحوا لفرحها إذ كانوا أخيارا لا يكرهون الخير لأهلهم . وبفرحهم تمت نبوة جبرائيل المبشر لزكريا تلك النبوة القائلة «وكثيرون سيفرحون بولادته» (لو ١ : ١٤) . وفرحها وفرح ذويها بالولادة بعد العقم يشير إلى أولئك البعيدين عن الأيمان العواقر من ثمر الروح حين يفرحون بالأيمان ويفرح معهم الله وملائكته . ٥٩ — وفى اليوم الثامن اختتنوا الصبى كما أمر الله إبرهيم قائلا «هذا هو عهدى الذى تحفظونه . . . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم . فيكون عهدى فى لحمكم عهدا أبديا . وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها» (تك ١٧ : ١٠ — ١٤) . وكان الختان رمزا للمعمودية وعلامة للتطهير ، وبه كان يصير اليهودى عضوا فى كنيسة العهد القديم . ولكن بما أن المرموز إليه قد وجد فقد بطل الرمز ، وأصبح الختان الآن ختان القلب بالروح لا بالكتاب وفقا لقول الرسول «فأن الختان ينفع إن عملت بالناموس . ولكن إن كنت متعديا الناموس فقد صار ختانك غرلة . . . . وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذى مدحه ليس من الناس بل من الله» (رو ٢ : ٢٥ ، ٢٩) .

وقد أطلقوا على الطفل فى بادىء الأمر اسم أبيه زكريا ليدوم ذكر الوالد ، لأن المولود كان وحيده وولد له على كبر ، ٦٠ — ولكن أليصابات اعترضت على التسمية قائلة «بل يسمى يوحنا» ، ولا شك أن الروح القدس الذى سبق فأعلمها بحبل السيدة العذراء هو الذى ألهمها التسمية ، وليس زكريا الذى كان وقتئذ منعقد اللسان . ٦١ — على أن الحاضرين انتقدوا التسمية بحجة أنه لم يتسم بهذا الاسم أحد من قبل فى العشيرة ، وكانت عادة اليهود أن يحتفظوا بجداول

= ولادة المسيح ، وهما تشيران إلى الولادتين الروحيتين اللتين يتطهر بهما المسيحيون وهما الولادة من الماء ، والولادة من الروح القدس . فبالمعمودية تمحى الخطية الجدية وبالتوبة تتطهر كل حين من الخطايا ، وهذه الولادة شبيهة بولادة يوحنا الذى كان ينادى بالمعمودية والتوبة . وأما الولادة من الروح فهى التى نالها التلاميذ يوم العنصرة حين تطهروا بالروح القدس طهارة كلية فلا يحتاجون بعدها إلى توبة لأن الخطية لا تتحرك فيهم ، وهذه الولادة تشبه ولادة المسيح .

الأنساب لكل سبط وكل بيت لبيان حقوق الوراثة ، وتفادى الغلط ، ومنع الشكوك ، ٦٢ — ولهذا اتجهوا إلى زكريا طالبين منه بالأشارة ، بسبب خرصه وصممه ، ماذا يريد أن يسميه . ٦٣ — وأدرك زكريا من إيمائهم ماذا يريدون ، فطلب لوحا وكتب قائلا «اسمه يوحنا» كما سماه الملاك ، وكتب عبارة «اسمه يوحنا» ولم يكتب «يوحنا» فقط ليبين أن التسمية من الله وأنه لا محل للاختيار أو الاعتراض . واختيار هذا الاسم الغريب فيه إشارة إلى أن المولود سينادى بالغرائب كقوله «من له ثوبان فليعط من ليس له» ، وكمناداته بالمعمودية والتوبة بين اليهود وهم لم يعرفوا حتى ذلك الحين إلا القصاص وحده ماحيا للذنوب . وأما أن زكريا طلب لوحا للكتابة ففيه قياس على ما حدث فى الماضى ، فكما كان موسى ألثغ كان زكريا أخرس ، وكما بدأت الشريعة الأولى بالألواح التى أعدها موسى ، كذلك بدأت الشريعة الثانية بلوح زكريا ، وكما تضمنت الألواح الأولى وصايا عشر تضمن لوح زكريا عشرة حروف هى «اسمه يوحنان» . وقد تعجب الجميع من هذه التسمية لأنها الأولى من نوعها ، ولاتفاق الوالدين عليها ، ولجهلهم أنها صادرة من الله . ٦٤ — وما لبث زكريا أن انطلق لسانه بعد التسمية وانفتحت أذناه ، وأخذ يسبح الله ويشكره على إجابته طلبته ، والإنعام عليه بولد ، وهكذا انتهى القصاص الذى أوقعه عليه الملاك من قبل الله .

٦٥ — وكان طبيعيا أن يثير ميلاد المعمدان وما اقترن به من ملابسات خشوعا دينيا فى نفوس الجميع ، فبشارة الملاك لزكريا وصمته وصممه ، والتسمية الغريبة ، وانطلاق لسانه بعدها كلها كانت تبرر هذا الخوف إذ لم تحدث أمور مثلها من قبل عند مولد إسحق أو صموئيل مثلا . وكلها كانت موضع أحاديث الناس فى «جبال اليهودية» أى فى المنطقة الممتدة من جنوب أورشليم إلى حبرون . ٦٦ — وكذلك كان طبيعيا أن يتساءل الناس فى قرارة نفوسهم قائلين «أترى ماذا يكون هذا الصبى» أى إذا كان كل هذا اقترن بميلاده فماذا يكون من أمره إذا كبر . ولا شك أن التدبير الإلهى كان يرمى من وراء كل هذا الإخراج الروائى الرائع إلى تنبيه الناس إلى التأمل فى أمر يوحنا وفيما كان مزمعا أن يجرى على يديه بعد قليل .

«وكانت يد الرب مع الصبى» أى منحه بركة لجسمه وعقله وروحه ليقوى

بها على المقام فى البرية ولبس الشعر والتقشف واحتمال الحر والبرد والهبوب للاضطلاع بمهمته الشاقة ، وهكذا معونة الله تشمل مختاريه ، فيوسف الصديق مثلا كان الرب معه « فكان رجلا ناجحا » (تك ٣٩ : ٢) ، والتلاميذ الذين تشتتوا بعد الضيق الذى حصل بسبب استفانوس كذلك « كانت يد الرب معهم فآمن عدد كبير ورجعوا إلى الرب » (أع ١١ : ٢١) . وهذه السياسة يعززها الله دائما إذ يقول « الذى تثبت يدى معه ، أيضا ذراعى تشدده » (مز ٨٩ : ٢١) . ولهذا نرى داود يتضرع قائلا « لتكن يدك على رجل يمينك وعلى ابن آدم الذى اخترته لنفسك » (مز ٨٠ : ١٧) .

النبوءة بظهوره :

٦٧ ـ وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلا

٦٨ ـ مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه ..

٦٩ ـ وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه . ٧٠ ـ كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر . ٧١ ـ خلاص من أعدائنا ومن أيدى جميع مبغضينا . ٧٢ ـ ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس . ٧٣ ـ القسم الذى حلف لإبرهيم أبينا ٧٤ ـ أن يعطينا إننا بلا خوف منقذين من أيدى أعدائنا نعبده ٧٥ ـ بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا .

٦٧ ـ وكما امتلأت أليصابات من الروح القدس كذلك امتلأ منه زوجها زكريا ، وتمت نبوة يوئيل القائلة « ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبابكم رؤى » (يؤ ٢ : ٢٨) . وتنبأ زكريا بعد استنارته وقال ممجدا الله ٦٨ ـ « مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه » والفداء الذى يقصده هو ما صنعه المخلص من تحرير اليهود خاصة والبشرية عامة من الخطية والشيطان ، وما توسل به لذلك من عمل المعجزات ، ونشر التعاليم المحيية . فالذى نظر إلى مذلة شعبه فى مصر وأخرجه منها على يد موسى هو الذى أرسل ابنه بالمعجزات لافتقاده . فقد أقام مثلا ابن أرملة نايين حتى أخذ الجميع خوف « ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبى

عظيم وافتقد الله شعبه » (لو ٧ : ١٦) . ٦٩ ـ ثم قال زكريا « وأقام لنا قرن خلاص » والقرن يراد به السيد المسيح ، وهو يستعار للقوة والقدرة . وقد تنبأ عنه داود بقوله « لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنا له . . . هناك أنبت قرنا لداود » (مز ١٣٢ : ١٧) . ٧٠ ـ وبظهور هذا المخلص من بيت داود تمت النبوات التى جاءت على لسان « أنبيائه القديسين » فقد قال أرميا « ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الأرض » (أر ٢٣ : ٥ ـ ٦) ، وجاء فى سفر دانيال قوله « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية . . . ولمسح قدوس القديسين » (دا ٩ : ٢٤) . ٧١ ـ وأما الأعداء الذين عناهم زكريا بقوله « خلاص من أعدائنا » فهم الشيطان والخطية . ٧٢ ـ وهذا الخلاص هو رحمة من الله للآباء الأولين ، ووفاء للعهد الصادر لإبرهيم وداود بأظهار المسيح من نسلهما . ٧٣ ـ ولقد كان هذا العهد مقترنا بقسم لإبرهيم أبينا أن يباركه ويكثر نسله مثل نجوم السماء حيث جاء فيه « بذاتى أقسمت يقول الرب إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطىء البحر ويرث نسلك باب أعدائه وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى » (تك ٢٢ : ١٦ ـ ١٨) ، وقد تم هذا بالمسيح الذى ظهر من نسله . ٧٤ ـ وحينما ينقذنا المسيح من أعدائنا وهم الخطية والشيطان نعبده باطمئنان ، ٧٥ ـ وبطهارة كاملة وبر كل أيام حياتنا . وفى هذا يقول بولس الرسول « وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيدا لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية . . . لأن أجرة الخطية هى موت وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦ : ٢٢ ـ ٢٣) . وبطرس الرسول يوصينا قائلا « بل نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين فى كل سيرة » (١ بط ١ : ١٥) . هذا وروح القدس الذى نلناه بالمعمودية يعمل فينا ويبث فينا خوف الله فنخدمه بالبر والعدل ، ولا نفعل ذلك من أجل مجد من الناس أو فائدة منهم أو تملق لهم . وهذه الخدمة تستمر « جميع أيام حياتنا » ، وهذا يستدعى ألا نشذ يوما ما عن ذلك فنفقد الخلاص فى هذا اليوم ، وبناء على هذا فمن واجبنا أن نمارس التوبة والاعتراف كل حين .

صورة سابقة :

٧٦ ـ وأنت أيها الصبي نبي العلى تدعى لأنك تتقدم أمام
وجه الرب لتعد طرقه . ٧٧ ـ لتعطى شعبه معرفة الخلاص
بمغفرة خطاياهم ٧٨ ـ بأحشاء رحمة إلهنا التى بها افتقدنا
المشرق من العلاء . ٧٩ ـ ليضيء على الجالسين فى الظلمة
وظلال الموت لكى يهدى أقدامنا فى طريق السلام .

٧٦ ـ ثم التفت زكريا إلى الطفل وتنبأ عنه قائلا « وأنت أيها الصبى نبى العلى تدعى » أى نبى المسيح الذى يسبقه ليهد له الطريق بأنذار الناس وحثهم على طاعته إتماما للنبوات التى نطق بها الأنبياء عن وظيفته ، فقد قال أشعياء « صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب . قوّموا فى القفر سبيلا لإلهنا » (أش ٤٠ : ٣) ، وقال ملاخى « ها أنذا أرسل ملاكى فيهيىء الطريق أمامى ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرون به . هوذا يأتى قال رب الجنود » (ملا ٣ : ١) ، وقال أيضا « هأنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجىء يوم الرب العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن » (ملا ٤ : ٥) . ٧٧ ـ ثم بين زكريا أن غاية المعمدان من إعداد النفوس لاستقبال المسيح هى أن يعرفوا أن السبيل إلى الخلاص إنما هو التوبة ، ولهذا نادى يوحنا بالمعمودية والاعتراف ، فالأولى عندنا تمحو ما سبقها من خطايا ، والثانى تمحو ما يليها من ذنوب .

٧٨ ـ وبعد أن أتم زكريا نبوته عن يوحنا عاد إلى موضوعه الأول ، وهو مجد مجىء المسيح ، فقال إنه كان « بأحشاء رحمة إلهنا » أى كان من فيض رحمته علينا تلك الرحمة التى افتقدنا بها المسيح « المشرق من العلاء » كأنه الشمس التى تضيء هذا العالم . وهذه التسمية مأخوذة من نبوة ملاخى القائلة « ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها » (ملا ٤ : ٢) . فالمسيح لقلوب الناس هو بمثابة الشمس للعالم الطبيعى ، فكما أنه لا حياة لهذا العالم بدون الشمس ، كذلك لا حياة للقلوب والأرواح بدون المسيح . وبلعام فى نبوته عن المسيح دعاه كوكبا يطلع لينير فقال « أراه ولكن ليس الآن . أبصره ولكن ليس قريبا . يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفى

موآب ويهلك كل بنى الوغا » (عد ٢٤ : ١٧) . ٧٩ ـ ومخلصنا يشرق من العلاء « ليضيء على الجالسين فى الظلمة » أى ليظهر التعليم الصحيح والبر والقداسة لنا نحن الجالسين فى ظلمة الجهالة والخطية ، لأنه كما أن الجالسين فى الظلمة لا يستطيعون السير فى طريق مجهولة ما لم يطلع عليهم الصبح ، كذلك نحن الخطاة لا نستطيع السير فى الطريق الموصل إلى الوطن السماوى ما لم يضيء علينا المسيح(١) ويهدى أقدامنا إلى طريق السلام . وفى هذا يقول أشعياء « الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما والجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور » (أش ٩ : ٢) ، ويقول أيضا « أنا الرب قد دعوتك بالبر . . . وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بين السجن الجالسين فى الظلمة » (أش ٤٢ : ٦ ـ ٧) . ومن أمثلة ذلك ما يرويه بولس الرسول من قصة اهتدائه إذ يقول إن السيد خاطبه قائلا « أنا يسوع الذى أنت تضطهده . . . أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور » (أع ٢٦ : ١٨) .

نشأته :

٨٠ ـ أما الصبى فكان ينمو ويتقوى بالروح وكان فى
البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل .

٨٠ ـ وبعد ما شرح البشير الحوادث التى اقترنت بميلاد يوحنا على النحو السابق أخذ يشير إشارة مجملة إلى نشأته فقال إنه مع نموه الجسدى « كان ينمو ويتقوى بالروح » أى كان ينمو فى الحكمة والنعمة وسائر الأخلاق الحسنة . وقد خرجت به أمه إلى البرية هربا من هيرودس الذى شرع فى قتل الصبيان من ابن سنتين فما دون آملا أن يكون المسيح من بينهم . فكأن خروج يوحنا إلى البرية كان وهو ابن سنتين وكسور ، وأقام هناك حتى بلغ الثلاثين من عمره وهى السن التى أهلته لمباشرة الخدمة العلنية كما قضت بذلك شريعة الناموس(عد ٤ : ٣).

(١) الواقفون أمام الذبيحة : رتبت الكنيسة أن تضاء الأنوار قدام الذبيحة للدلالة على نور الأيمان المسيحى الذى أشرق فى قلوبنا بواسطة هذه الذبيحة غير الدموية والتى هى عين ذبيحة الصليب الفدائية ذات المجد الساطع (٢ كو ٤ : ٤ ـ ٥) التى افتقدنا بها المشرق من العلاء ليضيء على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت، وبها دعانا من الظلمة إلى النور العجيب (١ بط ٢ : ٩) . أنظر اللآلىء النفيسة جزء ١ صفحة ١٣٦ .

شهر طـوبة

اليوم الأول من شهر طوبة

شهادة القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة :

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو «السبعون رسولا» ويمثلهم هنا اسطفانوس رئيس الشمامسة والشهيد الأول وأحد السبعين رسولا ، فأنجيل العشية يتكلم عن عناية الله بهم ، وإنجيل باكر عن حفظه لهم ، وإنجيل القداس عن خلاصه لهم :

مزمور العشية : (٥ : ١٠–١٢)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من قول المخلص لتلاميذه «لا تخافوا من الذى يقتل الجسد» ، وإلى اتكالهم على عنايته بهم ، وإلى بركته للقديس اسطفانوس فيقول «وليفرح جميع المتكلين عليك . وإلى الأبد يسرون . لأنك أنت باركت الصديق يا رب . مثل سلاح المسرة كللتنا» .

انجيل العشية : (مت ١٠ : ٢٤–٣٣)

يتكلم هذا الفصل عن عناية المخلص بتلاميذه ، ودليل ذلك قوله لهم «فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة . فلا تخافوا» .

مزمور باكر : (٣٣ : ١٨ ، ١٩)

يشير هذا المزمور إلى ضيقات رسل المسيح الكثيرة ، وحفظه لهم منها فيقول «كثيرة هي أحزان الصديقين . ومن جميعها ينجيهم الرب . يحفظ الرب جميع عظامهم . وواحدة منها لا تنكسر» .

انجيل باكر : (يو ١٢ : ٢٠–٢٦)

يتكلم هذا الفصل عن حفظ المخلص لتلاميذه من المخاطر ، ودليل ذلك قوله

لهم «من يحب نفسه يهلكها . ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية» .

مزمور القداس : (٢٠ : ٣ ، ٥)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء عن اسطفانوس من أنه كان مملوءا إيمانا وقوة ، وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب ، وإلى أن الذين جادلوه لم يستطيعوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به ، وإلى أنه شخص إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائما عن يمين الله فيقول «أدركته ببركات صلاحك . ووضعت على رأسه إكليلا من حجر كريم . مجده عظيم بخلاصك . مجدا وبهاء عظيما جعلت عليه» .

انجيل القداس : (لو ١٠ : ١–٢٠)

يتكلم هذا الفصل عن خلاص السيد لرسله الذين أرسلهم للكرازة ودليل ذلك قوله لهم بعد ما عادوا فرحين بخضوع الشياطين لهم «ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت فى السماء» .

الرسائل :

تدور رسائل هذا اليوم حول موضوع واحد هو «كرازة الرسل» ، فالبولس يتكلم عن ضيقاتها ، والكاثوليكون عن نورها ، والأبركسيس عن نعمتها وقوتها :

البولس : (٢ كو ١١ : ١٦–١٢ : ١–١٢)

فى هذا الفصل يعدد الرسول الأخطار التى تعرض لها ثم يقول «لذلك أسر بالضيقات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى» .

الكاثوليكون : (١ بط ١ : ٢٥–٢ : ١–١٠)

وهنا يوصى الرسول المؤمنين أن يطرحوا «كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة» ، ثم يقول لهم «وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب» .

الأبركسيس : (أع ٦ : ١-٧ : ١-٢)

يتكلم هذا الفصل عن تكاثر المؤمنين ، وعن انتخاب الشمامسة السبعة وعلى رأسهم استفانوس الذى كان « رجلا مملوءا من الإيمان والروح القدس »، وأنه « كان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب » ثم يذكر أن قوما نهضوا لمحاورته ولكنهم « لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به » .

مواعيد تلاوتها :

وتتلو الكنيسة الفصول السابقة كلما احتفلت بتذكار أحد السبعين رسولا وذلك فى المناسبات الآتية :

١٥	توت	نقل جسد القديس استفانوس رئيس الشمامسة وأحد السبعين		
٢٤	«	تذكار الرسول قدراطس	«	«
٢٦	بابه	شهادة القديس تيمون الرسول	«	«
١	طوبه	« القديس استفانوس رئيس الشمامسة	«	«
٢٠	«	نياحة القديس بروخورس	«	«
١٩	برمهات	« القديس ارسطوبولس الرسول	«	«
١٥	برموده	تذكار تكريس كنيسة القديس أغابوس الرسول	«	«
٢٩	«	نياحة القديس ارسطوس	«	«
٣	بشنس	« القديس ياسون	«	«
٢٢	«	« القديس أندرونيقوس	«	«
١	بؤونه	« « كاربوس	«	«
٢٥	«	شهادة « يهوذا	«	«
٦	أبيب	« « أولباس	«	«

إنجيل العشية

(مت ١٠ : ٢٤ — ٣٣)

تقوية التلاميذ

(راجع عشية اليوم الثانى والعشرين من هاتور)

إنجيل باكر

(يو ١٢ : ٢٠ — ٣٦)

مثل حبة الحنطة

(راجع الساعة الأولى من ليلة الاثنين من البصخة المقدسة)

إنجيل القداس

(لو ١٠ : ١ — ٢٠)

إرسال السبعين رسولا

(راجع قداس الأحد الأول من شهر أبيب)

اليوم الثانى من شهر طوبة

نياحة الأنبا ثاؤناس بابا الاسكندرية السادس عشر :

(راجع فصول اليوم الثالث من أبيب)

اليوم الثالث من شهر طوبة

تذكار قتل أطفال بيت لحم :

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « قتل أطفال بيت لحم » ، فأنجيل العشية يتكلم عن قبول المخلص لهم ، وإنجيل باكر عن خلاصهم ، وإنجيل القداس عن دعوته وهو طفل من مصر :

مزمور العشية : (١١٣ : ١٧)

يتكلم هذا المزمور بلسان أطفال بيت لحم فيشير إلى بركة الله لهم لأنهم سفكوا دماءهم على اسمه ، وإلى ما جاء بفصل الإنجيل من أن فى قبولهم قبول للمخلص فيقول « الرب ذكرنا وباركنا . بارك بيت إسرائيل بارك بيت هارون . بارك بيت الذين يخافون الرب . الصغار مع الكبار » .

انجيل العشية : (مت ١٨ : ١–٧)

يتكلم هذا الفصل عن قبول المخلص لهؤلاء الأطفال لطهارتهم ، ودليل ذلك قوله لتلاميذه « ومن قبل ولدا واحدا مثل هذا باسمي فقد قبلني » .

مزمور باكر : (١١٨ : ٦٢ ، ١٠٠ ، ١٠٩)

يشير هذا المزمور إلى وصية المخلص فى فصل الأنجيل بعدم احتقار الصغار، وإلى أنهم قتلوا بلا ذنب فيقول « إعلان أقوالك ينير لى . ويفهم الأطفال الصغار. شاب أنا مرذول . وحقوقك لم أنس » .

انجيل باكر : (مت ١٨ : ١٠–٢٠)

يتكلم هذا الفصل عن خلاص هؤلاء الأطفال ، ودليل ذلك قول المخلص عنهم « هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » .

مزمور القداس : (١١٢ : ١)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بالسنكسار من أن التسبحة التى يسبح بها الأربعة الحيوانات والشيوخ لا يعرفها إلا المائة والأربعة والأربعون ألفا هؤلاء الأبكار الذين لم يدنسوا أجسادهم من النساء فيقول « سبحوا أيها الفتيان الرب . سبحوا لاسم الرب . ليكن اسم الرب مباركا . من الآن وإلى الأبد » .

انجيل القداس : (مت ٢ : ١٣–٢٣)

يتكلم هذا الفصل عن هرب الطفل يسوع إلى مصر ، ومقتل أطفال بيت لحم وإلى دعوة المخلص من مصر لتم النبوة القائلة « من مصر دعوت ابنى » ، إذ أن دعوته إلى موطنه هى كدعوة الأطفال إلى الوطن السماوى .

الرسائل :

يراد بهذه الرسائل أن تشير إلى موضوع واحد هو « قتل أطفال بيت لحم » ، فالبولس يتكلم عن بنيانهم للكنيسة ، والكاثوليكون عن دعوتهم ، والأبركسيس عن ارتفاع اسم يسوع بمقتلهم :

البولس : (١ كو ١٣ : ١١–١٤ : ١–٤)

يشير الرسول فى مطلع هذا الفصل إلى أطفال بيت لحم بقوله « لما كنت طفلا كطفل كنت أتكلم ... ولكن لما صرت رجلا أبطلت ما للطفل » ، ثم يوصى بالتمسك بالأيمان والرجاء والمحبة ، ويشير إلى مقتل الأطفال الذى نشأ عنه بنيان الكنيسة فيوصى بالتنبؤ قائلا « جدوا للمواهب الروحية وبالأولى أن تتنبأوا » لأن من يتنبأ « فيكلم الناس ببنيان ووعظ وتسلية . من يتكلم بلسان يبنى نفسه وأما من يتنبأ فيبنى الكنيسة » .

الكاثوليكون : (١ بط ١ : ٢٥–٢ : ١–١١)

فى هذا الفصل يوصى الرسول المؤمنين أن يطرحوا عنهم كل شر ويقول « وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى العديم الغش لكى تنمو به » ثم يقول « لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب . الذين قبلا لم تكونوا شعبا وأما الآن فأنتم شعب الله . الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون » .

الأبركسيس : (أع ٩ : ٢٢–٣٠)

ويتكلم هذا الفصل عن بولس الذى دخل حديثا فى الأيمان ، وكيف أحضره برنابا إلى الرسل « وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع . فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع » ، وفى هذا إشارة ضمنية إلى ارتفاع اسم يسوع بمقتل أطفال بيت لحم .

إنجيل العشية

(مت ١٨ : ١ — ٧)

مشاجرة التلاميذ على أيهم أعظم

(راجع قداس الأحد الثانى من شهر أبيب)

إنجيل باكر

(مت ١٨ : ١٠ — ٢٠)

لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار

(راجع قداس اليوم العاشر من شهر بشنس)

إنجيل القداس

(مت ٢ : ١٣ — ٢٣)

قتل أطفال بيت لحم

(راجع قداس الأحد الأول من شهر طوبه)

اليوم الرابع من شهر طوبه

نياحة القديس يوحنا الأنجيلى :

المزامير والأناجيل[1] :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « يوحنا الأنجيلى » ، فأنجيل العشية يتكلم عن تمجد الآب بثماره الكثيرة كتلميذ للمخلص ، وإنجيل باكر عن نعمة المخلص التى امتلأ منها ، وإنجيل القداس عن اصطفاء المخلص له :

مزمور العشية : (١٨ : ١ ، ٤)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من تمجد الآب بثمار تلاميذ المخلص ، وإلى إرسال المخلص تلاميذه للكرازة فيقول « السموات تذيع مجد الله . الفلك يخبر بعمل يديه . فى كل الأرض خرج منطقهم . وإلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم » .

انجيل العشية : (يو ١٥ : ٧ — ١٦)

يتكلم هذا الفصل عن تمجد الآب بثمار تلاميذ المخلص المرسلين للكرازة ، ودليل ذلك قوله لهم « بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى » ، وقد قال لهم أيضا « ليس أنتم اخترتمونى بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم » .

(١) لاحظ أن الأناجيل الثلاثة مأخوذة من بشارة يوحنا ، والكاثوليكون من رسالته الأولى ، والأبركسيس فيه إشارة إليه .

مزمور باكر : (١٤٤ : ١ ، ٤)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بمطلع فصل الأنجيل من كلام يوحنا الأنجيلى عن أزلية المخلص وتجسده ، وإلى شهادة يوحنا المعمدان عنه ، وإلى نعمته التى امتلأ منها الجميع فيقول « فاض قلبى كلمة صالحة . أقول أنا أعمالى(١) أنا للملك . انسكبت النعمة من شفتيك . لذلك باركك الله إلى الدهر » .

انجيل باكر : (يو ١ : ١ — ١٧)

يتكلم هذا الفصل عن نعمة المخلص التى امتلأ منها يوحنا تلميذه ، ودليل ذلك قوله « ومن ملئه نحن جميعا أخذنا . ونعمة فوق نعمة » .

مزمور القداس : (١٣٨ : ١٥ ، ١٦)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الإنجيل عن يوحنا الإنجيلى من أن يسوع كان يحبه ، وأنه اتكأ على صدره وقت العشاء وقال له يا سيد من الذى يسلمك ، وإلى العدد العظيم من الناس الذين آمنوا بكرازته فى أفسس وآسيا فيقول « وأنا لقد أكرم علىّ جدا . أصفياؤك يا الله . واعتزت جدا رياستهم . أحصيهم فيكثرون أكثر من الرمل »(٢).

انجيل القداس : (يو ٢١ : ١٥ — ٢٥)

يتكلم هذا الفصل عن إكرام المخلص ليوحنا البشير إذ كان يحبه وقال عنه لبطرس « إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجىء فماذا لك » .

الرسائل :

يراد برسائل هذا اليوم أن تشير إلى موضوع واحد هو كرازة يوحنا الأنجيلى ، فالبولس يتكلم عن الإيمان بها ، والكاثوليكون عن نورها ، والأبركسيس عن معجزاتها :

(١) لاحظ تحريف هذه الكلمة فى طبعة بيروت إذ قرئت إنشائى وصححها أعمالى.
(٢) لاحظ تحريف هذا المزمور فى طبعة بيروت فقد كتب فيها محرفا هكذا « ما أكرم أفكارك يا الله عندى ما أكثر جملتها » (مز ١٣٩ : ١٧) .

البولس : (رو ١٠ : ٤—١٨)

يبدأ الرسول فى هذه الرسالة بالكلام عن الأيمان بقوله « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت » ، ثم ينادى بضرورة كارز بهذا الأيمان فيقول « وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به وكيف يسمعون بلا كارز » ، ثم يقول « لكن ليس الجميع قد أطاعوا الأنجيل » ، والذنب فى ذلك ذنبهم لا لأن صوت المبشرين بالإنجيل لم يصل إليهم لأنه « إلى كل الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم » .

الكاثوليكون : (يو ١ : ١—٢ : ١—٦)

ينادى الرسول هنا بالخبر الذى سمعه مع التلاميذ منذ البدء وهو « أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة » ثم يقول « إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق » ثم يختم هذا الفصل بقوله « من قال إنه ثابت فيه ينبغى أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضا » .

الأبركسيس : (أع ٣ : ١—١٦)

فى هذا الفصل تتلى قصة الرجل الأعرج من بطن أمه الذى كان يسأل صدقة عند باب الهيكل وشفاه بطرس حين صعد مع يوحنا إلى الهيكل، وما تلا ذلك من الخطاب الذى ألقاه بطرس وفيه أثبت لليهود أن الأيمان بيسوع البار الذى قتلوه هو الذى شدد هذا الرجل وهو الذى « أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم » .

مواعيد تلاوتها :

وقد رتبت الكنيسة تلاوة الفصول السابقة كلما احتفلت بتذكار يوحنا الأنجيلى أو أحد تلاميذه أو سميه صاحب الأنجيل الذهب، وذلك فى المناسبات الآتية :

٢٤ كيهك شهادة إغناطيوس بطريرك أنطاكيه وتلميذ يوحنا الأنجيلى
٤ طوبه نياحة القديس يوحنا الأنجيلى
٢٩ أمشير شهادة القديس بوليكربس أسقف سميرنا « « «
١٦ برموده « « أنتيباس أسقف برغامس « « «
١٦ بشنس تذكار « يوحنا الأنجيلى
١٦ أبيب نياحة « يوحنا صاحب الأنجيل الذهب
١ النسىء « « أفتيخوس تلميذ يوحنا الأنجيلى

إنجيل العشية

(يو ١٥ : ٧—١٦)

من خطاب يسوع الأخير عن المحبة

تمهيد

فى الليلة التى أسلم فيها السيد المسيح نفسه ، وبعد تناول عشائه الأخير مع تلاميذه ، أخذ يلقى عليهم خطبته الوداعية التى ضمنها كثيرا من وصاياه ومنها وصيته الخاصة بالمحبة . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يبين فيه المخلص لتلاميذه أن الآب يتمجد فيهم إذا أتوا بثمر كثير ، وأنه هو يحبهم إن فعلوا ما أوصاهم به ، وفى هذا إشارة ضمنية إلى يوحنا الذى كان يسوع يحبه :

تمجد الآب فى التلاميذ :

٧ — إن ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم . ٨ — بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى . ٩ — كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا . اثبتوا فى محبتى . ١٠ — إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته .
١١ — كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم .

٧ — أراد السيد المسيح أن يوجه نظر تلاميذه إلى ضرورة الثبات فى محبته والعمل بوصاياه فحبب ذلك إليهم عن طريق بيان ما يفضى إليه من نوال كل ما يطلبون فى الصلوات فقال « إن ثبتم فىّ » بالأيمان والمحبة « وثبت كلامى فيكم » أى تعاليمى التى أعلنتها مرارا ، فكل ما تطلبونه مما يكون موافقاً لإرادة أبى ، وضروريا لإثماركم فى الأعمال الصالحة ونموكم فى التقوى يجاب . ٨ — ثم قال إن إثمارهم الكثير أى ممارستهم للأعمال الصالحة بالاجتهاد والتواضع يؤول إلى مجد الآب ، وهذا تأييد لسابق قوله « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) ،

وقول بولس الرسول من بعده « مملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح لمجد الله وحمده » (فى ١ : ١١) . ومتى فعلوا ذلك كانوا من تلاميذه حقا كما قال لليهود الذين آمنوا به « إنكم إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى (يو ٨ : ٣١) .

٩ — مضى يسوع بعد هذا التمهيد يطالبهم بالثبات فى محبته على نحو محبة الآب له ومحبته لهم ، ومحبة الآب له تدل على كمال الاتحاد بينهما لأن جوهرهما واحد . فكأنه بهذا يقول لهم كما أحبنى الآب لأخلص العالم هكذا أحببتكم وفضلتكم على جميع الناس لأخلص العالم بتبشيركم وإنذاركم . ١٠ — ثم أخذ يبين أن طريقة الثبات فى محبته هى بعمل وصاياه ، وضرب المثل من نفسه إذ قد حفظ وصايا أبيه وثبت فى محبته . ١١ — وأخيرا أوضح غرضه النهائى المزدوج من وصيتهم بالثبات فى محبته ، وهو أولا فرحه بمشاهدة محبتهم وطاعتهم وثباتهم ، وثانيا كمال فرحهم بكونهم صاروا تلاميذه وحصلوا على سلامه ومحبة الله لهم ومجدهم الخالد .

محبة يسوع لهم :

١٢ — هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم .
١٣ — ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه . ١٤ — أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيكم به .
١٥ — لا أعود أسميكم عبيدا لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده . لكنى قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ماسمعته من أبى . ١٦ — ليس أنتم اخترتمونى بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم . لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمى .

١٢ — انتقل المخلص بعد ذلك إلى موضوع المحبة المتبادلة فيما بينهم فطالبهم بها على نحو محبته لهم التى تمثلت فى حنانه ورأفته ومحبته للخير إلى حد تكران الذات . وكثيرا ما تردد هذا الطلب على لسانه ، كما يتضح من (يو ١٣ : ٣٤) مثلا ، وحذا حذوه فيه تلاميذه من بعده . قال بولس الرسول « وأما المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم تعلمون من الله أن

يحب بعضكم بعضا » (١ تس ٤ : ٩) ، وقال بطرس الرسول « ولكن قبل كل شىء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا » (١ بط ٤ : ٨) ، وقال يوحنا الحبيب « ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضا » (١ يو ٤ : ٢١) .

١٣ — ثم بين لهم أن المحبة الصادقة تقتضى من المحب أن يموت عن أحبائه إذا دعت الحال ، كما فعل هو إذ وهو الراعى الصالح لم يجد غضاضة فى بذل نفسه عن الخراف (يو ١٠ : ١١) ، بل إننا رأيناه يبذل نفسه لا عن أحبائه فحسب بل عن أعدائه ، وفى هذا يقول بولس الرسول « فأنه بالجهد يموت أحد لأجل بار . ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » (رو ٥ : ٧ — ٨) . ويوحنا الحبيب يردد مبدأ تضحية النفس لأجل الأخوة بقوله « بهذا قد عرفنا المحبة أنه ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغى لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة (١ يو ٣ : ١١) .

١٤ — وأعلنهم المخلص أنه بالعمل بوصيته يرتفعون إلى مرتبة الأحباء ، ١٥ — وأنه لا يعود يسميهم عبيدا وإن كانوا عبيدا له بالطبع ، لأن العبيد يطيعون خوفا من العقاب ، ولا يعلمون لماذا يتصرف سيدهم على هذا الوجه أو ذاك ، أما هم فسماهم أحباء لأنه أخبرهم بكل ما سمعه من أبيه ، وبكل ما يستطيعون إدراكه من جهة ملكوته السماوى وموته وقيامته ، وأما مالا يستطيعونه فقد أرجأه إلى وقت حلول الروح القدس عليهم كما قال « إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق » (يو ١٦ : ١٢ — ١٣) ، وبهذا يصيرون شركاءه فى الأفراح والأحزان . ويلاحظ أن الله كثيرا ما يكشف لأصفيائه عما ينوى عمله كما صنع مع إبرهيم إذ قال « هل أخفى عن إبرهيم ما أنا فاعله » (تك ١٨ : ١٧) ، ومع بولس القائل « لأنى لم أؤخر أن أخبركم بكل مشورة الله » (أع ٢٠ : ٢٧) .

١٦ — ثم قال المخلص مخاطبا تلاميذه « ليس أنتم اخترتمونى » معلما وسيدا بل أنا الذى اخترتكم(١) من بين الجهلة الخطاة وصيادى السمك واتخذتكم رسلا إلى

(١) انتخاب الملائكة ورسلهم : إن الانتخاب أو الرذل وإن كان خاصاً بالبشر =

العالم أجمع للمناداة بالأنجيل ، فترجع الأمم إلى الأيمان ويخلص الهالكون من الخطية والشيطان والموت ، وهذا ما قصده بقوله « وتأتوا بثمر » ، ومن شأن هذا الثمر أن يدوم أى تتأسس الكنيسة وتدوم إلى آخر الزمان ، وتلقاء ذلك يستجيب الله كل طلباتكم .

إنجيل باكر

(يو ١ : ١ — ١٧)

أزلية الله الكلمة وتجسده

(راجع قداس اليوم الرابع والعشرين من هاتور)

إنجيل القداس

(يو ٢١ : ١٥ — ٢٥)

إكرام المخلص لبطرس ويوحنا

تمهيد :

بعد قيامة السيد المسيح من الموت ظهر لتلاميذه لأول مرة حال اجتماعهم فى غياب توما ، ثم ظهر لهم مرة ثانية فى حضوره ، ثم ظهر مرة ثالثة لسبعة(١) منهم كانوا يصيدون فى بحيرة طبرية وتغدى معهم من السمك الذى صادوه . وبعد ما تغدوا دارت بينه وبين واحد منهم وهو بطرس المحاورة الواردة فى فصل الأنجيل ، وفيها أكرم تلميذيه بطرس ويوحنا بأن رد إلى أولهما اعتباره بعد سقطته وأعاده إلى مقامه الأول ، وأشار إلى كيفية استشهاده ، ثم تحول إلى الثانى فبين أنه يبقى حيا حتى يموت موتا طبيعيا بغير استشهاد لاختصاصه إياه بمحبته :-

= ومتعلقا بنوع أخص بخلاصهم (أنظر قداس الأحد الثانى من توت) فهو يشمل الملائكة أيضا بدليل قول الرسول « أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئا بمحاباة » (١ تى ٥ : ٢١) .

(١) التلاميذ السبعة : هم بطرس وتوما ونثنائيل وابنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه (يو ٢١ : ٢) .

رد الاعتبار لبطرس :

١٥ — فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس ياسمعان ابن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء . قال له نعم يا رب أنت تعلم أنى أحبك . قال له ارع خرافى . ١٦ — قال له أيضا ثانية يا سمعان بن يونا أتحبنى . قال له نعم يا رب أنت تعلم أنى أحبك . قال له ارع غنمى . ١٧ — قال له ثالثة ياسمعان ابن يونا أتحبنى . فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة أتحبنى فقال له يا رب أنت تعلم كل شىء . أنت تعرف أنى أحبك . قال له يسوع ارع غنمى .

١٥ — بعد ما أنس التلاميذ السبعة إلى المخلص ، وكانوا قبلا لا يعلمون أنه يسوع (يو ٢١ : ٤) ، وبعد أن تناول الطعام معهم افتتح الحديث مع بطرس قائلا « ياسمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء » ، وبمناداته باسمه الأول أشعره أنه بأنكاره السابق لم يعد جديرا باسم بطرس ، وبسؤاله « أتحبنى أكثر من هؤلاء » كأنه يقول له لقد افتخرت من قبل بأنك تحبنى أكثر من الجميع ، وأظهرت استعدادك لبذل نفسك عنى ، ثم ما لبثت أن أنكرتنى وحدك دونهم ، وأنكرتنى ثلاث مرات ، أفما زلت تحبنى أكثر منهم بعد الذى أظهرت من ضعف إيمان وعدم ثبات ؟ وأجاب بطرس بالإيجاب مؤيدا سابق محبته ، ومستشهدا على ذلك بعلم المسيح بما فى قلبه منها ، ومظهرا بأجابته ما صار إليه من تواضع ، لأن السقوط علمه أن يكون أكثر احتشاما وحذرا . وإزاء ذلك وتلقاء تركه الاتكال على ذاته غفر له المخلص إثم إنكاره ، وأعاده إلى الخدمة الرسولية بقوله « ارع خرافى » . ولعل ما جرى له يفسر وصية الرسول للرعاة التى يقول فيها « احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) .

١٦ — ولكى يحمل يسوع بطرس على فحص نفسه أعاد عليه السؤال مرة ثانية فكان جوابه كالأول . ١٧ — ثم وجهه إليه ثالثة ليذكره ، تلميحاً لا تصريحا ، بأنكاره ثلاث مرات ، وليتيح له الفرصة لإعلان محبته له مقابل الإنكار ، وليؤكد له ، بقوله « ارع خرافى » ثلاث مرات ، أنه قد رده إلى مقامه الأول .

اكرام يوحنا :

٢٠ — فالتفت بطرس ونظر التلميذ الذى كان يسوع يحبه يتبعه وهو أيضا الذى اتكأ على صدره وقت العشاء وقال يا سيد من هو الذى يسلمك . ٢١ — فلما رأى بطرس هذا قال ليسوع يا رب وهذا ماله . ٢٢— قال له يسوع إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك . اتبعنى أنت . ٢٣ — فذاع هذا القول بين الأخوة إن ذلك التلميذ لا يموت . ولكن لم يقل له يسوع إنه لا يموت . بل إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك .

٢٤— هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا . ونعلم أن شهادته حق .

٢٠ — وفيما كان السيد منصرفا وبطرس فى أثره لاحت من بطرس التفاتة فرأى يوحنا « الذى كان يسوع يحبه » يتبعه أيضا ، وهو الذى اتكأ على صدره وقت العشاء وسأله عمن يسلمه (يو ١٣ : ٢٥) ، ٢١ — فقال « يارب وهذا ماله » أى ما هو مصيره أيموت على الصليب منكسا أو يموت ميتة أخرى؟ ٢٢— فأجاب يسوع « إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء » أى حتى يموت موتا طبيعيا بغير استشهاد « فماذا لك . اتبعنى أنت » أى فلا شأن لك فى ذلك ، وحسبك أن تهتم باتباعى . ويروى بعضهم أن عبارة « حتى أجيء » تفيد أن يوحنا يبقى حيا حتى يجيء السيد بقدرته لخراب أورشليم على يد تيطس ، ولكن الثابت أن يوحنا مات بعد هذا الخراب موتا طبيعيا فى أفسس فى نهاية القرن الأول للميلاد . ٢٣ — وقد فهم الأخوة والرسل أن يوحنا يبقى حيا حتى مجيء المخلص ثانية فالدينونة وشاع ذلك بينهم ، ولكن الأنجيل نفيا لهذه الإشاعة أوضح أن يسوع لم يقل ذلك بتاتا بل قال « إن كنت أشاء » أنه يبقى حتى أجيء . ٢٤ — وقد حمل التواضع يوحنا أن يقول بضمير الغائب عن نفسه إنه « يشهد بهذا » ، وإنه الكاتب لهذه البشارة ، وإنه ومعه الأخوة كلهم يشهدون بأن ما كتبه حق لا ريب فيه ، فكأنه يعيد ما قرره من قبل فى الأصحاح الأسبق حين قال « والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم » (يو ١٩ : ٣٥) ، وأيده من بعد فى رسالته بقوله « ونحن أيضا نشهد وأنتم تعلمون أن شهادتنا هى صادقة » (٣ يو : ١٢) .

ولكن بطرس فى هذه المرة الثالثة حزن(١)، وكان سبب حزنه أولا ظنه أن يسوع داخله الشك فى صدق محبته ، وثانيا خوفه أن يعرض له ما قد يوقعه فى خطية الإنكار مرة أخرى ، ولهذا التجأ فى إثبات صدق محبته إلى معرفة المخلص للسرائر وقال « يارب أنت تعلم كل شىء . أنت تعرف أنى أحبك » فقال له يسوع « ارع غنمى » .

مجد استشهاده :

الحق الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشى حيث تشاء . ولكن متى شخت فأنك تمد يديك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء . ١٩ — قال هذا مشيرا إلى أية ميتة كان مزمعا أن يمجد الله بها . ولما قال هذا قال له اتبعنى .

١٨ — رأى السيد بعد ذلك أن يشير تلميحا إلى الكيفية التى سيختم بها بطرس جهاده على الأرض ، فخاطبه موازنا بين شبابه حين كان يرتدى ثيابه بنفسه ويذهب أينما شاء وبين شيخوخته وهو يعجز عن ذلك ، ويمد يديه فيمنطقه آخر ويرغمه على الذهاب حيث لا يريد . ١٩ — والإشارة هنا هى إلى ما سيلاقيه عند استشهاده إذ يصلبه جنود نيرون منكسا ومشدودا من وسطه إلى خشبة الصليب حتى لا تتمزق يداه بالمسامير ويسقط جسده من ثقله . ودعا البشير هذا الاستشهاد تمجيدا لله ليحقق أن الذى يموت شهيدا فى سبيل الدين يمجد الله بموته أكثر من غيره .

وبعد التلميح بهذا المصير قال له « اتبعنى » أى إلى المكان الذى سيذهب إليه ، وروحيا أن ينكر نفسه ويحمل صليبه ويحذو حذوه فى الوداعة والتواضع والقداسة وتحمل الآلام وبذل النفس من أجله ، وهى أمور كفيلة بالبلوغ به إلى الأمجاد السماوية .

(١) **حزن بطرس** : ذكرنا فى شرح إنجيل قداس ١٦ توت عند تفنيد عقيدة رياسة بطرس أن السيد بقوله لبطرس ثلاث مرات « ارع خرافى » لم يقصد منحه الرياسة بل توبيخه على إنكاره ، ودليل ذلك أن بطرس حزن حين أدرك قصد سيده ، إذ لو فهم أنه قصد تقليده الرياسة لفرح وابتهج بدلا من أن يحزن ويكتئب.

شهادة يسوع :

٢٥ — وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة .

٢٥ — وختم يوحنا إنجيله بقوله إن السيد صنع أشياء أخرى كثيرة لو كتبت لما اتسع لها العالم ، وهذا على رأى البعض معناه أنه لو ذكرت جميع هذه المعجزات لما استطاع الناس أن يطيقوا سماعها ولظنوها أباطيل وربما عزوها إلى السحر والشعوذة ، وعلى رأى البعض الآخر أن ما كتبه الإنجيليون من أقوال المخلص وأعماله ليس سوى قليل من كثير ،(١) وأنه كتب ليعلم منه أن يسوع هو المسيح ابن الله لكى تكون للمؤمنين به حياة باسمه . وأما قول يوحنا إن العالم لا يسع الكتب المكتوبة فمن قبيل المبالغة ، وهو من مصطلحات الكتاب فى تلك الأيام بقصد إظهار العجز عن إثبات كل ما صنعه يسوع ، ومن هذا القبيل قول الجامعة « لعمل كتب كثيرة لا نهاية لها » (جا ١٢ : ١٢) ، وقول اليهود عن يسوع « هوذا العالم قد ذهب وراءه » (يو ١٢ : ١٩) .

اليوم الخامس من شهر طوبه .

شهادة القديس أوساغنيوس الجندى :

(راجع فصول اليوم الخامس والعشرين من هاتور)

اليوم السادس من شهر طوبه(٢)

عيد الختان المجيد :

الختان هو قطع الغرلة وهو عادة قديمة جدا مارسها المصريون من عهد بعيد

(١) التقليد : من الحجج التى تستند عليها الكنائس البروتستنتية فى إنكار التقليد قولهم إن التقاليد التى علمها الرسل عادوا فكتبوها أى أن التعاليم الشفوية هى ذات التعاليم المدونة، ويرد على هذه الحجة بقول يوحنا فى الآية التى نحن بصددها « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » .

(٢) رأس السنة المسيحية : يقع رأس السنة المسيحية للأقباط والأحباش =

ثم صارت من طقوس اليهود ، فقد كان الختان عهدا بين الله وإبرهيم وتجدد لموسى ، وكان لا يأكل الفصح أغرل وقد اختتن السيد فكان ذلك بدء آلامه فى سبيل خلاص العالم ، ولكن المسيحية نسخت الختان لأنه كما كان علامة للتطهير وبه يدخل اليهودى فى عضوية العهد القديم فقد كان رمزا للمعمودية التى بدونها لا يكون إنسان عضوا فى كنيسة المسيح . قال بولس الرسول « إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا . . . . لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ١ ، ٦) . أما أنه أمر تيموثاوس الذى كان أبوه يونانيا بممارسة الختان عندما آمن فليس لكونه من مستلزمات الإيمان المسيحى ، لأن الختان مما يجوز تركه ويجوز عمله عملا غير شرعى ،ولكن لأنه اضطر إلى ذلك حينما أراد إرساله لليهود ليقتادهم إلى المخلص وحتى لا يكون عثرة فى سبيل تبشيرهم وخوفا من أن يثوروا عليه .

وأما أن بعض المسيحيين وخصوصا الأقباط يمارسون الختان فذلك من قبيل العوائد الوطنية والتقاليد الشخصية . اهـ عن اللؤلؤة ص ٢٣٤ .

وجاء بالمجموع الصفوى أن القبط جوزت لهم بطاركتهم الختان للضرورة والمنفعة . أما الضرورة فلكونهم ذمة بين من يختتنون فقد تميل صبيانهم لأسباب رديئة للختان بعد المعمودية وهذا محظور . وأما المنفعة فبعض الأطباء يرى أن الختان يضعف الشهوة وهذا مستحب فى المسيحية (المجموع الصفوى ص ٤٠٠).

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « ختان المخلص » فأنجيل

يوم ٦ طوبى ، ويتفق مع رأس السنة اليونانية والروسية (الشرقية) ، إلا أنه يتأخر عن السنة الميلادية الغربية بأربعة عشر يوما ، كما أن عملية الحساب القبطية جعلت سنة التجسد متأخرة عن اليونانية والغربية بثمانى سنوات فسنة ١٩٤٥ مثلا توافق سنة ١٩٣٧ للتجسد ، وسنة التجسد هى غير سنة الشهداء المعروفة . وكارلوس التاسع ملك فرنسا هو الذى عين أول يناير رأسا للسنة منذ عام ١٥٦٤م ووافق على ذلك كافة المسيحيين لأن السنة القبطية كانت تبتدىء قبل ذلك التعديل فى ٢٩ برمهات . وتاريخ التجسد (الميلاد القبطى) قليل الاستعمال عند الأقباط ولكنه هو المستعمل عند الأحباش فى معاملاتهم بذات الشهور القبطية بأسماء أخرى ولا يستعملون تاريخ الشهداء إلا نادرا . اهـ عن اللؤلؤة البهية ص ٢٣٤ .

العشية يتكلم عما قيل عن يسوع فى طفوليته ، وأنجيل باكر عن مهمته ، وأنجيل القداس عن خلاصه :

مزمور العشية : (١١٥ : ٣ ، ٤)

يشير هذا المزمور فى مطلعه إلى ختان يسوع ، أى قطع الغرلة ، الذى يرمز إلى الختان الروحى أى حل قيود الخطية الذى صنعه المخلص ، وإلى ما جاء بفصل الأنجيل عن زيارة الرعاة لمذود بيت لحم ، وتسبيحهم وتمجيدهم الله على كل ما سمعوه ورأوه فيقول « قطعت قيودى فلك أذبح ذبيحة التسبيح . أفى للرب نذورى فى ديار بيت الرب . قدام كل شعبه . فى وسط أورشليم »

انجيل العشية : (لو ٢ : ١٥—٢٠)

يتكلم هذا الفصل عما قيل عن المخلص الطفل ، إذ أنه لما ظهر الملاك للرعاة وبشرهم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب بولادة مخلص هو المسيح الرب ، ذهبوا تواً إلى بيت لحم فوجدوا الطفل فى المذود ، « فلما رأوه أخبروا بالكلام الذى قيل لهم عن هذا الصبى » ، باعتباره المخلص الذى قطع قيود الخطية كما أشار المزمور .

مزمور باكر : (٦٥ : ١٢ ، ١٣)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من ذهاب أبوى يسوع كل عام إلى أورشليم فى عيد الفصح ، وإلى قوله لهما « ينبغى أن أكون فى ما لأبى » أى صنع مشيئته فيقول « أدخل إلى بيتك بالمحرقات . وأفيك النذور . التى نطقت بها شفتاى . أقرب لك محرقات شحما بغير عظم مع بخور وكباش » .

انجيل باكر : (لو ٢ : ٤٠—٥٢)

يتكلم هذا الفصل عن مهمة المخلص وهى صنع مشيئة الآب الذى أرسله ، ودليل ذلك قوله لأبويه اللذين كانا يطلبانه « ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى »

مزمور القداس : (٤٩ : ١٢ ، ١٨)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من ذهاب أبوى الطفل يسوع إلى أورشليم بعد انقضاء أيام التطهير ليقدموا الذبيحة التى أمر بها الناموس ،

وإلى تسبحة سمعان الشيخ التى تتكلم عن المخلص فيقول « اذبحوا لله ذبيحة التسبيح . وأوف العلى نذورك . ذبيحة التسبيح تمجدنى . وهناك الطريق حيث أريك خلاص الله » .

انجيل القداس : (لو ٢ : ٢١—٣٩)

يتكلم هذا الفصل عن خلاص يسوع الذى جاء من أجله ، ودليل ذلك قول سمعان الشيخ « الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب » .

الرسائل :

تدور رسائل هذا اليوم حول موضوع واحد هو « الإيمان بالمخلص » فالبولس يتكلم عن بره أى بر الإيمان الذى حل محل بر الناموس بالختان ، والكاثوليكون عن الاستفادة به ، والأبركسيس عن قيوده :

البولس : (فى ٣ : ١—١٢)

يقول الرسول « احذروا قطع الختان لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر فى المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد » ، ثم يقول عن تضحياته فى سبيل المسيح « الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح وأوجد فيه وليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بإيمان المسيح البر الذى من الله بالإيمان » .

الكاثوليكون : (٢ بط ١ : ١٢—٢١)

يتكلم الرسول هنا عن عظمة المخلص فيقول « بل كنا معاينين عظمته لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجدا إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به » . وفى معرض إشارته إلى النبوات التى تكلمت عن ذلك يقول « وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت التى تفعلون حسنا إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير فى موضع مظلم » .

الأبركسيس : (أع ١٥ : ١٣—٢١)

جاء فى مطلع هذا الأصحاح أن قوما من اليهودية انحدروا وجعلوا يعلمون

الأخوة أنه إن لم يختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنهم أن يخلصوا ، وقد ترتب على هذا الأمر منازعة ومباحثة ليست بقليلة ، وأخيرا عرضت على الرسل بأورشليم وبعد أن أبدى بطرس رأيه وهو أن الله افتقد الأمم ليأخذ منهم شعبا على اسمه قال يعقوب مؤيدا عدم ضرورة الختان « لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم . بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم » .

مواعيد تلاوتها :

وقد رتبت الكنيسة تلاوة الفصول السابقة فى المناسبتين الآتيتين :

٦ طوبه عيد الختان المجيد .

٨ أمشير عيد دخول السيد إلى الهيكل وعمره أربعون يوما .

إنجيل العشية

(لو ٢ : ١٥ — ٢٠)

زيارة الرعاة للطفل يسوع

(راجع إنجيل القداس لليوم الثامن والعشرين من كيهك)

إنجيل باكر

(لو ٢ : ٤٠ — ٥٢)

يسوع فى الهيكل وسط المعلمين

تمهيد :

بعد ختان مخلصنا فى اليوم الثامن ، وبعد تقديم ذبيحة التطهير عن والدته فى اليوم الأربعين ، وبعد ما قدم فى الهيكل مع فداء البكر ، عادت الأسرة المقدسة إلى الجليل إلى مدينة الناصرة موطنها الأصلى . ولا شك أن هذه العودة لم تحدث إلا بعد الرجوع إلى بيت لحم وزيارة المجوس والهرب إلى مصر كما يتضح من (مت ٢ : ١ — ٢٣) . وفصل الأنجيل الذى يتكلم عن حياة المخلص فى الناصرة عقب عودته إليها يشير أولا إلى نموه ، ثم إلى رسالته وسط المعلمين فى الهيكل ، وأخيرا إلى تقدمه فى الحكمة والنعمة :

نمو يسوع :

٤٠ — وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة الله عليه . ٤١ — وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح .

٤٠ — يتكلم البشير هنا عن حياة المخلص فى الناصرة بعد عودته إليها فيقول إنه أخذ « ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة » ، أى أن نموه الجسمى كان مقترنا باستنارة نفسانية(١) بالنعمة والحكمة ، وكان بفعل الروح . وهذه الروح لم يكن يلبسها يسوع من خارج ، إذ هو الإله المتجسد ، بل كان يظهر الواجبات والحكم فى أوقاتها .

ولهذا النمو علاقة بأصل خلقة آدم ، ذلك أن آدم حينما خلق ، خلق كامل الجسم والنفس ، يتمثل كمال جسمه فى خلقته فى سن الثلاثين ، وفى أنه لا سلطان للأمراض والأوجاع عليه ، ويستدل على كمال نفسه من امتلائه بالحكمة والنعمة . أما الحكمة فدليلها تسميته للحيوانات ، وتمتعه بقوة الروح القدس التى جعلته يقول فى حواء « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته » (تك ٢ : ٢٤) ، وأما النعمة فبرهانها طاعة الحيوان له . ولما أضاع كل ذلك بالخطية ، استلزم الأمر أن يظهر مخلصنا على الأرض ليبشر الجنس البشرى بعودة ما ضاع إليه ، فأزال أمراض الخطية من أجسادنا وأخضعها لسلطان العقل ، وأنار نفوسنا بالحكمة والنعمة وقوة الروح القدس ، ولو أن تدبيره اقتضى ألا يظهر بيننا فى سن الثلاثين مثل آدم ليرينا أنه مثلنا يعمل طبقا لأوامره .

ويضيف البشير إلى أوصاف الصبى السابقة قوله « وكانت نعمة الله معه » ، ونعمة يسوع تختلف عن نعمتنا من أربعة وجوه ، فهى فيه طبيعية لاتحاد اللاهوت بالناسوت ، وهى بغير خطية البتة ، فضلا عن أنها عامة تفاض على جميع المؤمنين ، وكاملة منذ اتحاد اللاهوت بالناسوت ، وكاملها يظهر بالتدريج . أما النعمة فينا فهى مجانية طارئة فائقة الطبيعة ، وهى تمحو الخطية الأصلية والفعلية ، وهى خاصة بكل منا ، وتزداد بالأعمال الصالحة .

---

(١) نفسى يسوع : يستدل من هذه الآية أنه كان ليسوع نفس بشرية وجسد بشرى .

٤١ — مضى الأنجيلى بعد ذلك يقول إن أبوى الصبى اعتادا أن يذهبا كل عام إلى أورشليم(١) فى عيد الفصح تنفيذا لأوامر الشريعة التى فرضت على ذكور اليهود أن يذهبوا إلى أورشليم ثلاث مرات كل عام فى عيد الفصح وعيد الخمسين وعيد المظال كما يتضح ذلك من سفر الخروج (خر ٢٣ : ١٤ — ١٧) وسفر التثنية (تث ١٦ : ١٦) . وأما النساء فلم يفرض عليهن ذلك ولم يمنعن منه ، والأرجح أن التقيات منهن كن يرافقن أزواجهن إلى هناك (١ صم ١ : ٧ ، ٢٢ : ٢٤)..

رسالة فى الهيكل :

٤٢ — ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد . ٤٣ — وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما . ٤٤ — وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف . ٤٥ — ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه . ٤٦ — وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسا فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم . ٤٧ — وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته . ٤٨ — فلما أبصراه اندهشا . وقالت له أمه يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا . هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين . ٤٩ — فقال لهما لماذا كنتما تطلبانى ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى . ٥٠ — فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما .

٤٢ — ولما بلغ يسوع الثانية عشرة من عمره وهى السن التى اعتاد اليهود فيها استصحاب أولادهم إلى العيد للاشتراك فى إتمام الفروض أخذه أبواه معهم . ٤٣ — ولما انقضت أيام العيد السبعة التى تلى يوم الاستعداد ، تخلف يسوع فى أورشليم دون علم والديه ، حتى لا يمنعاه من البقاء ، وليكون فيما لأبيه على حد

(١) فصح بأورشليم : حصر عمل الفصح فى أورشليم حتى لا يباح ذبح الذبائح فى كل موضع فيكون ذلك مدعاة لأن يذبح البعض للشياطين ويدعوا أنه لله ، وحتى إذا بطل الهيكل على يد فسباسيانوس وابنه تيطس تبطل الذبائح كلية .

قوله (لو ٢ : ٤٩) ، وحتى لا يظهر بمظهر الخارج عليهما إذا لم يطعهما . ٤٤ — وكان يوسف ومريم يتركان يسوع مع جماعة الأقارب والأصحاب الذين جاءوا معهم من الناصرة هم وأولادهم . ويظهر أن الراجعين كانوا قافلة كبيرة فلم يتيسر ليوسف ومريم فى أول يوم من عودتهما التحقق من أن يسوع ليس معهم ، وظناه بين الرفقة . ولكن لما حطت القافلة رحالها فى مساء ذلك اليوم ، واجتمعت كل أسرة على حدة لم يجداه فى القافلة ، ٤٥ — واضطرا لذلك إلى العودة إلى أورشليم للبحث عنه . ٤٦ — وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل بين المعلمين يسمعهم ويسألهم . ولا بد أنه قضى هذه الأيام الثلاثة فى أحد أروقة الهيكل حيث اعتاد علماء اليهود أن يقوموا بتعليم الناس ومباحثتهم فى المسائل الدينية ، وبهذا أظهر أن أعظم لذة له هى فى التعاليم الروحية . ولا بد أيضا أن بحثه مع العلماء كان منصبا على موضوع المسيح المنتظر والنبوات المتعلقة به ، وزوال الملك من يهوذا وكمال أسابيع دانيال (دا ٩ : ٢٤) . ٤٧ — وقد أثار فهمه وأجوبته دهشة السامعين ، إذ لم يكن منتظرا من صبى ، وابن نجار لم يلتحق بمدارس ، أن يجيب إجابة يعجز عن مثلها أعظم العلماء ، وأن يظهر خبرة بالأسفار المقدسة تتضاءل أمامها معلومات شيوخهم الراسخين .

٤٨ — ودهش الوالدان حينما أبصرا الصبى هادئا مسرورا بمباحثة من يكبرونه سنا ، وقالت أمه « يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا » ، وهو قول ليس فيه توبيخ البتة ، بل هو من قبيل إظهار التعجب والحزن ، إذ كانا يطلبانه معذبين مخافة أن يكون قد عرض له سوء ، أو يكون فى حاجة أو ضائقة . ٤٩ — وعند ذلك أجابهما السيد بقوله « لماذا كنتما تطلبانى » ، وهو رد لا أثر للتوبيخ فيه أيضا بل هو من قبيل الأخبار بالواقع والاعتذار عما حدث بدليل قوله « ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى » أى أقوم بالعمل الذى أرسلنى الآب لأتممه . فكأنه أراد أن يبين لهما أنه لم يولد ليقيم فى بيت والديه ، وأنه لم يحضر إلى العيد لأداء فرض ينصرف بعد أدائه ، بل حضر كما يحضر الزائر بيته وملكه . وفى قوله « فيما لأبى » تلميح إلى أن أباه ليس يوسف بل هو الله . ٥٠ — ومع أن مريم ويوسف علما من الوحى أنه المسيح وأنه ابن الله ، إلا أنهما لم يفهما كيف ومتى يباشر مهام وظيفته ، لأن الوحى لم يخبرهما بذلك فعلماه بالتدريج من السيد نفسه .

تقدم فى النعمة :

٥١ — ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعا لهما .
وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها . ٥٢ — وأما
يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس .

٥١ — ثم عاد المخلص بعد ذلك مع والديه إلى الناصرة حيث أقام ثمانى عشرة سنة كان فى خلالها مثلا أعلى للأولاد فى طاعة الوالدين وإكرامهما ، متمما بذلك أوامر الناموس ومكملا كل بر . وكانت أمه تذكر كل ذلك عنه فى قلبها ، وتقابله بما سمعته من الملاك وأليصابات وزكريا والرعاة والمجوس وسمعان الشيخ وحنة النبية وتتأمل فيه . ٥٢ — وكان يسوع ينمو فى القامة ويتقدم ناسوته فى الحكمة(١) والنعمة من الكلمة بالتدريج كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، حتى بلغ الثلاثين من عمره وهى السن التى شرع يمارس فيها خدمته العلنية .

إنجيل القداس

(لو ٢ : ٢١ — ٣٩)

ختان يسوع ودخوله الهيكل

تمهيد :

بعد ما انتهت زيارة الرعاة للطفل يسوع ، مضت سبعة أيام كان لا بد بعدها من ختانه ثم تقديم الذبيحة التى تقضى بها سنة الناموس ، ولهذا شرع والداه فى ختانه فى اليوم الثامن ، وتقديم الذبيحة فى اليوم الأربعين . وفصل الأنجيل يتكلم عن هذين الأمرين ، ثم عن تسبحتى سمعان الشيخ وحنة النبية بخصوص يسوع باعتباره مخلص الشعوب وفاديها ، وأخيرا عن عودة الأسرة المقدسة إلى الناصرة . ولكن بما أن الكنيسة تحتفل اليوم بالختان فحسب فجدير بالواعظ الاقتصار على شرح الآية الأولى من فصل الأنجيل وهى التى تتكلم عن الختان

(١) لاهوت السيد المسيح : يحتج المعترضون على لاهوت السيد المسيح بالآية القائلة إنه كان يتقدم فى الحكمة ، والواقع أن هذا الوصف هو بالنسبة لناسوته وليس بالنظر إلى لاهوته .

تاركا بقية الموضوع إلى اليوم الثامن من أمشير حين تحتفل الكنيسة بعيد دخول السيد إلى الهيكل . وسيشرح الختان هنا من ناحية أصله ، وميعاده ، وموضعه من الجسم ، واقترانه بالتسمية ، وحلول المعمودية محله :

أصل الختان :

٢١ — ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمى يسوع كما
تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن .

٢١ — لما بلغ إبرهيم أب الآباء التاسعة والتسعين من عمره ظهر له الله وأعطاه عهدا قائلا « سر أمامى وكن كاملا فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا » (تك ١٧ : ١ — ٢) ، ثم أفصح عن العهد بقوله « أما أنا فهوذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الأمم » ، وأخيرا زاد العهد إيضاحا بقوله « هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر . . . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم » (تك ١٧ : ١٢). والعهد الذى بمقتضاه يصبح أبا لأمم كثيرة إنما يتم له بالمسيح المولود من زرعه ، لأن الأمم بإيمانهم بالمسيح يصيرون له أبناء . وقد أمره الله باستعمال الختان ليتميز به عن الشعوب ، وليكون علامة بينه وبين نسله على العهد الذى قطعه معه ، وكذلك وهب لنا مخلصنا العماد لنتميز به عن غير المعمدين . وختان الجسم الذى أمر به الله يشير إلى ختان النفس من غلفتها بالمعمودية ، وغلفة النفس هى الخطية ، فالذى يعتمد يعاهد المسيح على رفض الشيطان وكل أعماله فيعطيه السيد روحه القدوس الذى يستحوذ على عقله ويطهره ، هذا هو الختان الروحى . وحيث أن الخطية تقاتل الإنسان بعد المعمودية فلا بد أن يتخلص منها المؤمن بالتوبة حتى يكون مختونا دائما طبقا لوصية بولس الرسول القائلة « دعى أحد وهو مختون فلا يصر أغلف » (١ كو ٧ : ١٨) ، ومن لا يفعل ذلك فقد نقض العهد مع الله .

وزيادة فى الإيضاح نقول إن الله لما خلق آدم خلقه جيدا ، فلما أطاع الشيطان استولى هذا على عقله وأخذ يجذبه إلى الخطية ، فإذا اعتمد انطرد الشيطان من العقل وسكن فى الجسد ليقاتل به العقل عن طريق تحسين اللذات والشهوات ،

فأن مال إليها العقل صار هو والجسم عبدين للشيطان كما صار آدم وحواء. وكما ذاقت حواء وأعطت آدم فأكل، هكذا يذوق الجسد بحواسه ويجذب العقل غير المستيقظ إلى الشر، ولهذا يجب أن تختن الخطية من العقل بالتوبة الدائمة.

ميعاده:

أما الأمر الصادر لإبرهيم بأن يكون الختان فى اليوم الثامن فالحكمة فيه أن يكون المولود قد اشتد بمرور أسبوع فيقوى على تحمل الألم، وتحتيم إتمام الختان فى هذا اليوم ولو كان سبتا هو لكى يستدرج الله اليهود على حل السبت، لأن الختان فى غير اليوم الثامن لا يعد ختانا شرعيا. ولما كان اليوم الثامن هو بدء الأسبوع الثانى من حياة المولود، فقد أراد الله أن يعلمنا أن الأسبوع الأول بغلفته يشير إلى نجاسات العالم القديم، وإلى حياة الجسد، وأما الختان فيشير إلى طهارة العالم الجديد وإلى حياة الروح بعد المعمودية التى سميت لذلك ميلادا ثانيا، وهى بدء الحياة الطاهرة التى يختن فيها المؤمن من غلفة الخطية. وثمة أمر ثالث. ففى أحد العنصرة وهو بدء الأسبوع الثامن من قيامة مخلصنا اختتن التلاميذ بالروح القدس من أصل الخطية ختانا كاملا، أى أن الروح القدس أحرق منبت الخطية فيهم.

موضعه من الجسم:

ولما كان الختان عهدا بين الله وبين إبرهيم ونسله، وكان هذا النسل غير موجود حينذاك، ووجوده لا يتم إلا من العضو المولد، فقد جعل الله الختان الذى هو علامة ذلك العهد فى هذا العضو دون سواه. ومما أن هذا العضو هو أول عضو حل به الخزى من جراء الخطية الجدية بدليل أن آدم وحواء ستراه بأن «خاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر» (تك ٣ : ٧)، ولما كان من شأن المسيح أن يرفع الخطية فقد جعل علامة رفعها ختان ذلك العضو، لأن الغرلة تشير إلى غلفة الخطية. ومن الناحية الروحية يضاف إلى ما تقدم أن وعد الله لأبرهيم هو أن يثمر نسله أى تكثر ثمار الروح القدس الساكن فى عقولهم، وهى الثمار التى ذكرها بولس وهى «محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان» (غل ٥ : ٢٢)، ولذلك جعل الختان فى عضو التناسل رمزا إلى ختان

العقل من غلفة الخطية، لأن العضو يثمر النسل كما يثمر العقل ثمار الروح. وبديهى أن الغرلة ليست رديئة لأن كل ما خلقه الله حسن، ولا هى تعوق العضو عن التناسل إنما هى ترمز لغلفة اللذات الجسدية التى قطعها نافع ومقدس ومحيى ومرضى أمام الله، ويؤيد هذا أن الله حين نادى إبراهيم قال له «سر أمامى وكن كاملا فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثير جدا» (تك ١٧ : ١ - ٢).

وفى حادثة زواج إسحق بن إبرهيم شبه كبير بالموضوع الذى نحن بصدده، فقد قال إبرهيم لعبده كبير بيته المستولى على كل ماله «ضع يدك تحت فخذى فأستحلفك بالرب إله السماء ألا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم بل من بنات عشيرتى فى أرضى» (تك ٢٤ : ٢ — ٤)، فوضع العبد يده تحت فخذ سيده وحلف له. فهذا العبد المسيطر على كل شىء هو رمز للعقل الذى يأمره الله الآب أن يصون الفكر الصالح من أن يتصل بلذة من لذات الخطايا التى رمز إليها ببنات الكنعانيين، أى أن يظل مختونا من كل لذة جسدية، ولذا استحلف إبرهيم عبده تحت موضع الختان الذى جعل الله عهده فيه كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وتأييدا لأن هذا الموضع هو موضع العهد نجد أن يعقوب إسرائيل قبل أن تموت دعا ابنه يوسف وقال له «إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فضع يدك تحت فخذى واصنع معى معروفا وأمانة. لا تدفنى فى مصر» (تك ٤٧ : ٢٩)، فحلف يوسف. وهو موضع الختان الذى استحلف إبرهيم عبده بالله عليه عظيم جدا. والله لا يقصد من جعل عهده فى عضو التناسل إلا الإعلان عن سر تجسد المسيح الإله من زرع إبرهيم، ولهذا قال إبرهيم لعبده أستحلفك بالرب «إله السماء وإله الأرض» يعنى أن الخارج من زرعه، إله متأنس، سمائى أرضى، لاهوت وناسوت، واحد من اثنين ابن الله وابن الإنسان.

ولما كان الشىء بالشىء يذكر فكما كان غلام إبرهيم كبيرا فى بيته وخطب رفقة لإسحق ابن سيده، كذلك غبريال الملاك العظيم بشر العذراء بحبل الابن الوحيد. وأما وصية إبرهيم لعبده بألا يأخذ لابنه زوجة من بنات الكنعانيين الساكن بينهم بل من عشيرته، ففيه إشارة إلى تجسد ابن الله الوحيد لا من

الملائكة الروحانيين المقيمين معه والطائعين له، بل من جنس آدم الذى خلقه على صورته ومثاله ليجدد طبيعته ويعيدها إلى طهارتها الأولى قبل المعصية، كما يتضح ذلك من قول بولس الرسول « لأنه حقا ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبرهيم » (عب ٢ : ١٦) .

اقتران بالتسمية :

أما من حيث تسمية الطفل يوم ختانه فأنا نرى أن إبرهيم كان اسمه فى الأصل أبرام ، وأنه ظل يحمل هذا الاسم بعد انتقاله من أرض الجزيرة فيما بين النهرين إلى موطنه الجديد بأرض كنعان . وبعد أن مر عليه فى هذا الموطن إحدى عشرة سنة رزق بابنه إسماعيل وهو فى السادسة والثمانين من عمره، وكان حتى ذلك الحين يدعى أبرام . فلما أراد الله أن يرزقه بابنه إسحق وكان فى سن التاسعة والتسعين، ظهر له وتكلم معه قائلا « أما أنا فهوذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبرهيم . لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم » (تك ١٧ : ٤ — ٥) . فالله غير اسمه حينما أعطاه العهد ، ولما كان الختان علامة على هذا العهد، فوق أنه كان تمييزا لشعب الله من باقى الأمم على سبيل ما توسم الأشياء لمالكها ، فبحسب السنة القديمة كان لا يسمى المولود إلا يوم ختانه ، ودليل ذلك تسمية يوحنا المعمدان ويسوع يوم ختانهما . وفى الكنيسة جرى العمل إذا تعمد إنسان أن يطلق عليه الكاهن اسم المعمودية، كما تطلق الموالى الأسماء على عبيدها، وكما أحضرت الأشياء لآدم ليسميها دلالة على تمليكه إياها وسيادته عليها ، فيقول الكاهن فى الغطسة الأولى « أعمدك يا فلان باسم الآب » وفى الغطسة الثانية باسم الابن وفى الغطسة الثالثة باسم الروح القدس . ومن المستحسن أن يطلق الكاهن على المتعمد ، إذا فوض إليه ذلك ، اسم القديس الذى تحتفل الكنيسة فى ذلك اليوم بعيده ، أو الذى عيدت له يوم ولادة المعتمد . ومن غير المستحب أن يطلق عليه اسم غير قبطى احتفاظا بالقومية القبطية فى مظهر من أهم مظاهرها . أما مخلصنا فأنه لما ختن سمى يسوع كما تسمى من الملاك وهى كلمة معناها مخلص لأنه يخلص شعبه من خطاياهم .

وزعم قوم أن المسيح لم يختن بحجة أن الأنجيل لم يصرح بذلك بل قال « ولما

تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع » ، ولكن الذى لا ريب فيه أنه ختن حسب العادة التى أجرت إذ كان لا يسمى الصبى إلا بعد ختانه . ولو لم يختن لما حمله سمعان الشيخ على ذراعيه ، أو أدخله أبواه الهيكل ، ولكان هذا أعظم خطأ يتمسك به اليهود عليه ، ولما كانوا يقبلونه كواحد من شعب الله أو يسمحون له بدخول الهيكل أو يستمعون لتعليمه . هذا ومن غير المعقول أن يهمل يوسف النجار فى هذا الأمر الخطير من أمور السنة وهو الرجل البار الحافظ لها . أما أن السيد بتدبيره الإلهى قبل الختان فذلك أولا إطاعة منه للشريعة التى انتوى المحافظة عليها إلى سن الثلاثين، لأنه كان مولودا تحت الناموس (غل ٤ : ٤) ، وثانيا لكى يتمم كل بر كما اعتمد للغاية نفسها (مت ٣ : ١٥) ، وثالثا ليشبه اخوته (عب ٢ : ١٧) ، ورابعا ليعلمنا بقدرته أن نحفظ الوصايا ولو كان فى ذلك إيلام لنا .

حلول المعمودية محله :

ولما كان الختان فى الماضى علامة تميز شعب الله عن الأمم (تك ١٧ : ١٤) ، وحيث قد صار الشعب والأمم واحدا ، فلا يسوغ للمسيحيين والحالة هذه استعماله لأنهم استبدلوا به المعمودية ، وهى الولادة من الماء والروح ، لأن السيد رفع عنا الختان الجسمانى ووهب لنا الختان الروحانى الذى هو تطهير النفس من الخطية بالروح القدس ، وفى ذلك يقول الرسول « وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذى مدحه ليس من الناس بل من الله » (رو ٢ : ٢٩) ، وذلك لأننا الآن قد « تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبده بجدة الروح لا بعتق الحرف » (رو ٧ : ٦) ، وفى موضع آخر يقول الرسول عن الختان « وبه أيضا ختنتم ختانا غير مصنوع بيد بخلع خطايا البشرية بختان المسيح . مدفونين معه فى المعمودية » (كو ٢ : ١١ — ١٢) ، ويقول أيضا « لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة » (غل ٦ : ١٥) ، أو كما قال بعبارة أخرى « ليس الختان شيئا وليست الغرلة شيئا بل حفظ وصايا الله » (١ كو ٧ : ١٩) . وبعد أن عرض لرأى القائلين بالختان بقوله « جميع الذين يريدون أن يعملوا منظرا حسنا فى الجسد هؤلاء

يلزمونكم أن تختتنوا » (غل ٦ : ١٢)، أوصى قائلا « دعى أحد فى الغرلة فلا يختتن » (١ كو ٧ : ١٨) .

والكنيسة تحتفل بعيد الختان المجيد لتذكر بنيها بأن الرب بختانه لم يكن محتاجا للتطهير بل كان ذلك منه إشارة إلى وجوب ختان القلب بالروح ، ولتحرضهم على التمثل بتواضعه ، لأنه من هذه الناحية كان فى ختانه أعظم منه فى ولادته ، لأنه فى ولادته أخذ صورة إنسان أما بختانه فأخذ صورة خاطىء .

احضار يسوع للهيكل (١) :

٢٢ — ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب . ٢٣ — كما هو مكتوب فى ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب . ٢٤ — ولكى يقدموا ذبيحة كما قيل فى ناموس الرب زوج يمام أو فرخى حمام .

٢٢ — بعد أن تكلم الأنجيلى على ختان السيد مضى يذكر إحضاره إلى الهيكل بأورشليم ليقدمه أبواه للرب بعد أن أتمت أمه أيام تطهيرها . وأيام التطهير هى أربعون يوما لمن تلد ابنا وثمانون لمن تلد ابنة ، وفى ذلك تقول الشريعة « إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام . كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها . كل شىء مقدس لا تمس وإلى المقدس لا تجىء حتى تكمل أيام تطهيرها . وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها » (لا ١٢ : ٢ — ٥) . ويرى بعضهم أن حكمة اختلاف مدة التطهير باختلاف المولود هى أنه فى الأربعين يوما يكمل الجنين ويحصل فيه النفس ، لأنه فى خلالها يكون لحما جامدا لا حراك به ولا نفس ، وأن الأنثى تتميز فى ثمانين يوما . ويرى البعض الآخر أن الأربعين يوما هى بسبب النجاسة من الدم فى تلك الأيام فى حالتى الذكر والأنثى ، ولكنها تضاعفت فى الشريعة للأنثى بسبب خطية حواء ، لأنها قبلت مشورة الحية وأكلت أولا من الشجرة ، فضوعفت المدة تذكارا لخطيتها .

(١) **عيد دخول السيد الهيكل** : تحتفل الكنيسة بهذا العيد فى ٨ أمشير من كل عام وفيه أيضا تحتفل بنياحة سمعان الشيخ .

وصعد الوالدان بالطفل إلى أورشليم ليقدماه للرب فى الهيكل كما أمر الله قديما حيث قال « قدس لى كل بكر كل فاتح رحم من بنى إسرائيل من الناس ومن البهائم » (خر ١٣ : ٢) . ٢٣ — والحكمة فى ذلك أن الله بعد أن ضرب أبكار المصريين وتجاوز عن أبكار الاسرائيليين أمر بأن يخصص كل الأبكار الذكور لخدمته بصفة كهنة كما تقدم (خر ١٣ : ٢) ، وتكرر ذلك فى سفر العدد إذ جاء فيه « لأن لى كل بكر يوم ضربت كل بكر فى أرض مصر قدست لى كل بكر فى إسرائيل من الناس والبهائم . لى يكونون أنا الرب » (عد ٣:١٣) . ثم أخذ الله كل سبط لاوى بدل الأبكار كلهم ليكونوا كهنة له وذلك حين قال لموسى « وها إنى قد أخذت اللاويين من بنى إسرائيل بدل كل بكر فاتح رحم من بنى إسرائيل فيكون اللاويون لى » (عد ٣ : ١٢) . ولما كان ذكور اللاويين أقل بكثير فى العدد من أبكار بنى إسرائيل فقد أمر الله أن يفدى كل بكر بخمسة شواقل(١) (عد ٣ : ٤٦ — ٤٧) . والأرجح أن يوسف ومريم أدوا هذا المبلغ مما يدل على تنازل المخلص لأنه رئيس الأحبار والهيكل الحقيقى . ولا يطالب أبكار المسيحيين بهذه الفدية لأنهم بواسطة المسيح قد صاروا كهنة لله ، بدليل قول الرسول « وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة » (١ بط ٢ : ٩) .

٢٤ — وفضلا عن فدية الطفل كان لابد للوالدة أن تقدم عن نفسها ذبيحة التطهير التى تنص عليها الشريعة إذ تقول « ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتى بخروف حولى محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها . هذه شريعة التى تلد ذكرا أو أنثى . وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخى حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن فتطهر » (لا ١٢ : ٦ — ٨) . وتقدمة مريم كانت من النوع الثانى مما يدل على فقرها وعلى تنازل المخلص لأجلنا . وجعلت التقدمة بذبيحتين لا بواحدة لتكون إحداهما عن النفس والأخرى عن الجسد .

(١) **الشاقل** : يساوى ثلاثة عشر قرشا صاغا تقريبا .

انه مخلص الشعوب :

٢٥ — وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان . وهذا الرجل كان بارا تقيا ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه . ٢٦ — وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لايرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب . ٢٧ — فأتى بالروح إلى الهيكل . وعندما دخل بالصبى يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس ٢٨ — أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال ٢٩ — الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام . ٣٠ — لأن عينى قد أبصرتا خلاصك ٣١ — الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب . ٣٢ — نور إعلان للأمم ومجدا لشعبك إسرائيل . ٣٣ — وكان يوسف وأمه يتعجبان مما قيل فيه . ٣٤ — وباركهما سمعان وقال لمريم أمه ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم . ٣٥ — وأنت أيضا يجوز فى نفسك سيف . لتعلن أفكار من قلوب كثيرة .

٢٥ — مضى البشير بعد ذلك يسرد ما كان من أمر سمعان الشيخ مع يسوع فقال إن سمعان كان « ينتظر تعزية إسرائيل » أى يتوقع ما يسر أبناء جنسه ، لأن اليهود انتظروا أن يعزيهم المسيح على كل بلاياهم ، ودليل ذلك أن ما قيل عن سمعان قيل مثله عن يوسف الذى من الرامة (مر ١٥ : ٤٣) ، وحنة النبية (لو ٢ : ٣٨) . وكلمة « إسرائيل » هنا لايقصد بها هذا الشعب وحده بل سائر الشعوب . ولا شك أن المسيح هو أعظم تعزية لجميع من يؤمنون به . واختلفت الآراء فى سمعان ، فرأى بعضهم أنه ابن يشوع بن نون ، وفى أيامه عاد السبى إلى بابل ، ولأنه كان يحب أن يرى المسيح فقد طلب من الله أن يعيش حتى يراه ويأخذه على يديه فعاش خمسمائة سنة إلى أن تم ذلك . ورأى البعض الآخر أنه ابن سيراخ صاحب كتاب الحكمة وأنه بقى نحو مائتين وخمسين سنة بقوة الروح القدس لكى يرى المسيح . ورأى فريق ثالث أنه رئيس الكهنة ، وأنه فى بعض الأيام لما بلغ إلى الموضع الذى قال النبى فيه إن العذراء تحبل وتلد ابنا تشكك فبقى إلى أن رأى ذلك . وهناك رأى رابع وهو الذى تأخذ به كنيستنا

ومؤداه أن سمعان كان واحدا من الاثنين والسبعين الذين ترجموا التوراة لبطليموس من العبرانية إلى اليونانية(١).

وذكر البشير عن سمعان أن « الروح القدس كان عليه » ، ويريد بذلك ظهور الروح القدس بالوعد الذى وعد به من مشاهدة المسيح ، فقد أزعجه حتى جاء إلى الهيكل ليشاهد المسيح وقت دخوله ، ٢٦ — ولو أن بعضهم يرى أن ذلك معناه أنه كان ملهما من الروح القدس ، بدليل قول الوحى عنه إنه قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لايرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب . ويفهم من هذا أنه كان طاعنا فى السن ، وأن عمره قد زاد على الوقت المعين للبشر ، وأنه يموت على أثر رؤية المسيح ، وأن وعد الله إياه كان إجابة لصلواته .

٢٧ — ولما أوحى إليه من قبل الروح القدس أن وقت إتمام ما وعد به قد حل ذهب إلى الهيكل ، وعندما دخل يوسف ومريم ليقدما الطفل للرب ويؤديا عنه الفدية ٢٨ — حمله على ذراعيه(٢) محبة له وسرورا به ، وسبح الله قائلا ٢٩ —

---

(١) **سمعان الشيخ** : أنظر سنكسار ٨ أمشير .

(٢) **دورة الحمل** : بعد أن يمسح الكاهن الحمل ويذكر من يريد ذكره يلف الحمل فى لفافة ويرفعه على رأسه بكل وقار ومن خلفه الشماس ومعه قارورة الأباركة فى لفافة ، وقبل أن يدور الاثنان حول المذبح يقول الكاهن ووجهه نحو الغرب « مجدا وإكراما إكراما ومجدا الخ .. » ، ويخاطب الشماس الشعب قائلا « صلوا من أجل هذه القرابين » . وفى حال طواف الكاهن والشماس حول المذبح يرتل الشعب قائلين « هذا هو اليوم الذى صنعه الرب الخ .. » . فوضع الكاهن الحمل على يديه ورفعه على رأسه إشارة إلى عمل سمعان الشيخ الذى حمل المسيح على ذراعيه وطاف بمذبح الرب . وكما بارك سمعان الرب لخلاصه الذى أعده « قدام وجه جميع الشعوب » كذلك يدور الكاهن حول المذبح ممجدا الله الذى أرسل ابنه لخلاصنا . ودورة الحمل مرة واحدة إنما ترسم إتيان المخلص إلى الهيكل بواسطة أبويه ، وإشارة إلى أنه سوف يقدم ذاته ذبيحة عن العالم . ولهذا أمرت الكنيسة الشعب أن يسجدوا لله حال مباركة الكاهن لهم قبل دورته . وسجودنا للحمل وقت تقديمه ليس عبادة بل احتراما ، وتمثلا بالمجوس الذين سجدوا له قبل أن يعرفوا أنه إله ، وأيضا وفقا لقول الرسول « وأيضا متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله » (عب ١ : ٦) . اللآلىء النفيسة جزء ١ صفحة ٣٨٨ .

« الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام » . فكأنه وقد طال أجله ولم يبق له ما يرجو ، طلب أن تنتهى حياته فى غير ألم أو وجع(١) . أو قد يكون مقصده من كلمة « بسلام » التدليل على سروره برؤية المسيح وتحقق أمنيته ، ورضا الله عنه واطمئنانه إلى مصيره فى الحياة المستقبلة ، ومن هذا القبيل قول إسرائيل ليوسف « أموت الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حى » (تك ٤٦ : ٣٠) ، وقول بولس الرسول « لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح . ذلك أفضل جدا » (فى ١ : ٢٣) . ٣٠ — وأوضح سمعان الباعث له على طلب الانطلاق بقوله « لأن عينى قد أبصرتا خلاصك » أى مسيحك الذى هو رحمة للعالم وغفران لخطاياهم ، ٣١ — والذى كان تجسده لهذه الغاية معترفا به أنه لجميع الشعوب ، ٣٢ — تلك الشعوب التى استنارت به من ظلمة الخطية ، طبقا لقول أشعياء عنها « الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا . الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور » (أش ٩ : ٣) ، وطبقا لقول الوحى عنه « أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم » (أش ٤٢ : ٦) ، وطبقا لاستنهاض إشعياء لهممها بقوله « قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك » (أش ٦٠ : ١ — ٣) . وهذا الخلاص الذى كان نورا للأمم تمجد به شعب إسرائيل إذ ولد المسيح منهم وبدأ تبشيره بينهم وصنع معجزاته فيهم .

٣٣ — أما يوسف ومريم فتعجبا من معرفة سمعان الشيخ ، وهو غريب عنهما ، لتلك الحقائق المتعلقة بيسوع ؛ ٣٤ — وباركهما سمعان كليهما ، مريم لأنها استحقت أن تلد يسوع ويوسف لأنه عون لها ، ثم قال عن الطفل إنه « وضع لسقوط وقيام كثيرين » أى وضع لتمادى غير المؤمنين به فى خطاياهم ، مع رغبته فى خيرهم ؛ ولنهوض الذين يؤمنون به من صرعة هذه الخطايا ، فهو « لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة » (٢ كو ٢ : ١٦) كما

(١) **صلاة النوم** : رتبت الكنيسة أن يتلى فى صلاة النوم فصل الأنجيل الذى فيه يطلب سمعان من السيد أن يطلقه بسلام وذلك لانقضاء النهار وأعماله واستقبال الليل الذى يسمى مجازاً « الموت الصغير » .

قال الرسول ، وهو حجر العثرة لغير المؤمنين الذى تكلم عنه إشعياء بقوله « ويكون مقدسا وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيتى إسرائيل وفخا وشركا لسكان أورشليم » (أش ٨ : ١٤) . وفيه يقول متى الأنجيلى « ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه » (مت ٢١ : ٤٤) . وعنه يقول بولس الرسول « فأنهم اصطدموا بحجر الصدمة كما هو مكتوب ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لا يخزى » (رو ٩ : ٣٢ — ٣٣) . ويقول أيضا « ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة وأما للمدعوين يهودا ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله » (١ كو ١ : ٢٣) . ويؤيد بطرس الرسول هذا المعنى بقوله « فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة وأما الذين لا يطيعون فالحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية وحجر صدمة وصخرة عثرة » (١ بط ٢ : ٧ — ٨) . وفضلا عن كونه وضع لسقوط وقيام كثيرين فقد وضع « لعلامة تقاوم » ، وهذه عبارة تنطوى على نبوة عن المقاومة التى كان مزمعا أن يلقاها من بعض اليهود فقد سموه شيطانا ومضلا وأقاموا عليه الحجة من شهود الزور واستهزأوا به ثم قتلوه .

٣٥ — وبعد ما تحدث سمعان عن الطفل وجه الكلام إلى أمه قائلا « وأنت أيضا يجوز فى نفسك سيف » ، ويقصد بذلك الأحزان التى تنتابها حينما ترى اليهود يقاومون ابنها ويستهزئون به ويصلبونه ، وقد يكون مراده الإشارة إلى ما يساورها من اضطراب حين تريد إدراك ألوهيته حقيقة فلا تقدر ، ومن أمثلة ذلك اضطرابها حينما حاول رجال الناصرة أن يطرحوه من الجبل (لو ٤ : ٢٩) ، وحينما جدف عليه الفريسيون ، وحين قبضوا عليه كمهيج ومجدف ثم حكموا عليه بالموت . كل ذلك حدث على غير ما كانت تتوقع منه ولذا جاز سيف الحزن فى نفسها . وأوضح سمعان الحكمة فى ذلك بقوله « لتعلن أفكار من قلوب كثيرة وفى هذا إشارة إلى أنه ستأتى أيام تكشف فيها تعاليم المسيح سرائر الناس فتعلم أفكار قلوبهم الكثيرة ، ويظهر الذين شكوا فيه لضعفهم ، والذين شكوا لشرهم كالكهنة والكتبة ، ويظهر ما كان من الخير فى قلوب الزناة والعشارين وما كان من الرياء فى قلوب الفريسيين .

وفاريها :

٣٦ — وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير . وهى متقدمة فى أيام كثيرة . قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها . ٣٧ — وهى أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا . ٣٨ — فهى فى تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء فى أورشليم .

٣٦ — ذكر الأنجيلى بعد الذى تقدم ما كان من أمر حنة النبية حيال الطفل يسوع لما أدخل إلى الهيكل . وحنة هذه كانت نبية ملهمة من الروح القدس ومتقدمة فى أيامها . فلو فرضنا أنها تزوجت فى سن التاسعة عشرة، وعاشت مع زوجها سبع سنين ، ٣٧ — وظلت أرملة من بعده أربعا وثمانين سنة، لكان عمرها مائة سنة وعشرة وهى مدة قل أن يبلغها أحد من الناس . وكانت « لا تفارق الهيكل» أى لا تفارقه وقت الخدمة الدينية كتقديم الذبائح وأثناء فروض السبوت والأعياد ، مفضلة إتمام واجباتها الدينية على ما عداها . وكانت عبادتها مقترنة بأصوام وصلوات ليلا ونهارا ؛ وهكذا انطبق عليها قول الرسول إن « التى هى بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهى تواظب الطلبات والصلوات ليلا ونهارا » (١ تى ٥ : ٥) . ٣٨ — فهى فى تلك الساعة وقفت تسبح الرب ، واعترفت بأن الطفل هو المخلص المنتظر، وشكرت الله الآب على إرساله وبشرت به غيرها « من جميع المنتظرين فداء فى أورشليم » أى من الأتقياء الذين درسوا النبوات وفهموا منها أنه قد اقترب وقت إتمامها بمجىء المخلص . ويظهر أن هؤلاء كانوا يأتون فى وقت الصلاة فتتاح الفرصة لحنة لتكلمهم عن المسيح .

العودة الى الناصرة :

٣٩ — ولما أكملوا كل شىء حسب ناموس الرب رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة .

٣٩ — ويقول الأنجيلى إن الأسرة حينما أكملت كل شىء من تقديم ذبيحة التطهير عن مريم ، وتقديم الطفل فى الهيكل مع فداء البكر ، عادوا إلى الناصرة

موطنهم قبل ولادة يسوع ، وهذا لا ينفى أن العودة إليها لم تتم إلا بعد رجوعهم إلى بيت لحم وزيارة المجوس لهم وهربهم إلى مصر كما يتضح من (مت ٢ : ١ — ٢٣) .

اليوم السابع من شهر طوبة .

نياحة القديس سلبطرس بابا رومية :

(راجع فصول اليوم السابع عشر من هاتور)

اليوم الثامن من شهر طوبة

نياحة القديس بنيامين بابا الأسكندرية ال ٣٨ :

(راجع فصول اليوم الثالث من أبيب)

اليوم التاسع من شهر طوبة

نياحة القديس أبرآم رفيق الأنبا جاورجه :

(راجع فصول اليوم السابع والعشرين من بابه)

اليوم العاشر من شهر طوبة

برامون الغطاس المجيد :

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « معمودية المخلص » ، فأنجيل العشية يتكلم عن خلاصها ، وإنجيل باكر عن سموها ، وإنجيل القداس عن نعمتها :

مزمور العشية : (٤١ : ١ ، ٦)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل عن الشعب الجالس فى الظلمة الذى أبصر نورا ، وإلى قبول بطرس وأخيه أندراوس وكذا ابنى زبدى دعوة المخلص لاتباعه فيقول « عطشت نفسى . إلى الله الحى . توكلى على الله فأنى أعترف له . خلاص وجهى هو إلهى » .

انجيل العشية : (مت ٤ : ١٢–٢٢)

يتكلم هذا الفصل عن خلاص يسوع الذى أشرق على الجالسين فى الظلمة بكرازته وكرازة تلاميذه ، ودليل ذلك قول إشعياء النبى « الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورا عظيما . والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور » .

مزمور باكر : (٤١ : ٨، ٩)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل عن معمودية يوحنا ومعمودية يسوع ، وإلى شهادة المعمدان عن الثانية منهما فيقول « العمق نادى العمق . بصوت ميازيبك . من عندى صلاة . لأله حياتى » .

انجيل باكر : (يو ٣ : ٢٢–٢٩)

يتكلم هذا الفصل عن سمو معمودية المخلص ، ودليل ذلك قول يوحنا المعمدان لتلاميذه عن المخلص ومعموديته « لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعطى من السماء » .

مزمور القداس : (٤٤ : ٣، ٤)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل عن شهادة يوحنا المعمدان عن يسوع بأنه أقوى منه ، وأنه ليس أهلا أن يحل سيور حذائه ، وإلى معمودية المخلص التى هى بالروح القدس ونار فيقول « بهى فى حسنه . أفضل من بنى البشر . انسكبت النعمة من شفتيك . لذلك باركك الله إلى الدهر » .

انجيل القداس : (لو ٣ : ١–١٨)

يتكلم هذا الفصل عن نعمة معمودية المخلص ، ودليل ذلك قول يوحنا المعمدان عنها للجموع التى جاءت لتعتمد منه « أنا أعمدكم بماء ولكن يأتى من هو أقوى منى . . . . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » .

الرسائل :

وتدور رسائل هذا اليوم حول موضوع واحد هو « المعمودية » فالبولس

يتكلم عن وحدة بنيها ، والكاثوليكون عن إشراق نورها ، والأبركسيس عن ضرورتها للخلاص :

البولس : (١ كو ١ : ١–١٧)

يذكر الرسول فى رسالته إلى أهل كورنثوس أنه سمع عن وجود خصومات بينهم ، وأنهم انقسموا شيعا هذا لبولس وذاك لأبلوس وآخر لصفا ، ثم يناشدهم أن يقولوا جميعا قولا واحدا ، ويدلل على وجوب ذلك بقوله « ألعل بولس صلب لأجلكم . أم باسم بولس اعتمدتم » . وبعد أن يذكر أنه لم يعمّد إلا كريسبس وغايس وبيت استفانوس يقرر بأن « المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر » ، وهكذا يريد أن يكون أبناء المعمودية رأيا واحدا وكاملين فى فكر واحد.

الكاثوليكون : (٢ بط ١ : ١٢–١٩)

وفى هذه الرسالة يطلب الرسول إلى المؤمنين أن يكونوا دائما متذكرين التعاليم التى سمعوها لأنها لم تكن « خرافات مصنعة » بل صادرة عن رب المجد الذى عاين الرسل عظمته « لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجدا إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به » ثم يوصى بالاستضاءة بها ..

الأبركسيس : (أع ١٦ : ٢٥–٣٤)

ويبين هذا الفصل ضرورة المعمودية للخلاص إذ أن حافظ السجن بعد أن رأى أبوابه مفتوحة على أثر الزلزلة العظيمة كان ينوى أن يقتل نفسه لزعمه أن المسجونين قد هربوا . ولما طمأنه بولس من هذه الناحية خر لبولس وسيلا وهو مرتعد وقال « يا سيدى ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص . فقالا آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك » . فأخذهما فى تلك الساعة من الليل وغسلهما من الجراحات واعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون » .

وهكذا تتكلم الرسائل الثلاث عن المعمودية وأثرها فى حياة المؤمنين .

إنجيل العشية

(مت ٤ : ١٢ – ٢٢)

بدء الكرازة فى الجليل

تمهيد :

لما سمع مخلصنا بسجن يوحنا المعمدان عاد من اليهودية إلى الجليل مارا بالسامرة حيث ألقى خطابه المشهور . وفى الجليل شرع يكرز لأول مرة بعد كرازته الأولى فى أورشليم . وفصل الأنجيل يتكلم عن إشراق نوره هناك ، وعن بدء كرازته ، وعن دعوته لتلاميذه الأربعة الأوائل :

اشراق المخلص :

١٢ — ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل .
١٣ — وترك الناصرة وأتى فسكن فى كفرناحوم التى عند البحر فى تخوم زبولون ونفتاليم . ١٤ — لكى يتم ما قيل بأشعياء النبى القائل . ١٥ — أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . ١٦ — الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورا عظيما . والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور .

١٢ — يتفق متى ومرقس فى القول بأن مخلصنا بعد أن سمع بسجن يوحنا ترك اليهودية وانطلق إلى الجليل (مر ١ : ١٤) . أما لوقا فكان أقل تحديدا إذ قرر أن انصرافه إلى الجليل كان بعد التجربة (لو ٤ : ١٤) . وكان قصد المخلص من انتقاله أن يضرب لنا المثل فى وجوب الابتعاد عن مواطن الخطر .
١٣ — وأنه نظرا لقلة إيمان أهل الناصرة به آثر السكنى فى كفرناحوم حيث يستطيع اختيار تلاميذه من بين صياديها ، وحيث توجد شعوب مختلفة . ١٤ — وكذلك إتماما لنبوة إشعياء التى أوردها البشير بنصها ليثبت لليهود بطلان رأيهم فى أن يسوع باختلاطه بالشعوب قد خالف الناموس .(١) ١٥ — ونفتاليم المذكور فى هذه النبوة هو نفتالى بن يعقوب من بلهة جارية راحيل (تك ٣٠ : ٨) ، وهو الذى انحاز إلى إسرائيل عند انقسام المملكة . ١٦ — ولا يقصد إشعياء بكلمة « الشعب الجالس فى ظلمة » بنى إسرائيل وحدهم بل أى شعب آخر من

(١) نبوة أشعياء : أشرنا إلى هذه النبوة بقداس ٦ طوبه تحت رقم ٣٢

الأمم الغريبة ، ووصفه بالجلوس فى الظلمة ليشير إلى إغراقه فى الظلام وانقطاع رجائه من الخلاص . والظلمة تطلق فى الكتاب على العمى ، والشيطان ، والخطية . والجهل والضلال ، وهى هنا بمعنى الضلال ، وظلام الضلال قد بدده نور المسيح(١) الذى أشرق على الضالين فأنقذهم من الشيطان والخطية والجهل .

بدء كرازته :

١٧ — من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات .

١٧ — وبعد أن اتخذ يسوع كفرناحوم مقرا له شرع فى الكرازة بين أهل الجليل ، وكان قد قرر ألا يقوم بها أو بما يقترن بها من صنع معجزات أثناء قيام يوحنا بدعوته ، حتى لا ينقسم الشعب إلى فريقين ينحاز أحدهما له وينحاز الثانى ليوحنا ، ولكى يتيح الفرصة ليوحنا ليهيىء النفوس لاستقباله بالمناداة والوعيد .

وكان يسوع يكرز قائلا « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » ، ونادى بالتوبة واقتراب الملكوت ، أى نعيم القيامة كما كان يفعل يوحنا ، حتى يستهوى القلوب ، ولكى لا تنفر منه إن نادى بأمر غريب . ومن أجل هذا تحاشى إيراد ما توعدهم به يوحنا من قبل .

دعوته لتلاميذه الأربعة :

١٨ — وإذ كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل أبصر أخوين سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخاه يلقيان شبكة فى البحر فأنهما كانا صيادين . ١٩ — فقال لهما هلم ورائى فأجعلكما صيادى الناس . ٢٠ — فللوقت تركا الشباك وتبعاه .
٢١ — ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه فى السفينة مع زبدى أبيهما يصلحان شباكهما فدعاهما . ٢٢ — فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه .
(شرحت فى مر ١ : ١٦ — ٢٠ فى عشية يوم ٢٧ هاتور)

(١) اضاءة الأنوار وقت قراءة الأنجيل : رتبت الكنيسة عند قراءة الأنجيل أن يقف الشعب إجلالا ، وأن توقد الشمامسة الشموع للدلالة على أن الأنجيل هو النور الأعلى الذى أضاء على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت .

إنجيل باكر

(يو ٣ : ٢٢ — ٢٩)

يسوع يعمد

(راجع قداس الأحد الثالث من شهر طوبة)

إنجيل القداس

(لو ٣ : ١ — ١٨)

معمودية يوحنا(١)

تمهيد

مر بنا فى فصل سابق(٢) أن الصبي يسوع وهو فى سن الثانية عشرة عاد مع والديه إلى الناصرة من أورشليم حيث كان فى الهيكل فى العيد وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم . وقد بقى فى الناصرة إلى سن الثلاثين يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس . وفى ذلك الوقت خرج يوحنا المعمدان إلى الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يتكلم عن دعوته للكرازة ، وعن إنذاره للمتغافلين ، ثم نصائحه للمهتمين ، وأخيرا عن إعلانه عن يسوع :

دعوة يوحنا :

١ — وفى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر
إذ كان بيلاطس البنطى واليا على اليهودية وهيرودس رئيس
ربع على الجليل وفيلبس أخوه رئيس ربع على إيطورية
وكورة تراخونيتس وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية ٢ —
فى أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا
ابن زكريا فى البرية . ٣ — فجاء إلى جميع الكورة المحيطة

(١) **معمودية يوحنا** : ورد هذا الموضوع أيضا فى (مت ٣ : ١ — ١٢ ، مر ١ : ١ — ٨) .

(٢) أنظر باكر ٦ طوبة تحت رقم ٥١ .

بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا . ٤ — كما
هو مكتوب فى سفر أقوال إشعياء النبي القائل صوت صارخ
فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة . ٥ —
كل واد يمتلىء وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات
مستقيمة والشعاب طرقا سهلة . ٦ — ويبصر كل بشر خلاص الله .

١ — أراد كل من متى ولوقا أن يبين الوقت الذى أخذ فيه يوحنا المعمدان يكرز بمعمودية التوبة فقال أولهما « وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية » . وقد ذهب المفسرون مذاهب فى مدلول كلمة « تلك الأيام » ، فقال بعضهم إنها الأيام التى كان فيها يسوع بالناصرة وعمره ثلاثون عاما ، وقال البعض الآخر إنها الأيام التى جاء فيها المعمدان ليعمد ، وذهب غيرهم إلى أنها الأيام التى بطل فيها الملك والنبوة من إسرائيل وكملت نبوة يعقوب . أما لوقا فكان أكثر تحديدا لذلك الزمان إذ نص على أسماء الملك والوالى والكاهن الذين كانوا حينئذ فقال « فى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر » . وطيباريوس هذا هو الذى سمع عن قداسة السيد المسيح وعجائبه ، وأراد أن يحصيه بين الآلهة فقاومه رجال الندوة فى روما . وفى هذه السنة كان بيلاطس البنطى(١) واليا على اليهودية ، فى السنة الثانية من حكمه ، وكان هيرودس رئيس ربع على الجليل وهو هيرودس أنتيباس ، بن هيرودس الكبير ، وقاتل يوحنا المعمدان ، وظل رئيسا على الجليل اثنتين وأربعين سنة ، وكان فيلبس أخوه رئيس ربع على إيطورية وكورة تراخونيتس . أما إيطورية(٢) فهى البلاد المحيطة بجبل حرمون ، وأما تراخونيتس فهى البلاد التى على الجنوب الشرقى من جبل الشيخ واسمها فى العهد القديم ارجوب (تث ٣ : ١٣ — ١٤) . وكان ليسانيوس رئيس ربع على الأبليين(٣) وهو ابن ليسانيوس الشيخ وقد خلف أباه فى ملكه قبل أن يعين الرومان هيرودس قاتل الأطفال ملكا على اليهودية .

(١) **البنطى** : نسبة إلى ولاية فى آسيا الصغرى ، وقد حكم سوريا تسع سنوات صلب مخلصنا فى السنة الخامسة منها .

(٢) **إيطورية** : نسبة إلى يطور بن اسماعيل (تك ٢٥ : ١٥) .

(٣) **الأبلينى** : وترجمت فى طبعة بيروت الأبلية وهى كورة فى شمال دمشق .

٢ — وفى أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا(١) « كانت كلمة الله على يوحنا فى البرية(٢)، أى ألهمه الروح القدس أن يشرع فى الخدمة العلنية ، فقد أقام فى البرية ثلاثين سنة يتلقى التعليم والإرشاد عن الروح القدس . وقد آثر الإقامة فيها على المدن حتى لا يجد الشيطان فى شهادته على المسيح مطعنا من ناحية القربى والصداقة الجامعة بينهما ، وللدلالة على أن الشريعة الجديدة تحبذ اطراح العالم والزهد فيه . ٣ — فأطاع يوحنا أمر الوحى وترك عزلته فى البرية وأخذ يجول فى الجهات التى على جانبى نهر الأردن كارزا . وكانت كرازته فى برية اليهودية دون المدن ليجمع الناس بأسرهم إليه فيريهم المسيح دفعة واحدة دون الحاجة إلى الطواف به فى الأسواق والبيوت ، وللأشارة إلى أن النفوس التى كان يدعوها للتوبة كانت خلوا من الخيرات الإلهية . وكرز بالمعمودية لأنها رمز للطهارة . واقترنت معموديته بالتوبة والاعتراف إذ كان ينادى بين الناس قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات . وكانت كرازته بالتوبة دون غيرها ليبشر الناس بأن المسيح يجىء بطريقة جديدة للخلاص لم تكن معروفة فى الناموس الذى كان يتطلب القصاص ، وهذه الطريقة هى التوبة التى يعقبها الغفران بمعمودية المسيح . فأذا سمع اليهود المثقلون بالخطايا يسرون ويسارعون إلى التوبة . ولينبههم كذلك إلى أن الملك المخلص لا يليق أن يلاقيه من لم يتطهر من الأوساخ الشهوانية كما قال الله لموسى « اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدا وليغسلوا ثيابهم » (خر ١٩ : ١٠) .

وملكوت السموات الذى كان ينادى باقترابه قد يقصد به مجىء المسيح

(١) **حنانه وقيافا** : حنان هو حما قيافا (يو ١٨ : ١٢—١٣) تولى رياسة الكهنة فعزله الرومان وولوا قيافا ولكن حنان كان أعظم من قيافا سنا وحكمة، ولذلك اعتبره اليهود رئيس كهنة حقا واعتبر الرومان قيافا رئيس كهنة شرعا . وحنان هو الذى قال لليهود « خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » (يو ١١ : ٤٩—٥٢) . ويلاحظ أن الحكام العالمين والروحيين الذين ذكرهم لوقا كانوا ذوى سيرة سيئة منغمسين فى أشنع الرذائل وكان الشعب لا يقل عنهم إثما ، وكان فى مسيس الحاجة إلى مخلص .

(٢) **اقامة يوحنا فى البرية** : ذكر فى سنكسار اليوم الثامن من شهر توت وقت ذهابه إلى البرية وكيفيته .

الأول ، أو مجيئه الثانى ، أو بشرى الأنجيل الذى توصل وصاياه إلى ملكوت السموات(١) . ومع أن هذا الملكوت لم يكن معروفا إلا من يوحنا فقد ذكره حثا للناس على التماسه .

٤ — ويبين مرقس الأنجيلى أن تقدم يوحنا على المسيح هو إتمام لنبوة ملاخى النبى القائلة « ها أنذا أرسل ملاكى فيهيىء الطريق أمامى » (ملا ٣ : ١) . وسماه ملاكا لحسن تدبيره وجلاله وإبلاغه اليهود عن مجىء المخلص . وأضاف البشيرون الثلاثة عن يوحنا قولهم إنه « الصوت الصارخ فى البرية » الذى أشار إليه إشعياء فى نبوته (أش ٤٠ : ٣ — ٥) . وسمى يوحنا صوتا لأن الصوت يدل على الكلمة ومخلصنا هو كلمة الآب ، وكما أنه بالصوت يستيقظ الإنسان من الاضطجاع والنوم فهكذا نبه يوحنا الناس من نوم الغفلة والاستغراق فى الخطية . وكما أن الصوت هو الأداة لتبشير الناس هكذا كان يوحنا بشيرا لهم بالمغفرة والتوبة وملكوت السموات .

ولما كانت العادة عند زيارة أحد الملوك لمدينة من المدن أن تمهد له الطرقات فتزال الموانع ، وترفع المنخفضات ، وتخفض المرتفعات فقد أخذ يوحنا استعارته من ذلك حين قال « أعدوا طريق الرب واصنعوا سبله مستقيمة » ، فكأنه خاطب اليهود قائلا ها قد أقبل عليكم الملك السماوى الذى كنتم تنتظرونه فانزعوا من قلوبكم المعاصى والكفر والألحاد والطمع والفساد ، وهذبوا أفكاركم للاستماع منه ، وذلك بالتوبة والأعمال الصالحة وتنفيذ أوامره . ٥ — ثم قال يوحنا « كل واد يمتلىء وكل جبل وأكمة ينخفض » ، أى من كان عقله منخفضا بصغر النفس والكسل فليرفع نفسه بالثقة بالله ، ومن كان عقله مرتفعا بالكبرياء فليخفضه بالاتضاع . ثم قال « وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقا سهلة » ، ويريد

(١) **ملكوت السموات** : علاوة على ما ذكر يطلق ملكوت السموات على التجلى كقول السيد « إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته » (مت ١٦ : ٢٨) ، وعلى الأرادة والاستطاعة والعقل كقوله « إن ملكوت الله داخلكم » ، وعلى اجتماعه بتلاميذه بعد القيامة (مت ٢٦ : ٢٩) ، وعلى الأعان والمواعيد والتطهير بالمعمودية والاختلاط بالروح القدس ، وعلى أشياء أخرى كثيرة .

بذلك أن من كان فظ الأخلاق شرسها فليتزين بالوداعة واللطف ، ٦ — وبلغ « يبصر كل بشر خلاص الله » أى يرى بعينية المسيح المرسل من الله وينال الخلاص بالإيمان به .

لباسه :

ويقول متى إن « يوحنا هذا كان لباسه من وبر الأبل وعلى حقويه منطقة من جلد » . أما وبر الأبل فتشبها بأيليا النبى الذى كان رجلا أشعر (٢ مل ١ : ٨) ، وإتماما للنبوة القائلة إنه يتقدم أمام المسيح بروح إيليا وقوته ، ولأنه كان ينادى بالتوبة وأليق ما يلائمها من الملابس الصوف ، كما فعل أهل نينوى وآخاب الملك عند توبتهم ، وليحثنا على ترك الافتخار باللباس(١) ؛ ولأن أبويه نذرا أن يلبساه الصوف . وقيل إن أباه هو الذى ألبسه الصوف وشده وسطه بالمنطقة وقت اختطافه إلى البرية .

وقد فضل يوحنا وبر الإبل على غيره من شعر الحيوانات لأنه هو نفسه متوسط بين الشريعتين القديمة والحديثة ، كما أن الجمل متوسط بين النجس والطاهر من الحيوان ، فهو طاهر لأنه يجتر ونجس لأنه غير مشقوق الظلف ، ولأنه مرشد للشعوب الطاهرة والنجسة ، ولأن معموديته متوسطة بين معموديتين معمودية موسى القديمة فى السحاب والبحر الأحمر (١ كو ١٠ : ٢) والمعمودية الجديدة .

أما منطقة الجلد التى شد وسطه بها فتشبها بالكهنة ، وللدلالة على إماتته لشهوات الجسد بلبسه جلد حيوان ميت ، وستره لموضع الشهوات به ، وتمثلا بجماعة الأبرار الأوائل ، وأسوة ببطرس وبولس وغيرهما من الذين لبسوا منطقة من جلد .

طعامه :

وكان طعامه « جرادا وعسلا برياً » كما ذكر متى ، ويرى بعضهم أن الجراد المذكور كان نباتا حلوا يشبه الجزر ويدعى خمسيس ، ولكن الأرجح أنه الطائر المعروف ، وكان مسموحا بأكله لليهود (لا ١١ : ٢٢) ، وهو طعام

(١) **ملابس الكهنة** : من الصفات المطلوبة فى راعى الكنيسة أن يكون محتشما فى لباسه ، وقد أمرت القوانين الكنسية ألا تكون ملابسه مزركشة ولا براقة ولا مفتخرة حتى لا يكون عثرة لغيره ، وقد مدح المعمدان لزهده فى الطعام واللباس .

الفقراء . وأما العسل فهو الذى كان يصنعه النحل أقراصا فى البرية . وكان شرابه الماء فقط فلم يتناول خمرا ولا مسكرا لأنه كان نذيرا للرب(١).

خروج الناس اليه :

وحينئذ خرجت إليه جموع غفيرة من اليهودية وما حول الأردن واعتمدوا منه معترفين بخطاياهم ، فقد ألهموا ذلك ولذا بادروا إليه بسبب كثرة خطاياهم ، وقد ظنوه المسيح كما قال لوقا فى بشارته . وكان باب التوبة الذى فتحه أمامهم أكبر حافز لهم على الأقرار بذنوبهم والنجاة من قصاص الشريعة ، إذ لولا ذلك لتعرضوا لما يوجبه هذا القصاص من قتل أو غيره ، لأن فيهم زناة و لصوصا وآثمة . ويلاحظ أن الكهنوت من هذه الناحية ثلاثة أنواع ناقص ومتوسط وكامل ، فالناقص هو كهنوت الشريعة القديمة الذى كان يعاقب على الخطايا التى ارتكبها الإنسان بعلم ويستغفر عن التى فعلها بغير علم ، والمتوسط هو كهنوت يوحنا الذى كان يستغفر عن الخطايا التى بعلم ، والكامل هو كهنوت المسيح ويستغفر عن الخطايا التى بعلم والتى بغير علم .

معموديته :

أما حكمة إرساله ليعمد فهى ليشعر الناس بمجىء المسيح ، وليجتمعوا إليه لسماع ذلك النبأ بدلا من الطواف فى البلاد لإعلانه لهم ، ولكى ينبه الخطاة إلى التوبة ويعدهم بذلك لاستقبال المسيح . وكانت معموديته خالية من الروح القدس ومغفرة الخطايا لعدم إتمامها باسم الثالوث الأقدس ، ولأنها ليست سرا كمعمودية المسيح . وإن اعترض على ذلك بأن مرقس ولوقا ذكرا أنه كان يعمد بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا فيرد بأنه قصد بذلك أن يعد المعتمدين ، إذا تطهروا ، بغفران خطاياهم بمعمودية المسيح ، فكأن معموديته طريق للغفران لا أن الغفران يعقبها ، ويؤيد ذلك الحادثة الواردة فى سفر الأعمال (أع ١٩ : ١ — ٧) وفيها اعتمد المؤمنون من بولس رغم اعتمادهم من يوحنا المعمدان .

(١) **النذير للرب** : تقول الشريعة إنه إذا نذر إنسان نفسه للرب فلا يجب أن يذوق خمرا ولا مسكراً طول أيام نذره وألا يمر موسى على رأسه بل يقدس ذاته للرب ويربى خصل شعر رأسه (عد ٦ : ١ — ٥) ، وانظر ولادة شمشون فى (قض ١٣ كله) .

والفرق بين معمودية يوحنا ومعمودية المخلص هى أن الأولى بالماء وتطهر الأجساد ، أما الثانية فبالماء والروح القدس وتطهر الأجساد والأنفس معا . وفى الأولى كانت تتقدم المعمودية وتعقبها التوبة ، بعكس الثانية فالتوبة تتقدم . هذا إلى أن الأولى لم تكن سرا مقدسا كالثانية ، بل طقسا متوسطا بين الناموس والأنجيل ، ومرتسما من الله لمدة يسيرة (مت ٢١ : ٢٥)(١).

إنذاره :

٧ — وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه
يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى .
٨ — فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة . ولا تبتدئوا تقولون فى
أنفسكم لنا إبرهيم أبا . لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم
من هذه الحجارة أولادا لإبرهيم . ٩ — والآن قد وضعت
الفأس على أصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا
تقطع وتلقى فى النار .

٧ — فلما رأى يوحنا كثيرين من الفريسيين والصدوقيين(٢) يأتون إلى

(١) **أنواع المعمودية** : المعمودية على ثلاثة أنواع : (أ) معمودية يوحنا وهى المذكورة أعلاه (ب) معمودية الرسل قبل صلب المخلص وهى تقرب من معمودية يوحنا إذ كانت تهيىء الناس للتوبة وقبول المسيح وتتبعها الصلاة والعطاء (بمنزلة غفران الخطايا وموهبة البنوة) (ج) معمودية المخلص وهى المعمودية الكاملة التى تهب الخلاص وغفران الخطايا بقوة الروح القدس ، ولم يكن ممكنا أن تتم من التلاميذ لأن فاعلية الحميم لم تكن بعد قد تأيدت بآلام السيد وقيامته . أما معمودية موسى التى يقول عنها الرسول « وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحاب والبحر الأحمر » (١ كو ١٠ : ٢) فكانت لتطهير الأجسام من الجنابة أو عند التقدم إلى عظام ميتة أو مآكل محرمة، وكانت رمزية لا حقيقية ، فموسى رمز للكاهن ، وعصاه للصليب ، والبحر لجرن المعمودية ، والسحاب للروح القدس ، وبنو إسرائيل للمعتمدين ، وفرعون للشيطان .

(٢) **الفريسيون** : هم أكثر طوائف اليهود عددا وأعظمها مكانة وأكثرها ثقافة وأفضلها صلاحا ، وكانوا يظهرون الزهد فيصومون يومين فى الأسبوع ويخرجون العشور ويجعلون خيوط القرمز فى رءوس الثياب ،ويغسلون الأوانى والأطباق =

معموديته زجرهم قائلا « يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى »، وشبههم بأولاد الأفاعى(١) لخبث طويتهم ولسوء نيتهم وعدم انقيادهم إليه ، بدليل قولهم له « لماذا تعمد ولست أنت المسيح ولا إيليا » . ولعله أراد بزجرهم كسر شوكتهم لافتخارهم بالانتساب إلى إبرهيم مع ابتعادهم عن الاقتداء بعمله . أما « الغضب الآتى » الذى ربما يكون قد أشفق عليهم منه فهو الذى قال عنه الرسول « لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم » (رو ١ : ١٨) . ٨ — ثم طالبهم بصنع « أثمار تليق بالتوبة » أى بتقديم الأعمال الصالحة والعزم على إصلاح السيرة فى المستقبل ، إذ أن هذا هو الدليل الوحيد على التوبة الحقيقية . وأوضح لهم أن استنادهم على بنوتهم الطبيعية لإبرهيم بالإسم دون الفعل لا يعفيهم من التبعة لأن « الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبرهيم » ، أى يجعل من الخطاة عامة أولادا له بالإيمان إذا تابوا . ٩ — وأنذرهم أخيرا بخطورة هذه التبعة مبينا أن سيف العقاب مسلط فوق رأس من لا ينتصح ، وذلك بقوله « والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر » ، فالفأس هى الانتقام والشجر هو الناس ، وأصله كناية عن استئصال شأفتهم إن لم يرجعوا عن شرورهم ، ومصيرهم النار شأن الأشجار التى لا تثمر ثمرا جيدا .

نصائح :

١٠ — وسأله الجموع قائلين فماذا نفعل . ١١ — فأجاب

=ويظهرون النظافة ويفتخرون بمعرفتهم الدينية ويزعمون أنهم يستحقون لطف الله بأفعالهم ومحافظتهم على التقاليد ، ولذلك وصفهم المخلص بالرياء .

الصدوقيون : هم الزنادقة وكانوا من جنس السامريين وينسبون إلى صادوق وينكرون أكثر تعاليم الكتاب المقدس وأسفاره ما عدا أسفار موسى الخمسة ، ويكفرون بالملائكة والقيامة والروح القدس وخلود النفس والثواب والعقاب فى الآخرة وتقاليد الشيوخ ، ولكنهم يعتقدون بوجود الله وعنايته . وهم وإن كانوا أقل عددا من الفريسيين إلا أنهم أكثر منهم ثراء ووجاهة .

(١) **أولاد الأفاعى** : شرحنا هذا التشبيه فى إنجيل القداس ليوم ٨ توت فى الآية رقم ٣٣ .

وقال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام فليفعل
هكذا . ١٢ — وجاء عشارون أيضا ليعتمدوا فقالوا له
يا معلم ماذا نفعل . ١٣ — فقال لهم لا تستوفوا أكثر مما
فرض لكم . ١٤ — وسأله جنديون أيضا قائلين وماذا نفعل
نحن . فقال لهم لا تظلموا أحدا ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم.

١٠ — ومع أن الجموع كانت تعرف ما تتطلبه الشريعة فقد أرادوا أن يتبينوا منه إن كانت الأثمار التى يطالبهم بها هى المسطورة فيها أو هى غيرها ، ولذا سألوه قائلين « ماذا نفعل » . ١١ — ولأنه رسول صاحب السنة الجديدة فقد استجاز لنفسه أن يبلغهم بعض أوامرها فقال « من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام فليفعل هكذا » ، وهو لا يقصد هذه الأعمال بالذات وحدها ، بل يذكرها على سبيل المثال على اعتبار أنها من أعمال الرحمة المطلوبة . ١٢ — ولما سأله العشارون(١) عما يجب عمله ١٣ — أجابهم قائلا « لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم » أى لا تجبوا أكثر من قيمة العشور المفروضة على الناس من الحكومة . ١٤ — وأخيرا نهى الجنود عن أمور ثلاثة هى أولا ظلمهم للناس إذ كانوا يغتصبون أموالهم ، وثانيا الوشاية بهم إذ كانوا يشتكون عليهم من أجل جرائم لم يرتكبوها ليأخذوا منهم رشوة مقابل إطلاقهم أو مكافأة من الحاكم تلقاء تجسسهم له ، وثالثا وأخيرا الاكتفاء بعلائفهم أى بالأجرة التى فرضتها الحكومة لهم ، وهكذا كالطبيب الحاذق وصف لكل مرض روحى علاجه الملائم .

اعلانه عن المخلص :

١٥ — وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم
عن يوحنا لعله المسيح ١٦ — أجاب يوحنا الجميع قائلا أنا
أعمدكم بماء ولكن يأتى من هو أقوى منى الذى لست أهلا أن
أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار . ١٧ —
الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه .
وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ . ١٨ — وبأشياء أخر كثيرة
كان يعظ الشعب ويبشرهم .

(١) **العشارون** : هم الذين أقامتهم الحكومة الرومانية لجباية الجزية التى فرضتها على اليهود باعتبارهم خاضعين لها . وكانت تجبى منهم قسرا ، وكان العشارون يجبون زيادة عن المقرر ولذا كرههم اليهود وسموهم لصوصا .

١٥ — ولقد حملت جرأة يوحنا وتأثيره الجماهير على التساؤل إن كان هو المسيح ، ولعل لهم بعض العذر فيما ذهبوا إليه من زعم ، إذ قد سمعوا بميلاد المسيح وما صحبه من عجائب ، وترامى إليهم قول الملاك عند بشارته بيوحنا إنه يعد شعبا كاملا ، وقول أبيه عنه « وأنت أيها الصبى نبى العلى تدعى » ، هذا إلى ما شاهدوه منه من نسك وتقشف ، وما نادى به من توبة ، وما أعلنه من مبادىء تخالف ما نادى به الأنبياء من قبل كمبدأ الرحمة مثلا . ١٦ — وهنا انبرى يوحنا ، بعد الذى سمعه أو استدل عليه منهم ، فنفى هذا الزعم مشيرا فى جلاء إلى الفوارق الثلاثة بين المخلص وبينه فهو كما قال عن نفسه يعمدهم بماء للتوبة وذاك يعمد بالروح القدس ونار ، تلك المعمودية التى اعتمدها التلاميذ فى العلية ، وفيها طهرتهم ألسنة النار من الخطية ، ومنها استمد سائر المؤمنين الخيرات الجزيلة ، وهو ضعيف وذاك قوى ، وهو عبد وذاك سيد لا يستحق عبده « أن يحل سيور حذائه » أى أن يؤدى له أحقر خدمة كحل سيور حذائه وخلعه من رجليه أو على رأى البعض لا يستحق إدراك بعض أسراره الصغيرة . ١٧ — واستطرد المعمدان بعد ذلك يصور للسامعين سلطان المخلص وقضاءه العادل يوم الدين حتى لا يركنوا إلى التهاون فقال « الذى رفشه فى يده الخ . . . » ، فعبر عن السلطان بالرفش ، وعن العالم بالبيدر ، وعن المؤمنين بالقمح ، وعن الأشرار بالتبن ، وقال إنه يومئذ يورث المؤمنين نعيمه الدائم كما يجمع القمح إلى المخازن ، ويرسل الأشرار إلى ناره التى لا تطفأ كما يحرق التبن . ١٨ — وبأشياء أخرى كثيرة لم يشر إليها البشير كان يوحنا يعظ السامعين .

اليوم الحادى عشر من شهر طوبه

عيد الظهور الإلهى أو عيد الغطاس المجيد :(١)

تحتفل الكنيسة بهذا العيد سنويا تذكارا لعماد الرب ، ولظهور سر الثالوث الأقدس الذى كان مكتوما منذ الدهور وأظهر بالعماد . ويسمى بعيد الغطاس

(١) **عيد الغطاس** : كان مسيحيو الشرق يحتفلون بعيدى الميلاد والغطاس معا فى الأجيال الثلاثة الأولى ، ولكن لما تعين يوم ميلاد مخلصنا ويوم عماده من مؤلفات اليهود التى جمعها تيطس الرومانى ونقلها من أورشليم إلى رومية صاروا =

لأن الرب اقتبل فيه العماد بالتغطيس طبقًا لما هو مجمع عليه . وقد أخذت الكنيسة الاحتفال به من الرسل أنفسهم إذ جاء فى أوامرهم ما نصه « فليكن عندكم جليلا عيد الظهور الذى هو الغطاس لأن الرب بدأ يظهر فيه لاهوته فى معموديته فى الأردن من يوحنا . واعملوه فى يوم ٦ من الشهر العاشر للعبرانيين ، ١١ من الشهر الخامس « طوبه » للمصريين» (دسق ١٨). وقالوا « ولا تشتغلوا فى عيد الحميم لأن فيه ظهرت لاهوتية المسيح وشهد له الآب فى العماد ونزل عليه الروح القدس شبه حمامة وظهر الذى شهد له للقيام أن هذا هو الله الحقيقى وابن الله » رسطب ٦٦ (المجموع الصفوى ص ١٩٧ — ١٩٨) .

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « ظهور الثالوث الأقدس » ، فأنجيل العشية يتكلم عن الروح القدس وتجديده ، وإنجيل باكر عن شهادة الآب للابن ، وإنجيل القداس عن يسوع بأنه ابن الله :

مزمور العشية : (٤١ : ٧ ، ١٢)

يشير هذا المزمور إلى قيام يوحنا المعمدان بتعميد الناس فى نهر الأردن وإلى وصيته لهم بألا يعتمدوا فى خلاصهم على بنوتهم لإبرهيم بل على الله ، وإلى قول يوحنا عن يسوع إنه سيعمد بالروح القدس ونار كما جاء بفصل الأنجيل فيقول « لذلك أذكرك يا رب . فى أرض الأردن . توكلى على الله فأنى أعترف له . خلاص وجهى هو إلهى » .

أنجيل العشية : (مت ٣ : ١ — ١٢)

يتكلم هذا الفصل عن تجديد الروح القدس الذى يتم بمعمودية المخلص ، ودليل ذلك قول يوحنا للمعتمدين منه عن يسوع « أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن

= يحتفلون بالعيدين فى يومين مختلفين وانتقلت هذه الفريضة إلى الغرب . ولا يزال الغربيون يحتفلون فى عيد الغطاس بسجود المجوس الذين أعلن بواسطتهم المسيح ذاته للأمم ، كما كان المسيحيون القدماء يعمدون الموعوظين فيه ، ولا يزال بعض المؤمنين يعمدون أولادهم فيه .

الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » .

مزمور باكر : (٢٨ : ٣ ، ٤)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من أن المخلص وهو صاعد من الأردن بعد اعتماده من يوحنا جاءه صوت من السماء قائلا « أنت ابنى الحبيب » فيقول « صوت الرب على المياه إله المجد أرعد . الرب على المياه الكثيرة . صوت الرب بقوة . صوت الرب بجلال عظيم » .

أنجيل باكر : (مر ١ : ١ — ١١)

يتكلم هذا الفصل عن شهادة الآب للابن ، ودليل ذلك قول البشير «وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه . وكان صوت من السموات . أنت ابنى الحبيب الذى به سررت » .

مزمور القداس : (١١٧ : ٢٥ ، ٢٧)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من قول يوحنا المعمدان عن يسوع حين رآه مقبلا « هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » ، وقوله عنه « يأتى بعدى رجل صار قدامى لأنه كان قبلى » وقوله عنه « هذا هو ابن الله » فيقول « مبارك الآتى باسم الرب . باركناكم من بيت الرب . أنت هو إلهى فأشكرك . إلهى أنت فأرفعك » .

أنجيل القداس : (يو ١ : ١٨ — ٣٤)

يتكلم هذا الفصل عن يسوع ابن الله ، ودليل ذلك شهادة يوحنا المعمدان عنه إذ يقول « وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله » .

الرسائل :

تتكلم هذه الرسائل الثلاث عن موضوع واحد هو « الثالوث الأقدس » ، فالبولس يتكلم عن محبة الله الآب ، والكاثوليكون عن نعمة ابنه الوحيد ، والأبركسيس عن مواهب الروح القدس :

البولسى : (تى ٢ : ١١ — ٣ : ١ — ٧)

يبين الرسول فى رسالته أنه « قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى » ، ثم يقول « لأننا كنا نحن أيضا أغبياء غير طائعين ضالين . . . ولكن بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس . . . حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة » .

الكاثوليكونه : (١ يو ٥ : ٥ — ٢١)

يقول الرسول « من هو الذى يغلب العالم إلا الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله هذا هو الذى أتى بماء ودم . . . والروح هو الذى يشهد » . ثم يقول « والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد » ، ويضيف قائلا « كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكى تعلموا أن لكم حياة أبدية » ويختم بقوله « إن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق » .

الابركسيس : (أع ١٨ : ٢٤ — ١٩ : ١ — ٦)

يتكلم هذا الفصل أولا عن أبلوس الأسكندرى الذى كان « وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفا معمودية يوحنا فقط » ، ثم يشير إلى مجىء بولس إلى أفسس وسؤاله التلاميذ « هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم . قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس » . فلما علم أنهم اعتمدوا بمعمودية يوحنا عمدهم باسم الرب يسوع ، ولما وضع يديه عليهم حل الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون .

إنجيل العشية

(مت ٣ : ١ — ١٢)

معمودية يوحنا

١ — وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية . ٢ — قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات . ٣ — فأن هذا هو الذى قيل عنه بأشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب . اصنعوا سبله

مستقيمة . ٤ — ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد . وكان طعامه جرادا وعسلا بريا . ٥ — حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن . ٦ — واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم .

٧ — فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى . ٨ — فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة . ٩ — ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبرهيم أبا . لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبرهيم . ١٠ — والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار . ١١ — أنا أعمدكم بماء للتوبة . ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار . ١٢ — الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ .

(راجع قداس اليوم العاشر من طوبه)

إنجيل باكر

(مر ١ : ١ — ١١)

معمودية يوحنا

١ — بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله .

٢ — كما هو مكتوب فى الأنبياء . ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك . ٣ — صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة . ٤ — كان يوحنا يعمد فى البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا . ٥ — وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم . ٦ — وكان يوحنا يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه ويأكل جرادا وعسلا بريا . ٧ — وكان يكرز قائلا يأتى بعدى من هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه . ٨ — أنا عمدتكم بالماء وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس .

٩ — وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا فى الأردن . ١٠ — وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه . ١١ — وكان صوت من السموات . أنت ابنى الحبيب الذى به سررت .

(شرحت الأعداد ١—٨ فى قداس ١٠ طوبة والأعداد ٩—١١ فى باكر ١٢ طوبه) .

إنجيل القداس

(يو ١ : ١٨ — ٣٤)

شهادة المعمدان ليسوع

تمهيد :

بعد أن اعتمد السيد المسيح من يوحنا المعمدان فى الأردن ، وبعد حادثة تجربة الشيطان له فى البرية أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين إلى يوحنا فى بيت عبرة عبر الأردن حيث كان يعمد ليسألوه من أنت . وفصل الأنجيل الذى يتناول ما دار بين الفريقين من محاورة يتكلم عن شهادة المعمدان عن نفسه بأنه ليس المسيح بل الصوت الصارخ فى البرية الذى يمهد له الطريق ، وعن شهادته عن يسوع أولا بأنه أزلى ، وثانيا بأنه ابن الله .

تمهيد الطريق ليسوع :

١٨ — الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر .

١٩ — وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت . ٢٠ — فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح . ٢١ — فسألوه إذاً ماذا . إيليا أنت . فقال لست أنا . النبى أنت . فأجاب لا . ٢٢ — فقالوا له من أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا . ماذا تقول عن نفسك . ٢٣ — قال أنا صوت صارخ فى البرية قوّموا طريق الرب كما قال إشعياء النبى .

١٨ — يقرر البشير فى فصل الأنجيل أن « الله لم يره أحد قط » ، فلا أحد

من الناس أو الملائكة عرفه حق المعرفة ليعلن صفته ، لأن الرؤية ضرورية لكمال المعرفة . وقديما طلب موسى من الله قائلا « أرنى مجدك » فأجابه قائلا « لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠ — ٢٢) . وأيد بولس الرسول هذه الحقيقة بقوله « الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » (١ تى ٦ : ١٦) . ورب معترض يقول فكيف يقول إشعياء إنى رأيت الله جالسا على كرسى عظيم ، ويقول حزقيال إنى رأيته جالسا على الكاروبيم ، ودانيال وغيره قد نظروه ، وكيف يقول السيد نفسه عن الأولاد الصغار « إن ملائكتهم كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات » ، ويقول أيضا « طوبى لأنقياء القلب فأنهم يعاينون الله » ، ويرد على ذلك بأن الله ليس بجسم ، فلا يظهر للحواس ولا يجلس . إنما هو لفضل عنايته إذا أراد الظهور اتخذ مادة من الهواء كما يفعل الملائكة وظهر منها كما يشاء ، وهو لا يظهر بنفس جوهره لأنه غير محسوس . وأنقياء القلب يعاينونه من رؤية أعماله العالية ، وهذا هو الذى تنظره الملائكة والأنبياء والصديقون . وإن كان جل شأنه ظهر لإبرهيم وموسى ودانيال وغيرهم فى جسم إنسان فليس هذا بدليل على أن له هيئة كهيئة البشر أو أنهم رأوه نفسه ، لأنه روح لم يره أحد قط ، وإنما رأوا هيئة جسدية وقتية كان يظهر بها أحيانا ليعلن إرادته الصالحة لعبيده الأمناء .

وحيث أن ظهور الله غير ممكن فقد أفصح البشير عن الذى ظهر لنا بقوله « الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبّر »(١) ، ويريد بذلك أن ابن الله الأزلى هو الذى ظهر لنا بأن تجسد وعلّمنا الحق . وسماه الوحيد ليس لأنه وحيد بالعَرَض بل بالجوهر ، وهذا النص وغيره من النصوص الإلهية العديدة المماثلة تبين أن بين كلمة الله الأزلى والجسد المحبول من الروح القدس والقديسة مريم وحدة حقيقية طبيعية منزهة عن التثنية والانقسام . وهذا الابن الوحيد هو « فى حضن الآب » أى مساو له فى الجوهر والسلطان والقدرة وغير مفارق له ، إذ مع أنه كان بناسوته على الأرض ، كان بلاهوته فى حضن الآب ، كما هو منذ الأزل وإلى الأبد ، وهو الذى « خبّر » ، أى هو الذى أعلن لنا أفكار الله

(١) الابن الوحيد : قرئت هذه العبارة فى النسخة القبطية « وحيد الجنس الإلهى الكائن فى حضن أبيه هو خبّر » .

ومشيئته ، لأنه كلمته وكان عنده منذ الأزل ، وهو والآب واحد . والواقع أن كل ما أعلنه رجال الله الأمناء كأبرهيم وموسى وأشعياء وغيرهم لم يكن إلا ما أعلن لهم بطريق الوحى أو الرؤيا وكله من معلنات الأقنوم الثانى ، الذى هو وحده القادر أن يعلن الله ، كما قال يوحنا البشير « ليس أن أحدا رأى الآب إلا الذى من الله . هذا قد رأى الآب » (يو ٦ : ٤٦) ، وكما قال السيد عن نفسه « كل شيء دُفع إلىّ من أبى . . . . ولا أحد يعرف الآب إلا الابن » (مت ١١ : ٢٧) .

١٩ — ولقد لفتت سيرة يوحنا الملائكية أنظار اليهود فظنوه المسيح المنتظر خصوصا وقد زال القضيب من يهوذا وانقضت أسابيع دانيال (دا ٩ : ٢٤) ، ورأوا من واجب وظيفتهم الدينية أن يسألوه من أنت ، ولذا أرسلوا إليه كهنة ولاويين لتكون الشهادة أمامهم أوثق . ومع علمهم بأنه لاوى وابن كاهن ، بينما يجب فى المسيح أن يكون من سبط يهوذا ومن بيت داود ، فقد حملهم بغضهم ليسوع واحتقارهم لشأنه ، ونسبته ليوسف النجار أن يرسلوا الرسل إلى يوحنا حتى إذا قال إنه المسيح أعرضوا عن إكرام يسوع . ٢٠ — ولما كان المعمدان عارفا بمكرهم فقد بدد فى إجابته كل زعم بأنه المسيح رافضا بذلك كل إكرام كان يستعد الناس لتقديمه إليه على هذا الأساس .

٢١ — ولما رأى الوفد اعترافه الصريح سألوه قائلين « إذاً ماذا . إيليا أنت » ، وذلك أنهم كانوا يتوقعون مجيء إيليا النبى بذاته من السماء قبل مجيء المسيح ، وأنه يعمد الناس وفقا لقول الله « وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهركم . وأعطيكم قلبا جديدا وأجعل روحا جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم » (حز ٣٦ : ٢٥ — ٢٦) وكذلك وفقا لقوله « فى ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية وللنجاسة » (زك ١٣ : ١) ، وقد أجاب يوحنا على سؤالهم بالنفى أيضا ولو أنه جاء بروح إيليا وقوته ، وأنه المقصود فى نبوة ملاخى القائلة « هأنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف » (ملا ٤ : ٥) .

وإذ كان اليهود يعتقدون بمجيء النبى الذى أشار إليه موسى بقوله « يقيم

الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) ، فقد عاد الرسل يسألونه « النبى أنت » ، وهذه النبوة فى رأى بعض اليهود تشير إلى المسيح ، وفى رأى البعض الآخر تشير إلى نبى آخر يقترن مجيئه بمجيء المسيح ، وقد اعترف يوحنا فى إجابته بأنه ليس النبى المقصود . ٢٢ — وحينئذ لما رأى الرسل نفيه لفروضهم الثلاثة سألوه « من أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا » ، ٢٣ — فرد قائلا « أنا صوت صارخ فى البرية »(١) مشيرا بذلك إلى أنه المتمم لنبوة إشعياء (أش ٤٠ : ٣) ، وأن قدوم الملك المنتظر قد حان ، وأنه سابقه الذى يعد له الطريق .

أريتيه :

٢٤ — وكان المرسلون من الفريسيين . ٢٥ — فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى .
٢٦ — أجابهم يوحنا قائلا أنا أعمد بماء . ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه . ٢٧ — هو الذى يأتى بعدى الذى صار قدامى الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه .
٢٨ — هذا كان فى بيت عبرة فى عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد .

٢٤ — ولما كان الرسل الذين أرسلهم اليهود إليه من الفريسيين ، وهم الذين « رفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه » (لو ٧ : ٣٠) ، فلم يكن غرضهم من توجيه الأسئلة إليه الوصول إلى الحقيقة بل المقاومة ، ٢٥ — ولذا حملهم الحسد على القول « فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى » . ٢٦ — ومع أنهم بسؤالهم خرجوا عن حدود العقل والأخلاق الكريمة وتخبطوا فى كلامهم ، فقد أجابهم يوحنا بكل تواضع قائلا « أنا أعمد بماء » لأستحثكم على التوبة وأحملكم على الإستعداد لمعمودية المسيح ، « ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه » حق المعرفة إذ تظنونه إنسانا وضيعا مع أنه الإله الأزلى ، ٢٧ — هذا هو الذى يأتى بعدى وهو الذى لا أستحق « أن أحل

(١) الصوت الصارخ فى البرية : شرحنا هذه العبارة فى أنجيل القداس ليوم ١٠ طوبة تحت رقم ٤ .

سيور حذائه » أى لا أستحق أن أؤدى له أحقر خدمة(١). ٣٨ — وهذا الأقوار من يوحنا لم يصدر خفية بل على ملأ من الناس فى بيت عبرة(٢) بجانب الأردن وهو المكان الذى عبر عنده بنو إسرائيل الأردن عند مجيئهم إلى أرض كنعان ، واختاره يوحنا للتعميد لكثرة مياهه ، وإحياء لذكرى عبور بنى إسرائيل إلى أرض الميعاد ، ولأنه عرضة لاجتماع الناس فيه .

وأنه ابن الله :

٢٩ — وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا إليه فقال هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم . ٣٠ — هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل صار قدامى لأنه كان قبلى . ٣١ — وأنا لم أكن أعرفه . لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء . ٣٢ — وشهد يوحنا قائلا إنى قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه . ٣٣ — وأنا لم أكن أعرفه . لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلا ومستقرا عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس . ٣٤ — وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله .

٢٩ — وفى اليوم التالى لأداء الشهادة رأى يوحنا يسوع مقبلا وهو عائد من التجربة فى البرية ، وكانت عودته ليتيح الفرصة ليوحنا ليشهد له ، وحينئذ قال على مسمع من الجماهير المحتشدة لسماع وعظه والاعتماد منه « هوذا حمل الله الذى يرفع (٣) خطية العالم » . وتسميته بالحمل فيها إشارة إلى أنه المرموز إليه بخروف الفصح كما يقول الرسول « لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا » (١ كو ٥ : ٧) ، وأنه المقصود فى نبوة إشعياء القائلة « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه » (أش ٥٣ : ٧) ، وأنه الحمل الذى « بلا عيب ولا دنس » (١ بط ١ : ١٩) ، وأنه الذى قيل عنه فى سفر الرؤيا « مستحق هو الخروف أن يأخذ القدرة والغنى » (رؤ ٥ : ١٢) . وسماه « حمل الله » لأنه تعين من الله منذ الأزل أن يذبح فداء عن العالم

(١) أصل سيور حذائه : شرحنا هذه الآية بقداس ١٠ طوبة تحت رقم ١٦ .

(٢) بيت عبرة : قرئت هذه الكلمة فى النسخة القبطية « بيت عنيا » .

(٣) يرفع خطية العالم : قرئت فى النسخة القبطية « يحمل خطية العالم » .

لا عن اليهود فقط ، كما يقول الرسول « وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا » (١ يو ٢ : ٢) . ٣٠ — ثم قال يوحنا إنه هو الذى أشار إليه قبلا فى شهادته التى قال فيها « يأتى بعدى رجل صار قدامى لأنه كان قبلى » . ٣١ — وقرر أنه لم يكن يعرفه بل حينما جاء ليتعمد منه عرفه بألهام إلهى ، وأن الله عرفه به بالوحى لكى يظهره لبنى إسرائيل . ٣٢ — ثم شهد بأنه رأى الروح نازلا مثل حمامة(١) من السماء ومستقرا عليه ، وهذا الاستقرار هو للدلالة على حصول المخلص على نعمة الروح القدس حصولا مستمرا فى حين أن غيره من الناس تحل عليهم المواهب الضرورية لتقديسهم . ٣٣ — ثم قال « وأنا لم أكن أعرفه » أى فى الوقت السابق على مجيئه إلى الأردن ليعمد . ولكن لما جاء إليه السيد ليعتمد عرفه بألهام من الله وقال له « أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ » . وتدل عبارة « الذى أرسلنى قال لى » أن الله تعالى أمر يوحنا بأن يعمد ووعده بأن يعرفه بالمسيح ، وأمره بالشهادة له . ٣٤ — وختم يوحنا شهادته عن السيد بقوله إنى قد تحققت أنه « ابن الله » أى الكلمة المتجسد ، وأنه لا أحد يعمد بالروح القدس ويهب المؤمنين به حياة روحية لتجديدهم ما لم يكن هو الله .

اليوم الثانى عشر من شهر طوبه

ثانى أيام عيد الغطاس المجيد :

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « معمودية المخلص » ، فأنجيل العشية يتكلم عن صلاته قبل المعمودية ، وإنجيل باكر عن عماده لتكميل كل بر ، وإنجيل القداس عن جلاله :

مزمور العشية : (٤١ : ١ ، ٧)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من مجىء جميع الشعب للاعتماد من يوحنا ، وإلى صلاة يسوع قبل أن يعتمد منه فى الأردن فيقول « كما يشتاق

(١) نزول الروح القدس مثل حمامة : شرحنا ذلك فى الآية رقم ١٦ من أنجيل باكر ليوم ١٢ طوبه .

الأيل إلى ينابيع المياه ، كذلك تاقت نفسى أن تأتى إليك يا الله . لذلك أذكرك يا رب . فى أرض الأردن » ..

انجيل العشية : (لو ٣ : ٢١–٢٢)

يتكلم هذا الفصل عن صلاة المخلص قبل المعمودية ، ودليل ذلك قول لوقا « ولما إعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا . وإذ كان يصلى انفتحت السماء » .

مزمور باكر : (٣٣ : ١٠ ، ٤)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من قول المعمدان للمخلص « أنا محتاج أن أعتمد منك » ، وإلى سماحه بأن يعتمد منه فيقول « هلم أيها الأبناء واسمعونى. لأعلمكم مخافة الرب . تقدموا إليه واستنيروا . ووجوهكم لاتخزى » .

انجيل باكر : (مت ٣ : ١٣–١٧)

يتكلم هذا الفصل عن عماد المخلص لإتمام كل بر ، ودليل ذلك قوله ليوحنا المعمدان الذى منعه من الاعتماد « إسمح الآن . لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر »

مزمور القداس : (١٠٣ : ١ ، ٢)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من مباركة المعمدان للمخلص بقوله عنه « هوذا حمل الله » ، وإلى شهادة نثنائيل عنه بقوله « أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل » فيقول « باركى يا نفسى الرب . أيها الرب الإله قد عظمت جدا . الاعتراف وعظم الجلال تسربلت : اشتملت بالنور مثل الثوب » .

انجيل القداس : (يو ١ : ٣٥–٥١)

يتكلم هذا الفصل عن جلال المخلص ، ودليل ذلك قول نثنائيل عنه « يا معلم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل » .

الرسائل :

تدور هذه الرسائل الثلاث حول موضوع واحد هو « معمودية المخلص » ، فالبولس يتكلم عن نعمة يسوع لنا بها ، والكاثوليكون عن ضرورتها للخلاص ، والأبركسيس عن الأيمان بها :

البولس : (أف ١ : ١–١٤)

فى هذه الرسالة يبارك الرسول الله « الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح » إذ عيننا للتبنى به ، ويتكلم عنه قائلا « الذى فيه لنا الفداء بدمه » والذى فيه أيضا نلنا نصيبا . ويخاطب أهل أفسس عنه بقوله « والذى فيه أيضا أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذى فيه أيضا إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده » .

الكاثوليكون : (١ بط ٣ : ١٥–٢٢)

يشير الرسول هنا إلى أناة الله التى كانت « تنتظر مرة فى أيام نوح إذ كان الفلك يبنى الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس » . ويبين أن المعمودية هى مثال هذا الفلك فيقول « الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية » .

الأبركسيس : (أع ٨ : ٢٦–٣٩)

يتكلم هذا الفصل عن الخصى الحبشى الذى كان وزيرا لكنداكة ملكة الحبشة وما كان من أمره مع فيلبس الرسول وطلبه الاعتماد . وهنا يقول له فيلبس « إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز . فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله . فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصى فعمده».

إنجيل العشية

(لو ٣ : ٢١ – ٢٢)

يسوع يصلى ويعتمد

٢١ – ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا .
وإذ كان يصلى انفتحت السماء ٢٢ – ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلا أنت ابنى الحبيب بك سررت .

(راجع إنجيل باكر ليوم ١٢ طوبه)

إنجيل باكر

(مت ٣ : ١٣ — ١٧)

يسوع يعتمد من يوحنا(١)

تمهيد

لما بلغ السيد المسيح الثلاثين من عمره ترك الناصرة حيث كان يقيم مع أمه ويوسف النجار وجاء إلى الأردن ليعتمد من يوحنا . وفصل الأنجيل الذى يتناول موضوع اعتماده يشير أولا إلى المحاورة البسيطة التى دارت بينهما وانتهت برضوخ يوحنا لسيده وتعميده ، وثانيا إلى ظهور سر الثالوث الأقدس على أثر صعود المخلص من الماء :

يسوع يعتمد :

١٣ — حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا
ليعتمد منه . ١٤ — ولكن يوحنا منعه قائلا أنا محتاج أن
أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ . ١٥ — فأجاب يسوع وقال له
اسمح الآن . لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر . حينئذ
سمح له .

١٣ — رأى السيد المسيح قبل أن يشرع فى الخدمة العلنية أن يعتمد من يوحنا لأسباب نشير إليها فيما بعد ، فبدلا من أن يستدعيه إليه فى الجليل ، وهى فى أطراف بلاد إسرائيل ، تنازل تواضعا منه وذهب إليه عند الأردن حيث يجتمع الناس وتتاح ليوحنا فرصة الشهادة عنه أمامهم . ١٤ — ولما أبدى المخلص رغبته فى الاعتماد امتنع يوحنا فى بادىء الأمر عن إجابتها ، وكان قد عرفه بطريق الوحى ، وقال له « أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ » ، فأنت السيد وأنا العبد ، وأنت الشمس وأنا السراج ، وأنت الكامل وأنا الناقص ، وبهذه الإجابة دلل على نواياه الحقيقية ، إذ كان يريد الإعلان بين الناس عن نقصانه وحاجته

(١) اعتماد يسوع : ورد هذا الموضوع أيضا فى (مر ١ : ٩ — ١١ ، لو ٣ : ٢١ — ٢٣) .

للعماد ، وعن كمال سيده . ١٥ — والعالم بهذه السريرة أجابه قائلا « اسمح الآن » أى دع عنك هذا الآن فسوف يأتى زمان تبلغ فيه أمنيتك مما يذاع بين الناس عن تعاليمى المحيية ومعجزاتى الفائقة ، ثم قال « لأنه يليق بنا أن نكمل كل بر » وهو قول تعددت فى تفسيره الآراء . فمن قائل إن السيد يريد أن يقول إننى يجب أن أعتمد منك وأظهر نفسى كالمحتاج حتى أسلك سبيل التواضع الذى هو كمال البر . ومن قائل إنه يريد أن يقول إننى لم أحرم شيئا من السنة القديمة التى سماها البر ولذا يجب أن أعتمد معموديتك التى هى نهايتها حتى لا يتقول الناس علىّ . ويرى فريق ثالث أنه يريد أن يقول يجب أن أعتمد معموديتك وأكملها بالروح القدس والبنوة وأسلمها للرسل ليعطوها للناس ليحيوا بها ، وكذا كهنوتك الذى أخذته عن موسى أكمله وأسلمه للرسل فيفيضونه على الناس . ويرى فريق رابع أنه يريد أن يقول إننى يجب أن أتمم البر بالاعتماد منك لأنك عند الناس نبى .

حكمة اعتماده :

رضخ يوحنا لسيده على أثر سماع إجابته وعمده . وهنا يجب إجلاء بعض المسائل المتعلقة باعتماده وأولها الأسباب الداعية لذلك وهو غير محتاج إلى عماد التوبة إذ هو منزه عن الخطية . والواقع أنه قصد باعتماده إتاحة الفرصة ليوحنا ليشهد عنه ، وقصد إظهار نفسه لبنى إسرائيل وجعل المعمودية مثالا لسر موته وقيامته ، كذلك قصد تقديس جسدنا بالروح القدس بتوسط جسده وحلوله عليه ، وأخيرا اعتمد لإظهار سر الثالوث الأقدس .

اعتماده من يوحنا :

أما اعتماده من يوحنا فلكى يكون مثلا يحتذى فى التواضع ، إذ وهو إله تعمد من يوحنا وهو عبد ، ولأن يوحنا كان محبوبا من الشعب واختصه الله بهذه الخدمة ، وتوكريما له بتخويله شرف وضع يده على رأس من تغطى السارافيم وجهها من بهاء مجده ، وليعمده باعتماده منه إذ لما وضع يوحنا يده على رأس السيد نال المعمودية منه .

اعتماده بالماء :

و اعتمد السيد بالماء لا بغيره كالدهن أو الخمر أو الخل أو الزيت أو اللبن

أو عصير الأزهار، مع أن الكهنة والملوك كانوا يمسحون قديما بالدهن، وذلك لأسباب كثيرة :

١ — فالجبلة الأولى كانت بالماء فجعلت الولادة الثانية من المعمودية به أيضا .

٢ — والماء يطفىء النار والعطش، وماء المعمودية يطفىء نار الشهوات والظمأ إليها .

٣ — والماء أداة التطهير واتخذ فى المعمودية لتتطهر بها أجسامنا من الخطية وتستنير وجوهنا ، وكان العبرانيون يعتمدون به .

٤ — ولأنه موجود فى كل مكان فتصير المعمودية فى متناول كل أحد .

٥ — ولتقديس الماء حتى لايبقى جسم فى العالم بغير تقديس . فقد قدس الأرض بدفنه ، والماء بعماده ، والهواء بصليبه .

٦ — ولإزالة ما علق بالنفوس من أن الماء سبب الهلاك إذ به كان الطوفان وفيه هلك المصريون وغيرهم .

٧ — ولأن أداتى التطهير هما الماء والنار، فمن لم يتطهر بماء المعمودية طرح فى النار الأبدية

اعتماده فى الأردن :

واعتمد مخلصنا فى الأردن دون غيره من الأنهار للأسباب الآتية :

١ — كان عبور يشوع فيه إلى أرض الميعاد علامة على أن من يعتمد فيه بالروح يرث ملكوت السموات .

٢ — اجتياز إيليا فيه قبل صعوده يشير إلى أن من يعتمد فيه يصعد إلى السماء .

٣ — تطهير نعمان السريانى فيه من برصه دليل على أن من يعتمد فيه يتطهر من برص الخطية .

٤ — وكان للأردن عينان إحداهما وتدعى نون لرى أراضى الشعوب، والأخرى تدعى دنان ومنها يشرب شعب إسرائيل . فاعتماد السيد فيه دليل على اجتماع الأمم مع شعب الله فى نعمته .

٥ — ومرور الأردن فى بحيرة طبرية بغير أن يختلط ماؤه العذب بمائها الملح يدل على أن من يعتمد العماد الروحانى وهو فى العالم لايشترك فى أدناس العالم .

برهنا يضع يده على رأس السيد :

ولم يذكر فى الأنجيل أن يوحنا وضع يده على رأس السيد عند العماد ولكن هذا مشهور فى العهدين القديم والحديث ، ففى أولهما قال الله لموسى أضع يدى عليك ؛ وموسى وضع يده على هرون لما سامه كاهنا . وفى العهد الجديد لاتتم رسامة كاهن إلا بوضع اليد ، وكذلك فى العماد ، فلا بد إذاً أن يكون يوحنا وضع يده على رأس السيد . ويرى فريق من الشراح أن يوحنا احتمل بيمينه جميع خطايا العالم ووضعها على رأس المخلص ، وعندما غاص فى الماء أغرق تلك الخطايا فيه ؛ وهكذا لما علق على الصليب جعل على رأسه إكليل من الشوك دلالة على أنه حمل خطايا العالم بأسره وأماتها بموته . وفى العهد القديم كان يأتى الخاطىء للكاهن بذبيحة فيضع يده على رأسها فيقتل بذلك الخطية منه ، وبذبحها وإحراقها تزول الخطية منه . ويرى فريق آخر أن الكهنوت الذى وهبه الله لموسى على جبل سيناء منحه هذا لهرون ، وصار يتوارث حتى وصل إلى يوحنا الذى أعطاه للمخلص لا لحاجة منه إليه بل حتى لاتتبلبل الموهبة الأولى ، والمخلص أعطاه لتلاميذه وهكذا يستمر متسلسلا ما دام العالم باقيا . ويرى بعضهم أن يوحنا لم يقل شيئا حينما وضع يده على رأس السيد ، بينما يرى البعض الآخر أنه قال « أنت الكاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق » .

اعتماده فى الثلاثين :

واعتمد المخلص فى سن الثلاثين بدليل قول لوقا « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة » (لو ٣ : ٢٣) ، وهى السن التى يجوز للاويين فيها أن يشرعوا فى مباشرة وظائفهم ، لأنها حسبت سن الكمال عقلا وجسما (عد ٤ : ٣) . هذا إلى أن السيد حينما هرب إلى مصر كان عمره سنتين وبقى بها ثلاث سنين ، وعاد إلى الناصرة حيث أقام خمسا وعشرين سنة ثم اعتمد. ولاختيار هذه السن أسباب عديدة :

١ — فآدم الأول خلق فى سن الثلاثين لذا وجب أن يعتمد آدم الثانى وهو مبدأ العالم الجديد فى هذه السن .

٢ — قام السيد بأجراء مقتضى الشريعة القديمة على أحسن وجه مدة ثلاثين سنة

حتى لا يرمى بالقصور ، وهى المدة التى يستولى فيها على الإنسان خطايا الصبا والمراهقة والمشيب ، أى نقصان الرأى ، والالتهاب بالشهوات ، ومحبة المال على الترتيب ، ثم اعتمد وشرع يكمل الناموس القديم بشريعة العهد الجديد .

٣ — ولو باشر مهمته وهو دون الثلاثين لتعرض للأعراض عنه ، إذ لم تجر العادة بالإصغاء إلى حديثى السن ، ولأن الثلاثين هى تكرار العشرة ثلاث مرات والثلاثة عدد كامل ، وهو رمز على ظهور سر الثالوث الأقدس ، وعلى تجربة الشيطان له ثلاث مرات ، وعلى أنه سينتصر على الموت فى ثلاثة أيام ، والشهادة على ذلك تصح من شاهدين أو ثلاثة .

٤ — وأخيرا كانت هذه السن عربونا منه على أن الناس فى القيامة العامة سيقومون فى سن الثلاثين لأن المعمودية هى سر موتنا وقيامتنا .

ظهور الثالوث الأقدس :

١٦ — فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء . وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه .
١٧ — وصوت من السموات قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت .

١٦ — ولما اعتمد المخلص صعد للوقت من الماء ، وصعوده يدل بالبديهة على أنه انغمس فيه(١) . وإذا السموات قد انفتحت ونزل منها الروح القدس

(١) المعمودية بالتغطيس : كانت سائر الكنائس الرسولية تتمم سر المعمودية بالتغطيس كما تسلمت من الرسل حتى القرن الثالث حيث ابتدعت الكنيسة الرومانية طريقة الرش حبا فى الجديد ولبرودة الطقس ، ونقلها عنها البروتستنت اعتمادا على الحادثة الواردة فى سفر الأعمال وفيها اعتمد ثلاثة آلاف نفس (أع ٢ : ٤١) ، ويرجحون أن اعتمادهم تم بطريق الرش بحجة « أن الوقت يضيق بتغطيس هذا العدد والأحوال لا توافق ذلك » . وفى الحقيقة ليس هناك ما يمنع من تغطيس مثل هذا العدد أو أكثر منه فى أحد الأنهار كالأردن مثلا فى يوم واحد ، سيما وأن ذلك تم على يد الهيئة الرسولية كلها . والكنيسة القبطية تستند فى وجوب التغطيس على الأدلة الآتية :

١ — قول الكتاب « فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء » (مت ٣ : ١٦) وصعوده يدل على أنه كان قد انغمس فيه لأن يوحنا كان لا يغسل الرأس وحده =

على هيئة حمامة ، ويزيد لوقا الموضوع إيضاحا بقوله « وإذ كان يصلى انفتحت السموات » (لو ٣ : ٢١) . ويعلل المفسرون انفتاح السموات(١) بقولهم إنها كانت قد أغلقت فى وجه البشرية بمعصية آدم ففتحها معمودية المخلص التى نقضت الخطية وقضت على سلطانها وأعادت البشرية إلى حالتها الأولى . وانفتاحها يشير إلى أن المخلص الذى اعتمد ، من السماء جاء وإليها يعود ، وأن كل من يعتمد مصيره إلى السماء بعد القيامة متى كانت أعماله مرضية ، وأن المواهب منذ ذلك الحين من السماء تؤخذ لا من الهيكل .

= بل الجسم كله ، ولذا كان يعمد فى عين نون لأنه كان هناك مياه كثيرة ، أى عميقة (يو ٣ : ٢٣) .

٢ — نزول الخصى من المركبة واعتماده بالتغطيس فى البركة من فيلبس ، وإلا لو كان تعمد بالرش لاكتفى بما معه من الماء فى المركبة دون الحاجة إلى نزول وصعود (أع ٨ : ٣٩) .

٣ — لأن المعمودية مثال موت السيد ودفنه كما قال عنها الرسول « فدفنا معه بالمعمودية للموت » (رو ٦ : ٣) ، والميت لا يدفن منه عضو ويترك آخر وكذلك المعتمد .

٤ — المعمودية ولادة ثانية والولادة تشمل سائر الأعضاء لا بعضها .

٥ — وكلمة فابتزما اليونانية ومعناها العماد فيها معنى إدخال الشىء فى السائل وكبسه .

٦ — وبقاء أجران المعمودية إلى الآن فى أقدم كنائس رومية دليل على طريقة ممارسة هذا السر فى بدء المسيحية .

٧ — شهادة مؤرخيهم البروتستانتى وما جاء ببعض كتب البروتستنت يؤيد استعمال التغطيس فى بدء المسيحية .

على أن الكنيسة القبطية تجيز الرش فى الأحوال الاستثنائية كالمرض الشديد أو الإشراف على الموت ، والشاذ لا حكم له .

(١) انفتاح السماء : ورد فى آيات كثيرة من الكتاب المقدس ذكر انفتاح السماء كما يتضح مما يأتى (تك ٧ : ١١ ، مز ٧٨ : ٢٣—٢٤ ، أش ٢٤ : ١٨ ، حز ١ : ١ ، ملا ٣ : ١٠ ، يو ١ : ٥١ ، أع ٧ : ٥٦) ، وقدماء الفلاسفة ينكرون جواز انفتاح السماء وغلقها ، ولهم فى ذلك أدلة أوردها مع الرد عليها العلامة ابن كاتب قيصر فى تفسيره لسفر الرؤيا صفحة ٧٥ فلتراجع هناك .

نزول الروح القدس :

ولما انفتحت السموات رأى يوحنا(١) روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه(٢). ونزول الروح القدس من السماء يدل على أن هذه النعمة التى نلناها جديدة . لا كما جرى العرف قديما حين كانت النعمة تستمد من الهيكل والمذبح لا من السماء . أما الأسباب التى استوجبت نزول الروح القدس فهى لكى يظهر سر الثالوث الأقدس، وللدلالة على أن المعتمد إله متجسد ، إذ أن الروح القدس من جنسه وطبيعته، وللقضاء على زعم الشعب بأن يوحنا أجل منه لزهده وتقشفه وكونه من أولاد الكهنة ، ولتعود موهبة الروح القدس إلى الجنس البشرى بعد أن فقدها آدم بخطيته .

أما سبب ظهور الروح القدس فى هيئة حمامة دون سائر الحيوانات فلأنها من دونهم هادئة محتملة وديعة لا تحقد على من يأخذ أولادها ، وظهور الروح القدس فى شبه جسمها دليل على تراؤف الله علينا والأخذ بيدنا فى طريق الأبناء

---

(١) **رؤية الروح القدس** : يرى بعض المفسرين أن يوحنا وحده أبصر الروح بدليل قوله « إنى رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه » . وأما الصوت القائل « هذا هو ابنى الحبيب » فقد سمعه الحاضرون أيضا . ولكن فريقا آخر من المفسرين يقول إن يوحنا وكذا الجموع أبصروا الروح .

(٢) **سر الميرون** : رتبت الكنيسة أن يمسح المعتمد بالميرون المقدس على أثر خروجه مباشرة من المعمودية، لأن السيد المسيح حالما صعد من الأردن حل عليه الروح القدس ، والميرون هو الحمامة التى حلت عليه . ولأن الرسل كانوا يمنحون هذا السر للمعتمدين على أثر اعتمادهم ، كما فعلوا مع أهل السامرة وسكان أفسس إذ صلوا ووضعوا عليهم الأيدى (أع ٨ : ١٧ . ١٩ : ٦) ، ولأن الكنيسة اعتادت ذلك منذ الأجيال الأولى .

أما الكنيسة الرومانية فأنها منذ القرن الثالث عشر أخذت تفصل سر المسحة عن سر المعمودية فلا تمسح المعتمدين بالميرون إلا بعد تجاوزهم سن الطفولة أى من السابعة إلى الثانية عشرة من عمرهم، على زعم أنهم لا يستفيدون منه إلا بعد سن الرشد، مع أن المعمدان امتلأ منه وهو فى بطن أمه . ووجه الخطأ فى تصرف الكنيسة الرومانية أنها غيرت عادة قديمة وحرمت الأطفال الذين يموتون قبل نوال هذا السر من ثماره الصالحة .

لا العبيد . ولما كان من عادة الحمامة أن تبشر بالسلام وزوال السخط ، كما فعلت مع نوح، فقد دل ظهور الروح القدس فى شكل جسمها على زوال السخط وطوفان الخطية عنا . وأخيرا كان ذلك للدلالة على أن إله الشريعتين القديمة والحديثة واحد لاستعماله علامة واحدة فى الأنعام على جنسنا .

وقد ظهر الروح القدس وقت العماد بجسم كامل . وفى العلية بجزء من جسم وهو اللسان، للفرق بين كمال الأمر الأول وانحطاط الثانى عنه . وظهوره يوم الخمسين على التلاميذ فى شكل ألسنة نارية هو للدلالة على أنهم سيتكلمون بلغات، فنزل بشكل العضو الذى تكون فيه الآية .

وإذا قيل لماذا لا يظهر الروح القدس الآن محسوسا كما حدث أولا لكان الجواب أنه فى أوائل الدعوات يستدعى الأمر ذلك لبيان فضلها . فأذا شاعت وعلمت حقيقتها تحول ظهوره العلنى سريا للثقة به .

ولا بد من الإشارة إلى أن الجسم الذى ظهر به الروح لم يكن جسما حقيقيا بل خيالا لجسم حمامة . كما جرت العادة فى الظهورات الإلهية .

١٧ — ولما صعد يسوع من الماء وحل عليه الروح القدس فى شكل حمامة جاء صوت من السماء قائلا « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت »(١) ، ويرى

---

(١) **سر المعمودية** : أسس مخلصنا سر المعمودية بعد قيامته وذلك حين قال لتلاميذه « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) . أما رسم هذا السر وحصوله على قوة إيلاد النعمة فى أنفس المعتمدين فكان فى اليوم الذى اعتمد هو فيه من يوحنا المعمدان، لأن قوة الأسرار بأيلاد النعمة فى نفوس المؤمنين إنما تصدر من رسمها ، أما الالتزام بقبول هذا السر فلم يناد به إلا بعد موت المخلص وقيامته ، ١ — لأن الأسرار القديمة لم تبطل إلا فى حال موت السيد، لذلك لم تلتزم الناس بالمعمودية التى هى عوضا عن الختان إلا بعد موته وقيامته ، ٢ — ولأن الإنسان بعماده يماثل موت المسيح وقيامته . ولذا يجب أن يموت المسيح أولا ويقوم ثم تلتزم الناس بالمعمودية.

ويزعم البروتستنت أن المعمودية علامة تميز المسيحى عن غيره ، والواقع أنها ليست علامة ظاهرية تترك أثرا فى الوجه أو فى غيره يميز المسيحى، بل هى عمل يترك أثرا فى النفس هو التطهير ومغفرة الخطايا والولادة الثانية .

ثمارها : ١— تمنح نعمة التقديس والتبرير وغفران الخطايا الجدية والفعلية =

فريق من المفسرين أن الصوت سمع أولا ثم نزل الروح لتثبيت ذلك ، وقال فريق آخر إنهما كانا معا إلا أن الروح شوهد أولا ، وذلك على مثال البرق والرعد فأنهما وإن كانا معا فأولهما يشاهد أولا ثم يسمع الثانى ، لأن حاسة البصر أسبق من حاسة السمع .

وقول الآب من السماء « هذا هو ابنى الحبيب » فيه دلالة قاطعة على أن الابن الأزلى ، بما تجسد به وظهر على الحقيقة ، ابن الله الآب اقنوما واحدا وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة لله الكلمة المتجسد بغير افتراق وبغير امتزاج .

وفى هذه الحادثة ظهر الأقانيم الثلاثة بأسمائهم ، فأقنوم الآب ظهر بالصوت القائل « هذا هو ابنى الحبيب » ، وأقنوم الابن ظهر بجسد ربنا يسوع المسيح المتعمد من الماء ، وأقنوم الروح القدس ظهر بالحمامة التى استقرت على رأسه ، ومن هنا سمى عيد الغطاس عيد الظهور الإلهى .

=بدليل قول الرسول « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢:٣٨) .

٢— تمنح نعمة التبنى لله والوراثة فى السماء ، بدليل قول الرسول « لأنكم جميعا أبناء الله بالأيمان بالمسيح يسوع لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح » (غل ٣:٢٧) ، وقوله « إذاً لست بعد عبدا بل ابنا وإن كنت ابنا فوارثا لله بالمسيح » (غل ٤:٧) .

٣— تمنح نعمة الميلاد الثانى وتجدد خلقة الإنسان روحيا ، بدليل قول الرب لنيقوديموس « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » ، وقول بولس الرسول « خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣:٥) .

٤— تمنح العتق من عقوبة الخطية بدليل قول الرب « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦:١٦) .

ضرورتها للخلاص : أنظر قداس ١٤ بابه .

عدم إعادتها : لا تعاد المعمودية لمن اعتمد قانونيا ، لأنها مثال موت المسيح ودفنه وهو قد مات مرة واحدة ، ولأنها ولادة روحية والأنسان يولد مرة واحدة ، ولأنها ترسم فى كل واحد منا خما لا يمحى ولا يستأصل .

حلول الروح القدس : فى اللحظة التى يغطس فيها المعتمد ويلفظ الكاهن « أعمدك يا فلان » يحل الروح القدس عليه كما حل على السيد المسيح . (أنظر كتاب علم اللاهوت لميخائيل مينا جزء ٢ صفحة ٣١٧ وما بعدها) .

ويحلول الروح القدس على السيد يتم قول إشعياء « ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب » (أش ١١ : ٢) ، وقوله أيضا « هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » (أش ٤٢ : ١) . ويمجىء صوت الآب من السماء يتم قول داود « إنى أخبر من جهة قضاء الرب قال لى أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٧) . ويؤيد الرسول ما ظهر لخلصنا من مجد على الأردن بقوله « لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجدا إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به » (٢ بط ١ : ١٧) .

إنجيل القداس

(يو ١ : ٣٩ — ٥١)

شهادة فيلبس ونثنائيل

تمهيد :

تكلم يوحنا الأنجيلى فى الأصحاح الأول من بشارته عن يوحنا المعمدان بأنه « جاء ليشهد للنور لكى يؤمن الكل بواسطته » ، وبعد ذلك ذكر الشهادات الثلاث التى أداها عن يسوع فى ثلاثة أيام متتالية، الأولى أمام الوفد الفريسى المرسل من أورشليم، والثانية فى حضرة السيد المسيح أمام الجموع ، والثالثة الواردة فى فصل الأنجيل . وهذا الفصل يتناول شهادة أندراوس عن يسوع بأنه المسيا المنتظر ، وشهادة فيلبس عن المسيا بأنه يسوع الناصرى ، وأخيرا شهادة نثنائيل عن يسوع بأنه ابن الله وملك إسرائيل :

المسيا :

٣٥ — وفى الغد أيضا كان يوحنا واقفا هو واثنان من تلاميذه . ٣٦ — فنظر إلى يسوع ماشيا فقال هوذا حمل الله . ٣٧ — فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع . ٣٨ — فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما ماذا تطلبان . فقالا ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث . ٣٩ — فقال لهما تعاليا

وانظرا . فأتيا ونظرا أين كان يمكث ومكثا عنده ذلك اليوم. وكان نحو الساعة العاشرة . ٤٠ — كان أندراوس أخو سمعان بطرس واحدا من الاثنين اللذين سمعا يوحنا وتبعاه . ٤١ — هذا وجد أولا أخاه سمعان فقال له قد وجدنا مسيّا . الذى تفسيره المسيح . ٤٢ — فجاء به إلى يسوع . فنظر إليه يسوع وقال أنت سمعان بن يونا . أنت تدعى صفا الذى تفسيره بطرس .

٣٥ — فى غد ذلك اليوم الذى أدلى فيه يوحنا بشهادته أمام الجموع فى حضرة يسوع ،وقف فى بيت عبرة حيث اعتاد أن يكرز ومعه اثنان من تلاميذه هما أندراوس أخو سمعان بطرس كما يتضح فيما بعد (آية ٤٠) ، ويوحنا الأنجيلى الذى اعتاد ألا يذكر اسمه تواضعا . ٣٦ — ولما وقع نظره على المخلص ماشيا شهد عنه قائلا « هوذا حمل الله » ، ولم يكن قصده مجرد الشهادة فحسب ، بل دعوة التلميذين ضمنا إلى اتباع يسوع ، فكأنه وجه نظرهما إلى أن يسوع أحق بالاتباع منه . ٣٧ — وكان لشهادته أثرها المطلوب إذ ما لبث تلميذاه أن تبعا يسوع . وليس معنى ذلك أنهما تركا كل شىء وتبعاه كما فعلا فيما بعد (لو ٥ : ١٠ — ١١) بل سارا وراءه إذ لم يكونا قد دعيا بعد . ٣٨ — ولما رآهما المخلص سألهما عما يطلبان . لا لأنه لا يعرف ، بل تشجيعاً لهما على مخاطبته ، وافتتاحا للحديث معهما . وعند ذلك قالا « ربى أين تمكث » ، أى يا معلم نريد أن نقابلك على انفراد فى بيتك سرا للاستفهام عن بعض الأمور الإلهية . ٣٩ — وإزاء ذلك دعاهما يسوع ليتبعاه فلبيا الدعوة وكان قد مضى من النهار عشر ساعات ولم يبق على المغيب إلا ساعتان . وقد حملت التلميذين رغبتهما الصادقة فى سماع تعاليمه أن يقضيا عنده وفى بيت عبرة على الأرجح اليوم كله أى الليل والنهار ، إذ آثرا السهر فى حديث الخلاص على النوم والراحة . ٤٠ — وهنا أماط الأنجيلى اللثام عن أحد هذين التلميذين وهو أندراوس أخو سمعان بطرس ، أما الثانى فقد أجمع المفسرون على أنه يوحنا الرسول الذى أغفل ذكر نفسه تواضعا كما بينا آنفا .

٤١ — ولأن اليهود كانوا يترقبون مجىء المسيح ويفحصون النبوات الخاصة به بتدقيق ، فقد قال أندراوس لسمعان « قد وجدنا مسيّا الذى تفسيره المسيح » .

وبتوجيه القول إلى أخيه دلل على مبلغ محبته فى إرشاده إلى المسيح ،إذ أبى إلا أن يشركه فى هذه النعمة الجليلة الشأن التى توصل إليها . ٤٢ — ولا بد أن هذين الأخوين كانا كسمعان الشيخ يتوقعان تعزية إسرائيل ،إذ ما كاد بطرس يسمع كلام أخيه حتى سارع إلى المخلص . ويسوع المطلع على خفايا القلوب نظر إليه ، وقبل أن يقترب أو يتكلم عرفه وذكر له اسمه وما سيدعى به ، أى « صفا » ، وهى كلمة سريانية معناها صخر ، وتشير إلى ما سوف يبدو منه من شجاعة وثبات فى مستقبل حياته الدينية .

انربسوع الناصرى :

٤٣ — فى الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل. فوجد فيلبس فقال له اتبعنى . ٤٤ — وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة أندراوس وبطرس . ٤٥ — فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة . ٤٦ — فقال له نثنائيل أمن الناصرة يمكن أن يكون شئ صالح. قال له فيلبس تعال وانظر.

٤٣ — وفى اليوم التالى لقبول أندراوس ورفيقه أراد السيد أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلبس ، ولا بد أنه لمس فيه استعدادا قلبيا لتلبية الدعوة فدعاه قائلا اتبعنى . ٤٤ — وكان فيلبس ، كما كان أندراوس وبطرس ، من مدينة بيت صيدا التى عرف أهلها بالفظاظة والهمجية ، ودليل ذلك قول المخلص عنها « ويل لك ياكورزين . ويل لك يا بيت صيدا » (مت ١١ : ٢١) . ٤٥ — وسعى فيلبس فى طلب صديقه ونسيبه نثنائيل(١) حتى وجده . ويرجح المفسرون أنه برثلماوس لورود اسمه بعد فيلبس فى بقية البشائر ، فنثنائيل اسمه وبرثلماوس كنيته . ولا بد أنه كان رجلا متفقها فى المسائل الدينية حتى أن فيلبس قال له « وجدنا الذى كتب عنه موسى والأنبياء » ، ويقصد بأشارته إلى ما كتبه موسى قول الله لإبرهيم « وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا » (تك ١٧ : ٧) ، وقوله له بعد حادثة ذبح إسحق « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٢ : ١٨) ، وقول يعقوب « لا يزول قضيب

(١) نثنائيل : نثنائيل كلمة عبرانية معناها « عطية الله » .

من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) ، وكذا الرموز والطقوس والذبائح ، وقول الله لموسى « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك » (تث ١٨ : ١٨) . ويقصد بكلمة الأنبياء النبوات المتعددة فى هذا الشأن كقول أشعياء « ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (أش ١٤ : ٧) ، وقوله « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام » (أش ٩ : ٦) ، وقول ميخا « أما أنت يا بيت لحم إفراته وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل » (مى ٥ : ٢) ، وقول زكريا « هوذا ملكك يأتى إليك . . . . وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان » (زك ٩ : ١٢) . ثم زاد كلامه عن « الذى كتب عنه موسى » إيضاحا بقوله إنه « يسوع بن يوسف الذى من الناصرة » ، وبهذا الإيضاح ساير رأى الناس فى يسوع لأنهم كانوا يظنونه كذلك .

٤٦ — ولما كان نثنائيل متيقنا أن المسيح يولد فى بيت لحم لا الناصرة ، فقد عجب من قول فيلبس وتشكك فيه ، لأن الناصرة حقيرة بين قرى الجليل بل إن الجليل نفسه أقل شأنا من أرض فلسطين ، ولذلك قال « أمن الناصرة يمكن أن يكون شىء صالح » . ورأى فيلبس وقد تثبت من الأمر بنفسه ألا يدخل فى جدال مخصوصه مع نثنائيل فسلك أقوم الطرق لإزالة شكوكه من جهته بدعوته قائلا « تعال وانظر » ، وهذا لبى الدعوة

وانه ابن الله :

٤٧ — ورأى يسوع نثنائيل مقبلا إليه فقال عنه هوذا إسرائيلى حقا لا غش فيه . ٤٨ — قال له نثنائيل من أين تعرفنى . أجاب يسوع وقال له . قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك . ٤٩ — أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل . ٥٠ — أجاب يسوع وقال له هل آمنت لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت التينة . سوف ترى أعظم من هذا . ٥١ — وقال له الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان .

٤٧ — ولما كان رب المجد يهتم بالسريرة قبل سواها ، فقد شهد لنثنائيل حينما رآه قادما عليه بقوله « هوذا إسرائيلى حقا لا غش فيه » ، لأنه كان صادقا نقيا يسلك سبيل القداسة ، ولو أن هذا ليس معناه أنه كان بلا خطية ، فلا أحد كذلك سوى الله وحده . وما أن طرقت هذه الشهادة آذان نثنائيل حتى عرته الدهشة لصدورها من المخلص دون أن يكون له به سابق معرفة . ٤٨ — وتوجه بالسؤال إليه على الفور قائلا « من أين تعرفنى » . وهنا بهره يسوع بمعرفته التامة بخفايا القلوب ، ولمح له تلميحا خفيفا بحادثته تحت التينة حين ظن أنه لم يره أحد وذلك بقوله « قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك » . وقيل فى تفسير حادثة التينة إن نثنائيل وهو صبى قتل إنسانا ودفنه تحت التينة دون أن يراه أحد ، فذكره السيد بذلك حتى يؤكد له علمه بالخفيات .

٤٩ — انقاد نثنائيل بهذه المعجزة إذ تحقق أن الذى يعرف ما عرفه يسوع لا يكون إلا إلها ، ولم يسعه سوى الإقرار قائلا « يا معلم أنت ابن الله » . ومع أن بعضهم يرى أن بنوة السيد لله التى اعترف بها نثنائيل هى بالتبنى لفضل النعمة التى حازها أكثر من بقية الأنبياء والقديسين ، إلا أن الأرجح أنه آمن فى الحال إيمانا وطيدا بأنه ابن الله الطبيعى المساوى له فى الجوهر ، بدليل قوله فيما بعد « أنت ملك إسرائيل » ، ذلك أن اليهود كانوا يعرفون أن المسيح المنتظر هو ابن الله باعتبار نسبته إلى الآب . وملك إسرائيل باعتبار نسبته إلى شعب الله المختار ووراثته لكرسى داود أبيه الدائم . ٥٠ — ومكافأة لنثنائيل على إيمانه بعد برهان واحد وهو برهان التينة قال له المخلص « سوف ترى أعظم من هذا » . مشيرا بذلك إلى معجزاته الكثيرة المستقبلة التى ستزيد ثقته بأنه ابن الله(١). ٥١ — ولكى يبين للحاضرين أنه ليس رئيس إسرائيل ورئيس الناس فحسب بل رئيس جند السماء أيضا قال لهم « من الآن ترون السماء مفتوحة(٢) وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » ، أى أنه يصير بواسطته اتصال دائم بين السماء والأرض، فيصعد الملائكة إلى الله بالطلبات وينزلون من لدنه بالمعونة والإرشاد

(١) **شهادة نثنائيل** : تحتفل الكنيسة بشهادة القديس سمعان الغيور (نثنائيل) فى اليوم الخامس عشر من بشنس .

(٢) **انفتاح السماء** : أنظر هذا الموضوع بصفحة ١٩٩

والنعم والبركات . وصعود الملائكة ونزولهم أسأسه ما رآه يعقوب فى الحلم (تك ٢٨ : ١٢) . أما خدمتهم ليسوع فتتجلى فى مناسبات عديدة كما حدث عند ولادته (لو ٢ : ٩ . ١٣) . وتجربته (مت ٤ : ١١) . وصلاته ليلة صلبه (لو ٢٢ : ٢٣) . وعند قيامته (لو ٢٤ : ٤) . بل حتى وقت صعوده (أع ١ : ١٠). وقد سمى نفسه ابن الإنسان وهى عين التسمية التى سماه بها دانيال فى نبوته (دا ٧ : ١٣)، لأنه الكلمة المتجسد ونسل المرأة الذى يسحق رأس الحية.

اليوم الثالث عشر من شهر طوبة

عيد عرس قانا الجليل(١):

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « آية المخلص الأولى » ، فى عرس قانا الجليل . فأنجيل العشية يتكلم عن رباط سر الزيجة المقدس الذى رسمه المخلص فى الكنيسة بحضوره عرس قانا الجليل ، وإنجيل باكر عن حكمة المخلص فى صنع الآية وهى فتح طريق الأيمان به ، وإنجيل القداس عن قدرته التى أظهرها بأولى آياته :

مزمور العشية : (٤ : ٨، ٩)

يشير هذا المزمور إلى آية تحويل الماء خمرا ، وإلى ما جاء بفصل الأنجيل عن رباط الزيجة الذى لا ينفصم وخطأ مبدأ الطلاق فيقول « قد كثروا من ثمرة الحنطة . وخمرهم وزيتهم . لأنك أنت وحدك يا رب أسكنتنى على الرجاء » .

انجيل العشية : (مت ١٩ : ١—١٢)

يتكلم هذا الفصل عن رباط الزوجية المقدس الذى أسسه المخلص فى كنيسته

(١) **سبب الاحتفال بهذا العيد** : صنع المخلص آيات كثيرة فائقة الطبيعة ولكن الكنيسة تحتفل بآية تحويل الماء خمرا دون سواها لأنها أولى آياته التى بها أظهر مجده أى قدرته على كل شىء ، وهى التى فتحت طريق الأيمان فآمن به كثيرون بواسطتها (يو ٢ : ١٠—١١) ، ولأن بحضوره فى العرس بارك سر الزواج الذى رسمه فى كنيسته وجعله سرا مقدسا .

ودليل ذلك قوله للفريسيين فى مسألة الطلاق « فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » .

مزمور باكر : (١٠٣ : ١٥، ٢٣)

يشير هذا المزمور إلى ابتهاج المدعوين فى عرس قانا الجليل بالخمر التى صنعها المخلص ، وإلى حكمته فى عمل الآية إذ فتح باب الأيمان به فيقول « الخمر يفرح قلب الإنسان . ويبتهج وجهه بالزيت . كمثل ما عظمت أعمالك يا رب . كل شىء بحكمة صنعت » .

انجيل باكر : (يو ٤ : ٤٣—٥٤)

يتكلم هذا الفصل عن حكمة المخلص فى صنع المعجزات وهى فتح باب الأيمان به ، ودليل ذلك قوله لخادم الملك الذى طلب شفاء ابنه « إلا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب » .

مزمور القداس : (٧٦ : ٩، ١٠)

يشير هذا المزمور إلى ألوهية المخلص الذى صنع معجزة تحويل الماء خمرا ، وإلى إظهار مجده أى قدرته الألهية بهذه الآية لأول مرة بين الناس ، وإلى إيمان الكثيرين به بعد مشاهدة الآية ، وإلى تحول المياه إلى خمر بقوته فيقول « أنت هو الله صانع العجائب . أظهرت فى الشعوب قوتك . خلصت بذراعك شعبك . أبصرتك المياه يا الله ففزعت » .

انجيل القداس : (يو ٢ : ١—١١)

يتكلم هذا الفصل عن قدرة المخلص التى أظهرها لأول مرة بآيته الأولى التى صنعها فى عرس قانا الجليل ، وفى ذلك يقول الأنجيلى « هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه » .

الرسائل :

تدور هذه الرسائل الثلاث حول موضوع واحد هو « قدرة المخلص » ، فالبولس يتكلم عن فعلها فى تحويل المؤمنين من موت الخطية إلى حياة النعمة كما تحول الماء إلى خمر ، والكاثوليكون عن جزاء الأيمان بها ، والأبركسيس عن أثرها فى جذب مشاهديها إلى الأيمان :

البولس : (رو٦ : ٣–١٦)

فى هذا الفصل يبين الرسول أن ماء المعمودية يحول الخطاة إلى حالة القداسة كما تحول الماء إلى خمر فيقول « فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة » ، ثم يوصى قائلا « إذاً لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته » .

الكاثوليكون : (١ يو ٢ : ٢٠–٢٥)

وهنا يبين الرسول جزاء من ينكر ابن الله فيقول « كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضا ومن يعترف بالابن فله الآب أيضا » .

الأبركسيس : (أع ٨ : ٣–١٣)

ويبين هذا الفصل أثر المعجزات التى صنعها فيلبس فى جذب الناس إلى الأيمان والمعمودية، فقد كانوا يتبعون سيمون الساحر أولا « ولكن لما صدقوا فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالا ونساء . وسيمون أيضا نفسه آمن . ولما اعتمد كان يلازم فيلبس وإذ رأى آيات وقوات عظيمة تجرى اندهش » .

إنجيل العشية

(مت ١٩ : ١ – ١٢)

رأى المخلص فى الطلاق(١)

تمهيد :

إبان خدمة المخلص فى برية ، وفى الفترة بين انتقاله إلى إفرايم ووصوله الأخير إلى أورشليم شفى عشرة رجال برص ، ثم بين للفريسيين كيفية مجىء ملكوت الله ، وألقى مثل قاضى الظلم ثم مثل الفريسى والعشار (لو ١٧ : ١١ – ١٨ : ١٤) . وبعد ذلك تقدم إليه الفريسيون يسألونه رأيه فى الطلاق على أثر

(١) **الطلاق** : ورد هذا الموضوع أيضا فى (مر ١٠ : ٢–١٢)

شفائه الجموع ، وفصل الأنجيل الذى يتضمن إجابته على سؤالهم يتكلم عن رابطة الزوجية التى لا تنفصم ، وعن انفصامها فى حالة واحدة هى الزنا ، وأخيرا عن جمال البتولية فى المدعو لها من الله :

رباط الزوجية :

١ – ولما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية من عبر الأردن . ٢ – وتبعته جموع كثيرة فشفاهم هناك .

٣ – وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب . ٤ – فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى ٥ – وقال . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا . ٦ – إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان .

١ – بعد أن أتم السيد المسيح كلامه عن الملك الذى أراد أن يحاسب عبيده على الوزنات التى كانوا مدينين بها له ، أخذ ينتقل من الجليل إلى تخوم اليهودية عن طريق عبر الأردن ، وجرت فى خلال انتقاله عدة حوادث أشرنا إلى بعضها فى التمهيد . ٢ – ولما وصل إلى اليهودية ، وكان ذلك قبيل صلبه ، أخذ يجول فى مدنها تارة للتعليم ، وتارة لشفاء الأمراض ، فتبعته جموع كثيرة فشفاهم هناك.

٣ – ودفع الجسد الفريسيين أن يوجهوا إليه سؤالا عما إذا كان يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ، قاصدين بذلك اصطياده بكلمة توجب عليه الحجة ، فأما أن يجيب بالإيجاب فيناقض تعليمه السابق ، وإما بالسلب فيخالف الشريعة التى تأمر بأعطاء كتاب طلاق . ٤ – وزاد المجد رغبة منه فى إصلاحهم ، وصبرا على خبثهم ، وتجنبا للإجابة بنعم أو لا دلل من الشريعة على أن الرجل لا يجوز له أن يتخذ أكثر من زوجة واحدة فقال « إن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى » لاذكرا وأنثيين . ٥ – ثم قال « من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته » ولم يقل بنسائه ، « ويكون الاثنان جسدا واحدا » وهذا يمنع انفصالها . ٦ – ثم استنتج من ذلك قوله « فالذى جمعه الله لا يفرقه

إنسان » ، وهو نطق إلهى يثبت أن الزواج المسيحى سر مقدس من أسرار الكنيسة ، كما تأيد ذلك فيما بعد من قول الرسول عنه « هذا السر عظيم » (أف ٥ : ٣٢) ، ومن التقليد الكنسى ، ومن آراء جميع الآباء الأوائل الذين كانوا يعتبرون أن السيد المسيح بحضوره عرس قانا الجليل قد منح الزواج قوة لإيلاد النعمة فى النفوس . ولما كان لكل سر شروط ثلاثة وهى الرسم أى الفعل الحسى الظاهر ، والنعمة التى يمنحها الرسم ، والمشابهة بين الرسم وفعل النعمة الباطن ، فقد لزم أن يكون الزواج سرا لأن له رسما وهو الرضا المتبادل والشروط الكنسية وبركة الكاهن الذى يعقده ، وله نعمة تخول للزوجين القيام بالواجبات الزوجية(١) ، وأخيرا المشابهة بين الرسم والنعمة وقوامها اقتران المسيح بالكنيسة .

وتشير هذه الآية أيضا إلى أن رابطة الزواج المسيحى لا تنفصم عراها بالطلاق ، اللهم إلا بعلة واحدة هى الزنا ، وذلك قياساً على ما قاله المخلص ، فقد اتخذ جماعة الأمم عروسا له ولم يدفع لها كتاب طلاق بل قال « وأخطبك لنفسى إلى الأبد » (هو ٢ : ١٩)(٢) .

الطرق للعلة :

٧ — قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق . ٨ — قال لهم إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن

(١) **تحديد النسل** : يتصل بموضوع الواجبات الزوجية مسألة العزل وما شابهه لتحديد النسل وهى أمور محرمة فى شريعتنا لسببين أولهما أن الغرض الأول من الزيجة هو استبقاء النسل تنفيذا لأمر الله القائل « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » (تك ١ : ٩) ، وثانيهما مخالفة ذلك لنص الكتاب فقد جاء فيه أن أونان بن يهوذا عند مباشرته لامرأة أخيه ليقيم له منها نسلا كان يعزل عنها على الأرض لأنه عالم أن النسل لا يكون له فاشتد فعله بين يدى الرب فأماته (تك ٣٨ : ٨ — ١٠) . ويقول فم الذهب « وقد يتعلمون لكى لا تكون لطبيعتهم ثمرة وهذا شر من إعدام الموجودين . وهذا يشتمل على استخراج الزرع وإلقائه بحيث لا يحصل النسل ، والتداوى لمنع الحبل » (المجموع الصفوى ص ٢١٠ — ٢١١) .

(٢) **معنى الطرق** : كما ترك السيد أباه السماوى ، وأمه التى هى الأمة اليهودية ، ليتحد بالكنيسة وهى الأمم الغريبة ، هكذا يترك العريس أباه وأمه ويتحد بعروسه ويكونان جسدا واحدا فيصير جسد كل منهما مباحا للآخر .

لكم أن تطلقوا نساءكم . ولكن من البدء لم يكن هكذا .
٩ — وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج بمطلقة يزنى .

٧ — اعترض الفريسيون على إجابة المخلص بقولهم « فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق » ، ٨ — فرد عليهم مبيناً أن موسى تصرف كذلك لا لأن له الحق فيه بل « لقساوة قلوبكم » ، فأنه لما رآهم بعد سكناهم فى مصر قد صاروا قساة القلوب واعتادوا الطلاق كثيرا آثر ألا يمنعه كلية بل أن يضع له قيودا نص عليها فى سفر التثنية (تث ٢٤ : ١ — ٤) ، حتى لا يحملهم تحريمه على قتل نسائهم أو تجاوز الشريعة فى طلاقهن(١) . وتأكيدا لأن موسى أباح الطلاق لقساوة قلوبهم لا لسبب آخر استدرك قائلا « ولكن من البدء لم يكن هكذا » وبهذا قرر أن شريعة الله الوحيدة هى عدم الطلاق . وبالتالى عدم تعدد الزوجات(٢) .

(١) **رضى المحلل** : « إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر فأن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ... لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست . لأن ذلك رجس لدى الرب » (تث ٢٤ : ١ — ٤) . وكان كتاب الطلاق تقتضى كتابته وقتا طويلا عند أرباب الشريعة فيكون للرجل متسع من الوقت يكفى لخمود غضبه ومراجعة أفكاره والتدبير فى عاقبة الطلاق .

(٢) **تعدد الزوجات** : كان تعدد الزوجات جائزا فى العهد القديم بسبب قساوة قلوب اليهود ، وانغماسهم فى الشهوات ، وتجنبا لما ينشأ عن اختلاطهم بالوثنيين من مجازاتهم فى عبادتهم ، أما شريعة الكمال فمنعت الزواج من أكثر من واحدة مستندة على الأدلة الآتية :

ا — لو كان الله يريد تعدد الزوجات لخلق لآدم أكثر من امرأة واحدة سيما وكان العالم يحتاج إلى النمو ، هذا إلى أن خلقها من جنبه وهو واحد يدل على أن تعدد الزوجات محرم .

ب — إن الله صرح فى العهد القديم على لسان ملاخى النبى بعدم سماحه بتعدد الزوجات وكراهيته للطلاق إذ قال « فاحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابه لأنه يكره الطلاق » (ملا ٢ : ١٥ — ١٦) . =

٩ — بيد أن مخلصنا ، مع نهيه عن الطلاق لما فيه من الضرر ، قد رأى ألا تستمر الزوجية فى حالة زنا الزوجة ، وأباح الطلاق لهذه العلة وحدها(١) ، وصرح بأن من طلق امرأته بغير علة الزنا يجعلها تزنى (مت ٥ : ٣١) لأنها تتزوج بآخر وزوجها حى على حد قول بولس الرسول « فأذاً ما دام الرجل حيا تدعى زانية إن صارت لرجل آخر » (رو ٢ : ٣) ، ثم قال له المجد أن من طلق امرأته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى يزنى ، وكذلك من تزوج بمطلقة يزنى .

جمال البتولية :

١٠ — قال له تلاميذه إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا

= ج — قال السيد المسيح للفريسيين إن موسى أباح الطلاق من أجل قساوة قلوب اليهود وأنه منذ البدء لم يكن هكذا (مت ١٩ : ٨) .

د — قول السيد « كل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية » (مت ١٩ : ٢٩)، فتكلم بصيغة الجمع عن الأنواع التى يمكن أن تتعدد وبصيغة المفرد عما لا يجوز تعدده كالمرأة والأب والأم .

هـ — ذكر الرسول بصريح اللفظ أن للرجل زوجة واحدة وذلك فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١ كو ٧ : ٢ — ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩).

و — إن الزواج من واحدة يدعو إلى المحبة المتبادلة والود الخالص والعناية، بينما تعدد الزوجات مدعاة للشقاق والبغضة والغيرة وفساد النظام والأولاد .

ز — إن وليد الإنسان يحتاج إلى مساعدة والديه سنوات عديدة خلافا لوليد البهائم ، ولهذا لم يرد فى الكتاب أن الله أقرن ذكرا واحدا من الحيوان بأنثى واحدة كما فعل مع الإنسان .

والكنيسة تعتبر الجمع بين زوجتين أو أكثر زنا ظاهرا مستمرا ، وتعتبر الزيجة الأولى مباحة ، والثانية دون الأولى ، والثالثة مكروهة وليس بعدها زيجة شرعية (المجموع الصفوى ص ١٩١) .

(١) **منع الطلاق كلية عند البروتستانت** : لم تراع الكنيسة الكاثوليكية حرمة هذه الشريعة إذ منعت الطلاق بتاتا سواء أكان للعلة أم لغيرها واكتفت بالهجر الدائم إذا وقعت هذه الخطية من أحد الزوجين . ومع مخالفة هذا التصرف للنصوص الصريحة فهو يخالف المبادىء الأدبية والعقلية ويساعد على الدنس بسبب ضعف الإنسان من هذه الناحية وتجربة الشيطان له (١ كو ٧ : ٥) .

يوافق أن يتزوج . ١١ — فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم . ١٢ — لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم . ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل .

١٠ — فلما سمع التلاميذ كلام المخلص اعترضوا لأن الغاية من الزواج أن يكون الرجل والمرأة كواحد فأذا تباينا فى المحبة كان خيرا للرجل ألا تكون له زوجة، كما قال سليمان الحكيم « السكنى فى زاوية السطح خير من امرأة مخاصمة »، وكقوله كذلك « السكنى فى أرض برية خير من امرأة مخاصمة حردة » (أم ٢١ : ٩ ، ١٩) ، ولهذا قالوا « إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج » ليستريح من المرأة . ١١ — وقد حل يسوع هذا الأشكال بقوله « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام » أى ليس كل إنسان يستطيع أن يقاوم الشهوة ويكون بلا زوجة « بل الذين أعطى لهم »، لأن مقاومة الطبيعة يحتاج فيها إلى المعونة الألهية(١).

١٢ — واستطرد مخلصنا بعد ذلك يقول إنه « يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم » بسبب ما عرض لهم وهم فى الرحم فمنعهم فيما بعد عن فعل ما يفعله الذكور ، وهؤلاء لا أجر لهم لأنهم ممتنعون للاضطرار ، ومثلهم فى ذلك مثل الذين « خصاهم الناس » ، أما الذين « خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات »، ويراد بهم الذين صدوا نفوسهم عن الشهوات بمحض اختيارهم ، لا الذين قطعوا عضو التناسل ، فلهم الطوبى والأجر الحسن ، وبهذا القول حرض السيد الإنسان على أن يكون عفيفا(٢). ثم ختم بقوله « من استطاع أن يقبل

(١) **الرهبنة** : الرهبنة دعوة إلهية بها يمنح الله بعض المؤمنين الوسائل والنعم اللازمة للحصول عليها والقيام بواجباتها . وقد شهد كثير من المؤمنين أن هناك إلهاما خاصا يدفع المدعو للرهبنة إلى السير فى طريقها كأنه مسحوب إليها سحبا ، وهذا الاختبار يؤيده قول السيد المسيح عن الذين يفضلون البتولية « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم » .

(٢) **الخصيان** : إن قول السيد « يوجد خصيان خصوا أنفسهم » هو من قبيل المجاز لا الحقيقة ، كقطع اليد اليمنى وقلع العين اليمنى ، أما قطع الإنسان عضو التناسل بأيثاره فلا يسوغ لأنه يضاد فعل البارى، ويخالف الوصية القائلة «لا تقتل» =

فليقبل » لأن البتولية والامتناع عن الزواج أمور متروكة لاختيار الشخص لأنها تفوق الطبيعة .

إنجيل باكر

(يو ٤ : ٤٣ — ٥٤)

شفاء ابن خادم الملك

(راجع عشية الأحد الثانى من أمشير)

إنجيل القداس

(يو ٢ : ١ — ١١)

عرس قانا الجليل

تمهيد :

فى اليوم الرابع من شهادة يوحنا المعمدان للرب يسوع التقى نثنائيل بالمخلص ودارت بينهما مناقشة إنتهت بإيمان هذا التلميذ بيسوع (يو ١ : ٤٩) . وبعد يوم واحد من هذه المقابلة أقيم عرس فى قانا الجليل دعى إليه يسوع حيث صنع أولى آياته . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا العرس يتكلم عن نفاد الخمر التى كانت معدة للمدعوين ، وعن الآية التى صنعها المخلص لسد هذا النقص ، ويختم بالإشارة إلى أن هذه الآية كانت أولى آياته التى صنعها وأظهر بها مجده أى قدرته الإلهية الفائقة فآمن به الكثيرون :

= فضلا عن دلالته على أن الشر بالطبع لا بالإرادة ، ولذلك أخطأ أوريجانوس إذ خصى نفسه ، وأخطأ بفنوتى الذى قدم بطريركا على الكرسى الأسكندرى سنة ٢٨٢ م لأنه خصى نفسه ، وأسقط من مرتبة البطاركة بعد عزله ، وكان ترتيبه بين البطريرك الخامس عشر والسادس عشر من باباوات الأسكندرية ، وذلك تنفيذا للقوانين الخاصة بالكهنة التى تقول « ينفى ويقطع من أخصى نفسه أو وجد فى زنا أو سرقة أو يمين كاذبة أو اعتقد بتحريم الزيجة وأكل اللحم وشرب الخمر » (المجموع الصفوى ص ٦٠) .

نفاد الخمر :

١ — وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك . ٢ — ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس .
٣ — ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر . ٤ — قال لها يسوع مالى ولك يا امرأة . لم تأت ساعتى بعد .
٥ — قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه .

١ — فى اليوم الثالث من دعوة فيلبس للتلمذة ومقابلة نثنائيل(١) أقيم عرس فى قانا الجليل تدل قرائن الأحوال على أنه كان لأحد أقارب السيدة العذراء(٢) ، ودليل ذلك دعوتها إليه ، واطلاعها على ما لا يطلع عليه غريب من شئونه ، واهتمامها الذى أبدته بأموره . ٢ — وقد دعى السيد مع تلاميذه إلى هذا العرس فى الدعوة إكراما لأقارب أمه ، وليضع لنا مثالا فى التواضع بحضور زيجة الفقراء ، ولمباركة العرس وتقديس الزواج وإثبات أنه سر عظيم(٣) ، وسدا للنقص الذى حصل بتحويل الماء خمرا ، ولإظهار مجده أى قدرته على كل شىء ، وتقوية لإيمان تلاميذه ، ولإباحة المسرات التى ليس فيها خطية(٤) . أما تلاميذه

---

(١) أنظر قداس ١٠٣ طوبة صفحة ٢٠٥ .

(٢) **العريس** : يرى بعضهم أن العريس هو سمعان القانوى بن حلفى أخى يوسف خطيب السيدة مريم . أما قانا الجليل فتبعد ساعتين عن شمال شرقى الناصرة . وهى غير قانا الواقعة جنوب شرقى صور وفى سبط أشير .

(٣) **سر الزواج** : أنظر عشية ١٣ طوبة آية رقم ٦ .

(٤) **شرب الخمر** : حذرنا السيد فى الأنجيل من السكر بقوله إنه يعاقب من يأكل ويشرب مع السكارى (مت ٢٤ : ٤٩) ، وبولس الرسول قال فى رسالته إلى أهل أفسس « ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة » (أف ٥ : ١٨) ، ونهى عن مخالطة السكارى ومؤاكلتهم ، وصرح فى رسالته إلى كورنثوس بأنهم لا يرثون ملكوت السموات (١ كو ٥ : ١١) ، وسليمان الحكيم وأشعياء النبى أعطياهم الويل (أم ٢٠ : ١ ، أش ٥ : ١١) . أما استعمال الخمر للمداواة فقد أمر به بولس لتلميذه تيموثاوس (١ تى ٥ : ٢٣) . « وفى القوانين قال الرسل (رسطب ٦٩) القوى الأعصاب لا يشرب خمرا لئلا ينسى الحكمة ولا يقدر أن يحكم باستقامة ، ونقول هذا ليس أنا نمنعهم أن يشربوا لأنا لا نقدر أن نرذل ما خلقه =

الذين دعوا معه فهم على الأرجح أندراوس وبطرس أخوه وفيلبس ونثنائيل ويوحنا الأنجيلى وأخوه يعقوب . أما بقية الاثنى عشر فدعوا للتلمذة فيما بعد .

٣ — ولعل رقة حال أصحاب العرس أو كثرة الحاضرين كانت السبب فى نفاد الخمر التى أعدت ، مما حمل مريم على استعطاف ابنها على أهل العرس حتى لايلحقهم خزى من جراء ذلك . واعتمادا على قدرته الألهية ومحبته وعنايته طلبت إليه بصيغة الأخبار أن يسد النقص قائلة « ليس لهم خمر » .

٤ — ورب المجد رد عليها قائلا « مالى ولك يا امرأة » أى ما الذى يهمنى ويهمك من أمر الخمر ، وهو قول ليس فيه توبيخ البتة كما قد يتبادر إلى الذهن فلو كانت ملومة لما صنع المعجزة لأنه لا يستجيب لنداء الفضوليين ، فقد طلب هيرودس مثلا وطلب اليهود آية فلم يجبهم إلى ما طلبوا . وقوله « لم تأت ساعتى بعد » معناه أن وقت صنع المعجزة لم يحل بعد لأن الخمر لم تنفد تماما ، ولو صنعت المعجزة لتشكك الناس فيها وظنوا أن ما كان باقيا من الخمر قد مزج بالماء . وقد اقتنعت مريم بهذه الإجابة ، وفهمت أنه سيجيبها إلى ما طلبت فى الوقت المناسب ، ٥ — ولهذا قالت للخدم « مهما قال لكم فافعلوه » وهذا يدل على أنه لم يوبخها قط كما قد يفهم خطأ .

تحويل الماء خمرا :

٦ — وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة . ٧ — قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء . فملأوها إلى فوق . ٨ — ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ . فقدموا . ٩ — فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرا ولم يكن يعلم من أين هى . لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا . دعا

= الله لمسرة الناس بل لئلا يشربوا ويسكروا . لم تقل الكتب لا تشربوا خمرا بل قالت لاتشرب الخمر للسكر ، وهذا نقوله للكهنة والمسيحيين جميعا » (المجموع الصفوى ص ٣٩٢) . وقد بينا فيما تقدم (صفحة ٢١٦) أن قوانين الكنيسة تأمر بنفى وقطع من أخصى نفسه ... أو اعتقد تحريم الزيجة وأكل اللحم وشرب الخمر (المجموع الصفوى ص ٦٠) .

رئيس المتكأ العريس ١٠ — وقال له . كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون . أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن .

٦ — ولما كان من تقاليد الفريسيين حسب التطهير أن يغسلوا أيديهم قبل الأكل كما يتضح ذلك من (مت ١٥ : ٢ ، مر ٧ : ١ — ٤ ، لو ١١ : ٣٨) ، فقد كان فى العرس ستة أوعية للماء ، وهى التى استخدمها المخلص فى عمل الآية حتى يزداد وضوحها ، لخلو هذه الأوعية من كل أثر للخمر ، وكان كل منها يسع أكثر من مطرين وأقل من ثلاثة(١). ٧ — ولئلا يتوهم البعض أن فى الأمر خداعا أو سحراً أمر الخدم أن يملأوا الأوعية بالماء حتى يكونوا شهودا للمعجزة ، وقد ملأوها للطامة حتى لا يظن أحد أنه صب فوقها خمرا ولم يحول الماء خمرا . ٨ — « ثم قال لهم استقوا الآن » فقد استحال الماء خمرا فيما بين ملء الأوعية وصدور الأمر بالاستقاء ، وكان تحوله بمجرد إرادة المخلص لا بتوسط شىء آخر .

وكانت عادة اليهود أن يكون فى ولائم العرس رئيس لها يدعى رئيس المتكأ يهتم بترتيبها ، ويأمر الخدم بمايلزم ، ويكون صاحيا غير ثمل ليذوق الخمر قبل تقديمها ، وبخبرته يستطيع أن يميز بين جيدها ورديئها . وهذا يفسر قول السيد للخدم « قدموا إلى رئيس المتكأ » ، لأن شهادته لا يرقى إليها الشك بعكس ما لو صدرت من الشاربين الذين تكون حواسهم قد اضطربت بفعل الخمر .

ورب متسائل يقول لماذا لم يخلق المخلص الخمر خلقا فيكون ذلك أدعى

(١) **المطر** : هو مكيال يونانى للسوائل يسع بقدر البث العبرانى المذكور فى (لو ١٦ : ٦) ، أى يسع ٢٢ ¾ أقة وهكذا كانت وفرة الخمر التى صنعها يسوع تؤيد أن كل عطاياه بسخاء .

ويعترض الملحدون على صدق الكتاب المقدس بقولهم إنه وردت فيه أمور تدل على عدم إرشاد الله للذين كتبوه ، ويستدلون على ذلك بآيات منها قول الأنجيلى عن الأجران إن كلا منها يسع « مطرين أو ثلاثة » وهذا فى عرفهم يدل على الريب والشك ، والواقع أن هذا التعبير لا يشين الوحى فى شىء ولا يخرج كلامه عن الحقيقة ، إذ أن هذه الأجران كان يسع الواحد منها أكثر من مطرين وأقل من ثلاثة .

للعجب من تحويل الماء ، ويرد على ذلك بأن تحويل الماء أسهل للتصديق وأدعى للأيمان من خلق الخمر من العدم .

٩ — لم يشاهد رئيس المتكأ الخدم وهم يملأون الأجران ، ولذا دهش حين ذاق الخمر التى صنعها يسوع بقوته ، واستدعى العريس ١٠ — وقال له إن العرف جرى فى الولائم أن تقدم الخمر الجيدة أولا حتى إذا ما سكر المدعوون ولم يستطيعوا تميز الغث من السمين قدمت إليهم الخمر الدون ، ولا تفيد هذه الملاحظة أن المدعوين فى ذلك العرس قد سكروا حتما . ثم قال « أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن » ، وهذا يدل على أن تلك الخمر كانت جيدة إلى الغاية العظمى لأن أفعال الله كاملة وكل عطاياه تليق به .

مجد المخلص :

١١ — هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه .

١١ — ولا ريب أن هذه أولى آيات المخلص على الإطلاق ، صنعها وأظهر بها مجده أى قدرته على كل شىء ، وهى فى ذلك تختلف عن الآيات التى صنعها الأنبياء من قبل فتلك أظهروا بها مجد الله لا مجد أنفسهم كما هى الحال هنا . وقد ترتب على ظهور مجده أن ازداد إيمان تلاميذه به ، وهذا هو المقصود بقول البشير « فآمن به تلاميذه » ، فأنهم كانوا قد آمنوا به من قبل بدليل اتباعهم له .

اليوم الرابع عشر من شهر طوبه

نياحة القديس أرشيليدس :

(راجع فصول اليوم العشرين من بشنس)

اليوم الخامس عشر من شهر طوبه

نياحة القديس عوبديا النبى :

(راجع فصول اليوم الثامن من توت)

اليوم السادس عشر من شهر طوبه

شهادة القديس فيلوثاؤس :

(راجع فصول اليوم السابع والعشرين من برموده)

اليوم السابع عشر من شهر طوبه

نياحة القديسين العظيمين مكسيموس ودوماديوس :

(راجع فصول اليوم السادس عشر من بؤونه)

اليوم الثامن عشر من شهر طوبه

نياحة القديس يعقوب أسقف نصيبين :

(راجع فصول اليوم الثامن والعشرين من هاتور)

اليوم التاسع عشر من شهر طوبه

وجود أعضاء القديسين أباهور وبيسورى وأميره أمهما :

(راجع فصول اليوم الثانى والعشرين من هاتور)

اليوم العشرون من شهر طوبه

نياحة القديس بروخورس أحد السبعين رسولا :

(راجع فصول أول طوبة)

اليوم الحادى والعشرون من شهر طوبه

نياحة سيدتنا العذراء والدة الإله :

(راجع فصول أول بشنس)

اليوم الثانى والعشرون من شهر طوبه

نياحة القديس العظيم الأنبا أنطونيوس :(١)

المزامير والأناجيل :

يراد بفصول هذا اليوم أن تشير إلى موضوع واحد هو « الآباء الرهبان » ، فأنجيل العشية يتكلم عن محاسبة المخلص لهم ، وإنجيل باكر عن ميراثه لهم ، وإنجيل القداس عن نعيمه لهم :

(١) دير أنطونيوس : أنظر النبذة التى جاءت عنه بكتاب اللؤلؤة البهية ص ٦٦٠

مزمور العشية : (٣١: ١٢، ٧)

يهيب هذا المزمور بالآباء الرهبان أن يفرحوا بالرب ، ويشير إلى صلواتهم ، وإلى ما جاء بفصل الأنجيل من مجيء سيد العبيد بعد زمان طويل لمحاسبتهم فيقول « إفرحوا أيها الصديقون بالرب وتهللوا . للمستقيمين ينبغى التسبيح . من أجل هذا تبتهل إليك . كل الأبرار فى أوان مستقيم » .

انجيل العشية : (مت ٢٥: ١٤—٢٣)

يتكلم هذا الفصل عن محاسبة المخلص لهؤلاء الآباء الرهبان الأمناء ، ودليل ذلك قول البشير « وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم » .

مزمور باكر : (٣٢: ١، ١٢)

يهيب هذا المزمور بالآباء الرهبان أن يفرحوا بالرب ، ويشير إلى صلواتهم ، وإلى ما جاء بفصل الإنجيل عن الميراث الذى أعطاه السيد الشريف الجنس لعبيده الذين ربحوا الأمناء فيقول « ابتهجوا أيها الصديقون بالرب . للمستقيمين ينبغى التسبيح . طوبى للأمة التى الرب إلهها . والشعب الذى اختاره ميراثا له » .

انجيل باكر : (لو ١٩: ١١—١٩)

يتكلم هذا الفصل عن ميراث المخلص الذى يكافىء به عبيده الرهبان الأمناء ، ودليل ذلك قول الشريف لكل من عبيده الرابحين عند عودته « نعما أيها العبد الصالح . لأنك كنت أمينا فى القليل فليكن لك سلطان على عشر مدن » .

مزمور القداس : (٣٣: ١٨، ٦٧: ٤)

يشير هذا المزمور إلى متاعب حياة النسك التى يحياها الأبرار الرهبان، وإلى ما جاء بفصل الإنجيل من السرور الذى ينعم به السيد على عبيده إذا جاء ووجدهم ساهرين فيقول « كثيرة هى أحزان الصديقين . ومن جميعها ينجيهم الرب . والصديقون يفرحون ويتهللون أمام الله . ويتنعمون بالسرور » .

انجيل القداس : (لو ١٢: ٣٢—٤٤)

يتكلم هذا الفصل عن نعيم المخلص الذى يورثه عبيده الأمناء الساهرين ،

ودليل ذلك قوله عنهم « طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين. الحق أقول لكم إنه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم » .

الرسائل :

يراد بهذه الرسائل الثلاث أن تشير إلى موضوع واحد هو « الآباء الرهبان » ، فالبولس يتكلم عن سيرهم ، والكاثوليكون عن صلواتهم ، والأبركسيس عن ربحهم لكثير من النفوس بتعليمهم وقدوتهم وطلباتهم :

البولس : (فى ٣: ٢٠—٤: ١—٩)

يشير الرسول فى مستهل هذا الفصل إلى ما يجب أن تكون عليه سيرتنا وسيرة الرهبان خاصة فيقول « فأن سيرتنا نحن هى فى السموات التى منها أيضاً ننتظر مخلصا هو الرب يسوع المسيح الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » ، ثم يوصى قائلا « اثبتوا هكذا فى الرب » ، ويمضى قائلا « لاتهتموا بشىء بل فى كل شىء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله » . وتختم الكنيسة هذا الفصل بقول الرسول « أخيرا أيها الأخوة كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففى هذه افتكروا » وهذه وصايا أليق ما تكون بالرهبان .

الكاثوليكون : (يع ٥: ٩—٢٠)

وفى هذا الفصل يطوب الرسول الذين يحتملون المشقات بقوله « ها نحن نطوب الصابرين . قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب . لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف » ، ثم يوصى قائلا « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا » ، ويشير إلى قوة الصلاة بقوله « طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها » .

الأبركسيس : (أع ١١: ١٩—٢٦)

وهنا تتلو الكنيسة على بنيها ما كان من أمر المؤمنين الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس، وتبين كيف أنهم أخذوا يبشرون بالرب

يسوع ، « وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب » . وهذا الفصل يلائم من وجوه كثيرة الآباء الرهبان الذين اعتزلوا العالم وعكفوا على العبادة وكانوا سببا فى خلاص الكثيرين بتعليمهم وسيرتهم وطلباتهم .

مواعيد تلاوتها :

وقد رتبت الكنيسة تلاوة الفصول السابقة كلما احتفلت بتذكار أحد الرهبان وذلك فى المناسبات الآتية :

٢٤ بابه	نياحة القديس إيلاريون الراهب الذى اقتدى فى العبادة والنسك بمعلمه الأنبا أنطونيوس وترهب عنده أولا ثم دخل أحد ديارات الشام حيث قضى بقية حياته .	
٩ كيهك	نياحة القديس بيمين المعترف الذى ترهب بدير خارج الأشمونين .	
٢٢ طوبة	«	« العظيم الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان .
١٣ بشنس	«	« أرسانيوس معلم أولاد الملوك الراهب ببرية مقاريوس .
١٩ «	«	« إسحق قسيس القلالى والراهب بأحد أديرة مصر .
٥ بؤونة	«	« يعقوب المشرقى المتعبد بأحد ديارات المشرق .
١٧ «	«	« لانصون الراهب ببرية شهيت .
٢٣ «	«	« أبانوب المعترف الراهب بأحد أديرة الصعيد .
٢٥ مسرى	«	« بيصاريون الكبير .

إنجيل العشية

(مت ٢٥ : ١٤ — ٢٣)

مثل الوزنات

(راجع عشية اليوم السابع والعشرين من بابه)

إنجيل باكر

(لو ١٩ : ١١ — ١٩)

مثل الأمناء العشرة(١)

(١) الأمناء : المنا وجمعه أمناء هو مضروب يونانى ، أصغر من المنا المذكور فى العهد القديم ، وقيمته ٣٦٠ قرشاً مصرياً .

تمهيد :

بعد الزيارة التى أداها السيد المسيح لزكا رئيس العشارين فى مدينة أريحا ، وقبيل دخوله للمرة الأخيرة إلى أورشليم ألقى مثل الأمناء العشرة . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا المثل يتكلم عن توزيع الأمناء على العبيد ، وذلك كناية عن توزيع المواهب على المؤمنين ، ثم عن مكافأة العبيد الرابحين فى تجارتهم ، وذلك إشارة إلى جزاء المؤمنين الذين يستخدمون مواهبهم لمجد الله وخلاص النفوس :

توزيع المواهب :

١١ — وإذ كانوا يسمعون هذا عاد فقال مثلا لأنه كان قريبا من أورشليم وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال . ١٢ — فقال . إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكا ويرجع . ١٣ — فدعا عشرة عبيد له وأعطاهم عشرة أمناء وقال لهم تاجروا حتى آتى . ١٤ — وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فأرسلوا وراءه سفارة قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا .

١١ — كان السيد المسيح قد ختم حديثه مع زكا العشار بقوله « اليوم حصل خلاص لهذا البيت ، لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك » ، ويقول الأنجيلى إن الجموع إذ كانوا يسمعون هذا منه ، وكان متجها نحو أورشليم لأنه كان قريبا منها ، خطر ببالهم أنه جاء ليقيم مملكة فيها ويرد الملك لإسرائيل ، ويخلصهم من الرومان . وساعد على هذا الزعم ما كان سائدا من اعتقاد حينذاك من أن ملكوت الله كان عتيدا أن يظهر فى الحال ، ودليل ذلك قول التلاميذ « يا رب هل فى هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل » (أع ١ : ٦) . فأراد المخلص القضاء على هذه المزاعم وضرب مثل الأمناء قائلا ١٢ — إن رجلا شريف الجنس ، ويقصد به نفسه ، ذهب إلى كورة بعيدة ليتخذ لنفسه ملكا ويرجع ، ويشير بذلك إلى صعوده إلى السماء ليملك على السمائيين والأرضيين ، ويعود للدينونة العامة . ١٣ — فدعا عشرة عبيد ، ويراد بهم أبناء المعمودية عموما إذ هم يقرون عند الاعتماد بأنهم خدام الرب وجنوده ، وأعطاهم عشرة

أمناء ليتجروا بها حتى يعود . والأمناء كناية عن المواهب السماوية التى عددها بولس بقوله « فأنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة . ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد . ولآخر إيمان بالروح الواحد . ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد . ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح ولآخر أنواع ألسنة . ولآخر ترجمة ألسنة . ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء » (١ كو ١٢ : ٨ — ١١) . أما المتاجرة بهذه المواهب حتى عودته فيراد بها السعى مع النعمة، واستخدام المواهب لمجد الله وخلاص النفوس، وأن يكون المسيحى أمينا مجتهدا إلى يوم وفاته . ١٤ — ولكن أهل مدينته رفضوا أن يملك عليهم ، وفى هذا إشارة إلى أن يسوع جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله (يو ١ : ١١) ، بل أبغضوه وطلبوا قتله ، ولما سألهم بيلاطس قائلا « ما ذا أفعل بملككم » صاحوا قائلين « أصلبه أصلبه . ليس لنا ملك إلا قيصر » ، وهكذا الخطاة يرفضون أن يملك على قلوبهم .

مكافأة الرابحين :

١٥ — ولما رجع بعد ما أخذ الملك أمر أن يدعى إليه أولئك العبيد الذين أعطاهم الفضة ليعرف بما تاجر كل واحد . ١٦ — فجاء الأول قائلا يا سيد مناك ربح عشرة أمناء . ١٧ — فقال له نعما أيها العبد الصالح . لأنك كنت أمينا فى القليل فليكن لك سلطان على عشر مدن . ١٨ — ثم جاء الثانى قائلا يا سيد مناك عمل خمسة أمناء . ١٩ — فقال لهذا أيضا وكن أنت على خمس مدن .

١٥ — ولما فاز الشريف بالملك وعاد إلى وطنه ، استدعى العبيد وأخذ فى محاسبتهم على الأمناء ، وهذا كناية عن محاسبة المخلص للمؤمنين على أعمالهم عند مجيئه الثانى . ١٦ — ولم يشأ السيد أن يحاسبهم مجتمعين حتى لا تستر أمانة بعضهم خيانة البعض الآخر ، وفى هذا إشارة إلى أنه فى يوم الدين لا يسأل أحد إلا عن نفسه . وهنا تقدم أولهم قائلا « مناك ربح عشرة أمناء » ، وبقوله مناك بدلا من قوله أنا دل على تواضعه ، إذ نسب كل ما حصل عليه من ربح بفضل اجتهاده وأمانته وحكمته إلى فضل الرب وإنعامه، فضرب بذلك المثل فى وجوب

ترك كل كبرياء وادعاء جانبا . ١٧ — وقد كافأه السيد على القليل الذى أؤتمن عليه بأطلاق يده فى عشر مدن . ويفهم من هذا أن المؤمن يحاسب يوم الدين على كيفية استعمال المواهب يستوى فى ذلك من نال منها القليل ومن نال الكثير ، فالمهم هو الأمانة وإخلاص القلب . ١٨ — ثم جاء الذى أخذ خمسة أمناء وقرر أنه ربح مثلها ، ١٩ — فأعطاه السيد سلطانا على خمس مدن . ومن هذا نتعلم أن الخلاص عطية مجانية يمنحها الله للمؤمن ، وأما الرتبة فى الملكوت السماوى فتكون بقدر الاجتهاد والأمانة فى العمل . وفى ذلك يقول بولس الرسول « والغارس والساقى هما واحد ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه »(١) (١ كو ٣ : ٨) . ومع وفور اللذة والفرح الفائق الذى يحصل عليه جميع الصالحين فى حياة الخلود، فهم يتفاوتون فى الدرجة بتفاوت فضلهم واستحقاقهم ، وهذا ما قصده المخلص حين قال « فى بيت أبى منازل كثيرة » (يو ١٤ : ٢) . ولكن مع هذا التفاوت لا يشعر أحد منهم بأنه أقل سعادة من غيره ، ومثلهم فى ذلك مثل مدعوين إلى وليمة فاخرة يأكلون فيها حتى يشبعوا ، ولا ريب أن بعضهم يأكل أكثر من غيره لاتساع معدته ، ولكنهم جميعا يشعرون بالتساوى فى الشبع .

إنجيل القداس

(لو ١٢ : ٣٢ — ٤٤)

القطيع الصغير

تمهيد :

لما نطق السيد المسيح بالويلات الأولى على الكتبة والفريسيين حين كان يأكل

---

(١) **الإيمان والأعمال** : تثبت الآية المذكورة أن الأعمال الصالحة ضرورية للخلاص، أما قول البروتستنت بعدم ضرورتها وقصر الخلاص على الأيمان وحده ففيه مخالفة لقاعدة العدل والإنصاف لأنه يجعل الأجر غير متعادل مع التعب ، وهذا يناقض قول الإنجيل إن من ربح عشرة أمناء كوفىء بعشر مدن ، ومن ربح خمسة كوفىء بخمس مدن . (راجع نظرية الأيمان والأعمال فى قداس الأحد الرابع من توت) .

مع واحد منهم فى الجليل ، أوغر صدورهم بكلماته حتى أخذوا يراقبونه عسى أن يتفوه بكلمة يتخذونها ذريعة لرفع أمره لأولى الشأن . وفى أثناء ذلك اجتمعت حوله جموع غفيرة من الشعب عند شاطىء بحر الجليل حتى كان يدوس بعضهم بعضاً ، فأخذ يحذر تلاميذه من خمير الفريسيين الذى هو الرياء . وفصل الأنجيل الذى يتناول وصيته للمؤمنين يتكلم أولا عن وجوب تكريس القلب لله لا للأموال العالمية ، ثم عن مواصلة السهر استعدادا لمجيئه الثانى ، وأخيرا عن جزائه للذين يأتى فيجدهم ساهرين :

تكريس القلب :

٣٢ — لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت . ٣٣ — بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة . إعملوا لكم أكياسا لا تفنى وكنزا لا ينفد فى السموات حيث لا يقرب سارق ولا يبلى سوس . ٣٤ — لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضا .

٣٢ — وجه المخلص خطابه إلى تلاميذه خاصة ، وإلى سائر المؤمنين عامة قائلا « لا تخف أيها القطيع الصغير » ، فسماهم أولا قطيعا لأنه راعيهم الصالح ، وثانيا قطيعا صغيرا بالقياس إلى أهل العالم الكثيرين ، وإلى أعدائهم المتعددين(١). وقوله « لا تخف » أراد به إزالة مخاوفهم من جهة نفاد الغذاء أو الكساء ، لأنه ما دام أبوهم « قد سر أن يعطيهم الملكوت » فسوف يسد احتياجاتهم الجسدية فى هذا العالم ولا يكون لمخاوفهم إذاً محل . ٣٣ — وتحريضا لهم على إنكار ذواتهم ، والاهتمام بالأمور الروحية وفى مقدمتها الصدقة والسخاء فيها ، مضى يقول « بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة » . ففيما يتعلق برسله نراهم تمموا هذا الأمر على حقيقته حين تركوا كل شىء وتبعوه ، وأما فيما يختص بالمؤمنين عموما رعاة ورعية فالمطلوب هنا اختيارى ، ودليل ذلك قول المخلص للشاب الغنى « إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك

(١) **الرهبان** : لاحظ انطباق هذا الكلام وما يليه على فئة الرهبان الذين تحتفل الكنيسة بتذكارهم اليوم وكذا على طائفة السواح القديسين الذين يتلى هذا الفصل فى أعيادهم فى ١٦ بؤونة .

كنز فى السماء وتعال اتبعنى » (مت ١٩ : ٢١) . نعم حدث فى مستهل الحياة المسيحية أن « الأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج » (أع ٢ : ٤٥) ، وأنه « لم يكن فيهم أحد محتاجا لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج » (أع ٤ : ٣٤ — ٣٥) ، ومن أمثلة ذلك « يوسف الذى دعى من الرسل برنابا .. إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل » (أع ٤ : ٣٦ — ٣٧) ، ولكن لا يفهم من هذا أنه كان محتوما على المؤمنين أن يبيعوا ما لهم ، فقد كان لهم مطلق الحرية فى أملاكهم إن شاءوا باعوها و إن شاءوا أبقوها ، بل إن بولس الرسول تكلم بجلاء عن واجب المؤمن نحو خاصته بقوله « إن كان أحد لا يعتنى بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن » (١ تى ٥ : ٨) .

وبين المخلص غرضه من حث المؤمنين على الصدقة بقوله « إعملوا لكم أكياسا لا تفنى وكنزا لا ينفد فى السموات » ، وهو تكرار لسابق قوله « لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكل كنوزا فى السماء » (مت ٦ : ١٩ — ٢٠) . وقد ردد بولس الرسول هذا المبدأ حين أوصى الأغنياء بالسخاء فى العطاء والكرم فى التوزيع لكى يدخروا لأنفسهم « أساسا حسنا للمستقبل لكى يمسكوا بالحياة الأبدية » (١ تى ٦ : ١٩) . والغرض من كل ذلك أن نسعى فى اقتناء الكنوز الروحية حتى تكتب أسماؤنا فى سفر الحياة لا كما فعل الغنى الغبى الذى أخصبت كورته فأراد أن يخزن لنفسه دون أن يكون غنيا لله (لو ١٢ : ١٣ — ٢١) . وقول المخلص عن كنوز السموات إنها فى مأمن من أن تصل إليها يد « سارق » فكناية عن عدم ضياعها دفعة واحدة ، وأنها فى مأمن من أن يبليها « سوس » فكناية عن عدم ضياعها بالتدريج .

٣٤ — ويبين الرب يسوع الحكمة فى أفضلية الكنوز السماوية على الأرضية بقوله « لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضا » ، ومعنى هذا استحالة الجمع بين الكنزين إذ لا يمكن أن يتوزع القلب بين اثنين بين الله والمال (مت ٦ : ٢٤) .

السهر للمسيح :

٣٥ — لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة . ٣٦— وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت . ٣٧ — طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين . الحق أقول لكم إنه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم . ٣٨ — وإن أتى فى الهزيع الثانى أو أتى فى الهزيع الثالث ووجدهم هكذا فطوبى لأولئك العبيد . ٣٩ — وإنما اعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت فى أية ساعة يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب . ٤٠— فكونوا أنتم إذاً مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان .

٣٥ — استطرد مخلصنا بعد ذلك يوصيهم بضرورة الاستعداد الدائم للسفر السماوى والخدمة الإلهية بحيث لا يرتبكون فى أمور هذا العالم فقال « لتكن أحقاؤكم ممنطقة » ، ولا ريب أن ارتداء ثوب طويل بغير منطقة يدل على أن لابسه غير مستعد للسفر أو العمل ، ومفروض فى المسيحى أن يمارس الفضيلة بلا انقطاع حتى يكون مستعدا للقاء الرب عند مجيئه الثانى وناشطا للعمل فى كرمه ، فقد جاء عن بنى إسرائيل أنهم أمروا بأكل الفصح وأحقاؤهم مشدودة وعصيهم فى أيديهم استعدادا للخروج من بيت العبودية .

على أن شد الحقوين بالمنطقة يراد به أيضا ضبط النفس عن الاسترسال فى الشهوات وهى المعاقة بالبطن والظهر والكلى ، تمثلا بالمخلص الذى وصفه إشعياء بقوله « ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه » (أش ١١ : ٥) . وبمثل هذا أوصى الرسل فبولس قال « اثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر » (أف ٦ : ١٤) ، وبطرس ردد نفس النغم حينما قال « لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم » (١ بط ١ : ١٣)(١) .

(١) المنطقة : للملابس الكهنوتية معانى روحية تشير إليها ، ومن هذه الملابس الحياصة أى المنطقة وهى حزام من الحرير أو القصب أو الفضة يشد به رئيس الكهنة وسطه وقت الخدمة كما كان يفعل الحبر الأعظم عند تقديم الذبيحة (خر ٢٨ : ٤٠) . وقد رأى يوحنا الرب متمنطقا بمنطقة من ذهب على حقويه (رو ١ : ١٣) دلالة على سمو مقامه وبركته للكنيسة . ومنطقة رئيس الكهنة =

وأما قوله ولتكن « سرجكم موقدة » فتنبيه إلى ضرورة استنارة العقل بالتقوى والأيمان والمحبة ، ويتضح هذا جليا من مثل العذارى العشر (مت ٢٥ : ١—١٣) .

٣٦ — وطلب إليهم أن يكونوا دائما متنبهين ومستعدين لاستقبال سيدهم متى رجع من العرس ليفتحوا له ، ورجوعه رمز إلى مجيء المسيح الثانى . ٣٧— وقد طوب المخلص هؤلاء « العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين » أى متيقظين بالأعمال الصالحة ، وبين الأجر الذى يكافئهم به وهو « أنه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم » . وليس معنى هذا أن فى السماء متكئات وولائم ، بل المراد أنه لا يوجد شىء من الإكرام والمجد إلا وينعم به المسيح على جميع من يجدهم متيقظين بالأعمال الصالحة ، فسعادتهم فى السماء تكون كاملة حتى كأن سيدهم خادمهم هناك . نعم جرت العادة أن يخدم رب البيت ضيوفه كما فعل إبرهيم (تك ١٨ : ٧ — ٨) ، ولكن لم تجر العادة أن يخدم السيد عبيده ، ولو أن مخلصنا تنازل وأتى مثل هذه الخدمة بغسله أرجل تلاميذه (يو١٦ : ٤ — ١٢) ، ومن هذا يتضح أن تمنطق السيد لخدمة عبيده هو من قبيل المجاز لا الحقيقة .

٣٨ — وقد طوب يسوع العبيد إذا جاء سيدهم فى الهزيع الثانى أو الثالث ووجدهم

= تشير إلى سمو الكهنوت ، ويقظة الرعاة و نشاطهم فى الخدمة ، والفرح الذى منطقنا به بالفداء ، ولذلك يقول عند لبسها « حللت مسحى ومنطقتنى فرحا لكى ترنم لك روحى ولا تسكت يا رب إلهى إلى الأبد أحمدك » (مز ٣٠ : ١١—١٢) ، وتشير أيضا إلى الحبل الذى شد به يسوع وسيق إلى الصلب ، وإلى إكرامه لخدامه الأمناء إذ « يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم » (لو ١٢ : ٣٧) . اهـ اللآلىء جزء ١ صفحة ٢٩٥ — ٢٩٦ .

الزنار : بعد أن يلبس الكاهن الطفل المعتمد ثيابه يشد وسطه بزنار من حرير إشارة إلى القوة التى أوتيها بسر المسحة تلك القوة التى تشدد عزائمه وتزيده نشاطا وتكفه عن الرذيلة وتربطه مع الله وبشريعته الإلهية كما ذكر فى (أف ٦ : ١٤) . والزنار كذلك يشير إلى الوفاء فهو بربط صاحبه يدعوه إلى الوفاء بما وعد ، فقد تعهد أمام الله والكنيسة باتباع المسيح والتجند فى جيشه والكنيسة بشده بالزنار تحرضه على إنجاز ما وعد .

أما حل الزنار بصلاة خاصة فللإشارة إلى أننا كنا قبلا مربوطين من جهة خطايانا مع الشيطان والآن فكت عنا قيود الخطية (رو ٦ : ٢٢) ، وتحررنا بالمسيح فنعيش فى الحرية التى حررنا بها . اهـ اللآلىء النفيسة ج ٢ ص ١١٣ — ١١٤ .

ساهرين ، وكان اليهود يقسمون الليل فى تلك الأيام إلى أربعة أقسام مدة كل منها ثلاث ساعات(١)، وعمر الإنسان كالليل ينقسم إلى أربعة أدوار هى الصبا وهو إلى الرابعة عشرة ، ثم الشباب فالرجولة فالشيخوخة ، ومجيء السيد فى الهزيعين الثانى أو الثالث دون غيرهما هو لأن الهزيع الأول يرمز إلى الصبا وفيه لا يتم نضج الإنسان عقليا فلا يعاقب على الخطية ، والهزيع الأخير يرمز إلى الشيخوخة ومن أخر توبته إلى هذا الدور فقل أن يتوب بل غالباً ما يموت فى خطيته ، ولهذا قال الجامعة « أذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لى فيها سرور » (جا ١٢ : ١) . ويرى بعضهم أن عدم ذكر الهزيع الرابع هو حتى لا يؤخر الناس توبتهم إلى هذا الوقت .

وهناك رأى يقول بأن الهزيع الأول يراد به المدة من آدم إلى مجيء المخلص ، والثانى من مجيئه إلى صعوده ، والثالث من صعوده إلى مجيئه الثانى . فالذين فى الفترتين الأخيرتين إن سلكوا فى الفضيلة استحقوا مثل ثواب الأنبياء والأبرار ، بدليل قوله إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبرهيم وإسحق ويعقوب ، وبدليل قوله فى مثل الفعلة فى الكرم « لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين . قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد » (مت ٢٠ : ٦ — ٧) ، ويدل هذا على أنهم لو وجدوا قبل مجيئه لكانوا يفلحون فى كرمه بالبر والتقوى . وخلاصة القول أن المؤمن يجب أن يكون دائماً مستعداً لملاقاة الرب عند مجيئه لأن وقت مجيئه غير معلوم .

٣٩ — وضرب المخلص لمجيئه المفاجيء مثل السارق الذى يجيء ليلا ويكون مجيئه بغتة والناس فى غفلة عنه ، فلو عرف رب البيت فى أية ساعة يأتى لسهر ولم يدع بيته ينقب ، وهكذا يأتى المسيح بغتة والعالم غافل عنه ، ٤٠ — ولذا أوصى المؤمنين أن يكونوا مستعدين على الدوام يتوقعون مجيئه بين ساعة وأخرى. وبما أن خلاصنا أو هلاكنا الأبدى متعلق بساعة موتنا لأن فيها نقتيل من الديان العادل القضاء المبرم بهذا أو بذاك ، ولما كانت حكمته الفائقة قد أخفت عنا هذه

(١) **أقسام الليل** : وردت هذه الأقسام فى الآية القائلة « إسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحا » (مر ١٣ : ٣٥) .

الساعة حتى تلتزم القداسة ولا نؤخر التوبة إلى اللحظة الأخيرة فتضيع الفرصة ، لأن ساعة الموت لا تصلح للتوبة لأنه لا فرصة بعدها للعمل الصالح ، لذلك وجب أن نكون دائماً مستعدين فى أعمال صالحة لمجيئه الأخير . وقد جاء فى سفر الرؤيا قوله « هأنا آتى كلص طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشى عريانا فيروا عورته » (رؤ ١٦ : ١٥) .

جزاء الساهرين :

٤١ — فقال له بطرس يا رب ألنا تقول هذا المثل أم للجميع أيضا . ٤٢ — فقال الرب فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم العلوفة فى حينها . ٤٣ — طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . ٤٤ — بالحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله .

٤١ — لم يتبين بطرس إن كان كلام المخلص موجها للرسل أم للجميع فسأله فى ذلك ، ٤٢ — ويسوع أجاب بمثل يوضح أنه للجميع فقال « فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم العلوفة فى حينها » ، ولقب الوكيل يطلق على كل المسيحيين لأنهم استودعوا مواهب لابد أن يحاسبوا عليها ، ويطلق بالأخص على خدام الدين لأنهم « خدام المسيح ووكلاء سرائر الله » (١ كو ٤ : ١) . ووصف مخلصنا الوكيل بالأمانة لأنه لا يخون ، وبالحكمة لأنه يوزع كل شيء فيما يجب أن يوزع فيه ، وهما صفتان لا غنى عنهما معا ، ويقصد بتقديمه العلوفة تغذية العقول بالعلوم الإلهية ، والأرواح بالمواهب النفسانية ، والأجساد باحتياجاتها الزمنية على قدر استطاعته ، وفى الوقت المناسب وبالقدر اللازم . ٤٣ — فإذا جاء سيده ، ويقصد به نفسه ، ووجده يفعل هكذا فطوبى له ، ٤٤ — وجزاؤه « أن يقيمه على جميع أمواله » أى يشركه بنفسه ويورثه ويوصله بذاته وفقا لقوله « إن كان أحد منكم يخدمنى يكرمه الآب » (يو ١٢ : ٢٦)(١) .

(١) **تطبيق** : ينطبق كل ما تقدم على الأنبا أنطونيوس وأولاده الرهبان فلقد كان أمينا وحكيما على ما نال من مواهب ، فوزع أمواله على الفقراء ولم يتعلق قلبه بالأرضيات بل بالسماويات ، وكان البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه فآثر =

اليوم الثالث والعشرون من شهر طوبة

شهادة القديس تيموثاوس الرسول (أسقف أفسس) :

(راجع فصول اليوم الثامن والعشرين من هاتور)

اليوم الرابع والعشرون من شهر طوبة

نياحة القديسة مريم الحبيسة الناسكة :

(راجع فصول آخر طوبه)

= الرهبنة على الزواج، وترك الأقرباء بالجسد والقنايا والشهوات العالمية ، وفضل المقام فى البرية ولبس الصوف وشد الوسط بسير كيوحنا المعمدان ، وهجر اللحم والأطعمة الشهية مقتصراً على مالا تقوم الحياة الجسدية بدونه ، ثم كان سراجه موقدا إذ صرف العمر جميعه فى الصوم والصلاة وتلاوة الكتب ، وتشبه هو وأولاده الرهبان بالسيد ورسله فى جميع أخلاقهم ، وهكذا أصبحوا جميعا ملائكة أرضيين وبشرا سمائيين وكواكب تضيء فى برية هذا العالم المظلم .

والكنيسة بالاحتفال بتذكاره تريد من بنيها أن يكونوا مثله ساهرين وفقا لقول الرسول « أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص فى الليل هكذا يجيء . لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون . وأما أنتم أيها الأخوة فلستم فى ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص . جميعكم أبناء نور وأبناء نهار . لسنا من ليل ولا ظلمة . فلا ننم إذاً كالباقين بل لنسهر ونصح لأن الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون وأما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص » (١ تس ٥ : ٢—٨) .

وتطبيقا لذلك رتبت الكنيسة أن يقول المصلى فى الخدمة الأولى من صلاة نصف الليل « ها هوذا الختن يأتى فى نصف الليل فطوبى لذلك العبد الذى يجده مستيقظا . فأما الذى يجده متغافلا فأنه غير مستحق المضى معه . فانظرى يا نفسى لئلا تثقلى نوما فتلقى خارج الملكوت » ، ويقول أيضا « تفهمى يا نفسى ذلك اليوم الرهيب واستيقظى وأضيئى مصباحك بزيت البهجة لأنك لا تعلمين متى يأتى نحوك الصوت القائل ها هوذا العريس فانظرى يا نفسى لئلا تقفى خارجا قارعة مثل الخمس العذارى الجاهلات » اهـ عن الأجبية .

اليوم الخامس والعشرون من شهر طوبة

نياحة القديس بطرس العابد :

(راجع فصول اليوم العشرين من بشنس)

اليوم السادس والعشرون من شهر طوبة

شهادة التسعة والأربعين قديسا شيوخ برية شيهيت :

المزامير والأناجيل :

يراد بفصول هذا اليوم أن تشير إلى موضوع واحد هو « شيوخ برية شيهيت » ، فأنجيل العشية يتكلم عن محبتهم للمخلص ، وإنجيل باكر عن جزائه لهم ، وإنجيل القداس عن تمجد الآب فيهم :

مزمور العشية : (٣١ : ١٢ ، ٧)

يهيب هذا المزمور بهؤلاء الشيوخ أن يبتهجوا بالرب ، ويشير إلى صلواتهم ، وإلى ما جاء بفصل الأنجيل عن أجرهم لمحبتهم للمخلص أكثر من غيره فيقول « إفرحوا أيها الصديقون بالرب وتهللوا . للمستقيمين ينبغى التسبيح . من أجل ذلك تبتهج إليك . كل الأبرار فى أوان مستقيم » .

انجيل العشية : (مت ١٠ : ٣٤—٤٢)

يتكلم هذا الفصل عن محبة المخلص أكثر من غيره فى نظر هؤلاء الشيوخ ، ودليل ذلك قول المخلص عن جزائهم « ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » .

مزمور باكر : (٣٢ : ١ ، ١٢)

يهيب هذا المزمور بهؤلاء الشيوخ أن يبتهجوا بالرب ، ويشير إلى صلواتهم ، وإلى ما جاء بفصل الأنجيل من تطويب المخلص لهم ، وأجرهم فيقول « ابتهجوا أيها الصديقون بالرب . للمستقيمين ينبغى التسبيح . طوبى للأمة التى الرب هو إلهها . والشعب الذى اختاره له ميراثا » .

انجيل باكر : (لو ٦ : ١٧—٢٣)

يتكلم هذا الفصل عن جزاء المخلص لهؤلاء الشيوخ ، ودليل ذلك قوله

لتلاميذه « إفرحوا فى ذلك اليوم وتهللوا . فهوذا أجركم عظيم فى السماء » .

مزمور القداس : (٣٣ : ١٨ ، ١٩)

يشير هذا المزمور إلى استشهاد الشيوخ التسعة والأربعين ، وإلى حفظ أجسادهم بالمغارة التى بجانب كنيسة القديس مقاريوس ، ثم نقلها إلى ديره فيقول « كثيرة هى أحزان الصديقين . ومن جميعها ينجيهم الرب . يحفظ الرب جميع عظامهم . وواحدة منها لا تنكسر » .

انجيل القداس : (مت ٤ : ٢٣ — ٥ : ١ — ١٦)

يتكلم هذا الفصل عن تمجد الآب بأعمال هؤلاء الشيوخ الحسنة ، ودليل ذلك قوله لتلاميذه « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » .

الرسائل :

يراد بهذه الرسائل الثلاث أن تشير إلى موضوع واحد هو « شيوخ شيهيت » فالبولس يتكلم عن احتمالهم التأديب كبنين ، والكاثوليكون عن آلامهم ، والأبركسيس عن إيمان الكثيرين نتيجة جهادهم :

البولس : (عب ١٢ : ٣ — ١٤)

يحرضنا الرسول فى رسالته على أن نذكر تضحية هؤلاء الشيوخ التسعة والأربعين التى تشبه تضحية المسيح فيقول « فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم » ، ثم يوصينا بألا نحتقر تأديب الرب ويوضح أن هذا التأديب « يعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » ، ويشجعنا أخيرا بقوله « لذلك قوموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة » .

الكاثوليكون : (١ بط ٤ : ١٢ — ٩)

ويتكلم هنا الرسول عن آلامهم فيقول « أيها الأحباء لا تستغربوا البلوى الحارقة التى بينكم حادثة لأجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب بل كما اشتركتم فى آلام المسيح افرحوا » ، ثم يقول إنه إن تألم أحد كمسيحى « فلا يخجل بل

يمجد الله » ، ويوصى قائلا « فأذاً الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين فى عمل الخير » .

الأبركسيس : (أع ٨ : ٣ — ١٣)

يشير هذا الفصل إلى كرازة فيلبس والآيات التى صنعها ، ويبين كيف أن أتباع سيمون الساحر اعتمدوا رجالا ونساء وسيمون أيضا نفسه آمن . ويدل كل هذا على أن الضيق الذى نال المؤمنين بسبب اضطهاد شاول حمل الذين تشتتوا منهم على أن يجولوا مبشرين بالكلمة كما فعل فيلبس وكانت نتيجة كرازتهم إيمان الكثيرين .

مواعيد تلاوتها :

وقد رتبت الكنيسة تلاوة هذه الفصول كلما احتفلت بتذكار شهادة شيوخ شيهيت أو يوحنا العابد وذلك فى المناسبتين الآتيتين :

٢٦ طوبه شهادة التسعة والأربعين قديسا شيوخ شيهيت .
٥ مسرى نياحة القديس العابد يوحنا الجندى .

إنجيل العشية

(مت ١٠ : ٣٤ — ٤٢)

من خطاب السيد للاثنى عشر رسولا

(راجع عشية اليوم الثامن والعشرين من هاتور)

إنجيل باكر

(لو ٦ : ١٧ — ٢٣)

التطويبات

(راجع قداس اليوم الثانى من النسىء)

إنجيل القداس

(مت ٤ : ٢٣ — ٥ : ١ — ١٦)

موعظة الجبل

(راجع قداس اليوم السابع والعشرين من بابه)

اليوم السابع والعشرون من شهر طوبه

شهادة القديس أبى فام الجندى :

(راجع فصول اليوم السابع والعشرين من برموده)

اليوم الثامن والعشرون من شهر طوبة

شهادة القديس الأنبا كاؤو :

(راجع فصول اليوم الخامس عشر من هاتور)

اليوم التاسع والعشرون من شهر طوبة

نياحة القديسة اكسانى :

(راجع فصول اليوم الأول من بشنس)(١)

اليوم الثلاثون من شهر طوبة

شهادة العذارى القديسات بيستس وهلبيس وأغابى وأمهن صوفيه :

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « العذارى والقديسات » ، فأنجيل العشية يتكلم عن تكريمهن للمخلص ، وأنجيل باكر عن دعوته لهن ، وإنجيل القداس عن عرسه المعد لهن :

مزمور العشية : (٦٧ : ١٤ ، ٢٥)

يشير هذا المزمور إلى دعوة الملك المخالف ادريانوس لهن للحضور أمامه ، وإلى ترتيلهن وتسبيحهن لله فيقول « تبادر الرؤساء إلى كل المرتلين . في وسط صبايا ضاربات بالدفوف . فى الكنائس باركوا الله . والرب من ينابيع إسرائيل » .

(١) يوم ٢٩ طوبه : صحة إحالة هذا اليوم هى على يوم ٣٠ طوبه كما جاء بالمقدمة ص ٩١ من الجزء الأول .

انجيل العشية : (مت ٢٦ : ٦—١٣)

يتكلم هذا الفصل عن تكريمهن للمخلص ، ودليل ذلك قوله لتلاميذه المتذمرين من المرأة التى سكبت الطيب على رأسه « لماذا تزعجون المرأة فأنها قد عملت بى عملا حسنا » .

مزمور باكر : (٨ : ٢ ، ٣)

يشير هذا المزمور إلى تسبيح العذارى الثلاث الصغيرات لله ، وإلى ما جاء بفصل الأنجيل عن السجود لله فيقول « من أفواه الأطفال . والرضعان هيأت سبحا . لأنى أرى السموات أعمال يديك . القمر والنجوم أنت أسستها » .

انجيل باكر : (يو ٤ : ١٥—٢٤)

يتكلم هذا الفصل عن دعوة المخلص لهؤلاء العذارى المتعبدات بالروح والحق له ، ودليل ذلك قوله للمرأة السامرية « ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له » .

مزمور القداس : (٤٤ : ١٦)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل عن خروج العذارى للقاء العريس ودخول المستعدات منهن معه إلى العرس فيقول « يدخلن إلى الملك عذارى فى أثرها . جميع أقربائها إليه يقدمن . يبلغن بفرح وابتهاج . يدخلن إلى هيكل الملك » .

انجيل القداس : (مت ٢٥ : ١—١٣)

يتكلم هذا الفصل عن عرس المخلص الذى قبلت العذارى فيه ، ودليل ذلك قوله عن العذارى الحكيمات « والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب » .

الرسائل :

يراد بهذه الرسائل الثلاث أن تشير إلى موضوع واحد هو « العذارى والقديسات » ، فالبولس يتكلم عن صلاحهن ، والكاثوليكون عن وحدتهن

فى الرأى وفى الآلام ، والأبركسيس عن موتهن لأجل اسم الرب :

البولس : (أف ٥ : ٨—٢١)

فى هذا الفصل يوصى الرسول المؤمنين أن يتمثلوا بالعذارى الحكيمات فيقول « أسلكوا كأولاد نور . لأن ثمر النور هو فى كل صلاح وبر وحق » ، ثم يقول « مكلمين بعضكم بعضا بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب . شاكرين كل حين على كل شىء » .

الكاثوليكون : (١ بط ٣ : ٥—١٤)

وهنا يوصى الرسول النساء القديسات أن يكن خاضعات لرجالهن كما أطاعت سارة إبرهيم ، ثم يقول « والنهاية كونوا جميعا متحدى الرأى بحس واحد » ، ويختم قائلا « ولكن إن تألمتم من أجل البر فطوباكم . وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا » .

الأبركسيس : (أع ٢١ : ٥—١٤)

يتكلم هذا الفصل عن رحلة بولس ورفقائه فى البحر من صور إلى قيصرية ودخولهم بيت فيلبس الذى كان له « أربع بنات عذارى يتنبأن » ، ثم نبوة أغابوس عما سيلاقيه بولس وقول هذا عن نفسه « لأنى مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضا فى أورشليم لأجل اسم الرب يسوع » .

مواعيد تلاوتها :

وقد رتبت الكنيسة تلاوة الفصول السابقة كلما احتفلت بتذكار إحدى العذارى أو القديسات وذلك فى المناسبات الآتية :

٥ توت شهادة أجيا صوفيا
٢٠ « نياحة القديسة ثاؤبستى
٢٩ « شهادة أربسيما العذراء ومن معها
١ بابه « القديسة أنسطاسية
٦ « نياحة حنة النبية أم صموئيل النبي
١٠ هاتور شهادة الراهبات الخمسين وأمهن

٢٦ كيهك شهادة القديسة أنسطاسية
٢٤ طوبة نياحة « مريم الحبيسة الناسكة
٣٠ « شهادة القديسات بيستس وهلبيس وأغابى وأمهن صوفيه
١٥ برمهات نياحة القديسة سارة الراهبة
٢٦ « « « براكسيا العذراء
٦ برموده « « مريم المصرية
٨ « شهادة القديسات أغابى وايرينى وسيونيه
١١ « نياحة القديسة ثاوذورا
٢٥ « شهادة « سارة وولديها
١ أبيب « « افرونيه الناسكة
١٧ « « « أوفيميه
٢٨ « نياحة « مريم المجدلية
٢ مسرى « « بائيسه
٦ « شهادة « يوليطه
١٥ « تذكار نياحة القديسة مارينا
٢١ « نياحة القديسة ايرينى

إنجيل العشية

(مت ٢٦ : ٦ — ١٣)

دهن مريم يسوع بالطيب(١)

٦ — وفيما كان يسوع فى بيت عنيا فى بيت سمعان الأبرص ٧ — تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه وهو متكىء . ٨ — فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين لماذا هذا الإتلاف . ٩ — لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء . ١٠ — فعلم يسوع وقال لهم لماذا تزعجون المرأة فأنها قد عملت بى عملا حسنا . ١١ — لأن الفقراء معكم فى كل

(١) دهن يسوع بالطيب : ورد هذا الموضوع أيضا فى (مر ١٤ : ٣ — ٩ ، يو ١٢ : ١—٨) .

حين . وأما أنا فلست معكم فى كل حين . ١٢ — فأنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدى إنما فعلت ذلك لأجل تكفينى . ١٣ — الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الأنجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها .

(راجع عشية الأحد الأول من كيهك)

إنجيل باكر

(يو ٤ : ١٥ — ٢٤)

حديث المخلص مع السامرية

(راجع قداس الأحد الرابع من الصوم المقدس)

إنجيل القداس

(مت ٢٥ : ١ — ١٣)

العذارى العشر

تمهيد :

فى يوم الثلاثاء الأخير من حياة السيد المسيح على الأرض تقدم إليه تلاميذه على انفراد قائلين « قل لنا متى يكون خراب الهيكل وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر » ، فأخذ يجيبهم على ذلك، ثم أوصاهم بالسهر حتى يكونوا مستعدين لمجيئه ، ثم ضرب لهم مثل العذارى العشر الذى يحض على ضرورة اقتران السهر بالأعمال الصالحة أى أعمال الرحمة . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يتكلم أولا عن أهمية الرحمة فى حياة المؤمنين ، ثم عن ضرورتها للخلاص ، وأخيرا عن السهر فيها إلى النفس الأخير انتظارا لمجىء الملك المسيح يوم الدينونة الرهيب .

أهمية الرحمة :

١ — حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس . ٢ — وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات . ٣ — أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذ معهن زيتا . ٤ — وأما الحكيمات فأخذن

زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن . ٥ — وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن .

١ — استهل المخلص مثل العذارى بتسمية بشارة الأنجيل بملكوت السموات ، لأن العمل بها يوصل إلى الملكوت ، ثم شبهها بالعذارى لاتصافهن بالتقوى والبتولية والطهارة والحياء وما إلى ذلك من الفضائل ، لا لأنهن أناث فالعالم الآتى تبطل فيه كلمة ذكر وأنثى لأن الناس فيه « لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء » (مت ٢٢ : ٣٠) . والنسبة بين الزوج والزوجة تقتصر على عالمنا هذا، بسبب تسلط الموت فيه وضرورة النسل لسد ما يحدثه من فراغ ، فهى لا تكون فى السماء حيث يكون الناس روحانيين غير مفتقرين إلى الأمور الجسدية كالأكل والشرب وغير ذلك . أما أن العذارى عشر بالتحديد فلأن هذا العدد كامل ، وهو فى عرف اليهود أقل ما يلزم لاجتماع قانونى لأكل الفصح أو لشهادة عرس . ثم أخذ المخلص يقول إن العذارى أخذن مصابيحهن ، ويريد بها أعمال البر والصلاح والصوم والصدقة والصلاة وما إليها ، وخرجن للقاء العريس أى توقعن الفوز بالملكوت ، والعريس يقصد به نفسه والعروس بيعته .

٢ — « وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات » ، ويعنى بالحكيمات اللواتى أضفن إلى البتولية عمل الرحمة، وبالجاهلات اللواتى قنعن بالبتولية دون الرحمة(١) . والحكيمات كناية عن الأعضاء العاملين المخلصين فى الكنيسة ، والجاهلات كناية عن الأعضاء المرائين الذين يتظاهرون بالصوم والصلاة والحق ويتركون عمل الرحمة . وقد يقال إن الحكيمات هن اللواتى يخضعن لحواس الروح حسب فكر الله وفكر الله هو الحكمة بعينها ، والجاهلات هن اللواتى يسرن وفق حواس الجسد حسب فكر الإنسان وفكره هو الجهل بعينه . ٣ — والذى حدث أن الجاهلات أخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا ، أى أنهن اكتفين بالصوم والصلاة ولم يقرن بتوليتهن بعمل الرحمة وهى المقصودة بكلمة « الزيت »(٢) .

---

(١) الرحمة : أنظر أنواع الرحمة الثلاثة فى قداس ٢٧ بابه تحت رقم ٧ .

(٢) الزيت : الزيت رمز على القداسة والرحمة والمحبة وغيرها من الأعمال الصالحة التى بدونها لا ينير مصباح الإيمان ، وهو يدل على البهجة والفرح بدليل قول المزمور « أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن =

٤ — « وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن » فقد توقعن نفاد الزيت ونفاده يشير إلى أن الإنسان لابد أن يخطىء . والزيت الذى أخذ على سبيل الاحتياط يشير إلى رحمة الله التى لابد منها لمحو الخطية ، والله لا يرحم إلا من يرحم غيره، فالذى أعد زيتا مضافا إلى سراجه فهو الذى يخلص ويعينه الله على بتوليته . ٥ — ولما أبطأ العريس، وإبطاؤه كناية عن تأخره من وقت صعوده حتى مجيئه الثانى ، « نعسن جميعهن ونمن » ويراد بذلك الموت الذى يستوى فيه الجميع . وسمى نوما ليقظة القيامة التى تعقبه ، ولأن الأبرار فيه يستريحون من شقاء العالم . وقد يكون المراد بالنعاس ارتكاب الخطايا الذى يستوى فيه الحكيمات والجاهلات، كما أن السهر يرمز به إلى حفظ الإنسان نفسه بلا عيب كقول الرسول « فلا ننم إذاً كالباقين بل لنسهر ونصح » (١ تس ٥ : ٦) .

ضرورتها للخلاص :

٦ — ففى نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه . ٧ — فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن . ٨ — فقالت الجاهلات للحكيمات أعطينا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفىء . ٩ — فأجابت الحكيمات قائلات لعله لا يكفى لنا ولكن بل اذهبن إلى الباعة وابتعن لكن . ١٠ — وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب .

٦ — وفى نصف الليل دوى الصوت القائل « هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه » ، وهو الصوت المشير إلى صوت البوق العظيم الذى يسبق البعث مباشرة ، فالله « يرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها » (مت ٢٤ : ١) ، ويقول الرسول إن « الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات

= الابتهاج أكثر من رفقائك » (مز ٤٥ : ٧)، وفوق ذلك فهو يستعمل لتليين الأشياء القاسية ولم الجروح، فهو من هذه الوجهة يشير إلى نعمة الله التى متى سكبت على القلب القاسى لينته وعلى النفس المجروحة بالخطية ضمدت جراحاتها ، هذا إلى أن به يكرم الله والناس (قض ٩ : ٩) .

فى المسيح سيقومون أولا » (١ تس ٤ : ١٦) . وانطلاق هذا الصوت فى نصف الليل(١) يدل على أن القيامة العامة تكون فى الوقت الذى قام فيه المخلص من بين الأموات ، وبالتالى فى ليلة الأحد وهو اليوم الذى خلقت فيه السموات والأرض . وبما أن صدور هذا الصوت فى سكون الليل يكون فجائيا ومزعجا، كذلك يكون مجىء المسيح بغتة ومخيفا لمن لم يستعد له . وقوله « اخرجن للقائه » يشير إلى نشر الناس من القبور للقاء المسيح . ٧ — وعلى أثر ذلك « قامت جميع العذارى وأصلحن مصابيحهن » ويراد بهذا قيام الناس بأسرهم تتبعهم أعمالهم .

٨ — ولما رأت الجاهلات أن مصابيحهن تنطفىء قالت للحكيمات « أعطينا من زيتكن » ، وهو قول يفيد أولا انقطاع الرجاء لأنه فى ذلك اليوم لا يهتم المرء إلا بنفسه ، ويفيد ثانيا ندامتهن على ترك الرحمة حين كن قادرات عليها ولات حين مندم . ٩ — ولكن الحكيمات أجابت قائلات « لعله لا يكفى لنا ولكن »(٢)،

(١) **صلاة نصف الليل** : رتبت الكنيسة هذه الصلاة وفقا لهذه الآية حتى يكون الأنسان متأهبا لمجىء المسيح ثانية .

(٢) **زوائد فضائل القديسين** : تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن الأبرار والقديسين أتموا جميع الفضائل الواجبة عليهم وفوق ذلك فعلوا من الأعمال الصالحة أكثر مما كان واجبا عليهم ، كالفقر الاختيارى وشظف العيش والبتولية وغيرها، وأن زوائد فضائلهم هذه محفوظة لدى البابا يوزعها على الخطاة المتوفين بأثمان معلومة ، أى أنه يقدم هذه الزوائد عنهم إلى الله .

ويرد على هذا التعليم الذى لا أساس له فى الكتاب المقدس بما يأتى :

١ — إن الغفران لا يكون إلا باستحقاق آلام مخلصنا يسوع المسيح الذى ليس بأحد غيره الخلاص .

٢ — إن القديسين مهما اجتهدوا لا يمكن أن يعملوا أكثر مما طلب منهم، بدليل مثل العبد الذى ضربه لنا السيد وختمه بقوله « كذلك أنتم أيضا متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون ، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا » (لو ١٧ : ١٠)، وبدليل قول العذارى الحكيمات « لعله لا يكفى لنا ولكن » . ويؤيد هذا قول بولس الرسول وهو الذى وصل إلى درجة فائقة من الكمال « ليس أنى قد نلت أو صرت كاملا ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضا المسيح يسوع » (فى ٣ : ١٢) . =

وهى إجابة تثبت أن فى يوم الدين لا يعين أحد بأعماله غيره ، كما يتضح ذلك من رفض إبراهيم لطلب لعازر وقوله له « بيننا وبينكم هوة عظيمة » (لو ١٦ : ٢٦) ، وأن فيه يظل الأبرار فى جزع عظيم حتى تنقضى ساعة الحكم فيتميزون من الأشرار . وكان رفض الحكيمات لطلب الجاهلات مصوغاً فى قالب من اللطف إذ قلن لهن « بل اذهبن إلى الباعة وابتعن لكن » ، وواضح أن العالم الثانى عالم جزاء لا عالم عمل ، وليس لدى الجاهلات أموال يبتعن بها ، وحتى لو كان لديهن منها شىء لما وجدن الباعة وهم جماعة المساكين ، لأن زمان احتياجهم قد انقضى بتحول الأجسام الطبيعية فى العالم الثانى عن حالتها الأولى حالة الاحتياج إلى الغذاء والكساء ، وقد يكون مراد الحكيمات من هذا القول توبيخ الجاهلات لأنهن لم يبتعن فى الوقت المناسب أى لم يرحمن حين كن قادرات على الرحمة .

١٠ — يقول البشير بعد ذلك « وفيما هن ذاهبات جاء العريس » ، فذهابهن يفيد أنهن وددن العودة إلى العالم لتدارك ما فاتهن من أعمال الرحمة ، ولكنها أمنية يستحيل تحقيقها لأن الفرصة قد ضاعت ، والعالم المزمع عالم جزاء لا عالم عمل كما سبق ، وفيه لا يعطى أحد غيره شيئاً بل كل واحد يحاسب عن نفسه . ولما جاء العريس دخلت معه المستعدات إلى العرس ، أى أن الذين مارسوا الرحمة ورثوا الملكوت وفرحوا بمشاهدة المسيح والاقتراب منه ونالوا الخيرات السماوية . وبعد ذلك « أغلق الباب » فباب السماء يظل مفتوحا حتى مجىء المسيح ثانية ، ثم يغلق بعد دخول الأبرار ، وإغلاقه معناه انقطاع الرجاء بالنسبة لمن هم فى خارجه ، وامتناع دخول الألم والحزن والخطية وإبليس والموت إلى من هم فى داخله ، فهو باب الرحمة بربنا يسوع المسيح .

= ٣ — إن فى يوم الدين لا يعطى أحد من بره لغيره بدليل قول المزمور « الأخ لن يفدى الإنسان فداء ولا يعطى الله كفارة عنه » (مز ٤٩ : ٧) ، وقول الوحى لحزقيال « إن أرسلت وباء على تلك الأرض وسكبت غضبى عليها بالدم لأقطع منها الإنسان والحيوان وفى وسطها نوح ودانيال وأيوب فحى أنا يقول السيد الرب إنهم لا يخلصون ابنا ولا ابنه . إنما يخلصون أنفسهم » (حز ١٤ : ١٩ — ٢٠) ، وقوله أيضا « النفس التى تخطىء هى تموت ... بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون » (حز ١٨ : ٢٠) .

السهر فيها :

١١ — أخيرا جاءت بقية العذارى أيضا قائلات يا سيد ياسيد افتح لنا . ١٢ — فأجاب وقال الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن .
١٣ — فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان .

١١ — وأخيرا جاءت بقية العذارى قائلات « ياسيد افتح لنا » أى أنهن ندمن على إضاعة فرصة الحياة بغير رحمة ، وطلبن أن يرحمهن المخلص ويفتح لهن . ١٢ — ولما كان الحكم هو بلا رحمة لمن لم يفعل رحمة (يع ٢ : ١٣) فقد أجابهن قائلا « إنى ما أعرفكن »(١) ، وتدل إجابته هذه على أنه لا رحمة فى العالم الآتى بل جزاء . وقد سبق أن نطق بمثل هذا الكلام حين قال « من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب وابتدأتم تقفون خارجا وتقرعون قائلين يا رب يا رب افتح لنا يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم » (لو ١٣ : ٣٥) ، وكذلك حين قال « ليس كل من يقول لى يا رب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات » (مت ٧ : ٢١) .

١٣ — وختم يسوع مثل العذارى بقوله « فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان » ، وهو بهذا يريد من المؤمنين أن يتيقظوا فى أفكارهم ويرحموا المحتاج ولا تشغلهم هموم الحياة عن القيام بفروض دينهم ، وأن يكونوا مستعدين لأن ساعة الموت غير معروفة ، كما قال السيد « اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحا » (مر ١٣ : ٣٥) ، وقال بطرس الرسول « أصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه » (١ بط ٥ : ٨) ، وجاء بسفر الرؤيا « هأنا آتى كلص طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشى عريانا فيروا عورته » (رؤ ١٦ : ١٥)(٢) .

---

(١) طبقات القائمين : أنظر هذا الموضوع فى عشية ٣ مسرى .

(٢) السهر : أنظر الحاشية التى على قداس يوم ٢٢ طوبه صفحة ٢٣٤

آحاد شهر طوبة

خلاص يسوع للأمم

تدور أناجيل القداس فى أيام الآحاد الأربعة لشهر طوبة حول موضوع واحد هو « خلاص يسوع » الذى أظهره للأمم وذلك حسب التفصيل الآتى :

يتكلم إنجيل الأحد الأول عن « إعلان الخلاص » للأمم ، ودليل ذلك قول متى الأنجيلى عن يوسف النجار إنه « قام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر » (مت ٢ : ١٤) وبقى هناك حتى مات هيرودس ثم عاد إلى الجليل .

ويتكلم إنجيل الأحد الثانى عن « بركات الخلاص » لمن يعملون بوصايا المسيح ، ودليل ذلك قوله للمرأة التى طوبت البطن الذى حمله « بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » (لو ١١ : ٢٨) .

أما أنجيل الأحد الثالث فيتكلم عن « حياة الخلاص » التى يفوز بها من يؤمنون بيسوع المخلص ، ودليل ذلك قول يوحنا المعمدان « الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية » .

وأخيرا يتكلم إنجيل الأحد الرابع عن « إنارة الخلاص » للعيون والبصائر ، ودليل ذلك قول المولود أعمى « كنت أعمى والآن أبصر » (يو ٩ : ٢٥) ، وقوله للمخلص حين سأله أتؤمن بابن الله « أؤمن يا سيد . وسجد له » (يو ٩ : ٣٨) .

الأحد الأول من شهر طوبه

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « إعلان الخلاص للأمم » ، فأنجيل العشية يتكلم عن كرازة المخلص التى أعلن بها خلاصه ، وإنجيل باكر عن سلطانه الأزلى فى الكرازة ، وأنجيل القداس عن إعلان خلاصه للأمم :

مزمور العشية : (٤٦ : ١ ، ٢)

يهيب هذا المزمور بجميع الأمم أن يبتهجوا بانتشار بشارة الأنجيل بينهم وهى التى أشير إليها فى فصل الأنجيل بملكوت الله فيقول « يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم . هللوا بصوت الابتهاج . لأن الرب عال ومرهوب . ملك كبير على كل الأرض » .

انجيل العشية : (لو ٤ : ٤٠ ــ ٤٤)

يتكلم هذا الفصل عن كرازة المخلص التى أعلن بها خلاصه بين الأمم ، ودليل ذلك قوله للجموع الذين أمسكوه لئلا يذهب عنهم « ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت » .

مزمور باكر : (٩٢ : ١ ، ٢)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الإنجيل من تعاليم المخلص المحيية فى السبوت ، وإلى قوته التى طرد بها الروح النجس ، وإلى اعتراف هذا الروح بأزليته فيقول « الرب قد ملك والجمال لبس . لبس الرب القوة وتمنطق بها . كرسيك مستعد منذ البدء . وأنت هو منذ الأزل » .

انجيل باكر : (لو ٤ : ٣١ ــ ٣٧)

يتكلم هذا الفصل عن سلطان المخلص الذى تجلى فى كرازته ، ودليل ذلك قول الجموع الذين شاهدوا خروج الروح النجس بكلمة المخلص « ماهذه الكلمة . لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج » .

مزمور القداس : (٩٧ : ٢ ، ٣)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من ذهاب يوسف النجار بالصبى يسوع وأمه إلى مصر هربا من هيرودس ، وإلى عودته إلى أرض إسرائيل بعد وفاة هيرودس فيقول « أعلن الرب خلاصه قدام الأمم . وكشف عدله لهم . ذكر رحمته ليعقوب . وحقه لبيت اسرائيل » .

انجيل القداس : (مت ٢ : ١٣ ــ ٢٣)

يتكلم هذا الفصل عن إعلان الخلاص للأمم ، ودليل ذلك قول البشير عن

يوسف النجار إنه « قام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر » ، وبقى هناك حتى مات هيرودس ثم عاد إلى الجليل .

الرسائل :

تدور هذه الرسائل الثلاث حول موضوع واحد هو « إعلان الخلاص للأمم »، فالبولس يتكلم عن رجاء الأمم على اسم المخلص ، والكاثوليكون عن تطهيرهم أنفسهم بسبب هذا الرجاء ، والأبركسيس عن رجوعهم إلى الإيمان :

البولس : (رو ١٥ : ٤–١٩)

يشير الرسول هنا إلى مجيء المخلص أولا لإسرائيل بقوله « إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء » ، ثم يتكلم عن ظهوره للأمم بقوله « وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة كما هو مكتوب من أجل ذلك سأحمدك فى الأمم وأرتل لاسمك . ويقول أيضا تهللوا أيها الأمم مع شعبه . وأيضا سبحوا الرب يا جميع الأمم وامدحوه يا جميع الشعوب . وأيضا يقول إشعياء سيكون أصل يسى والقائم ليسود على الأمم عليه سيكون رجاء الأمم » .

الكاثوليكون : (١ يو ٣ : ١–١١)

وفى هذه الرسالة يذكر الرسول أن المخلص « إذا أظهر نكون مثله . . . وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر » ، ثم يقول « كل من يثبت فيه لا يخطىء . كل من يخطىء لم يبصره ولا عرفه » .

الأبركسيس : (أع ١٤ : ٢٤–١٥ : ١–٣)

يتكلم هذا الفصل عن رحلة بولس وبرنابا التبشيرية إلى أنطاكية، وفيه جاء أنهما « لما حضرا وجمعا الكنيسة أخبرا بكل ما صنع الله معهما وأنه فتح للأمم باب الإيمان » . ثم يتكلم عن ذهابهما مع آخرين إلى أورشليم وأنهم « اجتازوا فى فينيقية والسامرة يخبرونهم برجوع الأمم وكانوا يسببون سرورا عظيما لجميع الأخوة » .

إنجيل العشية

(لو ٤ : ٤٠ – ٤٤)

كرازة المخلص

تمهيد :

بعد أن صنع السيد المسيح عجائبه فى كفرناحوم وهى طرد الروح النجس من الرجل الذى كان بالمجمع ، ثم شفاؤه لحماة سمعان من الحمى شرع فى الكرازة ، وفصل الأنجيل الذى يتناول موضوع الكرازة يتكلم أولا عن شفائه للأمراض وإخراجه للشياطين كعمل أساسى كانت تقترن به كرازته دائماً ، ثم شروعه فى الجولان التبشيرى الأول فى الجليل :

شفاؤه للمرضى :

٤٠ – وعند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم . ٤١ – وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله . فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح .

(راجع عشية الأحد الثانى من شهر توت)

كرازته بالجليل :

٤٢ – ولما صار النهار خرج وذهب إلى موضع خلاء وكان الجموع يفتشون عليه فجاءوا إليه وأمسكوه لئلا يذهب عنهم . ٤٣ – فقال لهم إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت . ٤٤ – فكان يكرز فى مجامع الجليل .

٤٢ – وفى الصباح الباكر خرج يسوع وذهب إلى موضع خلاء وهناك انفرد للصلاة كما ذكر مرقس (مر ١ : ٣٥) ، وإذا كان الانفراد والصلاة مفيدين له وهو بلا خطية وبلا احتياج فهما من باب أولى مفيدان للخطاة المحتاجين للمعونة فى كل وقت ، ولا شك أن الانفصال عن الناس للاجتماع بالله أفضل

ما تفتتح به أعمال النهار ، هذا إلى أن الصلاة أفضل طريقة لإراحة النفس المثقلة بالهموم . ولما طال انفراده فى الصلاة شرعت الجماهير تبحث عنه حتى وجدوه وأرادوا استبقاءه عندهم لأنه مصدر كل النعم والبركات ، ٤٣ — ولكنه قال لهم « إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت » ، وبهذا أثبت أنه جاء لا ليؤثر الراحة ، أو يقتصر فى كرازته على أهل كفرناحوم بل لنفع جميع الناس وخلاصهم ، وأنه حرى بتلاميذه أن يقتدوا به فلا يقصروا بشرى الخلاص على فريق دون آخر أو مدينة دون أخرى . ٤٤ — وعقب ذلك شرع يكرز فى مجامع الجليل ، وكان يقصد من وراء ذلك أولا أن يثبت لليهود أنه لم يأت ناقضا للناموس ، وثانيا أن يثقف تلاميذه ويصنع أمامهم المعجزات ، لأن الشرائع الجديدة تحتاج إلى المعجزات لإثباتها .

إنجيل باكر

(لو ٤ : ٣١ — ٣٧)

طرد الروح النجس

٣١ — وانحدر إلى كفرناحوم مدينة من الجليل . وكان يعلمهم فى السبوت . ٣٢ — فبهتوا من تعليمه لأن كلامه كان بسلطان . ٣٣ — وكان فى المجمع رجل به روح شيطان نجس فصرخ بصوت عظيم ٣٤ — قائلا آه مالنا ولك يا يسوع الناصرى . أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله . ٣٥ — فانتهره يسوع قائلا اخرس واخرج منه فصرعه الشيطان فى الوسط وخرج منه ولم يضره شيئا . ٣٦ — فوقعت دهشة على الجميع وكانوا يخاطبون بعضهم بعضا قائلين ما هذه الكلمة . لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج . ٣٧ — وخرج صيت عنه إلى كل موضع فى الكورة المحيطة .

(راجع عشية الأحد الثالث من شهر كيهك تحت مر ١ : ٢٣ — ٢٨)

إنجيل القداس

(مت ٢ : ١٣ — ٢٣)

هرب يسوع إلى مصر وعودته

تمهيد

ختن السيد المسيح فى اليوم الثامن من حياته ، ولما أتم أربعين يوما صعد به أبواه إلى أورشليم ليقدموه للرب ، ولما أكملوا كل شىء حسب الناموس رجعوا إلى الناصرة . وبعد سنتين أصعدته أمه إلى أورشليم ، وهناك أتى المجوس ليلا وسجدوا له ، وفى تلك الليلة أمر ملاك الرب يوسف أن يأخذ الصبى وأمه ويذهب إلى مصر . وفصل الأنجيل الذى يتناول أمر هربه إلى مصر وقتل أطفال بيت لحم والعودة إلى الناصرة إنما يرمز فى الحقيقة إلى إعلان الخلاص للأمم ، وإلى ضحايا هذا الخلاص ، وإلى الموطن الذى انبعث منه نوره :

اعلان الخلاص :

١٣ — وبعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك . لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . ١٤ — فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر . ١٥ — وكان هناك إلى وفاة هيرودس . لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى .

١٣ — صدر الأمر الأول ليوسف النجار قبل ولادة المخلص بألا يتخوف من اتخاذ مريم امرأة له ، وكان ذلك للقضاء على وساوسه من جهة طهارتها ، وبعد سنتين صدر له الأمر الثانى بالهرب بها وبمولودها إلى مصر لتنبيهه إلى أنه لاسلطان له البتة على الدنو منها . ويوسف الذى سمع من الملاك أن مهمة المولود هى أن يخلص شعبه من خطاياهم كان من المحتمل أن يرى فى هذه المهمة نوعا من التعارض مع الأمر الصادر إليه بالهرب ، ولكن إيمانه الثابت تغلب على كل احتمال .

ولم يكن الهرب بدافع الخوف من هيرودس ، وإلا لكان إلى فارس مثلا أو إلى أرض أخرى أبعد من مصر ، بل كان سببه التدبير الإلهى ، فحاشى لصانع المعجزات ألا يجد وسيلة للنجاة من هيرودس سوى الهرب ، إنما كان الهرب بناء على هذا التدبير لتحقيق الأغراض الآتية :

أولا — القضاء على عبادة الأوثان والكواكب فى مصر كما قضى عليها فى فارس على يد المجوس ، وذلك إتماما لنبوة إشعياء القائلة « هوذا الرب راكب

على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها » (أش ١٩ : ١) ، وتقول الأخبار القديمة إن الأسرة المقدسة حينما دخلت أرض مصر سقطت أصنامها وتحطمت ولم تقم للوثنية فيها بعد ذلك قائمة(١).

ثانيا ــ إتمام نبوة هوشع القائلة « من مصر دعوت ابنى » (هو ١١ : ١) .

ثالثا ــ أن يكون هو أول من ينفذ وصيته القائلة « ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاذهبوا إلى الأخرى » (مت ١٠ : ٢٣) ، مع ما تنطوى عليه هذه القدوة من تشجيعنا على احتمال الشدائد .

رابعا ــ حتى لا يبقى ببيت لحم فيقتله هيرودس ويتعطل تدبير الخلاص ، أو لا يلحقه منه أذى فيكون ذلك مدعاة للتشكك فى تجسده .

خامسا ــ إتمام نبوة موسى القائلة « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) ، فموسى ويسوع تغرضا فى صغرهما لسخط الملك ، هذا بيت له هيرودس وذاك بيت له فرعون ، وكلاهما نجا من خصمه هذا بفضل سخرية المجوس وذاك بفضل سخرية القوابل ، وكلاهما نجا من مذبحة الصبيان وكانت إحداهما ضد المخلص فى بيت لحم والأخرى ضد موسى فى مصر ، وكلاهما التجأ للهرب يسوع إلى مصر وموسى إلى مديان ، وموسى راع فعلا ويسوع راع حكما ، وكلاهما صعد إلى الجبل فموسى استنار وجهه أما يسوع فبدا فى سناه الإلهى يوم التجلى .

وقد أمر الملاك يوسف بالبقاء بمصر حتى يكمل التدبير الإلهى ويستدعيه للعودة ، وبين له السبب فى هذا الهرب وهو اعتزام هيرودس قتل الصبى ، ذلك أن هيرودس كان رجلا غريبا تناول الملك من قيصر ، وخاف حين سمع بولادة ملك لليهود أن يكون المولود أحق منه بالملك فيعمد إلى قتله هو وأولاده ، وغاب عنه أن يسوع ليس ملكا أرضيا بل لقب بذلك لتحرره من الخطية ، ولأنه بالتوبة يملك على قلوب تابعيه ويحررهم منها .

(١) زوال الوثنية عن مصر : تاريخ الأمة القبطية جـ ٢ ص ٣٩ تأليف لجنة التاريخ القبطى بمصر طبعة سنة ١٩٢٥ ، جـ ٢ تفسير المشرق ص ٩٢ ، واللؤلؤة ص ٤٨٨ . ويلاحظ أن السحابة المذكورة فى النبوة يقصد بها مريم العذراء .

١٤ ــ فصدع يوسف بالأمر وقام وأخذ الصبى وأمه ، وأخذ معه غير أدوات النجارة قرابين المجوس ، وانصرف مع الأسرة ليلا بعد أن استأجر لذلك دابة ، ووصلوا إلى مصر فى ٢٤ بشنس .(١) ١٥ ــ وأقاموا هناك(٢) إلى وفاة هيرودس لتتم نبوة هوشع القائلة « من مصر دعوت ابنى » (هو ١١ : ١) . وقد أخطأ اليهود فى زعمهم أن هذه النبوة قيلت عنهم ، لأنها قيلت بعد خروجهم من مصر . ويدعى إسرائيل ابن الله بالفضل ، وأما المسيح فابنه بالحقيقة .

هروب الأسرة المقدسة إلى مصر

ضحاياه :

١٦ ــ حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جدا . فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم .

(١) عيد دخول السيد أرض مصر : رتبت الكنيسة القبطية يوم ٢٤ بشنس عيدا من أعياد السيد المسيح السبعة الصغرى لمناسبة تشريفه أرض مصر ، لأن زيارته لها كانت خيرا وتعزية وبركة لشعبها بعد الضربات العشر التى أنزلها الله بها ، كما كانت فاتحة عهد جديد بدخول معرفة الرب فيها وتطهيرها من عبادة الأوثان ، ولذا تحتفل الكنيسة بهذه الذكرى تمجيدا للرب وشكرا لإحساناته وتحريضا لبنيها على وجوب الهرب من الشر تمثلا بيسوع . (اقرأ سنكسار ٢٤ بشنس) .

(٢) مدة هرب الأسرة المقدسة بمصر : إن الضيق والخوف والغربة والهرب التى نالت الأسرة من أجل المسيح فيها إشارة إلى أن من يصحبه فى هذه الدنيا يتعرض لمثلها كما بين هو لتلاميذه ولكن من يحتملها ينال جزاء علينا راحة أبدية .

وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس . ١٧ — حينئذ تم ما قيل بأرميا النبي القائل . ١٨ — صوت سمع فى الرامة نوح وبكاء وعويل كثير . راحيل تبكى على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين .

١٦ — تميز هيرودس غيظا حينما انصرف المجوس إلى بلادهم دون أن يرجعوا إليه كما طلب منهم ، وأمر بقتل أطفال بيت لحم جميعهم من ابن سنتين فما دون حتى يضمن أن يكون المسيح من بينهم(١) . ولعل إرادة الله سمحت بحدوث هذه المذبحة الفظيعة ليتردد صداها فى الآفاق فينتشر معه خبر المسيح ، ولتتم النبوة القائلة « صوت سمع فى الرامة » ، وحتى لايشترك الضحايا مع آبائهم فى فى مقتل المخلص ، وبذا يرثون الملكوت عوضا عن دمائهم التى سفكوها على اسمه ، ويحسبون فى عداد الشهداء ، ويكون قتلهم بمثابة معمودية لهم هى معمودية الدم . ومع أن قتلهم كان بسبب المسيح فأنه له المجد كان المتسبب فى ذلك بطريق العرض ، أما هيرودس فهو السبب الحقيقى ولهذا أصيب فى أولاده وزوجته ، ثم أصيب فى نفسه بمرض شنيع جعل الدود ينهشه وهو حى وانتهى به الأمر إلى الانتحار على ما رواه أوسابيوس القيصرى .

١٧ — وبمقتل أولئك الأطفال تمت نبوة أرميا القائلة ١٨ — « صوت سمع فى الرامة نوح وبكاء وعويل كثير . راحيل تبكى على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين » (أر ٣١ : ١٥)(٢) . ومما أنه عند قسمة الأرض بين أسباط إسرائيل وقعت الرامة من نصيب بنى بنيامين أولاد راحيل ، ووقعت بيت لحم من نصيب بنى يهوذا أولاد ليئة لهذا كان المقتولون من أولاد زوجتى

(١) **قتل أطفال بيت لحم** : أنظر سنكسار ٣ طوبه .

(٢) **نبوة أرميا** : يرى المفسرون أن هذه النبوة تنصب على قتل أطفال بيت لحم لا على الشعب فى سبى بابل بدليل الآية التى تتلوها التى تتضمن ثوابا للشعب ولا ثواب لمن سبوا بسبب الخطية . على أن فريقا آخر يرى أنها تنطبق على السبى واستعيرت هنا لقتل الأطفال ، وعادة علماء اليهود وكتبة العهد الجديد تبيح اتخاذ نبوة للدلالة على حادثتين أو أكثر .

يعقوب ، وقد نسبتهم النبوة إلى أمهم راحيل بدلا من يعقوب لأنهم قتلوا فى حجور أمهاتهم وعلى أكتافهن ، والأمهات أكثر تفجعا على أولادهن من الآباء .

فأما أن النبوة أغفلت بيت لحم وليئة واقتصرت على ذكر الرامة وراحيل فهو لأن أكثر المقتولين من الأخيرتين ، وهما مظلومتان لأن المسيح من يهوذا وولد فى بيت لحم ولا ذنب للرامة وأولاد راحيل ، ولأن راحيل تمت بصلة للمدينتين فالرامة ملك بنيامين ابنها ، وبيت لحم التى هى إفراته يقع على جانبها قبرها .

وأما أن راحيل لا تريد أن تتعزى فلكثرة من قتلوا ظلما من أبنائها ، وقد أشار إلى عددهم يوحنا الأنجيلى فى سفر الرؤيا بقوله إنه « لم يستطع أحد أن يتعلم الترنيمة إلا المائة والأربعة والأربعون ألفا . . . الذين لم يتنجسوا مع النساء » . (رؤ ١٤ : ٢ — ٤) .

مرهده :

١٩ — فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر ٢٠ — قائلا . قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل . لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي . ٢١ — فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل . ٢٢ — ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك . وإذ أوحى إليه فى حلم انصرف إلى نواحى الجليل . ٢٣ — وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة . لكى يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريا .

١٩ — ولما مات هيرودس الذى كان يريد قتل الصبى ، صدر الأمر الثالث ليوسف فى الحلم ٢٠ — أن يقوم ويأخذ الصبى وأمه ويعود إلى أرض إسرائيل ، ٢١ — فقام الجميع وعادوا إلى فلسطين(١) .

(١) **عودة الأسرة المقدسة من مصر** : انحدرت الأسرة شمالا حتى جاءت إلى بابليون (مصر القديمة الآن) وكان بها حى لليهود لا تزال لهم به آثار إلى اليوم ، ونزلوا فى الموضع الذى به كنيسة أبى سرجة ، ثم اتجهوا إلى عين شمس وكانت مدينة عامرة باليهود ولهم بها هيكل يعرف بهيكل أونياس ، فأقاموا يستظلون =

٢٢ — خشى أرخيلاوس أن يصيبه ما أصاب أباه هيرودس بسبب مقتل الأطفال ، وظن أن يسوع قد قتل معهم فلم يواصل سياسة ذبحهم حين خلف أباه فى حكم اليهودية . وأما يوسف فخاف على يسوع منه ، وخاف عليه انتقام أمهات الأطفال المقتولين لأن المذبحة كانت بسببه ، ولهذا أوجس خيفة من العودة إلى اليهودية . فأوحى إليه فى حلم للمرة الرابعة على لسان الملاك بالانصراف إلى الجليل . فشد رحاله إليها غير عانىء بقربها من اليهودية ، واعتمادا على أن غضب هيرودس كان منصبا على بيت لحم ، وأن تنقله فى البلدان من شأنه أن يخفى حقيقة أمره .

٢٣ — واتخذ له وللأسرة مسكنا فى ناصرة الجليل لبعدها عن مصدر الخطر . ولأن الجليل موطنه الأصلى ، ولتتم النبوة القائلة عن يسوع «إنه يدعى ناصريا»(١).

الأحد الثانى من شهر طوبه

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « بركات الخلاص » ،

= بشجرة يقال إن موضعها حيث توجد الآن الشجرة المعروفة بشجرة العذراء بالمطرية ، ومن هناك اجتازوا مديرية الشرقية والصحراء ووصلوا إلى فلسطين . وقد اختلف المؤرخون فى مدة إقامتهم بمصر والراجح أنها لا تقل عن سنة ولا تزيد على ثلاثة . ا هـ عن الحلقة الثانية من تاريخ الأمة القبطية تأليف لجنة التاريخ القبطى بمصر ص ٣٩ الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٥ . ويقرأ أيضا سنكسار ٢٤ بشنس .

(١) **يدعى ناصريا** : ليست هذه النبوة موجودة بنصها بل بمعناها ، وهى لا تدل على شرف المسيح بل على ضعته ، والدليل على أن نسبته إلى الناصرة تحط من قدره تعيير رؤساء الكهنة والكتبة لأهل الجليل بأنه لا يقوم نبى منهم ، وقول نثنائيل « أمن الناصرة يمكن أن يكون شىء صالح » (يو ١ : ٤٦) . وذلك فضلا عن الآيات الكثيرة التى تدل على حقارته (مز ٢٢ : ٦ ، مز ٦٩ : ٩ ، أش ٥٢ : ١٤ ، أش ٥٣ : ١ — ٢ ، زك ١١ : ١٢ — ١٣ ، أع ٢٤ : ٥) .

وقد تكون هذه النبوة مأخوذة من قول أشعياء « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من غصونه » ، فمعنى غصن فى اللغة العبرية ناصر وسمى المسيح غصنا أى ناصرا كما فى الأصل العبرانى .

فأنجيل العشية يتكلم عن سلام المخلص للمؤمنين به . وأنجيل باكر عن عدله معهم ويراد بذلك شفاؤه لأمراضهم ، وإنجيل القداس عن بركاته لهم :

مزمور العشية : (٩٧ : ٤ ، ٨)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الإنجيل من إنقاذ السيد لبطرس من الغرق ، ورؤية الذين فى السفينة ذلك ، ويشير إلى جميع السقماء الذين قدموا للمخلص بعد ذلك فشفاهم فيقول « نظرت خلاص إلهنا . أقاصى الأرض جميعها . يدين المسكونة بالعدل . والشعوب بالاستقامة » .

انجيل العشية : (مت ١٤ : ٢٢ — ٣٦)

يتكلم هذا الفصل عن سلام المخلص للمؤمنين به . ودليل ذلك قوله لبطرس الذى ابتدأ يغرق « ياقليل الإيمان لماذا شككت . ولما دخلا السفينة سكنت الريح » .

مزمور باكر : (٩٦ : ١ ، ٢)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من اتباع الكثيرين ليسوع بعد ما شاهدوا معجزاته ، وإلى إبرائه لكل من لمسه من المرضى فيقول « الرب قد ملك فلتهلل الأرض . ولتفرح الجزائر الكثيرة . سحاب وضباب حوله . العدل والحكم قوام كرسيه » .

انجيل باكر : (مر ٣ : ٧ — ١٢)

يتكلم هذا الفصل عن عدل المخلص . ويراد بذلك شفاؤه للأمراض ، ودليل ذلك قول البشير عنه « لأنه كان قد شفى كثيرين حتى وقع عليه ليلمسه كل من فيه داء » .

مزمور القداس : (٨٣ : ٧ ، ٦٤ : ٢)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من تطويب المخلص لمن يعملون بكلام الله . وإلى نموهم فى النعمة فيقول « لأن البركات يعطيها واضع الناموس . يسيرون من قوة إلى قوة . استمع يا الله صلاتى . لأنه يأتى إليك كل بشر » .

انجيل القداس : (لو ١١ : ٢٧ — ٣٦)

يتكلم هذا الفصل عن بركات المخلص لمن يعملون بوصاياه ، ودليل ذلك

قوله للمرأة التى طوبت البطن الذى حمله « بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » .

الرسائل :

تدور هذه الرسائل الثلاث حول موضوع واحد هو « بركات الخلاص » ، فالبولس يبين أنها لا تحصل بالأيمان وحده بل بالعمل أيضا ، والكاثوليكون يشير إلى ثبات المؤمنين العاملين فى المسيح ، والأبركسيس يوضح ما يجب عليهم أن يمتنعوا عنه :

البولس : (غل ٥ : ٢–١٠)

فى هذه الرسالة يوبخ الرسول المؤمنين الذين ظنوا أنهم يتبررون بالناموس فيقول لهم « سقطتم من النعمة ... لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الأيمان العامل بالمحبة » . ثم يقول « كنتم تسعون حسنا فمن صدكم حتى لا تطاوعوا الحق » .

الكاثوليكون : (١ يو ٣ : ١٨–٢٤)

يشير الرسول فى هذه الرسالة إلى ما يجب على المؤمنين عمله بعد الأيمان فيقول « وهذه هى وصيته أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضا » . ثم يقول « ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه » .

الأبركسيس : (أع ١٥ : ٢٢–٢٩)

يتمم هذا الفصل الرسالتين السابقتين فيبين ما يجب على المؤمن أن يمتنع عنه ، إذ جاء فيه قول الرسل « لأنه رأى الروح القدس ونحن أيضا أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة . أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون » .

إنجيل العشية

(مت ١٤ : ٢٢ – ٣٦)

يسوع يمشى على الماء

(راجع عشية الأحد الرابع من شهر بابه)

إنجيل باكر

(مر ٣ : ٧ – ١٢)

سلطان المخلص مع تلاميذه

(راجع عشية اليوم الخامس من أبيب)

إنجيل القداس

(لو ١١ : ٢٧ – ٣٦)

سراج الأنجيل

تمهيد :

حدث إبان تجول السيد المسيح للمرة الثانية فى الجليل للكرازة أن قدم إليه مجنون أعمى وأخرس ليشفيه فطرد الشيطان منه وأبرأه ، فأخذ الكتبة والفريسيون يجدفون عليه متهمينه بأنه ببلعزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين ، ورب المجد لم يتوان عن تفنيد التهمة وإلقاء بعض تعاليمه فى هذا الصدد . وكان من بين سامعيها امرأة تأثرت منها غاية التأثر حتى رفعت عقيرتها تطوبه من أجلها ، أما هو فرد عليها موجها الطوبى بالأحرى إلى العاملين بها . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يتكلم فيه المخلص أولا عن تطويب العاملين بالكلمة ، ثم عن إدانة المتهاونين فى تنفيذها . ويختم بالإشارة إلى أن القلب الذى هو بمثابة العين للجسم هو علة جذب الناس إلى إجراء مقتضاها أو صدهم عنها :

تطويب العاملين :

٢٧ – وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع
وقالت له طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما .
٢٨ – أما هو فقال بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه .

٢٧ – إنفرد لوقا بذكر حادثة المرأة التى سمعت تعاليم السيد المحيية ورأت معجزاته الخارقة للعادة فرفعت صوتها من وسط الجمع قائلة « طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما » . ولعلها رأت أن الاقتصار على مباركة شفتيه

اللتين نطقتا بالعظات، ويديه اللتين صنعتا المعجزات لا يليق به، فباركت فوق ذلك البطن الذى حمله والثديين اللذين رضعهما ؛ فكأنها أرادت أن تبالغ فى إكرامه بمباركة أمه لأجله(١) . على أن الأرجح أن الروح القدس هو الذى أنطقها بهذا الكلام وهى لا تفهم معناه، للإشارة إلى أن المخلص ولد من عذراء بغير أب . ولا ريب أن هذه المرأة حين تحققت أن يسوع هو المسيح رجاء إسرائيل طوبت أمه التى نالت أعظم البركات إذ استحقت أن تصير أما للإله . وإذا أضيف هذا التطويب إلى ما سمعته مريم من الملاك المبشر حين قال لها « مباركة أنت فى النساء » (لو ١ : ٢٨) ، وما سمعته من أليصابات التى قالت لها « طوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب » (لو ١ : ٤٥) ؛ لكان ذلك تحقيقًا لنبوتها القائلة فيها عن نفسها « فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى » (لو ١ : ٤٨) .

٢٨ — أما يسوع فرأى أن يكون أولى بهذا التطويب أولئك الذين يسمعون كلام الله ويحفظونه(٢)، ذلك أن الكون أما لله هبة مجانية فى حين أن حفظ كلامه نعمة داخلية تجعل حائزها مرضيا أمامه . والوالدة الأله لم تكن مطوبة لحملها السيد فى أحشائها بقدر ماهى مطوبة لحفظها كلام الله وهو ما جعلها أهلا أن تصير أما له ؛ والأمومة لله لا تؤهل للمجد الأبدى إلا إذا اقترنت بحفظ كلام الله . وفوق هذا فالأمومة لله إنعام فردى لها أما حفظ كلام الله فيشمل جميع القديسين ومن بينهم هى . وتفضيل العاملين بكلام الله مبدأ أيده المخلص غير مرة فهو القائل « ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات » (مت ٧ : ٢١) . وفى مناسبة أخرى يقول « أمى وإخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها » (لو ٨ : ٢١) ؛ ويقول يعقوب الرسول « ولكن من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة فهذا يكون مغبوطا فى عمله » (يع ١ : ٢٥) .

(١) **اكرام العذراء** : قارن إكرام الكنيسة للعذراء (قداس الأحد الثالث من شهر كيهك) وتجاهل البروتستنت لها .

(٢) **الايمان والاعمال** : راجع نظرية الخلاص بالإيمان والأعمال لا بالأيمان وحده تحت قداس الأحد الرابع من توت .

اداتة المتهاودين :

٢٩ — وفيما كان الجموع مزدحمين ابتدأ يقول . هذا الجيل شرير . يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى . ٣٠ — لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضا لهذا الجيل . ٣١ — ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع رجال هذا الجيل وتدينهم . لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان وهوذا أعظم من سليمان ههنا . ٣٢ — رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه. لأنهم تابوا بمناداة يونان . وهوذا أعظم من يونان ههنا .

٢٩ — لم يسكت الكتبة والفريسيون بعد أن فند السيد اتهامهم إياه بأخراج الشياطين ببعلزبول ، بل عادوا بدافع العناد وشهوة التجربة يطلبون منه آية تزيد إيمانهم به ؛ كأن ما شاهدوه منه من معجزات عديدة غير كاف لحملهم على تصديقه . ولعلهم بطلبهم هذا كانوا متشبهين بآبائهم فى موقفهم من موسى إذ لم يقبلوا شريعته إلا بعد أن صنع بينهم آياته . ورب المجد العارف بما انطوت عليه نفوسهم من الخبث . دعاهم جيلا شريرا لسعيهم فى الباطل واقترافهم للشرور ، وقال إنهم يطلبون آية ولا تعطى لهم إلا آية يونان النبى . وقد يقول المتشكك كيف نوفق بين قوله هذا وبين الآيات الكثيرة التى صنعها أمامهم فيما بعد ، ويرد على هذا بأنه بهذا القول يريد أن يقرر أن الآية إذا طلبت منه على سبيل التجربة فلا يفعلها، كرفضه قول الشيطان له « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل » (مت ٤ : ٦) ، وأما لاجتذاب الناس إلى الإيمان فلا يتأخر عن فعلها . ٣٠ — ثم أوضح آية يونان ببيان أوجه الشبه بينه وبين هذا النبى ، وذلك أن بقاء يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال وخروجه حيا لأبلغ إشارة إلى رقاد الرب فى القبر وقيامته فى اليوم الثالث .

٣١ — واستطرد المخلص يضرب للفريسيين الأمثال من الشعوب الغريبة التى عادت إلى الله بأيسر الأسباب بينما ظل بنو إسرائيل على قساوتهم وعماهم ، فقال إن ملكة التيمن أى ملكة الجنوب ستقوم فى يوم الدينونة وتدينهم، لأنها آمنت إيمانا حملها على تجشم مشاق السفر وأخطاره لسماع حكمة سليمان الذى رغم حكمته

الفائقة لم يخرج عن كونه إنسانا قاصرا ساقطا ، فى حين أن اليهود أعرضوا عن يسوع وهو أعظم من سليمان بما لا يقاس.(١) ٣٢ — ثم قال وكذلك أهل نينوى سيقومون فى يوم الدينونة ويدينون هذا الجيل لأنهم صدقوا مناداة يونان وتابوا مع أنه إنسان ضعيف ونبى غير معصوم ، فى حين أن اليهود رفضوا تعليم يسوع الذى يفوق إرشاد يونان كما يفوق نور الشمس ضياء السراج .(٢) ومثل هذا يوجه بولس الرسول الخطاب إلى هؤلاء اليهود ومن على شاكلتهم بقوله « وتكون الغرلة التى من الطبيعة وهى تكمل الناموس تدينك أنت الذى فى الكتاب والختان تتعدى الناموس » (رو ٢ : ٢٧) . كما يتمثل ذلك فى مثل السامرى الصالح (لو ١٠ : ٢٥ — ٣٧) .

سر الهداية والضلال :

> ٣٣ — ليس أحد يوقد سراجا ويضعه فى خفية ولا تحت المكيال بل على المنارة لكى ينظر الداخلون النور . ٣٤ — سراج الجسد هو العين . فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا . ومتى كانت شريرة فجسدك يكون مظلما . ٣٥ — أنظر إذاً لئلا يكون النور الذى فيك ظلمة . ٣٦ — فأن كان جسدك كله نيرا ليس فيه جزء مظلم يكون نيرا كله كما حينما يضىء لك السراج بلمعانه .

٣٣ — استطرد المخلص بعد ذلك يلقى على رأس اليهود تبعة دينونتهم لأنه أوقد سراج تعليمه أمامهم ولم يضعه فى خفية . كما أدعوا كذبا بطلبهم إثباته بآية من السماء ، ولا وضعه تحت مكيال بعدم إيراد البراهين السماوية على صحته .

(١) **ملكة التيمن** : وردت قصة ملكة التيمن فى (١ مل ١٠ : ١ — ١٣) وقد قالت لسليمان « زدت حكمة وصلاحا على الخبر الذى سمعته ..... ليكن مباركا الرب إلهك » . إقرأ أيضا (٢ أى ٩ : ١ — ١٢) .

(٢) **مناداة يونان** : جاء بسفر يونان النبى ما يأتى « فابتدأ يونان يدخل المدينة مسيرة يوم واحد ونادى وقال بعد أربعين يوما تنقلب نينوى فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم » (يون ٣ : ٤ — ٥) . وقيل إن مدة الأربعين يوما هى كناية عن الأربعين سنة التى مرت بين صلب المسيح وخراب أورشليم .

بل وضعه على منارة « لكى ينظر الداخلون النور » ومع ذلك لم ينتفعوا به . فقد أعطانا تعاليمه لا لنقتنع بصحتها فحسب بل لتتخذها نبراسا لنا ودستورا لتصرفاتنا فى كل حين . ومن لا يفعل ذلك فهى تدينه فى اليوم الأخير . وينتج عن هذا أن السيد يطالبنا بأشهار هذه التعاليم لأنها لم تدون فى الكتاب لتخفى بل لتدرس ويستضاء بها .

٣٤ — ويبين له المجد سر ظهور الحق لبعض الناس كأهل نينوى وملكة التيمن ، وسر خفائه عن بعضهم كفريسيى ذلك الجيل فيقول إن « سراج الجسد هو العين » . فالعين إذا كانت سليمة استنار الجسد كله ، وإن كانت مريضة مظلمة لا تبصر ما أمامها أضرت الجسم وعاقته عن السعى والحركة . ولما كان القلب للنفس بمثابة العين للجسم فيكون مراده أن الذى يفتح عينى قلبه للنور السماوى يخلص كما فعل أهل نينوى وملكة التيمن . وأما الذى يغمضها فيظل متقلقلا ، متناقض الأفكار ، موزع القلب ، مظلما بالاعتقادات الردية ، كما كان الفريسيون . ٣٥ — ويوصى المخلص بناء على ذلك بضرورة الحرص على الملكة التى هى فينا بمنزلة العين للنفس ، لئلا تظلم بواسطة الخطية وعدم الأيمان ، فيفضى ذلك إلى عمى القلب ورداءة السيرة . ٣٦ — ثم يختم حديثه مبينا أن النفس إذا لم تتسلط عليها الشهوات والأضاليل استطاعت أن تشاهد نور تعليمه ، وتزداد ضياء على الأيام إلى أن تبلغ النهار الكامل فى السماء .

الأحد الثالث من شهر طوبة

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « حياة الخلاص » ، فأنجيل العشية يتكلم عن إبراء المخلص لمرضى الخطية ، وإنجيل باكر عن تجديده لهم بمعموديته ، وإنجيل القداس عن حياة الذين يؤمنون به :

مزمور العشية : (٧٦ : ١٢ ، ١٣)

يشير هذا المزمور إلى استضاءة الأمم بتعاليم المخلص ، وإلى ما جاء بفصل

الأنجيل من نزول الملاك لتحريك مياه البركة فيقول « أضاءت بروقك المسكونة . تزلزلت الأرض وارتعدت. يا الله فى البحر طريقك . ومسالكك فى المياه الكثيرة» .

انجيل العشية : (يو ٥ : ١ـ١٨)

يتكلم هذا الفصل عن إبراء المخلص لمرضى الخطية. ودليل ذلك قوله للرجل المخلع « ها أنت قد برئت فلا تخطىء أيضا لئلا يكون لك أشر » .

مزمور باكر : (٩٦ : ٦ـ٤)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من قول نيقوديموس للمخلص « ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه » . وإلى تعاليم المخلص التى ألقاها على نيقوديموس فيقول « أخبرت السموات بعدله . وعاينت جميع الشعوب مجده . أضاءت بروقه المسكونة . نظرت الأرض فتزلزلت » .

انجيل باكر : (يو ٣ : ١ـ٢١)

يتكلم هذا الفصل عن تجديد المخلص بالمعمودية للمؤمنين به ، ودليل ذلك قوله لنيقوديموس « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » .

مزمور القداس : (٦٥ : ١١ ، ٧)

يشير هذا المزمور فى مطلعه إلى معمودية يوحنا المعمدان ومعمودية يسوع الواردة بفصل الأنجيل ، وإلى قول يوحنا إن من يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية ، ويهيب بالأمم أن يباركوا الله على ذلك فيقول « جزنا فى النار والماء . وأخرجتنا إلى الراحة . باركوا أيها الأمم إلهنا . واسمعوا صوت تسبيحه » .

انجيل القداس : (يو ٣ : ٢٢ـ٣٦)

يتكلم هذا الفصل عن حياة الخلاص التى يفوز بها من يؤمنون بالمخلص ، ودليل ذلك قول يوحنا المعمدان « الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية » .

الرسائل :

تتكلم هذه الرسائل الثلاث عن موضوع واحد هو « حياة الخلاص » ،

فالبولس يبين أن هذه الحياة لا تكون إلا بالأيمان ، والكاثوليكون يتكلم عن الأيمان المقصود وهو الأيمان العامل بالمحبة . والأبركسيس يشير إلى شركة المحبة التى يجب أن تكون بين المؤمنين :

البولس : (عب ١٠ : ١٩ـ٣٩)

يقول الرسول « فأذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ... لنتقدم بقلب صادق فى يقين الأيمان » ، ثم يبين عقاب من يرتد عن الأيمان بقوله « فأنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين » . ثم يختم الفصل بقوله « أما البار فبالأيمان يحيا وإن ارتد لا تسر به نفسى . وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الأيمان لاقتناء النفس » .

الكاثوليكون : (١ يو ٤ : ١١ـ٢١)

وفى هذا الفصل يوصى الرسول المؤمنين أن يحب بعضهم بعضا كما أحبهم الله فيقول « من اعترف أن يسوع هو ابن الله فالله يثبت فيه وهو فى الله ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التى لله فينا » ، ثم يقول « نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولا . إن قال أحد إنى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب » .

الأبركسيس : (أع ٢ : ٣٨ـ٤٧)

يشير هذا الفصل إلى خطاب بطرس الرسول فى اليهود ، ذلك الخطاب الذى آمن بتأثيره ثلاثة آلاف نفس فى يوم واحد ، ثم يبين أن « جميع الذين آمنوا كانوا معا وكان عندهم كل شىء مشتركا » ، ثم يقول « وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون » .

إنجيل العشية

(يو ٥ : ١ـ١٨)

شفاء المخلع عند البركة

(راجع قداس الأحد الخامس من الصوم المقدس)

إنجيل باكر

(يو ٣ : ١ — ٢١)

حديث يسوع مع نيقوديموس

(راجع قداس اليوم الرابع عشر من بابة)

إنجيل القداس

(يو ٣ : ٢٢ — ٣٦)

شهادة يوحنا المعمدان ليسوع

تمهيد :

بعد أن صنع السيد المسيح معجزته الأولى فى عرس قانا الجليل انحدر إلى كفرناحوم هو وأمه وإخوته و تلاميذه وأقاموا هناك بعض الوقت . وكان فصح اليهود قريبا فصعد إلى أورشليم ، وبدأ يباشر الكرازة بطرد الباعة من الهيكل فى الفصح (يو ٢ : ١٥) . وآمن باسمه كثيرون حين رأوا الآيات التى صنع (يو ٢ : ٢٣) . وبعد حديثه مع نيقوديموس جاء وتلاميذه إلى أرض اليهودية حيث مكث يعمد . وفصل الأنجيل الذى يتناول شهادة يوحنا المعمدان عنه يتكلم أولا عن الظرف الذى حدثت فيه هذه الشهادة وهى قيامه أو بالأحرى قيام تلاميذه بالمعمودية ، ثم يشير إلى شهادة المعمدان عنه أنه المسيح . وأن فيه الحياة الأبدية لكل من يؤمن به :

يسوع يعمد . (١)

٢٢ — وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية ومكث معهم هناك وكان يعمد . ٢٣ — وكان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون بقرب سالم لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون . ٢٤ — لأنه لم يكن يوحنا قد ألقى بعد فى السجن .

(١) **المعمودية** : أنظر هذا الموضوع بصفحتى ١٧٨ ، ٢٠١ .

٢٢ — عاد السيد المسيح بعد الفصح هو وتلاميذه إلى اليهودية ليواصل التعليم وعمل الخير ، « وكان يعمد » . بيد أنه لم يكن يعمد بنفسه بل تلاميذه هم الذين قاموا بذلك بأمره وسلطانه . بدليل قول الأنجيلى « مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه » (يو ٤ : ٢) . أما أنه لم يعمد بنفسه فلأن المعمودية لم تكن لها قوة على مغفرة الخطايا قبل موته « لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد . لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد » (يو ٧ : ٣٩) . وأما معمودية تلاميذه التى أتموها باسمه وقبل موته فلا يمكن إلا أن تكون معمودية يوحنا بعينها ، لأنه لا يمكن أن توجد إلا معمودية واحدة هى التى أسسها هو بعد قيامته بقوله لتلاميذه « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) .

٢٣ — وكان يوحنا يعمد أيضا فى عين نون وهى قرية على شاطىء الأردن بقرب سالم(١) لأنه كانت هناك مياه كثيرة أى مياه عميقة لأنه فى تعميده لم يكن يغسل الرأس وحده بل الجسم كله(٢) . ٢٤ — وظل يعمد إلى أن ألقى فى السجن .

أنا المسيح :

٢٥ — وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير . ٢٦ — فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له يا معلم هوذا الذى كان معك فى عبر الأردن الذى أنت قد شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه . ٢٧ — أجاب يوحنا وقال لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعطى من السماء . ٢٨ — أنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت لست أنا المسيح بل إنى مرسل أمامه . ٢٩ — من له العروس فهو العريس . وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه فيفرح فرحا من أجل صوت العريس . إذاً فرحى هذا قد كمل . ٣٠ — ينبغى أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص . ٣١ — الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع . والذى من الأرض هو أرضى ومن الأرض يتكلم . الذى يأتى من السماء هو فوق الجميع . ٣٢ — وما

(١) **سالم** : هو اسم أورشليم الأصلى ومعناه السلام والصحة والكمال .

(٢) **المعمودية بالتغطيس** : شرحنا أن المعمودية بالتغطيس لا بالرش فى إنجيل باكر ليوم ١٢ طوبة صفحة ١٩٨ .

رآه وسمعه به يشهد وشهادته ليس أحد يقبلها . ٣٣ ـ ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق . ٣٤ ـ لأن الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله . لأنه ليس بكيل يعطى الله الروح .

٢٥ ـ دبت عوامل الغيرة والحسد فى صدور تلاميذ يوحنا بسبب معمودية يسوع وتخاصموا مع اليهود الذين قبلوها ، وتباحثوا معهم فى منزلة معمودية يوحنا فى التطهير ، ثم فى أى المعموديتين أوفر تقديسا وتطهيرا . ٢٦ ـ ولخوفهم على مكانة سيدهم أن تنحط جاءوا يشكون يسوع إليه قائلين إن الذى شهدت له بعمد ، أى أن الذى قلت عنه إن « الذى يأتى بعدى صار قدامى لأنه كان قبلى » (يو ١ : ١٥) ، وإننى « لست بمستحق أن أحل سيور حذائه » (يو ١ : ٢٧) ، والذى قلت عنه « هذا هو ابن الله » (يو ١ : ٣٤) ها هو يعمد ، وتأمل أن تمنعه من ذلك لأن الكل تحولوا إليه . ولولا جهلهم بعظمة يسوع ومقدار سموه على معلمهم لما اندفعوا فى هذه العجرفة .

٢٧ ـ فأخذ يوحنا يحد من حدتهم ، ويخفف من غيظهم بتأييد ما قاله قبلا عن يسوع مثبتا لهم أن عظمته من الله ، وفيها الدليل على أنه المسيح المرسل من السماء ، إذ « لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعطى من السماء » ، لأن « كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار » (يع ١ : ١٧) ، وأنه « لا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضا » (عب ٥ : ٤) . فكأن يوحنا يقول لتلاميذه حسبى شرفا أن أكون سابقه ممهدا الطريق له وهاديا إليه . ٢٨ ـ وأنتم تشهدون بأنه حينما أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألونى من أنت اعترفت ولم أنكر أننى لست المسيح . (يو ١ : ١٩ ـ ٢٠) بل مرسل أمامه ، فأنا الملاك الذى قال عنه ملاخى « هأنذا أرسل ملاكى فيهيىء الطريق أمامى » (ملا ٣ : ١) ، وأنا الذى قال عنه الملاك حين ظهر لأبى زكريا « وينقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكى يهيىء للرب شعبا مستعدا » (لو ١ : ١٧) . فالذى أوغر صدوركم من تقدم يسوع علىّ هو ما يجب أن يكون ، لأنى ماجئت لأجمع لنفسى شعبا بل لأعد له القلوب .

٢٩ ـ ومضى يوحنا بعد ذلك يقول « من له العروس فهو العريس » ويريد

بالعريس المسيح الذى خطب لنفسه الكنيسة التى هى جماعة المؤمنين حيث قد أحبها « وأسلم نفسه لأجلها لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك بل تكون مقدسة بلا عيب » (أف ٥ : ٢٧) ، فهو إذا العريس الحقيقى . ويؤيد بولس الرسول هذا المعنى بقوله « فأنى أغار عليكم غيرة الله لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢) . ومعنى خطبة المسيح للكنيسة أن لاهوته يتصل بأرواحهم فيكون الاثنان روحا واحدة ، فالمؤمنون الذين يطهرون ذواتهم من الزنا ويطردون الأرواح النجسة من داخلهم يحل فيهم لاهوت المسيح ويسكن إلى الأبد وتكون لهم لذة لا تعادلها لذة ويفرح بهم المسيح . ثم يقول المعمدان « وأما صديق العريس » ويريد به نفسه « فيفرح فرحا من أجل صوت العريس » أى حين يسمع إنذاره وتبشيره للشعب . فالذى يستحق الاعتبار والإجلال هو العريس ، أما صديقه فلا يجب أن يتوقع شيئا من هذا بل يفرح فرحا فحسب ، ويكمل فرحه برؤية الجميع يأتون إلى العريس لا إليه . ٣٠ ـ وأخذ المعمدان بعد ذلك يشير إلى أفول نجمه وانتهاء مهمته بازدياد نور المسيح وامتداد سلطانه لأنه إله فقال « ينبغى أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص » ، أى كما يختفى كوكب الصبح بزوغ شمس النهار هكذا يجب أن يعظم قدره وتتناقص مكانتى ، ولا شك أن النقص من طبيعة البشرية إلا إذا اتصلت بالله فيحول ذلك دون نقصها .

٣١ ـ ثم أفاض يوحنا فى عظمة يسوع وتفوقه فقال إن « الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع » لأنه الكلمة الأزلى الآتى من السماء ، وهو الذى يسمو على الملائكة والأنبياء والكهنة والمعلمين ، وهو الذى أجلسه الله عن يمينه فى السماويات « فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضا » (أف ١ : ٢١) ، وهو « الذى رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض » (فى ٢ : ٩ ـ ١٠) . أما « الذى من الأرض » ويقصد به نفسه وكل مخلوق من التراب « فهو أرضى » أى ضعيف ناقص ، « ومن الأرض يتكلم » أى يكون محدود العلم ناقص الإدراك . ومع أن تعليم يوحنا بالنسبة لتعليم الفريسيين كان سماويا إلا أنه بالنسبة لتعليم المسيح تعليم أرضى . ويسترسل يوحنا فى الحديث فيقول ٣٢ ـ وحيث أن المخلص قد جاء من السماء فهو يتكلم بما

رأى وسمع فى بيت أبيه من الأمور السماوية ، وما يشهد به حق لا ريب فيه . ولكن برغم ذلك ، وخلافا لما تظنون من أن الجميع قد ذهبوا إليه ، فشهادته « ليس أحد يقبلها » إذ أن أكثرية اليهود لم يؤمنوا به . ٣٣ — وأما من قبل شهادته وآمن به فقد أقر بصدق الله فيما أوحى به للأنبياء وله عنه . وفى هذا يقول الرسول « ليكن الله صادقا وكل إنسان كاذبا كما هو مكتوب لكى تتبرر فى كلامك وتغلب متى حوكمت » (رو ٣ : ٤) . ٣٤ — وبما أن المخلص فيما يتكلم به إنما يعلن أفكار الله الآب ، فتصديقه تصديق لله لأن نعمة الروح القدس لم تفض عليه بقدر محدود كما فاضت على الأنبياء ، بل على التمام والكمال غير المحدود ، لأنه هو مصدر النعم والبركات « ومن ملئه نحن جميعا أخذنا ونعمة فوق نعمة » (يو ١ : ١٦) .

وقيه الحياة :

٣٥ — الآب يحب الابن وقد دفع كل شىء فى يده . ٣٦ — الذى يؤمن بالابن له حيوة أبدية . والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حيوة بل يمكث عليه غضب الله .

٣٥ — وختم المعمدان شهادته بقوله إن « الآب يحب الابن وقد دفع كل شىء فى يده » ، ولقد نادى يسوع بذلك غير مرة فقال « كل شىء قد دفع إلىّ من أبى » (مت ١١ : ٢٧) ، وقال أيضا « دفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » (مت ٢٨ : ١٨) ، ومن أمثلة ما دفع إليه أن الآب يحبه « ويريه جميع ما هو يعمله » (يو ٥ : ٢٠) ، وأنه « لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (يو ٥ : ٢٢) ، وكذلك أعطاه « سلطانا على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته » (يو ١٧ : ٢) ، وبالجملة أخضع كل شىء تحت قدميه (عب ٢ : ٨) . ٣٦ — فكل من يعترف بأنه ابن الله حقا ، ومساو للآب فى الجوهر وسائر الكمالات الألهية فله الحياة الأبدية (يو ٦ : ٤٧) ، لأنه يحصل على غفران خطاياه وعلى السلام الكامل مع الله ، وينجو من دينونة الخطية ، ويرث الملكوت السماوى . وأما الذى لا يؤمن بالابن على الوجه المتقدم فلا نصيب له فى بركات الحياة الروحية ، ويمكث عليه غضب الله ويطرح فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت (رؤ ٢١ : ٨) .

الأحد الرابع من شهر طوبه

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « إنارة الخلاص » ، فأنجيل العشية يتكلم عن شهادة الكتب عن يسوع ، وهى التى تنير بصيرة المؤمنين به ، وإنجيل باكر عن جسده الذى يحيى متناوليه فتستضيء نفوسهم ، وإنجيل القداس عن إنارته للأبصار والبصائر :

مزمور العشية : (٧٧ : ١٧ ، ٢٠)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من قول المخلص لليهود إن أعماله هى التى تشهد له ، وإلى شهادة الكتب السماوية عنه فيقول « لأنه ضرب الصخرة فانحدرت المياه . وفاضت الأودية مياها . فأمر السحاب من فوق . وفتح أبواب السماء » .

انجيل العشية : (يو ٥ : ٣١—٤٦)

يتكلم هذا الفصل عن شهادة الكتب عن المخلص ، ودليل ذلك قول السيد لليهود « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية . وهى التى تشهد لى » .

مزمور باكر : (٧٩ : ٧ ، ١٦)

يتوسل هذا المزمور بلسان الشعوب إلى الله أن يتأهلوا لتناول جسد المخلص فيثبتوا فيه ويحيوا كما جاء بفصل الأنجيل فيقول « يا رب إله القوات أرددنا . ولين وجهك علينا فنخلص . فلا نبتعد عنك . فتحيينا وندعو باسمك » .

انجيل باكر : (يو ٦ : ٤٧—٥٨)

يتكلم هذا الفصل عن الجسد المحيى الذى للمخلص ، ودليل ذلك قوله « كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب فمن يأكلنى فهو يحيا بى » .

مزمور القداس : (٣٥ : ٧ ، ٨)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من تفتيح المخلص لعينى المولود

أعمى وإنارة بصيرته ، وإلى طلبه الرحمة من الله فيقول « لأن ينبوع الحياة عندك . بنورك يا رب نعاين النور . فابسط رحمتك على الذين يعرفونك وعدلك على المستقيمين فى قلوبهم » .

انجيل القداس : (يو ٩ : ١ – ٣٨)

يتكلم هذا الفصل عن إنارة المخلص للأبصار والبصائر ، ودليل ذلك قول المولود أعمى « كنت أعمى والآن أبصر » وقوله للمخلص حين سأله أتؤمن بابن الله « أؤمن يا سيد وسجد له » .

الرسائل :

تدور هذه الرسائل الثلاث حول موضوع واحد هو « إنارة الخلاص » ، فالبولس يبين واجب الذين استنيروا وهو عدم الاستكبار ، والكاثوليكون يشير إلى ضرورة الصلاة من أجل الذين يخطئون من المؤمنين ، والأبركسيس إلى قبول توبتهم كما قبلت توبة الأمم :

البولس : (رو ١١ : ١٣ – ٣٦)

فى هذا الفصل يوجه الرسول الخطاب إلى الأمم مبينا أنهم ، وهم فى الأصل زيتونة برية ، قد طعموا فى الزيتونة الجيدة بدل الأغصان الطبيعية أى إسرائيل التى قطعت من أجل عدم الأيمان ، ويوصيهم ألا يستكبروا لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليهم ، ويبين لهم أخيرا مصير إسرائيل بقوله « فأنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء . هكذا هؤلاء أيضا الآن لم يطيعوا لكى يرحموا هم أيضا برحمتكم . لأن الله أغلق على الجميع معا فى العصيان لكى يرحم الجميع » .

الكاثوليكون : (١ يو ٥ : ٩ – ٢١)

يذكر الرسول هنا « أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه » ، ثم يقول « من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة » ، ويوصينا قائلا « إن رأى أحد أخاه يخطىء خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة » .

الأبركسيس : (أع ١١ : ٢ – ١٨)

فى هذا الفصل يوجه بطرس الرسول الخطاب ليهود أورشليم الذين خاصموه لأنه دخل إلى رجال ذوى غلفة وأكل معهم فيقول بعد ذكر حادثة الملاءة المدلاة من السماء « فأن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضا بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمن أنا . أقادر أن أمنع الله . فلما سمعوا ذلك سكتوا وكانوا يمجدون الله قائلين إذاً أعطى الله الأمم أيضا التوبة للحياة » .

إنجيل العشية

(يو ٥ : ٣١ – ٤٦)

شهود المخلص

تمهيد :

عندما أبرأ السيد المسيح الرجل المخلع عند بركة بيت حسدا قبيل نهاية الدور الأول من خدمته فى الجليل ، ازدادت عداوة اليهود له وكانوا « يطلبون أكثر أن يقتلوه . لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضا إن الله أبوه معادلا نفسه لله » (يو ٥ : ١٨) . وهنا ألقى عليهم المخلص خطابا يبين فيه أنه ابن الله، وأن من يؤمن به تكون له الحياة الأبدية . ولكى يؤكد لهم صحة أقواله أورد لهم فى فصل الأنجيل شهادات متعددة من مصادر مختلفة تؤيده فيما يقول . وهذه الشهادات هى من يوحنا المعمدان بأنه حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، ومن المعجزات بأنه إله ، ومن الآب بأنه كلمته ، ومن الكتب المقدسة بأنه مدار ما فيها من نبوات وأنه صاحب المجد الأتى ، ومن كتب موسى بأنه رجاء إسرائيل :

يسوع يحمل الله :

٣١ – إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا . ٣٢ – الذى يشهد لى هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق . ٣٣ – أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق . ٣٤ – وأنا لا أقبل شهادة من إنسان . ولكنى أقول هذا لتخلصوا أنتم . ٣٥ – كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة .

٣١ — حينما قال مخلصنا عن نفسه إنه ابن الله جال فى خواطر اليهود أن شهادته هذه عن نفسه ليست بشرعية ، لأن الدعوى لاتثبت شرعا بأقل من شاهدين (عد ٣٥ : ٣) . وقد علم رب المجد بما انطوى عليه ضميرهم فأجابهم قائلا « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا »(١) أى ليست شرعية ، ولو كانت فى ذاتها صحيحة وصادقة ، لأن شهادة شخص لنفسه لاتصدق لشبهة حبه لنفسه .

٣٢ — ولكن هناك « آخر » يشهد لى وهو الآب الذى أعلن رأيه فىّ على الأردن (مت ٣ : ١٧) ، وعلى جبل تابور (مت ١٧ : ٥) بقوله « هذا هو ابنى الحبيب الذى سررت به » ، وأنا أعلم أن شهادته لى حق لما بينى وبينه من اتحاد منذ الأزل .

٣٣ — ثم استطرد يقول إنكم أرسلتم إلى يوحنا كهنة ولاويين ليسألوه قائلين « فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح » وهو أجاب بقوله « فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه هو الذى يأتى بعدى الذى صار قدامى الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه » (يو ١ : ٢٧) ، وبقوله عنى أيضا « هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩) . ولما كان يوحنا عندكم مثل نبى فلا تستطيعون إذاً أن تنكروا شهادته لى وهى حق . ٣٤ — ومع أنى لست فى حاجة إلى شهادة إنسان لإثبات دعواى إلا أنى أشرت إليها لفائدتكم ، فأن قبلتموها وآمنتم بى خلصتم . ٣٥ — فيوحنا كان بسيرته الطاهرة وإرشاده بمثابة سراج مضيء ، وقد ابتهجتم بتعليمه ولكن إلى حين ، إذ لما ألح عليكم أن تفارقوا خطاياكم وتقبلونى مسيحا تركتموه ، وحينما علمتم أنه قتل نبذتم تعاليمه وشهادته .

وصاحب المعجزات :

٣٦ — وأما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا . لأن الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى .

---

(١) **شهادة يسوع لنفسه** : قال السيد لليهود فى مناسبة أخرى « وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب . وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتى ولا إلى أين أذهب » (يو ٨ : ١٤) .

٣٦ — ومضى المخلص فى الحديث قائلا وأما أنا فالمعجزات التى صنعتها كشفاء المرضى وفتح أعين العميان وإقامة الموتى هى تشهد لى بأنى ابن الله ، وهى أعظم من شهادة يوحنا لأنها أعمال إلهية تثبت اتحادى مع الآب وأنه أرسلنى . وهذا الذى أبداه رب المجد سبق أن اعترف به نيقوديموس حين خاطبه قائلا « نعلم أنك قد أتيت من الله معلما لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه » (يو ٣ : ٢) .

وكلمة الآب :

٣٧ — والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى . لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته . ٣٨ — وليست لكم كلمته ثابتة فيكم. لأن الذى أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به .

٣٧ — انتقل السيد بعد ذلك إلى الكلام عن شهادة أبيه له فقال لهم إن « الآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى » ، وشهادته كانت بلسان جميع الأنبياء ، وبروحه المخاطب لقلوبكم ، وبصوته يوم العماد ولكنكم « لم تسمعوا صوته قط » أى سمعتم بآذانكم دون قلوبكم ، لأنكم لم تنفذوا مشيئته « ولا أبصرتم هيئته » إذ مع أنه لم يره أحد قط (يو ١ : ١٨) ، فقد أظهر لكم وجوده بطرائق شتى ، ومع ذلك لم تلتفتوا بقلوبكم إلى كلامه، فكلمكم « من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتا » (تث ٤ : ١٢) ، « وفى يوم إقامة المسكن غطت السحابة المسكن خيمة الشهادة . وفى المساء كان على المسكن كمنظر نار إلى الصباح » (عد ٩ : ١٥) ؛ وبالحمامة على الأردن أظهر وجوده وبوسائل أخرى ، ولكنكم أغمضتم عيونكم عن وجوده وسددتم آذانكم عن سماع صوته ، ٣٨ — « وليست لكم كلمته ثابتة فيكم » أى أن كلامه المكتوب علق بذاكرتكم دون قلوبكم بدليل رفضكم الإيمان بى أنا الذى أرسله الله وشهد له هذا الكلام المكتوب .

وصدار النبوات :

٣٩ — فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حيوة أبدية . وهى التى تشهد لى . ٤٠ — ولا تريدون أن تأتوا إلىّ لتكون لكم حيوة .

٣٩ ــ ثم استطرد المخلص بحث اليهود على فحص الكتب المقدسة وتفهم معانيها لأنها كما ظنوا ، وظنهم فى محله ، تشهد له فقال « فتشوا الكتب . . . . وهى التى تشهد لى » ، وشهادتها له ترجع إلى ما فيها من نبوات ، ومواعيد صريحة ، ورموز كالذبائح مثلا ، وشخصيات فاضلة ترمز إليه كأسحق ويوسف وموسى وداود وغيرهم .

٤٠ ــ ومع أنهم اعتقدوا أن لهم فى هذه الكتب حياة أبدية ، فقد رفضوا الإيمان لينالوا تلك الحياة ، ودليل ذلك قوله لهم « لا تريدون أن تأتوا إلىّ لتكون لكم حياة » . ويثبت هذا النطق الإلهى أن ما يمنع الناس من نوال الخلاص ليس قضاء الله بل عدم إرادتهم .

ورود المجد الأرضى :

٤١ ــ مجدا من الناس لست أقبل . ٤٢ ــ ولكنى قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم . ٤٣ ــ أنا قد أتيت باسم أبى ولستم تقبلوننى . إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه . ٤٤ ــ كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض . والمجد الذى من الأله الواحد لستم تطلبونه .

٤١ ــ ولئلا يظن اليهود أنه بما أورد من شواهد على بنوته لله إنما ينشد المجد الباطل قال لهم « مجدا من الناس لست أقبل » ، إذ لو كان هذا قصدى لادعيت أننى ملك زمنى كما تشتهون . ٤٢ ــ ولكنى أرى أن اضطهادكم لى ليس صادرا عن غيرة لله وحب له بل عن بغضة لى وحسد ، ولهذا « عرفتكم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم » ، لأنكم لو كنتم تحبونه حقيقة لآمنتم بمن أرسله ، ولكن قلوبكم مشحونة بالطمع والبخل والحسد . ٤٣ ــ وهأنا « قد أتيت باسم أبى » ، بدليل ما صنعت من معجزات ، وطلبت مجده دائما غير أنكم برفضى برهنتم على عدم محبته ، فى حين أنه « إن أتى آخر باسم نفسه » أى يطلب مجد نفسه ، كما هو شأن الأنبياء الكذبة قديماً ومستقبلا ، وكما يفعل المسيح الدجال فى أواخر الأيام فستقبلونه . ٤٤ ــ والواقع أنكم لا تستطيعون أن تؤمنوا « وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض » ، أى وأنتم تفضلون المجد الدنيوى على المجد الذى من الله ، ذلك أنكم كنتم تريدوننى ملكا أرضيا ذا مجد أرضى

لتشاركونى فيه ، فلما جئت معلما وديعا وملكا روحيا صعب عليكم اتباعى ورفضتم « المجد الذى من الإله » الذى لا يناله إلا كل من ينكر ذاته . ومن أمثلة ذلك ما فعله كثيرون من الرؤساء بمناسبة ما صنع من الآيات ، فقد آمنوا به « غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله » (يو ١٢ : ٤٢ ــ ٤٣) .

ورجاء اسرائيل :

٤٥ ــ لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم . ٤٦ ــ لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى . ٤٧ ــ فأن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى .

٤٥ ــ واختتم المخلص خطابه بقوله إنه حيال موقفهم هذا منه لا يدينهم ، لأنه لم يأت فى المرة الأولى ليدين العالم بل ليخلصه ، ولكن الذى يدينهم هو موسى أى كتبه التى يقرأونها كل يوم ، والتى علقوا كل آمالهم فى التبرير فى اليوم الأخير على حفظ أوامرها . ٤٦ ــ ففى هذه الكتب سجل موسى عنى أننى نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) ، ونسل إبراهيم الذى « به تتبارك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٣) ، وأننى « شيلون الذى له يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) ، والكوكب الذى يبرز من يعقوب والقضيب الذى يقوم من إسرائيل (عد ٢٤ : ١٧) ، وأننى النبى الذى يقيمه لك الرب إلهك من وسطك من إخوتك مثلى (تث ١٨ : ١٥ ــ ١٨) . هذا إلى أننى المشار إليه بالحية النحاسية (عد ٢١ : ٩) ، وبجميع الطقوس والرموز والشعائر التى فى شريعة موسى . فلو كنتم تقبلون هذه التعاليم لآمنتم بى ، ولكنكم لم تدركوا معناها الروحى ولذا رفضتمونى . ٤٧ ــ وحيث الأمر كذلك فلا عجب أن تصروا على بغضكم لى واحتقارى ورفض تعليمى والإيمان بى ما دمتم قد رفضتم شهادة موسى وهى الدليل على صحة دعواى .

إنجيل باكر

(يو ٦ : ٤٧ — ٥٨)

خطاب يسوع عن خبز الحياة

(راجع قداس الخميس السادس من الصوم المقدس)

إنجيل القداس

(يو ٩ : ١ — ٣٨)

تفتيح عينى المولود أعمى

(راجع قداس الأحد السادس من الصوم المقدس)

شهر أمشير

اليوم الأول من شهر أمشير

تذكار اجتماع المجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية :

(راجع فصول اليوم التاسع من هاتور)

اليوم الثانى من شهر أمشير

نياحة القديس العظيم الأنبا بولا أول السياح :(١)

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « كبار السياح » ، فأنجيل

(١) **دير أنبا بولا** : هو أحد الديرين الكائنين بالجبل الشرقى بمديرية بنى سويف (والدير الثانى هو دير الأنبا أنطونيوس) ، وهو قائم بجبل النمورة والوصول إليه هو من نفس الطريق الموصل لدير أنبا أنطونيوس ، وتستغرق الرحلة خمسة أيام ونصف . وبين هذا الدير وفنار الزعفران الذى على خليج السويس بضع ساعات فهو يشرف على طورسينا ، ويحتوى على جملة كنائس منها كنيسة أنبا بولا وبها جسده ، وأبى سيفين والملاك ميخائيل والسيدة العذراء فى القصر .

العشية يتكلم عن اشتراكهم فى الدينونة ، وإنجيل باكر عن ميراثهم ، وإنجيل القداس عن قبول المخلص لهم :

مزمور العشية : (٣١ : ١٢ ، ٧)

يشير هذا المزمور إلى ابتهاج هؤلاء الأبرار السياح بالرب ، وإلى ما جاء بفصل الأنجيل من وعد المخلص لهم بالجلوس على مائدته فى ملكوته فيقول « إفرحوا أيها الصديقون بالرب وابتهجوا . وافتخروا يا جميع مستقيمى القلوب . من أجل هذا تبتهل إليك . كل الأبرار فى أوان مستقيم » .

انجيل العشية : (لو ٢٢ : ٢٤ — ٣٠)

يتكلم هذا الفصل عن اشتراك هؤلاء الأبرار مع المخلص فى دينونته يوم الدين ، ودليل ذلك قوله لتلاميذه « وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا . لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر » .

مزمور باكر : (٣٢ : ١ ، ١٢)

يشير هذا المزمور إلى ابتهاج هؤلاء الأبرار بالرب وتسبيحهم له ، وإلى ما جاء بفصل الأنجيل من أنهم يرثون الفرح السماوى بسبب الوزنات التى ربحوها فيقول « ابتهجوا أيها الصديقون بالرب . للمستقيمين ينبغى التسبيح . طوبى للأمة التى الرب إلهها . والشعب الذى اختاره ميراثاً له » .

انجيل باكر : (مت ٢٥ : ١٤ — ٢٣)

يتكلم هذا الفصل عن هؤلاء الأبرار الذين اتخذهم المخلص ميراثا له ، ودليل ذلك قوله فى مثل الوزنات لمن تاجر وربح « نعما أيها العبد الصالح والأمين . كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير . أدخل إلى فرح سيدك » .

مزمور القداس : (١٣١ : ٧ ، ١)

يشير هذا المزمور إلى ابتهاج هؤلاء الأبرار السياح بالرب ، وإلى دعتهم وتمثلهم فى تواضعهم بداود الذى نذر نفسه للرب فيقول « كهنتك يلبسون العدل.

وأبرارك يبتهجون من أجل داود عبدك . أذكر يا رب داود وكل دعته . كما أقسم للرب ونذر لإله يعقوب » .

انجيل القداس : (مر ٩ : ٣٣–٤١)

يتكلم هذا الفصل عن قبول المخلص لهؤلاء السياح ، ودليل ذلك قوله لتلاميذه حينما تنازعوا على الرياسة « من قبل واحدا من أولاد مثل هذا باسمى يقبلنى » .

الرسائل :

وتدور هذه الرسائل الثلاث حول موضوع واحد هو « كبار السياح » ، فالبولس يتكلم عن واجب الخضوع لهم كمدبرين ، والكاثوليكون عن عنايتهم بالرعية ، والأبركسيس عن آياتهم وتخفيفهم القيود على الرعية :

البولس : (عب ١٣ : ٧–٢٥)

بمناسبة الاحتفال بتذكار هؤلاء الآباء القديسين الذين هم بمثابة متقدمين أو مدبرين أو مرشدين يوصى معلمنا بولس الرسول المؤمنين بقوله « أذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم » ، ثم يوصى بأطاعتهم قائلا « أطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابا » .

الكاثوليكون : (١ بط ٥ : ١–١٤)

وهنا يوصى الرسول الشيوخ المدبرين قائلا « أرعوا رعية الله التى بينكم لا عن اضطرار بل بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط . ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية » ، ثم يوصى الأحداث بالخضوع ويقول « وتسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة » .

الأبركسيس : (أع ١٥ : ١٢–٢١)

يبين هذا الفصل أن برنابا وبولس كانا يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب فى الأمم بواسطتهم ، ثم يشير إلى رأى يعقوب بأنه لا داعى لأن يثقل

على الراجعين إلى الله من الأمم بل يرسل إليهم « أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم » .

مواعيد تلاوتها :

وقد رتبت الكنيسة تلاوة الفصول السابقة كلما احتفلت بتذكار أى واحد من كبار السياح ، وذلك فى المناسبات الآتية :

٢٠ بابه نياحة القديس العظيم الأنبا يوأنس القصير .
٧ كيهك « « متى المسكين .
٢٥ « « « العظيم يوحنا كاما (الأسود) .
٢ أمشير « « « الأنبا بولا أول السياح .
٧ أبيب « « الناسك الأنبا شنوده رئيس المتوحدين .

إنجيل العشية

(لو ٢٢ : ٢٤ — ٣٠)

مشاجرة التلاميذ (١)

تمهيد :

قبيل جلوس السيد المسيح مع تلاميذه لتناول الفصح الأخير حدثت بين هؤلاء التلاميذ للمرة الثانية مشاجرة على الرياسة سببها تفاوت مواضعهم ومطالبة كل منهم بالمكان الأسمى . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يتكلم فيه المخلص عن عثرة المجد الباطل التى استهدفوا لها وعلاجها ، وعن عظمة المجد الحقيقى الدائم الذى ينتظرهم فى السماء :

---

(١) **المشاجرة بين التلاميذ** : حدثت هذه المشاجرة بينهم على الرياسة مرتين الأولى حينما كان السيد فى كفرناحوم فى الدور الثالث من خدمته فى الجليل ورواها متى (١٨ : ١–٩) ومرقس (٩ : ٣٣–٣٧) ولوقا (٩ : ٤٦–٥٠) وشرحت فى قداس الأحد الثانى من شهر أبيب . أما الثانية والأخيرة وهى المذكورة هنا فانفرد بذكرها لوقا (٢٢ : ٢٤–٣٠) وحدثت قبل تناول العشاء الأخير . ولم تسمع عنهم مشاجرة من هذا القبيل من بعد القيامة وحلول الروح القدس عليهم .

المجد الباطل :

٢٤ — وكانت بينهم مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر . ٢٥ — فقال لهم . ملوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يدعون محسنين . ٢٦ — وأما أنتم فليس هكذا . بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر . والمتقدم كالخادم . ٢٧ — لأن من هو أكبر . الذى يتكىء أم الذى يخدم . أليس الذى يتكىء . ولكنى أنا بينكم كالذى يخدم .

٢٤ — إنفرد لوقا بالإشارة إلى المشاجرة التى حدثت بين التلاميذ قبيل جلوسهم لتناول العشاء الأخير مع المخلص ، بسبب اختلافهم على أيهم أكبر فى المكانة . ومع أنهم كانوا من طبقة وضيعة من الناس فلم يسلموا من آفة طلب المجد العالمى الباطل . ٢٥ — ورب المجد أراد أن يحذرهم من ذلك فأوصاهم ألا يتشبهوا بالأمم وهى التى يسود فيها الرؤساء ويعتبر المتسلطون محسنين ، ٢٦ — ثم قال « وأما أنتم فليس هكذا . بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر »(١) ، وهو بهذا القول يحثهم على التواضع كعلاج لحب الرياسة . ٢٧ — ثم ضرب لهم مثلا من نفسه إذ وهو أعظمهم كان بينهم كالذى يخدم ، ودليل ذلك غسله لأرجلهم فيما بعد .

المجد الحقيقى :

٢٨ — أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى . ٢٩ — وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا . ٣٠ — لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر .

٢٨ — وبعد أن حذرهم من المجد العالمى الباطل وعدهم بالمجد الحقيقى جزاء اشتراكهم معه فى ضيقاته فقال موجها الخطاب إليهم « أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى » أى فى أتعابى وتعيرات الناس لى ، ٢٩ — « أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا » ، وهو بهذا يؤيد قوله السابق « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم

(١) شرحنا ذلك بأكثر إيضاح فى (مر ١٠ : ٤٢—٤٥) فى قداس ٢٧ هاتور .

قد سر أن يعطيكم الملكوت » (لو ١٢ : ٣٢) . وهذه التعزية من جانبه لهم هى التى أشار إليها بولس الرسول بقوله « كما أنتم شركاء فى الآلام كذلك فى التعزية أيضا » (٢ كو ١ : ٧) ، وقوله « إن كنا نصبر فسنملك أيضا معه » (٢ تى ٢ : ١٢) . ٣٠ — ولما كان من عادة الملوك أن يرسلوا الدعوة إلى محبيهم ليتناولوا الطعام على موائدهم فقد استعار المخلص من هذه العادة قوله فى سبب تهيئة الملكوت لتلاميذه « لتأكلوا وتشربوا على مائدتى » ، وهو يشير بهذا إلى ما سيتمتعون به من راحة كاملة ونعيم دائم . ثم أضاف إلى ذلك قوله « وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر » وقد شرحناه بالتفصيل فى قداس الأحد الرابع من هاتور تحت رقم ٢٩ .

إنجيل باكر

(مت ٢٥ : ١٤ — ٢٣)

مثل الوزنات

(راجع إنجيل الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة)

إنجيل القداس

(مر ٩ : ٣٣ — ٤١)

مشاجرة التلاميذ (١)

تمهيد

حينما كان مخلصنا فى كفرناحوم أثناء الدور الثالث من أدوار خدمته فى الجليل حدثت بين تلاميذه وهم فى الطريق ولأول مرة مشاجرة على أيهم أعظم . ولما استقر بهم المقام فى البيت أخذ السيد يبين لهم كما جاء بفصل الأنجيل ضرر السعى وراء المجد الباطل ، وفائدة التواضع كعلاج لهذا الداء ، ويقرر أخيرا أن من يبذل جهدا مهما كان ضئيلا فى هدم مملكة الشر فله أجره ولو لم يكن من صفوف التلاميذ :

(١) أنظر الحاشية التى بأنجيل العشية ص ٢٨٣ .

عثرة المجد الباطل :

٣٣ — وجاءوا إلى كفرناحوم . وإذ كان فى البيت سألهم
ماذا كنتم تتكالمون فيما بينكم فى الطريق . ٣٤ — فسكتوا .
لأنهم تحاجوا فى الطريق بعضهم مع بعض فى من هو أعظم .

٣٣ — سأل المخلص تلاميذه عن موضوع مناقشتهم وهم فى طريقهم إلى البيت بكفرناحوم ، ٣٤ — وقد أمسكوا عن الإجابة خجلا لأنهم كانوا يتناقشون « فى من هو أعظم » . ويظهر أنهم كانوا يظنون أن ملكوت المسيح يكون أرضيا لا سماويا ، وسياسيا لا روحيا ، وأنهم لابد أن يكونوا هم المقدمين على غيرهم فى تدبيره ولهذا أخذوا يتنازعون على الرياسة والوظائف فيه .(١)

وعلاجها التواضع :

٣٥ — فجلس ونادى الاثنى عشر وقال لهم إذا أراد
أحد أن يكون أولا فيكون آخر الكل وخادما للكل. ٣٦ —
فأخذ ولدا وأقامه فى وسطهم ثم احتضنه وقال لهم .
٣٧ — من قبل واحدا من أولاد مثل هذا باسمى يقبلنى
ومن قبلنى فليس يقبلنى أنا بل الذى أرسلنى .
(راجع مت ١٨ : ٢ — ٥ بقداس الأحد الثانى من أبيب)

أجر العاملين :

٣٨ — فأجابه يوحنا قائلا يامعلم رأينا واحداً يخرج شياطين
باسمك وهو ليس يتبعنا . فمنعناه لأنه ليس يتبعنا . ٣٩ —
فقال يسوع لا تمنعوه . لأنه ليس أحد يصنع قوة باسمى
ويستطيع سريعا أن يقول علىّ شرا . ٤٠ — لأن من ليس
علينا فهو معنا . ٤١ — لأن من سقاكم كأس ماء باسمى
لأنكم للمسيح فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره .

٣٨ — وكان يوحنا ومعه التلاميذ قد رأوا رجلا يخرج الشياطين باسم المسيح وليس هو من التلاميذ الاثنى عشر ولا من السبعين ، بل واحدا من المؤمنين

(١) **مشابهة التلاميذ** : ورد هذا الموضوع أيضا فى (مت ١٨ : ١—٩ ، لو ٩ : ٤٦—٥٠) وقد شرحناه فى قداس الأحد الثانى من أبيب .

فحسب ، إذ لو لم يكن مؤمنا لما استطاع عمل تلك المعجزات ، فمنعوه من ممارسة هذا العمل ، لا حسدا له أو للذين شفاهم ، بل لمجرد أنه ليس من أتباع المخلص بدليل قولهم « فمنعناه لأنه ليس يتبعنا » . ولقد دفعهم إلى ذلك شدة محبتهم لسيدهم واعتقادهم بأنه لاأحد يستحق أن يكتسب حمدا باسم المسيح ما لم يكن من أتباعه ، وأن سلطان إخراج الشياطين قد اختصهم به دون سواهم .

٣٩ — فلما سمع يسوع بمنعه ، ورآه من بنى الطاعة ، لأنه أطاع بمجرد أن منع ، قال لهم « لا تمنعوه » فقد اعتبر عمله حسنا ، وأنه كعمل التلاميذ تم باسم المسيح وبقصد نشر دعوته . ثم قال لهم إن من كان هذا شأنه « لا يستطيع سريعا أن يقول علىّ شرا » ، لأن من يصنع معجزة باسم المسيح لا يمكن أن يكون من السحرة لأن الله لا يسمح لساحر ما أن يتخذ من اسم المسيح وسيلة للخداع ، وما دام أمره كذلك فهو مؤمن والمؤمن لا يقول شرا فى المسيح ، وهكذا يقول بولس الرسول « ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما » (١ كو ١٢ : ٣) . وتذكرنا هذه الحادثة بمثيلتها فى العهد القديم حين طلب يشوع بن نون من موسى سيده أن يردع ألداد وميداد لأنهما كانا يتنبآن فى المحلة (عد ١١ : ٢٤ — ٣٠)(١).

٤٠ — واستطرد المخلص يقول لتلاميذه « من ليس علينا فهو معنا » أى أن هذا الرجل يشاركنا فى بذل الجهد لهدم مملكة الشيطان بالفعل وبالقلب فهو معنا لا علينا . ٤١ — ولكى يؤكد ليوحنا ، وقد أنكر على الرجل فضله ، أن أجره عظيم قال « لأن من سقاكم كأس ماء باسمى لأنكم للمسيح فالحق أقول لكم إنه

(١) **الداد وميداد** : « وجمع (موسى) سبعين رجلا من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالى الخيمة . فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه وأخذ من الروح الذى عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ . فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا وبقى رجلان فى المحلة اسم الواحد ألداد واسم الآخر ميداد . فحل عليهما الروح . وكانا من المكتوبين ولكنهما لم يخرجا إلى الخيمة . فتنبآ فى المحلة . فركض غلام وأخبر موسى وقال ألداد وميداد يتنبآن فى المحلة . فأجاب يشوع ابن نون خادم موسى من حداثته وقال يا سيدى موسى أردعهما . فقال له موسى هل تغار أنت لى . يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذ جعل الرب روحه عليهم » (عد ١١ : ٢٤—٣٠) .

لا يضيع أجره » ، أى أنه إذا كانت أصغر خدمة تعمل باسم المسيح كأعطاء كأس ماء يحسب لها أجر فكم يكون عظيما أجر من يشفى الذين بهم أرواح نجسة . إن الله كما يقول الرسول « ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم » (عب ٦ : ١٠)(١).

اليوم الثالث من شهر أمشير

نياحة القديس يعقوب الراهب :

(راجع فصول اليوم العشرين من بشنس)

اليوم الرابع من شهر أمشير

شهادة القديس أغابوس أحد السبعين رسولا :

(راجع فصول اليوم الثانى والعشرين من بابه)

اليوم الخامس من شهر أمشير

تذكار نقل أعضاء شيوخ شهيت ال ٤٩ إلى كنيستهم بدير مقاريوس :

(راجع فصول اليوم السابع والعشرين من بابه)

اليوم السادس من شهر أمشير

شهادة القديسين أباكير ويوحنا والعذراى الثلاث وأمهن :

(راجع فصول اليوم الخامس عشر من هاتور)

اليوم السابع من شهر أمشير

نياحة القديس الكسندروس بابا الاسكندرية الثالث والأربعين :

(راجع فصول اليوم الثالث من أبيب)

(١) شرحنا الآية رقم ٤١ بالتفصيل فى عشية ٢٨ هاتور فى (مت ١٠ : ٤٢) .

اليوم الثامن من شهر أمشير

عيد دخول السيد المسيح إلى الهيكل :

(راجع فصول اليوم السادس من شهر طوبه)

اليوم التاسع من شهر أمشير

نياحة القديس برسوما أب رهبان السريان :

(راجع فصول اليوم الثالث من مسرى)

اليوم العاشر من شهر أمشير

شهادة القديس يعقوب الرسول ابن حلفى :

(راجع فصول اليوم الخامس من أبيب)

اليوم الحادى عشر من شهر أمشير

نياحة أنبا يوحنا المصرى ال ٩٤ من باباوات الأسكندرية :

(راجع فصول اليوم التاسع والعشرين من هاتور)

اليوم الثانى عشر من شهر أمشير

نياحة القديس جلاسيوس الناسك :

(راجع فصول اليوم العشرين من بشنس)

اليوم الثالث عشر من شهر أمشير

شهادة القديس سرجيوس الأتريبى وأبيه وأمه وأخته وكثيرين معهم :

(راجع فصول اليوم السابع والعشرين من برموده)

اليوم الرابع عشر من شهر أمشير

نياحة القديس ساويرس بطريرك أنطاكية :

(راجع فصول اليوم السابع عشر من هاتور)

اليوم الخامس عشر من شهر أمشير

نياحة القديس بفنوتيوس الراهب :

(راجع فصول اليوم السادس عشر من بؤونه)

اليوم السادس عشر من شهر أمشير

نياحة القديسة أليصابات أم يوحنا المعمدان :

(راجع فصول اليوم السادس عشر من توت)(١)

اليوم السابع عشر من شهر أمشير

شهادة القديس مينا الراهب :

(راجع فصول اليوم السابع والعشرين من برموده)

اليوم الثامن عشر من شهر أمشير

نياحة القديس ملاتيوس بطريرك أنطاكية :

(راجع فصول اليوم السابع عشر من هاتور)

اليوم التاسع عشر من شهر أمشير

تذكار نقل أعضاء القديس مرتيانوس الراهب :

(راجع فصول اليوم العشرين من بشنس)

اليوم العشرون من شهر أمشير

نياحة القديس بطرس بابا الاسكندرية الحادى والعشرين :

(راجع فصول اليوم التاسع والعشرين من هاتور)

اليوم الحادى والعشرون من شهر أمشير

شهادة القديس أنيسيموس تلميذ بولس الرسول :

(راجع فصول اليوم الخامس من أبيب)

(١) **اليوم السادس عشر من أمشير** : أحيل هذا اليوم خطأ على يوم ١٦ توت وصحته أن يحال على يوم ٢٦ توت .

اليوم الثانى والعشرون من شهر أمشير

نياحة القديس ماروتا أسقف ميافرقين :

(راجع فصول اليوم الثامن والعشرين من هاتور)

اليوم الثالث والعشرون من شهر أمشير

شهادة أوساويوس بن واسيليداس الوزير :

(راجع فصول اليوم السابع والعشرين من برموده)

اليوم الرابع والعشرون من شهر أمشير

نياحة القديس أغابيطوس الأسقف :

(راجع فصول اليوم العشرين من هاتور)(١)

اليوم الخامس والعشرون من شهر أمشير

شهادة القديسين أرخبس وفليمون وأبفيه العذراء :

(راجع فصول اليوم العشرين من أبيب)

اليوم السادس والعشرون من شهر أمشير

نياحة القديس هوشع النبى :

(راجع فصول اليوم الثامن من توت)

اليوم السابع والعشرون من شهر أمشير

نياحة القديس أوسطاثيوس بطريرك أنطاكية :

(راجع فصول اليوم السابع عشر من هاتور)

اليوم الثامن والعشرون من شهر أمشير

شهادة القديس ثاؤذورس الرومى :

(راجع فصول اليوم العشرين من أبيب)

(١) **يوم ٢٤ أمشير** : أحيل هذا اليوم خطأ على ٢٠ هاتور وصحته أن يحال على ٢٨ هاتور .

اليوم التاسع والعشرون من شهر أمشير

شهادة بوليكربس أسقف سميرنا وتلميذ يوحنا الأنجيلى :

(راجع فصول اليوم الرابع من طوبه)

اليوم الثلاثون من شهر أمشير

وجود رأس القديس يوحنا المعمدان :

(راجع فصول اليوم الثانى من بؤونه)

آحاد شهر أمشير

مائدة المخلص لخائفيه

تدور أناجيل القداس التى تتلى فى أيام الآحاد الأربعة لشهر أمشير حول موضوع واحد هو « مائدة المخلص » أى الطعام الروحى الذى يقدمه لشعبه ، وذلك حسب التفصيل الآتى :

يتكلم إنجيل الأحد الأول عن جلال المخلص الذى يقدم هذا الطعام ، ودليل ذلك قوله مخاطبا الجموع التى تبعته بعد معجزة الخمسة الأرغفة والسمكتين ، « إعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الأنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه » (يو ٦ : ٢٧) .

ويتكلم إنجيل الأحد الثانى عن تقدمة المخلص لشعبه إذ أشبعهم من غذاء الأنجيل الذى تشير إليه حادثة إشباع الجموع من خمسة الأرغفة والسمكتين حتى مجدوه قائلين « إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » (يو٦ : ١٤) .

أما إنجيل الأحد الثالث فيتكلم عن نعمة الحياة التى يمنحها المخلص لمن يتناولون من طعامه الروحى إذ يقول « أنا هو خبز الحياة . من يقبل إلى فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » (يو ٦ : ٣٥) .

وأخيرا يتكلم إنجيل الأحد الرابع عن خلاص الذين يقبلون الطعام

الروحى الذى يقدمه الرب يسوع ، ودليل ذلك قوله عن زكا « اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضا ابن ابرهيم » (لو ١٩ : ٩) .

الأحد الأول من شهر أمشير

المزامير والأناجيل :

تدور فصول الأنجيل الثلاثة ومزاميرها فى هذا اليوم حول موضوع واحد هو الطعام الباقى الذى يقدمه المخلص لشعبه أى تعاليمه المحيية ، فأنجيل العشية يتكلم عن سلام المخلص الذى يمنحه لمن يقبلون هذا الطعام ، وإنجيل باكر عن الحياة الأبدية التى ينعم بها عليهم ، وإنجيل القداس عن جلاله الإلهى وهو الذى يقدم هذا الطعام :

مزمور العشية : (٨١ : ٦، ٥)

يشير هذا المزمور فى مطلعه إلى ما جاء بفصل الأنجيل من محاولة اليهود اختطافه لجعله ملكا ، ثم يلمح إلى سلام تلاميذه فى السفينة المعذبة بعد ما جاءهم ماشيا على الماء فيقول « قم يا الله ودن الأرض . لأنك أنت ترث فى جميع الأمم . أنا قلت إنكم آلهة . وبنو العلى كلكم » .

انجيل العشية : (يو ٦ : ١٥ ـ ٢١)

يتكلم هذا الفصل عن « سلام المخلص » الذى يمنحه لمن يسمعون كلامه ويقبلونه ، وآية ذلك قوله لتلاميذه وهم فى السفينة المعذبة فى البحر حين جاءهم ماشيا على الماء « أنا هو لا تخافوا » .

مزمور باكر : (١١٨ : ٨١، ١٠٥)

يبين هذا المزمور أن كلام السيد المسيح ينير السبيل أمام المؤمنين ويضيء على نفوسهم فيقول « مصباح لرجلى هو ناموسك . ونور لسبلى . فليضىء وجهك على عبدك . وعلمنى حقوقك » .

انجيل باكر : (يو ٨ : ٥١ ـ ٥٩)

يتكلم هذا الفصل عن « حياة » الذين يحفظون كلام المخلص إذ يقول فيه

للهود « الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد » .

مزمور القداس : (٩٥ : ٥، ٣)

ولما كان من يطهى الأطعمة المادية البائدة لا بد أن يكون ذا كفاية فنية تؤهله لذلك فمن باب أولى من يقدم الأطعمة الروحية الباقية ، وإلى هذه الأهلية وهذا الجلال الألهى الذى عبر عنه فصل الأنجيل بالختم يشير المزمور إذ أن الآب قد ختم المخلص ليعطى الطعام للحياة الأبدية وذلك بأشهاره عند الأردن حين نزل عليه الروح القدس على شكل حمامة وجاء الصوت من السماء قائلا « هذا هو ابنى الحبيب » ، فكأن الآب قد ختم بذلك وأقر أنه المسيح الموعود به منذ الأزل . وعن ذلك الختم يقول المزمور « الاعتراف والبهاء قدامه . الطهر والجلال العظيم فى قدسه . لأن الرب عظيم هو ومسبح جدا . ومرهوب على كل الآلهة » .

انجيل القداس : (يو ٦ : ٢٢—٢٧)

يتكلم هذا الفصل عن « جلال المخلص » الذى يقدم الطعام الباقى لشعبه ، ودليل ذلك قوله مخاطبا الجموع التى جاءت إلى كفرناحوم فى طلبه بعد ما أشبعهم بمعجزة الخمسة الأرغفة والسمكتين « إعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الانسان لأن هذا الله الآب قد ختمه » .

الرسائل :

تتكلم هذه الرسائل الثلاث عن موضوع واحد هو الطعام البائد ، فالبولس يبين أن من يعملون له لا يرثون ملكوت السموات ، والكاثوليكون يحذر من الانقياد إليه ، والأبركسيس يبين قشل من يعملون له :

البولسى : (١ كو ٥ : ١١—٦ : ١—١١)

فى هذا الفصل يحذر الرسول المؤمنين من أن يختلطوا أو يأكلوا مع الذين يعملون للطعام البائد فيقول « إن كان أحد مدعوا أخا زانيا أو طماعا أو عابد وثن أو شتاما أو سكيرا أو خاطفا أن لا تخالطوا ولا تواكلوا مثل هذا » . ثم يبين أن مثل هؤلاء لا يرثون ملكوت الله فيقول « لا تضلوا . لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا

سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله » ، ويختم بقوله « وهكذا كان أناس منكم . لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا » .

الكاثوليكون : (٢ بط ٣ : ١٤—١٨)

وهنا يوصى الرسول أحباءه الذين ينتظرون سموات جديدة وأرضا جديدة يسكن فيها البر فيقول « لذلك أيها الأحباء إذ أنتم منتظرون هذه اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب فى سلام » ، ثم يحذرهم بقوله « احترسوا من أن تنقادوا بضلال الأردياء فتسقطوا من ثباتكم » .

الأبركسيس : (أع ٩ : ٣—٩)

ويبين هذا الفصل حبوط مساعى كل من يعمل للطعام البائد إذ يذكر قصة شاول الذى كان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب وكيف أنه وهو فى طريقه إلى دمشق « سمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضطهدنى . . . صعب عليك أن ترفس مناخس » .

إنجيل العشية

(يو ٦ : ١٥ — ٢١)

يسوع يمشى على الماء

١٥ — وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا إلى الجبل وحده .

١٦ — ولما كان المساء نزل تلاميذه إلى البحر . ١٧ — فدخلوا السفينة وكانوا يذهبون إلى عبر البحر إلى كفرناحوم . وكان الظلام قد أقبل ولم يكن يسوع قد أتى إليهم . ١٨ — وهاج البحر من ريح عظيمة تهب . ١٩ — فلما كانوا قد جذفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة نظروا يسوع ماشيا على البحر مقتربا من السفينة فخافوا . ٢٠ — فقال لهم أنا هو لا تخافوا . ٢١ — فرضوا أن يقبلوه فى السفينة وللوقت سارت السفينة إلى الأرض التى كانوا ذاهبين إليها .

(راجع عشية الأحد الرابع من شهر بابه)

إنجيل باكر

(يو ٨ : ٥١ — ٥٩)

خطاب المخلص عن حفظ كلامه

تمهيد :

بعد أن صرف السيد المسيح المرأة التى قدمها إليه الكتبة والفريسيون فى الهيكل ممسكة فى زنا ، أخذ يخاطب الجموع عن « نور العالم » وعن الحرية الروحية ، ثم خلص من ذلك إلى الكلام عن حفظ كلامه . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يبين فيه المخلص أنه مانح الحياة الأبدية لمن يحفظ كلامه ، وأنه لا يمجد نفسه بل إن أباه هو الذى يمجده ، وأنه أزلى مثله :

يسوع المحيى :

٥١ — الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد . ٥٢ — فقال له اليهود الآن علمنا أن بك شيطانا . قد مات إبرهيم والأنبياء . وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يذوق الموت إلى الأبد . ٥٣ — ألعلك أعظم من أبينا إبرهيم الذى مات . والأنبياء ماتوا . من تجعل نفسك .

٥١ — شرع مخلصنا يبين للجموع المستمعين له فى الهيكل ما يترتب على حفظ كلامه من أثر فقال « إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد »، فهو يصونه بنعمته فى هذا العالم من السقوط فى الخطية ، ويمنحه بعد انتقاله منه السعادة الدائمة فى السماء تأييدا لسابق وعده « إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) . ٥٢ — ولقد ظن اليهود أن الموت الذى يقصده المخلص هو الموت الطبيعى ، وليس الموت الروحى الذى هو هلاك النفس ، فأخذوا يشتمونه قائلين « الآن علمنا أن بك شيطانا . قد مات إبرهيم والأنبياء » أى أن هؤلاء حفظوا كلام الله ومع ذلك ذاقوا الموت ، فكأنك تجعل نفسك أعظم من الله . ٥٣ — ثم مضوا فى جهلهم أو تجاهلهم ، فبعد أن قرروا أن إبراهيم والأنبياء

ماتوا أخذوا يتهكمون قائلين « من تجعل نفسك » أى من أنت يا من تمنح حافظى كلامك عدم الموت ، فكأنهم بهذا القول لم يعلموا أنه ليس مجرد إنسان كسائر الناس .

تمجيد الآب له :

٥٤ — أجاب يسوع إن كنت أمجد نفسى فليس مجدى شيئا . أبى هو الذى يمجدنى الذى تقولون أنتم إنه إلهكم ٥٥ — ولستم تعرفونه . وأما أنا فأعرفه . وإن قلت إنى لست أعرفه أكون مثلكم كاذبا . لكنى أعرفه وأحفظ قوله .

٥٤ — بيد أن المخلص لم يقابل شتيمتهم بمثلها بل أخذ يقارعهم الحجة بالحجة قائلا « إن كنت أمجد نفسى فليس مجدي شيئا »، أى أنى لو ادعيت لنفسى شيئا من المجد أو السلطان أو القوة خلافا لمجد الآب وقوته وسلطانه لكنتم محقين إذا قلتم إن ما ادعيته ليس بشىء ، ولكن « أبى هو الذى يمجدنى » فقد أثبت بمعجزاتى أننى أعظم من الآباء والأنبياء . ٥٥ — والله الآب الذى يمجدنى والذى تدعون أنه إلهكم لستم فى الواقع تعرفونه حق المعرفة ، إذ لو عرفتموه لما أنكرتم شهادته لى . وأما أنا فأعرفه معرفة ذاتية كاملة لأنى واحد معه فى الجوهر . وإن قلت إنى لست أعرفه لكنت كاذبا مثلكم ، والواقع أنى أعرفه أى أعرف سائر صفاته الكاملة وأحفظ قوله لأنه قولى .

أزليته :

٥٦ — أبوكم إبرهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح . ٥٧ — فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد . أفرأيت إبرهيم . ٥٨ — قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبرهيم أنا كائن . ٥٩ — فرفعوا حجارة ليرجموه . أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا فى وسطهم ومضى هكذا .

٥٦ — ونظرا لأنهم استشهدوا بموت إبرهيم على صحة رأيهم فقد بين لهم السيد أن إبرهيم هذا تمنى رؤية المسيح المخلص فرآه ولكن بالنية والإيمان، كما يقول الرسول « فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من

بعيد نظروها وصدقوها وحيوها » (عب ١١ : ١٣) ، ولما أمره الله بذبح ابنه عاين مثال الصلب لأن ذبح إسحق كان رمزا لصلب المسيح(١). ٥٧ — وتبادر إلى ذهن اليهود من قول مخلصنا عن إبرهيم إنه رأى يومه وفرح أنه رآه رأى العين، فقالوا له « ليس لك خمسون سنة بعد ، أفرأيت إبرهيم » وقد مات منذ أكثر من ألفى سنة ، إن هذا لأمر مستحيل . ٥٨ — وهنا أفصح لهم عن لاهوته وأزليته بقوله « قبل أن يكون إبرهيم أنا كائن »(٢) . ٥٩ — فلم يسعهم إزاء هذا إلا أن يتناولوا حجارة ليرجموه ، أما هو فحتى لا يستفحل شرهم غادر الهيكل مجتازا فى وسطهم . وحدث ذلك إما بكيفية غير منظورة بأن أخفى لاهوته ناسوته ، وإما بالطريقة العادية وهى اختفاؤه بين الجماهير المحتشدة فى الهيكل، وذلك رغبة منه فى أن يضع لنا مثالا فى وجوب الهرب من غضب المتكبرين(٣).

إنجيل القداس

(يو ٦ : ٢٢ — ٢٧)

الطعام الباقى

تمهيد :

بعد أن صنع المخلص معجزة الأرغفة الخمسة والسمكتين ألزم تلاميذه أن

(١) **تقدمات الأقدمين** : لقد قدم آدم وأبناؤه تقدمات للرب (تك ٤ : ٣) ، وبنى نوح مذبحا وقدم عليه تقدمة (تك ٨ : ٢٠) ، وكذلك فعل إبرهيم (تك ١٢ : ٧ ، ٩) وإسحق (تك ٢٦ : ٢٥) ، ويعقوب (تك ٣٣ : ٢٠) ، وقدمت العشور (تك ١٤ : ٢٠) ، ونذرت النذور (تك ٢٨ : ٢٢) ، وحفظ السبت (خر ١٦ : ٢٣) وكل هذه التقدمات إنما تدل على إيمان مقدميها بالمسيح المنتظر وترمز إليه .

(٢) **طبيعة السيد المسيح الواحدة** : إن لفظة «أنا» فى هذه الآية من أقوى الأدلة على بطلان دعوى الطبيعتين بعد الاتحاد إذ لا تدل على التثنية بل على الوحدة المنزهة عن الاختلاط أو الامتزاج .

(٣) أنظر أيضا (لو ٤ : ٣٠ ، يو ١٠ : ٣١) .

يسبقوه فى السفينة إلى العبر حتى يصرف الجموع ، ثم صعد إلى الجبل وحده ليصلى . ولما صار المساء أراد أن يلحق بالتلاميذ، ولكن لأنه لم توجد إلا سفينة واحدة وهى التى ركبوها فقد مشى إليهم على الماء . أما الجموع فقد انتقلوا بالسفن إلى كفرناحوم فى الغد يطلبونه ، ولما وجدوه فى عبر البحر ألقى عليهم خطابه عن خبز الحياة . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يشير إلى تطلع النفوس إلى يسوع مشبعها بطعامه الروحى، وإلى جلاله الإلهى بصفته معطيا لهذا الطعام وداعيا للعمل له :

التطلع الى يسوع :

٢٢ — وفى الغد لما رأى الجمع الذين كانوا واقفين فى عبر البحر أنه لم تكن هناك سفينة أخرى سوى واحدة وهى تلك التى دخلها تلاميذه وأن يسوع لم يدخل السفينة مع تلاميذه بل مضى تلاميذه وحدهم . ٢٣ — غير أنه جاءت سفن من طبرية إلى قرب الموضع الذى أكلوا فيه الخبز إذ شكر الرب . ٢٤ — فلما رأى الجمع أن يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه دخلوا هم أيضا السفن وجاءوا إلى كفرناحوم يطلبون يسوع .

٢٢ — لما شاهدت الجموع معجزة الأرغفة الخمسة قالوا « إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم ، وأما يسوع فأذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا » (يو ٦ : ١٥) ، ألزم تلاميذه أن يسبقوه إلى العبر إلى كفرناحوم ثم انصرف وحده إلى الجبل ليصلى . وفى المساء لحق بهم ماشيا على الماء لأنه لم تكن هناك غير السفينة التى ركبوها . وأما الجموع فكانت فى حيرة لأنها تعلم أنه لا يمكن أن يمر على الشاطىء دون أن يروه . ٢٣ — وفى الغد لما جاءت سفن كثيرة من طبرية إلى مكان المعجزة ٢٤ — ركبوها واتجهوا إلى كفرناحوم باحثين عنه ، ولعلهم سمعوا بذهابه إليها أو رجحوا ذلك لكثرة تردده هناك .

جلال الألوهية :

٢٥ — ولما وجدوه فى عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت

هنا . ٢٦ — أجابهم يسوع وقال الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم . ٢٧ — اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحيوة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قدختمه .

٢٥ — ولما وجدته الجموع سألته متى وكيف صرت هنا ، ٢٦ — ويسوع لم يجب على ما طلبوا حتى لا يضطر إلى ذكر مجيئه ماشيا على الماء مع ما ينطوى عليه هذا من الافتخار ، بل آثر إجابتهم بما هو أنفع لهم روحيا ، فبين أنهم ما تبعوه بسبب الفوائد الروحية التى جنوها من معجزاته بل لأنهم أكلوا من الخبز وشبعوا ، فكان هذا تبكيتا لهم على كون أهدافهم جسدية دنيوية ، وعلى أنهم لم يشعروا باحتياجهم إلى بركاته الروحية . بيد أنه ٢٧ — كما ارتقى بتفكير المرأة السامرية من الماء الجسدى إلى الروحى هكذا انتقل بهم هنا من البركات الجسدية إلى الروحية بقوله « اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية »، فالطعام البائد مصيره إلى الزوال كما قال عنه الرسول « الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك » (١ كو ٦ : ١٣)(١) ، وأما الطعام الباقى فهو الذى يؤدى إلى الحياة الأبدية(٢) ، « لأن ليس ملكوت الله أكلا وشربا . بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس » (رو ١٤ : ١٧) . ويريد المخلص بقوله « اعملوا » أن نكد ونجتهد فى طلب هذا الطعام الروحى ، لأن من يهتم بالفانى دون الباقى هو أشبه بالحيوان منه بالأنسان .

ومضى رب المجد يقول إن هذا الطعام الباقى لا يقدمه للمؤمنين إلا « ابن الإنسان » وحده وذلك على حد قوله سابقا للسامرية « ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد » (يو ٤ : ١٤) ، وهذا يفسر قول بطرس له « يا رب إلى من نذهب . كلام الحياة الأبدية عندك » (يو ٦ : ٦٨) . ثم

(١) **الطعام البائد** : فى رسالة البولس لهذا اليوم ص ٢٩٤ بعض ألوان هذا الطعام البائد .

(٢) **الطعام الباقى** : « وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف . ضد أمثال هذه ليس ناموس . ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٢ — ٢٤) .

يقرر مخلصنا عن نفسه أن « الله الآب قد ختمه » أى كما فسر يوحنا فم الذهب « قد عينه منذ الأزل لإعطاء الطعام الذى للحياة الأبدية ؛ وذلك بأعلانه وإشهاره عند اعتماده بصوته من السماء قائلا هذا هو ابنى الحبيب . فكأن الآب ختم بذلك وأقر أن يسوع هو ابنه وأنه المسيح الموعود به منذ الأزل . وهذا القول مأخوذ من أعمال الناس العادية إذ أنهم يتخذون الختم للتثبيت (١ مل ٢١ : ٨ ، أس ٣ : ١٢) »(١).

بيد أنه لا يجب أن يتبادر إلى الذهن أن يسوع يحث على ترك العمل للطعام البائد يحبذ القعود عن عمارة العالم والركون إلى البطالة وهى مصدر كثير من الشرور ، إنما هو يريد أن ينصرف همنا الأكبر لا إلى ما يزول من مقتنيات العالم وهمومه التى لا يليق بنا منها إلا الكفاف ، بل إلى ما لا ينزع منا ، إلى تلك البركات الروحية ، إلى ذلك النصيب الصالح الذى اختارته مريم دون أختها مرثا .

الأحد الثانى من شهر أمشير

المزامير والأناجيل :

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « تقدمة المخلص » لشعبه ، فأنجيل العشية يتكلم عن الأيمان به على أثر رؤية معجزاته ، وإنجيل باكر عن خلاصه للذين يؤمنون به ، وأنجيل القداس عن تقدمته لشعبه بأعتباره النبى الآتى إلى العالم الذى كان اليهود يعتقدون أن من وظيفته إشباعهم من الخبز كما فعل موسى فى البرية :

مزمور العشية : (١٤ : ١، ٣)

يبين هذا المزمور أن الذى يستحق شرف الوجود فى الحضرة الألهية هو الذى يعمل الخير ويميل قلبه إلى الحق فيقول « يا رب من يسكن فى مسكنك . أو من يحل فى جبل قدسك . إلا السالك بل عيب . ويعمل البر ويتكلم الحق فى قلبه » .

(١) أنظر تفسير المشرقى جزء ٢ صفحة ٤٧٥ .

انجيل العشية : (يو ٤ : ٤٦—٥٣)

يتكلم هذا الفصل عن الأيمان بالمخلص على أثر رؤية معجزاته ، ودليل ذلك أنه عقب قول المخلص لخادم الملك إذهب ابناك حى « فآمن هو وبيته كله » .

مزمور باكر : (٢٣ : ٣، ٤)

ويؤدى هذا المزمور نفس المعنى الذى يؤديه مزمور العشية فيقول « من يصعد إلى جبل الرب . أو من يقوم فى موضع قدسه . الطاهر بيديه . النقى بقلبه» .

انجيل باكر : (يو ٣ : ١٧—٢١)

ويشير هذا الفصل إلى الخلاص الذى يمنحه الرب يسوع لمن يؤمنون به ، ودليل ذلك قوله لسامعيه عن نفسه « الذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن قد دين » .

مزمور القداس : (٩٥ : ٦، ٧)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل من أن الجموع مجدت يسوع بقولها عنه إنه « النبى الآتى إلى العالم » ، وذلك عقب أن أشبعها من الخمسة الأرغفة والسمكتين فيقول « قدموا للرب يا جميع أبوات الأمم . قدموا للرب مجدا وكرامة . قدموا للرب مجدا لاسمه ، احملوا الذبائح وانطلقوا فادخلوا ديارة . اسجدوا للرب فى داره المقدس » .

انجيل القداس : (يو ٦ : ٥—١٤)

ويتكلم هذا الفصل عن تقدمة المخلص لشعبه إذ أشبعهم من الخبز فمجدوه قائلين « هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » ، لأنهم كانوا يعتقدون أن من وظيفة هذا النبى الذى أنبأ به موسى (تث ١٨ : ١٥) أن يشبعهم من الخبز كما أشبعهم موسى من المن فى البرية .

الرسائل :

تتكلم هذه الرسائل الثلاث عن موضوع واحد هو غذاء الأنجيل ، فالبولس يتكلم عن عظمة مقدمه التى رمز إليها بعظمة ملكى صادق الذى قدم الخبز

والخمر لإبرهيم ، والكاثوليكون يحذر من قبول من ينادون بما يخالف الأنجيل ، والأبركسيس يهيب بالخدام أن يثابروا على هذا التعليم :

البولس : (عب ٧ : ١—١٧)

لما انتصر أبرام على أعدائه خرج ملكى صادق ملك سالم لاستقباله وقدم له خبزا وخمرا وباركه ، فأعطاه أبرام عشرا من كل شىء (تك ١٤ : ١٨ — ٢٠) . ولما كان ملكى صادق هذا ملكا وكاهنا ، إذ هو ملك سالم أى ملك السلام وكاهن الله العلى ، فقد كان رمزا للسيد المسيح رئيس كهنتنا وملك السلام الذى قدم لنا خبزا وخمرا هما جسده ودمه المقدسان ، وقيل عنه لذلك « أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق » (مز ١١٠ — ٤) . ويتكلم الرسول عن عظمة ملكى صادق فيقول « ثم انظروا ما أعظم هذا الذى أعطاه إبرهيم رئيس الآباء عشرا أيضا من رأس الغنائم » . والعشر الذى قدمه إبرهيم لملكى صادق من كل شىء إنما هو إشارة إلى الفم أحد الحواس العشرة الباطنة والظاهرة الذى يجب أن نعترف به للكاهن بخطايانا حتى ننال المغفرة والبركة من الله .

الكاثوليكون : (٢ يو ١ : ١—١٣)

وفى هذه الرسالة يبدى الرسول مخاوفه « لأنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتيا فى الجسد » ، ويوصى كيرية المختارة وأولادها قائلا « إن كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام » .

الأبركسيس : (أع ١٨ : ٩—٢١)

وهنا تهيب الكنيسة بخدام الأنجيل أن يثابروا على التعليم الصحيح لا يثنيهم عن ذلك أحد أسوة ببولس الرسول الذى قال له الرب فى رؤيا الليل « لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأنى أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك » .

إنجيل العشية

(يو ٤ : ٤٦ — ٥٣)

شفاء ابن خادم الملك

تمهيد :

كان لا بد لرب المجد وهو فى طريقه من اليهودية إلى الجليل أن يجتاز السامرة ، وقد قضى فيها يومين حيث آمن به كثيرون من أهلها بسبب حديثه المشهور مع المرأة السامرية ، وبسبب ما سمعوه من تعاليمه المحيية . ولما سمع بعد اليومين أن هيرودس ألقى بيوحنا المعمدان فى السجن انصرف إلى الجليل إذ ، على حد قوله ، لا كرامة لنبى فى وطنه (يو ٤ : ٢٤) ، ودليل ذلك أنه لما كان فى وطنه الناصرة بهت أهلها من تعليمه « وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات. أليس هذا ابن النجار » (مت ١٣ : ٥٤ — ٥٥) .

ولما جاء إلى الجليل قبله أهلها لأنهم سمعوا بتحويله الماء خمرا ، وعاينوا مافعل فى أورشليم فى العيد من إخراج الباعة من الهيكل . وفى قانا الجليل شفى ابن خادم الملك . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يبين أن يسوع هو الملجأ لجميع المحتاجين إلى الشفاء ، وأنه يتحنن عليهم ويبرئهم من أسقامهم ، وأنهم يؤمنون به حين يشاهدون أعمال الشفاء الخارقة التى يجريها :

يسوع ملجأنا :

٤٦ — فجاء يسوع أيضا إلى قانا الجليل حيث صنع الماء خمرا. وكان خادم للملك ابنه مريض فى كفرناحوم . ٤٧ — هذا إذ سمع أن يسوع قد جاء من اليهودية إلى الجليل انطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفى ابنه لأنه كان مشرفا على الموت .

٤٦ — لما جاء المخلص إلى قانا الجليل سمع بمقدمه خادم للملك كان له ابن مريض بحمى شديدة فى كفرناحوم ، ٤٧ — فجاء إليه من اليهودية إلى الجليل ملتمسا أن يصحبه إلى حيث المريض ليشفيه إذ كان مشرفا على الموت . ولا شك أن إيمان هذا الخادم كان ضعيفا إذ ظن أن المخلص لا يستطيع أن يشفى إلا حيث يكون المريض ، وهو خطأ شبيه بالذى وقعت فيه مرثا حين قالت لمخلصنا عن لعازر أخيها « لو كنت ههنا لم يمت أخى » (يو ١١ : ٢١) . والواقع أن مخلصنا يعمل كثيرا من معجزاته بمجرد كلمة أو أمر ، وفى أماكن بعيدة عن الموضوع ، وهذا من خصائص القدرة الألهية ولا يقدر عليه مخلوق . فهنا فى قانا الجليل مثلا

شفى ابن خادم الملك المريض فى كفرناحوم كما سنرى ، وفى الطريق شفى ابنة الكنعانية وهى على فراشها فى البيت (مت ١٥ : ٢٨) ، وهذه معجزات لا تدع لمنكريها مجالا للتشكك فى حقيقتها بدعوى أنها مصنوعة بواسطة ، كقوة الشيطان مثلا أو بقوة طبيعية ، لأن القوة الطبيعية لا يمكن أن تعيد الحياة إلى ميت أو البصر إلى مولود أعمى . هذا إلى أن القوة الطبيعية تستخدم وسائل مناسبة لغرضها فى حين أن المخلص استخدم أحيانا وسائط مضادة لعمله المقصود كأعادة البصر للمولود أعمى بطلاء عينيه بالطين . ويضاف إلى ذلك أن الأعمال الطبيعية تعمل عملها بمباشرة الموضوع وإتمامه بطيلة الزمن ، فى حين أن السيد كان يصنع كثيرا من آياته بمجرد اللمس أو الكلمة أو الإرادة ، وفى أماكن بعيدة عن الموضوع .

عطف على طالبيه :

٤٨ — فقال له يسوع لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب .
٤٩ — قال له خادم الملك يا سيد انزل قبل أن يموت ابنى .
٥٠ — قال له يسوع اذهب . ابنك حى . فآمن الرجل بالكلمة التى قالها له يسوع وذهب .

٤٨ — ويظهر أن إيمان هذا الخادم كان يشوبه بعض الشك ، فقد كان يتوقع أن يرى معجزة قبل أن يضع ثقته فى المخلص ، وهذا ما حمل يسوع على مخاطبته قائلا « لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب » . ٤٩ — إلا أن شدة الحزن ملكت عليه مشاعره فلم يلق بالا إلى قول المخلص ، واندفع يلح عليه فى النزول لشفاء ابنه قبل أن يموت ، معتقدا أن حضوره لا بد منه للشفاء ، وأنه لا يستطيع شيئا بعد حدوث الوفاة . ٥٠ — ورب المجد رفض الذهاب معه حتى لا يعتقد أن حضوره ضرورى للشفاء ، وليقنع الجميع بأن الشفاء مستطاع لديه فى القرب والبعد على السواء ، ولهذا قال للرجل « اذهب . ابنك حى » ، وهكذا بكلمة أبرأه من ضعف الإيمان ، وأبرأ ابنه من موت محقق . ولو قيست هذه الحالة على حالة قائد المائة التى ذكرها متى (مت ٨ : ٥ — ١٠) لرأينا البون شاسعا ، فالقائد طلب إلى المخلص فى إيمان عظيم ألا يحضر بل يقول كلمة فيبرأ غلامه فأعلن

يسوع إيمانه بالمضى إليه ، أما هنا فزاد السيد فى إيمان خادم الملك برفض الذهاب معه .

إيمانهم به :

٥١ — وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه قائلين إن ابنك حى. ٥٢ — فاستخبرهم عن الساعة التى فيها أخذ يتعافى فقالوا له أمس فى الساعة السابعة تركته الحمى. ٥٣ — ففهم الأب أنه فى تلك الساعة التى قال له فيها يسوع إن ابنك حى . فآمن هو وبيته كله .

٥١ — ولما سمع الرجل قول السيد « ابنك حى » آمن على الفور وقفل راجعا إلى بيته ، وفيما هو فى الطريق قابله عبيده يحملون بشرى شفاء المريض . ٥٢ — وكأنه أراد أن يستوثق أن الشفاء لم يأت عرضا فسأل العبيد عن الساعة التى تخلص فيها المريض من الحمى فأجابوه بأنها السابعة أى الثانية بعد الظهر . ٥٣ — فثبت لديه أنها اللحظة بعينها التى قال له فيها يسوع ابنك حى . وكانت النتيجة الطبيعية أن آمن وأهل بيته بيسوع أنه مخلص الجميع(١).

إنجيل باكر

(يو ٣ : ١٧ — ٢١)

خلاص الذين يؤمنون بيسوع

(راجع قداس اليوم الرابع عشر من بابه)

إنجيل القداس

(يو ٦ : ٥ — ١٤)

الخمسة الأرغفة والسمكتان

٥ — فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعا كثيرا مقبل إليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء . ٦ — وإنما قال هذا ليمتحنه لأنه هو علم ما هو

(١) ابن خادم الملك : جاء فى بعض كتب التفسير المخطوطة أن خادم الملك هو إشارة إلى آدم ، والملك هو الله ، وابن الخادم هو فكر آدم الذى مرض بالمعصية .

مزمع أن يفعل . ٧ — أجابه فيلبس لا يكفيهم خبز بمائتى دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئا يسيرا . ٨ — قال له واحد من تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس . ٩ — هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان . ولكن ما هذا لمثل هؤلاء . ١٠ — فقال يسوع اجعلوا الناس يتكئون . وكان فى المكان عشب كثير . فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف . ١١ — وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ والتلاميذ أعطوا المتكئين . وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا . ١٢ — فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكى لا يضيع شىء . ١٣ — فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التى فضلت عن الآكلين . ١٤ — فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم .

(راجع قداس الأحد الخامس)

الأحد الثالث من شهر أمشير

المزامير والأناجيل :

تدور فصول الأنجيل الثلاثة ومزاميرها حول موضوع واحد هو « الطعام الروحى » الذى يقدمه المخلص لشعبه ، فأنجيل العشية يتكلم عن مصدره الألهى ، وإنجيل باكر عن دينونة من لا يحفظونه ، وإنجيل القداس عن حياة الذين يقبلونه :

مزمور العشية : (١٦ : ١٣، ٣)

يشير هذا المزمور إلى حالة المؤمن الذى يحيا بالبر الذى فى المسيح يسوع ، ويشبع حينما يظهر مجده فيقول « وأنا بالبر أتراءى لوجهك . وأشبع عندما يظهر مجدك . جربت قلبى . وتعهدتنى ليلا » .

انجيل العشية : (يو ٥ : ٣٩ — ٤٧)

يتكلم هذا الفصل عن المصدر الألهى لأنجيل مخلصنا الذى كان يجب أن يحمل اليهود على الأيمان به ، ولكنهم لقساوة قلوبهم رفضوه ولذلك وبخهم قائلا « كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض . والمجد الذى من الأله الواحد لستم تطلبونه » .

مزمور باكر : (٨٨: ٣٠،٢٩)

يبارك هذا المزمور الرب الذى جاء نورا للعالم ، ويستمطر رحمته بمناسبة قول فصل الأنجيل « الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير » فيقول « مبارك الرب إلى الدهر . يكون يكون . أين هى مراحمك الأول يا رب . التى حلفت بها لداود بالحق » .

انجيل باكر : (يو ١٢: ٤٤—٥٠)

يتكلم هذا الفصل عن دينونة الذين لا يقبلون كلام المخلص ، ودليل ذلك قوله « من رذلنى ولم يقبل كلامى فله من يدينه . الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير » .

مزمور القداس : (٨٨: ١، ٥)

يسبح هذا المزمور الرب على مراحمه التى تتمثل فى خبز الحياة الذى يقدمه للمؤمنين به ، ثم يبين أنه له المجد لا شبيه له لأنه وحده رأى الآب كما جاء بفصل الأنجيل فيقول « مراحمك يا رب أسبحها إلى الدهر . أخبر بحقك بفمى . لأن من فى السحاب يساوى الرب . ومن يشبه الرب فى أبناء الله » .

انجيل القداس : (يو ٦: ٢٧—٤٦)

يشير هذا الفصل إلى حياة الذين يتناولون من الخبز الروحى الذى يقدمه السيد للمؤمنين به ، حيث جاء فيه قول المخلص « أنا هو خبز الحياة . من يقبل إلىّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » .

الرسائل :

تتكلم هذه الرسائل عن موضوع واحد هو «الطعام الروحى» الذى يقدمه المخلص ، فالبولس يتكلم عن عقاب رافضيه ، والكاثوليكون عن ضرورة الثبات فيه ، والأبركسيس عن تعزية الذين يحفظونه :

البولس : (عب ٣: ١—٤: ١—٢)

تؤيد هذه الرسالة ما جاء بفصل إنجيل القداس من أن الذين يسمعون كلام

الله يحيون ، فتشير إلى حادثة بنى إسرائيل الذين قسوا قلوبهم أربعين سنة فسقطوا فى القفر ولم يدخلوا أرض الميعاد فتقول « لذلك مقت ذلك الجيل وقلت إنهم دائما يضلون فى قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سبلى . حتى أقسمت فى غضبى لن يدخلوا راحتى » ، ويوصى الرسول قائلا « فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد فى عبرة العصيان هذه عينها » .

الكاثوليكون : (يه ١: ١٤—٢٥)

يذكر الرسول أنه فى الزمان الأخير سيكون قوم مستهزئون سالكون بحسب شهوات فجورهم ، ولذلك يوصى أحباءه بالثبات على الأيمان حتى يفوزوا بالحياة الأبدية فيقول « وأما أنتم أيها الأحباء فابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس مصلين فى الروح القدس واحفظوا أنفسكم فى محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية » .

الأبركسيس : (أع ٢٠: ٧—١٦)

يذكر هذا الفصل حادثة الشاب افتيخوس الذى غلب عليه النوم لما أطال معلمنا بولس الخطاب فسقط من الطبقة الثالثة وحمل ميتا ، فنزل بولس ووقع عليه قائلا « لا تضطربوا لأن نفسه فيه » ، « وأتوا بالفتى حيا وتعزوا تعزية ليست بقليلة » .

إنجيل العشية

(يو ٥ : ٣٩ — ٤٧)

شهادة كتب موسى للمخلص

(راجع عشية الأحد الرابع من طوبة)

إنجيل باكر

(يو ١٢ : ٤٤ : ٥٠)

أنا هو نور العالم

(راجع قداس الأحد الرابع من الخمسين)

إنجيل القداس

(يو ٦ : ٢٧ ـ ٤٦)

كلام المخلص عن خبز الحياة

تمهيد :

ذكرنا فى التمهيد الذى قدمنا به إنجيل القداس للأحد الأول من أمشير الظروف التى ألقى فيها المخلص خطابه عن خبز الحياة . وفصل إنجيل اليوم الذى يتضمن جانبا من هذا الخطاب يلفت فيه المخلص أنظار سامعيه إلى أهمية الأنجيل والإيمان به ؛ ويبين لهم أن كلامه هو خبز الحياة ، وأن جزاء من يؤمن به « ألا يلقى خارجا » ، وأن الإيمان به إنما هو هبة من الله الآب :

أهمية الأنجيل :

٢٧ ـ اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه ؛ ٢٨ ـ فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله . ٢٩ ـ أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله .

٢٧ ـ لما رأى رب المجد أن الجماهير الغفيرة التى أكلت وشبعت من الخمسة الأرغفة والسمكتين أخذت تجد فى طلبه ، أراد أن يحول اهتمامهم عن الأمور الجسدية إلى الروحية فقال لهم « اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية » ، وقد شرحنا هذا القول فى إنجيل القداس للأحد الأول من أمشير . ٢٨ ـ وقد حملت تعاليم المخلص وأعجوبة الخبز الكثيرين منهم على الاهتمام بأمر خلاص نفوسهم فسألوه « ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله » ، أى ما هى الأعمال المرضية أمام الله التى توصلنا إلى هذا الطعام الباقى ، ٢٩ ـ وهنا أوجز لهم المخلص الأجابة فى كلمة فقال « أن تؤمنوا بالذى أرسله » ، لأن الأيمان به إيمانا مقرونا بالأعمال الصالحة شرط أساسى للحياة الأبدية ، لأن الخلاص سداه الأيمان ولحمته الأعمال لا الإيمان وحده كما يزعم بعض الناس .

انه خبز الحياة :

٣٠ ـ فقالوا له فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك . ماذا تعمل . ٣١ ـ آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا .
٣٢ ـ فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . ٣٣ ـ لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حيوة للعالم . ٣٤ ـ فقالوا له يا سيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز . ٣٥ ـ فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحيوة . من يقبل إلى فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا . ٣٦ ـ ولكنى قلت لكم إنكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون .

٣٠ ـ بيد أن السامعين لم يروا فى آية تكثير الخبز دليلا كافيا يحملهم على الأيمان بيسوع فطالبوه بآية جديدة ، ٣١ ـ ودعموا طلبهم بدليل من الكتاب يتضح منه أن موسى عال آباءهم فى القفر أربعين سنة بالمن النازل من السماء ، وهو معجزة أعظم من معجزة الأرغفة الخمسة والسمكتين ، ومع ذلك لم يقل بأنه المسيح وابن الله ، وبناء على هذا فطالبهم بالأيمان به تستدعى أن يصنع معجزة أعظم . ٣٢ ـ فرد عليهم قائلا « ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء » أى أن المن لم يكن من السماء بل من الجو ، ٣٣ ـ وأما الخبز الحقيقى الذى يحيى النفس لا الجسد ، والذى كان المن رمزا له ، فهو النازل من السماء العليا أى ابن الله حقيقة . ووصفه المخلص بأنه « الواهب حياة للعالم » لا لبنى إسرائيل فحسب ، ولا لمدة أربعين سنة بل إلى انقضاء الدهر ، وهو إشارة إلى جسده ودمه الأقدسين.

٣٤ ـ ولقد التبس الأمر على اليهود الجسديين فظنوا أن السيد يخاطبهم عن خبز جديد يهب الحياة الدائمة لمتناوليه ، وطلبوا منه أن يعطيهم إياه كل حين ، وهكذا التبس الأمر من قبل على المرأة السامرية فقالت للمخلص « يا سيد أعطنى من هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى إلى هنا لأستقى » (يو ٤ : ١٥) . ٣٥ ـ وكما قال لها « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا . ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٤ ـ ١٥) ، هكذا قال لسامعيه هنا « أنا

هو خبز الحياة . من يقبل إلىّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » ، وبهذا القول أوضح أنه بنعمته وروحه يغذى المؤمنين ليحيوا دائما ، ويقيهم بجسده فتحيا نفوسهم ، فهو يكمل احتياجات النفس وسعادتها ، والذين لا يقبلونه يعانون على الدوام آلام الحرمان من خيراته الروحية . ٤٦ ـ ثم أخذ يوبخهم على قساوة قلوبهم ، إذ بعد ما رأوا معجزاته طالبوه بآية أخرى ليؤمنوا به .

وحياة قابليه :

٣٧ ـ كل مايعطينى الآب فألىّ يقبل ومن يقبل إلىّ لا أخرجه خارجا . ٣٨ ـ لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى . ٣٩ ـ وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئا بل أقيمه فى اليوم الأخير . ٤٠ ـ لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حيوة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير .

٣٧ ـ استطرد رب المجد بعد ذلك يبين لسامعيه جزاء من يؤمن به منهم فقال إن هؤلاء ، وهم الذين أعطاهم له الآب ، أى اختارهم حسب سابق علمه ليكونوا تلاميذه ، يقبلون إليه أى يقبلونه مخلصا بمحض اختيارهم ، وهو لا يخرجهم خارجا ، أى لا يرفضهم بل يسر بأقبالهم إليه ، ويحميهم من المضلين وفقا لقوله « وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى . أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى » (يو ١٠ : ٢٨ ـ ٢٩) ، وفوق ذلك فهو يستجيب طلباتهم ويعينهم .

٣٨ ـ ثم مضى يعلل هذا التصرف من جانبه بقوله « لأنى نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى » ، وليس معنى هذا أن له بعد الاتحاد مشيئتين لكل منهما فعل مخصوص فى زمان مخصوص ومكان مخصوص بل مشيئة واحدة ، لأن اتحاد ذات الله بذات الإنسان اتحادا جوهريا حتى صارتا واحدا يستلزم حتما اتحاد المشيئتين ، لأن اتحاد الأصل يتبعه اتحاد الفرع ، وبناء على هذا فجملة أفعاله وأقواله الضعيفة منها والقوية لا تنسب إلا إلى المشيئة الأهية إذ كانت هى العلة فى جميعها ، ومادام الفاعل واحدا فتثنية المشيئة مستحيل . هذا

ولا يمكن أن يكون للابن مشيئة غير مشيئة الآب ، ودليل ذلك قوله « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) ، وهذه الوحدة هى فى الذات وتستلزم الوحدة فى الصفات ، وبذلك تكون مشيئتهما واحدة(١) ، ويكون قصد المخلص

(١) **المشيئة الواحدة** : تعتقد الكنائس القبطية والحبشية والسريانية والأرمنية أن للسيد المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، وتخالفها فى ذلك الكنائس الكاثوليكية واليونانية والبروتستنتية إذ تعتقد بطبيعتين ومشيئتين لله الكلمة الأزلى المتجسد ، ويقتصر البحث هنا على موضوع المشيئة .

كانت عقيدة المشيئة الواحدة لله الكلمة الأزلى المتجسد مسلما بها من الجميع فى الكنيسة المسيحية حتى أواخر القرن السابع حين عقد الامبراطور قسطنطين الليحانى (٦٦٨ ـ ٦٨٥ م) مجمعا بالقسطنطينية تحت رياسة بطريركها تقررت فيه بدعة المشيئتين ، ولعل المجمع استند فى قراره هذا على تفسير خاطىء لقول السيد « إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » (مت ٢٦ : ٣٩) ، وقوله « إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك » (مت ٢٦ : ٤٢) . ولكن الثابت أن المخلص قصد بهذه الصلاة تعليم الناس أن يستعملوا هذه الألفاظ بعينها إذا ما وقعوا فى تجربة ، وأن يطرحوا مشيئتهم جانبا ويفوضوا أمرهم إلى الله ، لأنهم إن لم يطرحوا مشيئتهم اختيارا وهم مشكورون فهم يطرحونها اضطرارا وهم مذمومون ، ولا شك أن التعليم بالقدوة لأبلغ بكثير من التعليم بالقول .

هذا إلى أن السيد إنما نطق بهذا الكلام نيابة عن آدم الذى عصى إرادة الله ، فكأنه يقول حيث أن آدم تصرف طوع إرادته فهأنا لبست جسده وأتممت إرادتك فأغفر له وعوضا عنه أقول « لا كما أريد أنا بل كما تريد أنت » .

وعقيدة المشيئة الواحدة ثابتة من وجوه كثيرة ، فأذا كان المؤمنون يستطيعون أن يكونوا واحدا مع الله ، على حد قول السيد « ليكونوا هم أيضا واحدا فينا » (يو ١٧ : ٢١) ، وهذه الوحدة هى فى المشيئة طبعا لا فى الذات ، فمن باب أولى يكون ذلك مستطاعا عند اللاهوت والناسوت وبخاصة بعد اتحادهما ذاتيا .

ومعلوم أن الأدنى إذا اتصل بالأعلى انقاد إليه ، فكما ينقاد الجسم والحواس للنفس انقياد الآلة للفاعل ، وكما تنقاد النفوس للجواهر العالية ، هكذا انقياد ناسوت المسيح للاهوته ، وإن كان له مشيئة من قبل ما هو به إنسان ، إلا أنه ما عمل بها بمفردها عملا يختص بها ، وهكذا تنسب كل أفعاله وأقواله إلى المشيئة الأهية التى اتحدت بالمشيئة الأنسانية ، فالمشيئة إذاً واحدة . =

من قوله « ليس لأعمل مشيئتى » هو نفى العمل عن المشيئة لا نفيها نفسها . ٣٩ — ثم أخذ المخلص يحدد مشيئة الآب الذى نزل من السماء ليعملها بقوله « إن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئا » ، فلا العالم ولا الشيطان ولا الموت يستطيع أن يفصل المؤمنين عن يسوع لأنه القائل « حين كنت معهم فى العالم كنت أحفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب » (يو ١٧ : ١٢) ، وفوق ذلك فهو يقيمهم فى اليوم الأخير . ولما كان جميع الناس يقومون فى اليوم الأخير من موت الجسد فيكون قصده قيامة مختاريه من موت الخطية إلى الحياة الأبدية السعيدة التى هى ثمرة عمل الفداء . وقيامتهم تكون فى شبه جسد المسيح فترجع أنفسهم إلى أجسادهم لتشاركها فى المجد (فى ٣ : ٢١) ، أما الأشرار فقيامتهم تكون إلى العذاب الأبدى . ٤٠ — ولئلا يظن السامعون أن الخلاص متعلق بقضاء الله وقدره وأنه لا دخل لأرادة الإنسان فيه ، عاد فقرر صراحة أن الأمر فيه متروك لاختيار الإنسان وإرادته الحرة « فكل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية » ، أى أن كل من وجه عينى

= والقول بالمشيئتين يستلزم البحث فى هل مشيئة الناسوت وافقت مشيئة اللاهوت فى الألم والصلب والموت ، فأن وافقتها فليست هناك مشيئتان ، وإن خالفتها لزم معاندة الناسوت للاهوت وهذا باطل ومناقض لقول الرسول عن المسيح « وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فى ٢ : ٨) ، والأخذ به يضع المسيح فى رتبة دون رتبة الشهداء والقديسين الذين بذلوا أنفسهم للموت اختيارا ، وهذا مالا يقول به أحد .

وإذا كان الأنبياء والرسل والأبرار الذين طرحوا مشيئتهم جانبا وساروا حسب مرضاة الله قد دعوا أبناء الله على حد قول الرسول « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله » (رو ٧ : ١٤) ، فكم بالأكثر من اتصل باللاهوت نفسه وصار هو وإياه واحدا .

هذا ولو قلنا إن المسيح بعد الاتحاد عمل عملا يختص بالناسوت وحده لكان ذلك مناقضا لقوله « لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى » (يو ٦ : ٣٨) ، أما وهو لم يفعل فقد ثبتت مشيئته الواحدة (أنظر كتاب القول الصحيح فى آلام السيد المسيح للقديس بطرس البندمنتى ص ١١٦ — ١٣٢) .

بصيرته إلى المسيح قصدا واختيارا خلص ، ومن نظر إليه بالعين الظاهرة وبعين العقل دون أن يؤمن به فدينونته عظيمة .

وقبة الآب :

٤١ — فكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذى نزل من السماء . ٤٢ — وقالوا أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه . فكيف يقول هذا إنى نزلت من السماء . ٤٣ — فأجاب يسوع وقال لهم لا تتذمروا فيما بينكم . ٤٤ — لا يقدر أحد أن يقبل إلىّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . ٤٥ — إنه مكتوب فى الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله . فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إلىّ . ٤٦ — ليس أن أحدا رأى الآب إلا الذى من الله — هذا قد رأى الآب .

٤١ — ولما سمع اليهود قول المخلص « أنا هو الخبز الذى نزل من السماء » تذمروا ٤٢ — وقالوا كيف يقول بهذا ونحن نعرف أباه يوسف وأمه وإخوته ، فكأنهم وقد مر على ميلاده العجيب ثلاثون عاما قد نسوا أو تجاهلوا تعنتا حوادث ذلك الميلاد التى أثبتت أنه ابن الله . ٤٣ — ورب المجد لامهم على هذا التذمر إذ كان حريا بهم وقد أبهم عليهم معنى أقواله أن يسألوه تفسيرا لها أو يطلبوا من الله الاستنارة لفهمها . ٤٤ — واستازم هذا أن يقول لهم « لا يقدر أحد أن يقبل إلىّ إن لم يجتذبه الآب » أو « إن لم يعط من أبى » على حد قوله بعد ذلك بقليل (يو ٦ : ٦٥) ، واجتذاب الآب للمؤمنين يكون بقوة النعمة التى لا ترغم الحرية بل تحرض القلوب وتجعلها راضية بالأتيان إلى المسيح ، « فهو تعالى يحرك الضمير ويقنع العقل فيرهب الإنسان من جهنم ويرغب فى السماء ، ويريه جمال القداسة وقباحة الإثم ، فيجتذب الإنسان من بغض الحق إلى محبته ، ومن الكبرياء إلى التواضع وبالإجمال إلى المسيح الذى هو كنز الفضائل . فالآب يجتذب النفوس ويعطيها للابن والابن يقبلها ويمنحها الحياة »(١). وبولس الرسول يؤيد فعل النعمة فى جذب النفوس إلى الخلاص بقوله « لأنكم بالنعمة

(١) أنظر تفسير المشرق جزء ٢ ص ٤٨١ .

مخلصون بالأيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله » (أف ٢ : ٨) ، وبقوله أيضا « لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضا أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩) ، وهذا يفسر تضرع الحكيم إلى الله بقوله « اجذبنى وراءك فنجرى » (نش ١ : ٤) .

٤٥ — ورغبة فى زيادة سامعيه إيضاحا عن الوسيلة التى يجتذب بها الآب الناس إلى الأيمان قال إنها تعليمهم حقائق كتابه حتى « يكون الجميع متعلمين من الله » إتماما لنبوات الأنبياء(١). وكل من سمع منه بشوق وتصديق آمن بالمسيح . ٤٦ — وأخذ المخلص يفسر كيف يكون الجميع متعلمين من الله فقال « ليس أن أحدا رأى الآب » أى أن الله معلم غير منظور فهو يعلم القلوب لا العيون والآذان ، وبما أنه غير منظور فلا أحد يستطيع إدراك كنهه أو معرفة مقاصده « إلا الذى من الله » أى إلا واحد وحده وهو المسيح كما قال عنه البشير « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر » (يو ١ : ١٨) ، وقال عنه بولس إنه « بهاء مجده ورسم جوهره » (عب ١ : ٣). وعلى ذلك فلا يمكن أن تتم النبوات القائلة « ويكون الجميع متعلمين من الله » إلا بواسطة المسيح وحده الذى قد رأى الآب ، لأنه والآب واحد وهو القائل

(١) **النبوات المشار اليها هى** : ١— « وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيرا » (أش ٥٤ : ١٣) .

٢— « بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب . أجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لى شعبا . ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب لأنى أصفح عن اثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد » (أر ٣١ : ٣٣ — ٣٤) .

٣— « ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبابكم رؤى » (يو ١ : ٢٨) .

٤— « ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه شعوب . وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لأن من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » (مى ٤ : ١ — ٢) .

« ليس أحد يعرف الابن إلا الآب » (مت ١١ : ٢٧) ، وقال أيضا « أنا أعرفه لأنى منه وهو أرسلنى » (يو ٧ : ٢٩) .

الأحد الرابع من شهر أمشير

المزامير والأناجيل:

تدور فصول هذا اليوم حول موضوع واحد هو « خلاص » الذين يتناولون الطعام الروحى الذى يقدمه المخلص لشعبه ، فأنجيل العشية يتكلم عن مغفرته للتائبين منهم ، وإنجيل باكر عن تطهيره لهم من برص الخطية ، وإنجيل القداس عن خلاصه لهم :

مزمور العشية : (٩١ : ٢—٣)

يشير هذا المزمور إلى بهجة الذين ينالون المغفرة من الله كما ورد بفصل الأنجيل ، ويشيد بعظمة صنيعه وعلو أفكاره فيقول « لأنك أفرحتنى يا رب بصنيعك . وبأعمال يديك أبتهج . كم عظمت أعمالك يا رب . وأفكارك عمقت جداً » .

انجيل العشية : (لو ١٧ : ١—١٠)

يتكلم هذا الفصل عن غفران المخلص للتائب مهما تعددت إساءاته وذلك وفقا لقوله « وإن أخطأ إليك سبع مرات فى اليوم ورجع إليك سبع مرات فى اليوم قائلا أنا تائب فاغفر له » ، ويبين أن المغفرة هى أداء لواجب فيقول « متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون . لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا » .

مزمور باكر : (٨٨ : ١٠،٩)

يشير هذا المزمور إلى ما جاء بفصل الأنجيل عن شفاء المخلص للعشرة البرص ، وعودة أحدهم لشكره فيقول « لك هى السموات ولك هى الأرض أيضا . أنت أسست المسكونة وكمالها . مراحمك يا رب أسبحها إلى الدهر . من جيل إلى جيل أخبر بحقك بفمى » .

انجيل باكر : (لو ١٧ : ١١-١٩)

يتكلم هذا الفصل عن تطهير المخلص للمؤمنين به من مرض الخطية ، ودليل ذلك ما صنعه بالرجال البرص إذ يقول عنهم البشير « وفيما هم منطلقون طهروا » .

مزمور القداس : (٢٣ : ١، ٢)

يتكلم هذا المزمور عن امتداد ملكوت المخلص على المسكونة كلها بحارها وأنهارها فيقول « للرب الأرض وكمالها . المسكونة وجميع الساكنين فيها . وهو على البحار أسسها . وعلى الأنهار هيأها » .

انجيل القداس : (لو ١٩ : ١-١٠)

ويشير هذا الفصل إلى خلاص الذين يؤمنون بالسيد ، ودليل ذلك قوله « اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضا ابن إبرهيم » .

الرسائل :

تتكلم هذه الرسائل عن موضوع واحد هو «الطعام الروحى» الذى يقدمه السيد لشعبه ، فالبولس يوصى المؤمنين أن يكونوا فيه برأى واحد ، والكاثوليكون يحرضهم على قبوله بوداعة ، والأبركسيس يتكلم عن إيمان الجميع حين يكرز به بينهم :

البولس : (١ كو ١ : ١-١٦)

فى هذه الرسالة يشكر الرسول الله على نعمته المعطاة لأهل كورنثوس إذ ليسوا « ناقصين فى موهبة ما » ، ثم يوصيهم قائلا « ولكننى أطلب إليكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعا قولا واحدا ولا يكون بينكم انشقاقات بل كونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد » .

الكاثوليكون : (يع ١ : ١٣-٢١)

وفى هذه الرسالة يوصى الرسول المؤمنين بقوله « لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم » .

الأبركسيس : (أع ٨ : ٥-١٣)

ويتكلم هذا الفصل عن كرازة فيلبس بأحدى مدن السامرة والآيات التى صنعها ، وإيمان الكثيرين به حتى سيمون الساحر نفسه ، وفى ذلك يقول « ولكن لما صدقوا فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالا ونساء وسيمون أيضا نفسه آمن » .

إنجيل العشية

(لو ١٧ : ١ — ١٠)

حث التلاميذ على المغفرة

تمهيد :

بعد أن ألقى السيد المسيح أمثال الابن الضال ووكيل الظلم والغنى ولعازر ، إبان خدمته فى برية وقبيل وصوله الأخير إلى أورشليم ، عاد فألقى على تلاميذه تعليمه السامى فى وجوب المغفرة للمسيء التائب . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يتكلم فيه المخلص عن عقاب المسيء الذى تأتى من قبله العثرات ، وعن ضرورة المغفرة له إذا عاد تائباً ، وعن أن هذه المغفرة إن هى إلا أداء لواجب محتوم :

عقاب المسيء :

١ — وقال لتلاميذه لا يمكن إلا أن تأتى العثرات . ولكن ويل للذى تأتى بواسطته . ٢ — خير له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح فى البحر من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار .

١ — بعد أن فرغ السيد المسيح من كلامه على مثل الغنى ولعازر وما اشتمل عليه من إشارة ضمنية إلى العثرة التى شعر ذلك الغنى بأنه سببها للغير بقدوته السيئة (يو ١٦ : ٢٨) ، مضى يحدث تلاميذه عن العثرات فقال « لا يمكن إلا أن تأتى العثرات » ، ويريد بالعثرات كل ما يسبب ضيقا للمؤمنين به أو إهانة لشخصه كالاضطهادات التى حدثت وتحدث للكنيسة فى مختلف العصور ، والهرطقات المتعددة التى نادى وينادى بها أمثال أريوس ونسطور

ومرقيان وغيرهم والتى قال عنها الرسول « لأنه لا بد أن يكون بينكم بدع أيضا ليكون المزكون ظاهرين بينكم » (١ كو ١١ : ١٩) ، وكذا موجة الألحاد والارتداد التى تنتشر ، وبخاصة فى الأزمنة الأخيرة ، وهى التى أشار إليها الرسول بقوله « إنه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الأيمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين » (١ تى ٤ : ١) مع ما تنطوى عليه هذه الإشارة من ظهور المسيح الدجال ، وقيام حالة الارتداد التى تسبقه وهى الحالة التى نبه إليها الرسول بقوله « لا يخدعنكم أحد على طريقة ما لأنه لا يأتى إن لم يأت الارتداد أولا ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك » (٢ تس ٢ : ٣) . ويدخل فى العثرات كذلك الكتب الضارة والمعاثرات الرديئة والمسكرات والخصومات بين الأخوة التى تهدد سلام الكنيسة ، والمنازعات التى تضرم نيران الحروب بين الممالك ، وبالجملة كل تجارب الاثم التى تورد المؤمنين موارد الهلاك ، والتى أشار إليها الرسول بقوله « إنه فى الأيام الأخيرة ستأتى أزمنة صعبة لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم محبين للمال متعظمين مستكبرين مجدفين غير طائعين لوالديهم غير شاكرين دنسين بلا حنو بلا رضى ثالبين عديمى النزاهة شرسين غير محبين للصلاح خائنين مقتحمين متصلفين محبين للذات دون محبة الله لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها » . (٢ تى ٣ : ١ — ٥) .

ويقول المخلص عن هذه العثرات إنه « لا يمكن إلا أن تأتى » ، ولا يعنى بهذا أن الله يجبر الشخص على فعلها ، بل إنه تعالى فى سابق علمه يعلم بحدوثها قبل أن تحصل ، أما فعلها فمتروك لاختيار الشخص وإيثاره . وقد أراد السيد بالقطع بحدوثها أن يوقظ ضمير الفاعل ويمنعه من العمل ، ويمهد له طريق الخلاص لأنه كما أن إيجاد هذه العثرات متعلق بأرادة الشخص كذلك عدوله عن فعلها . وقد حرص رب المجد على أن يبين له أن عدم رجوعه يستتبع تعرضه للقصاص الشديد وفى ذلك يقول « ولكن ويل للذى تأتى بواسطته » ، ومن قبيل ذلك قوله عن يهوذا الأسخريوطى « ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان . كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد » (مت ٢٦ : ٢٤) .

ويشترك مع يهوذا فى هذا المصير أولئك اليهود الذين ما صلبوا يسوع إتماما للمشورة الإلهية المحتومة بل تحت مؤثرات من البغض والحسد والميل إلى الشر .

٢ — ويوضح المخلص هول العقاب الذى يحل بمن يعثر المؤمنين بقوله « خير له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح فى البحر » ، أى أنه لو خير بين عقاب العثرة وهو النار المؤبدة وبين أن يغرق فى البحر فيتعذب إلى حين لاختار الثانى بلا شك ، لأن أعظم الشرور أخف من إقامة العثرات فى سبيل المؤمنين وهم الذين سماهم يسوع صغارا لا لأنهم هكذا بل بحسب ظن الناس فيهم . ومن أجل هذا يوصى الرسول قائلا « كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله كما أنا أيضا أرضى الجميع فى كل شىء غير طالب ما يوافق نفسى بل الكثيرين لكى يخلصوا » (١ كو ١٠ : ٣٢ — ٣٣) ، وهو ترديد لسابق قوله « فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان لأن المسيح لم يرض نفسه » (رو ١٥ : ١ — ٣) .

المغفرة للتائب :

٣ — احترزوا لأنفسكم . وإن أخطأ إليك أخوك فوبخه . وإن تاب فاغفر له . ٤ — وإن أخطأ إليك سبع مرات فى اليوم ورجع إليك سبع مرات فى اليوم قائلا أنا تائب فاغفر له . ٥ — فقال الرسل للرب زد إيماننا . ٦ — فقال الرب لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الجميزة انقلعى وانغرسى فى البحر فتطيعكم .

٣ — وبعد أن حذر الذين يسببون العثرات للغير استطرد يحذر ضحاياها بقوله « وإن أخطأ إليك أخوك فوبخه . وإن تاب فاغفر له » . لقد كانت شريعة العدل تبيح للمعتدى عليه إنذار المعتدى لا الانتقام منه أو الحقد عليه ، كما يتضح من قول الرب فيها « لا تبغض أخاك فى قلبك . إنذارا تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطية . لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك . أنا الرب » (لا ١٩ : ١٧ — ١٨) ، وكذلك قال الحكيم « الانتهار يؤثر فى الحكيم أكثر من مائة جلدة فى الجاهل » (أم ١٧ : ١٠) . أما شريعة الفضل ففيها قد أمر المخلص من لحقه أذى أن يمضى إلى المعتدى ليعاتبه لأن الذهاب إليه يزيده خجلا ويقوده إلى الندم ، وهذا هو ما توخاه عند قوله « وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما » (مت ١٨ : ١٥) ، ولا شك

أن العتاب إذا كان سرا كان أدعى للصلح وأجلب . بيد أنه ليس معنى قوله بعد ذلك « وإن تاب فاغفر له » أنه لا يجب على المؤمن أن يغفر لأخيه إلا إذا تاب ، بل المراد أنه لا يمكن أن يصير الصلح كاملا بين الطرفين المتنافرين إلا إذا اعترف المعتدى بزلته وأظهر الندامة على ما بدر منه ، وعند ذلك فقط تعود المحبة خالصة بينهما .

على أن السيد وإن كان قد أوصى المعتدى عليه هنا بالذهاب لمصالحة المخطىء ، فهو فى موضع آخر قد أمر المخطىء نفسه بفعل ذلك فقال « فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك . وحينئذ تعال وقدم قربانك » (مت ٥ : ٢٣ — ٢٤) ، وهكذا يأمر الخصمين بأن يسعى كل منهما إلى الآخر حتى لا يطول النزاع بينهما .

٤ — وحرصا على عودة الصفاء إلى النفوس ، مهما تعددت الإهانات ، أمر المخلص بالصفح دائماً بقوله « وإن أخطأ إليك سبع مرات فى اليوم ورجع إليك سبع مرات فى اليوم قائلا أنا تائب فاغفر له » . وبطرس فى هذا الصدد تساءل قائلا « يا رب كم مرة يخطىء إلىّ أخى وأنا أغفر له هل إلى سبع مرات قال له يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات » (مت ١٨ : ٢١ — ٢٢) ، ورب المجد لا يقصد هذا العدد من المرات على وجه التحديد بل على سبيل المبالغة والمثال ، ومراده المغفرة دائما ، فكما ننال الرحمة من الله بغير حساب هكذا يجب علينا نحو الغير بغير حساب .

٥ — وما كاد مخلصنا ينتهى بهذه الكلمات من هذا الخطاب العظيم الذى شغل الأصحاحين الخامس عشر والسادس عشر من بشارة لوقا والآيات الأولى من الأصحاح السابع عشر ، حتى شعر التلاميذ باحتياجهم إلى المزيد من الأيمان حتى يقووا على تنفيذ وصاياه لاسيما ما تعلق منها بالمغفرة والنجاة من العثرات ، ولهذا قالوا له « زد إيماننا » . ٦ — أما هو فبين لهم هنا ، كما سبق أن فعل فى حادثة الولد الذى لم يستطع التلاميذ أن يخرجوا منه الروح النجس (مت ١٧ : ١٤ — ١٦) ، أن أبسط قدر من الأيمان الصحيح يكفى لزحزحة الجبال فقال « لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الجميزة انقلعى وانغرسى

فى البحر فتطيعكم »(١) ، لأن قوة الأيمان تأتى بالمعجزات فى عالم المادة وتذلل الصعوبات فى العالم الروحى .

أمر بأداء الواجب :

٧ — ومن منكم له عبد يحرث أو يرعى يقول له إذا دخل من الحقل تقدم سريعا واتكىء . ٨ — بل ألا يقول له أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمنى حتى آكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت . ٩ — فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به . لا أظن . ١٠ — كذلك أنتم أيضا متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون . لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا .

٧ — وتحذيرا للغافرين من أن تأخذهم نشوة الافتخار والتعاظم بعد المغفرة ، أو أن يتوقعوا شكرا على أداء هذا الواجب ، ضرب لهم مثل العبد مع سيده فقال « ومن منكم له عبد يحرث أو يرعى يقول له إذا دخل من الحقل تقدم سريعا واتكىء » ، فكما أن العبد إذا عاد من الحقل لا يحق له أن يتوقع الطعام والراحة قبل أداء الخدمة المنزلية أيضا إلى نهاية النهار فهكذا المؤمنون ، وكل قواهم الجسدية والعقلية والنفسية وقف على خدمة الله أصلا ، لا يحق لهم أن يتوقعوا الراحة واللذة على الأرض بعد العمل القصير ، بل يحق لهم ذلك فى السماء بعد إتمام العمل الشاق الطويل . ٨ — والدليل على صحة ذلك قول السيد لخادمه « أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمنى حتى آكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت » ، ومعناه أنه يجب علينا أن نخدم الله بسرور وتواضع وصبر إلى انقضاء الحياة ، وأن نتكل عليه فى المثوبة على أتعابنا حسبما تقتضيه مشيئته . ٩ — وكما أنه لا فضل لذلك العبد إذا فعل ما أمر به ، ولا حق له أن ينتظر شكرا على أدائه ، ١٠ — كذلك المؤمنون إذا ما قاموا بسائر الفرائض الدينية وجب عليهم أن يقولوا « إننا عبيد بطالون . لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا » ، لأن الله فى غير حاجة إليهم ولا يستفيد من أعمالهم ، أما يقول أيوب « هل من مسرة للقدير إذا تبررت أو من فائدة إذا قومت طرقك » (أى ٢٢ : ٣) ،

(١) شرحنا هذه الآية فى عشية الأحد الرابع من شهر هاتور تحت آية ٢٠ .

وأما يقول أيضا « إن كنت بارا فماذا أعطيته أو ماذا يأخذه منك » (أى ٣٥ : ٧) ، فالواقع أن الله تعالى يعطيهم من نعمه أكثر مما يستحقون ، ويعينهم على القيام بما يجب عليهم نحوه ، وهم مهما اجتهدوا لا يستطيعون أن يعملوا فوق ما هو مطلوب منهم(١)، فلا فضل لهم عنده تعالى سيما وأن « الجميع زاغوا وفسدوا معا . ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد » (رو ٣ : ١٢) ، وأن « الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (رو ٣ : ٢٣) . وبهذه الأقوال وأمثالها يعلمنا المخلص التواضع ونبذ التوانى والكسل ، والابتعاد عن الافتخار والعجب لأنه كما أن العبد موسوم بالاضطهاد فى الخدمة كذلك نحن علينا خدمة الفضيلة حتى نلفظ آخر أنفاسنا .

إنجيل باكر

(لو ١٧ : ١١ — ١٩)

شفاء عشرة رجال برص

تمهيد

بعد أن أقام السيد المسيح لعازر من الموت فى بيت عنيا ، مضى من هناك إلى مدينة أفرايم حيث مكث مع تلاميذه . وفى ذهابه الأخير إلى أورشليم اجتاز فى وسط السامرة ومر بقرية شفى فيها عشرة رجال برص . وفصل الأنجيل الذى يتناول هذه المعجزة يبين أن يسوع هو الذى يطهر النفوس من برص الخطية ، وأنه يمنح المتطهرين الشاكرين نعمة الخلاص من قصاص هذه الخطية :

يسوع يطهر :

١١ — وفى ذهابه إلى أورشليم اجتاز فى وسط السامرة والجليل . ١٢ — وفيما هو داخل إلى قرية استقبله عشرة رجال برص فوقفوا من بعيد . ١٣ — ورفعوا صوتا قائلين يا يسوع يا معلم ارحمنا . ١٤ — فنظر وقال لهم اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة . وفيما هم منطلقون طهروا .

(١) أنظر بدعة زوائد فضائل القديسين فى إنجيل قداس ٣٠ طوبة تحت الآية رقم ٩ .

١١ — اجتاز السيد المسيح الجليل والسامرة وهو فى طريقه إلى أورشليم للمرة الأخيرة ، ١٢ — وحدث وهو داخل إلى إحدى القرى أن استقبله خارج أسوارها عشرة رجال برص، ووقفوا أمامه من بعيد نظرا لأن الشريعة الموسوية كانت تأمر بألا يخالط البرص الناس(١). ١٣ — ثم أخذوا يصرخون طالبين إليه أن يرحمهم ، فدلوا بذلك على أنه رغم عزلتهم عن الناس قد آمنوا به إيمانا قويا بعد الذى سمعوه عن معجزاته . ١٤ — ولما كان مجىء المخلص إلى تلك الجهة هو فى الواقع لأبرائهم بناء على سابق علمه بحالتهم ، فلم يكن صراخهم هو الذى لفت نظره إليهم ، ولهذا قال لهم « اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة » . ومعلوم أن الأبرص إذا برىء لا يجوز له أن يعود إلى بيته إلا بعد عرض نفسه على الكاهن ليحكم بشفائه ، وبعد تقديم القربان الذى أمرت به الشريعة(٢) ، والدليل على ذلك قول المخلص فى حادثة سابقة لرجل أبرأه من برصه « اذهب أر نفسك للكاهن وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم » (مت ٨ : ٤) ، فيكون قوله هنا لهؤلاء البرص أن يعرضوا أنفسهم على الكهنة قبل الشفاء إنما هو من قبيل اختبار إيمانهم . ومع أنهم لم يلحظوا تغيرا ما فى حالتهم فقد آمنوا بقوته ، ولم يعترضوا على الذهاب قبل أن يشفوا ، واستحقوا بهذا أن يبرأوا وهم فى طريقهم إلى الكهنة(٣).

(١) **عزلة الأبرص** : جاء عن الأبرص ما يأتى « كل الأيام التى تكون الضربة فيه يكون نجسا . إنه نجس يقيم وحده . خارج المحلة يكون مقامه » (لا١٣ : ٤٦). وجاء عنه أيضا فى سفر العدد « أوص بنى إسرائيل أن ينفوا من المحلة كل أبرص وكل ذى سيل وكل متنجس لميت » (عد ٥ : ٢) .

(٢) **شريعة الأبرص** : جاء بسفر اللاويين عن الأبرص ما يأتى : « إذا كان إنسان فى جلد جسده ناتىء أو قوباء أو لمعة تصير فى جلد جسده ضربة برص يؤتى به إلى هرون الكاهن أو إلى أحد بنيه الكهنة » (لا١٣ : ٢) . والأصحاح الرابع عشر من سفر اللاويين يتكلم عن شريعة الأبرص يوم طهره والذبائح التى يقدمها عنه الكاهن .

(٣) **البرص والخطية** : يشبه مرض الخطية البرص من وجوه متعددة أهمها أن كلاهما مكروه يفصل صاحبه عن جماعة الله ، وأولهما مميت للنفس وثانيهما مميت للجسد ، وكلاهما لا يعالجه ويحكم بالشفاء منه سوى الكاهن .

ويخلص :

١٥ — فواحد منهم لما رأى أنه شفى رجع يمجد الله بصوت عظيم . ١٦ — وخر على وجهه عند رجليه شاكرا له . وكان سامريا . ١٧ — فأجاب يسوع وقال أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة. ١٨ — ألم يوجد من يرجع ليعطى مجدا لله غير هذا الغريب الجنس. ١٩ — ثم قال له قم وامض. إيمانك خلصك.

١٥ — وما كاد العشرة يحسون بالشفاء حتى أسرع التسعة اليهود منهم إلى الكهنة ثم إلى ذويهم فرحين بنعمة الصحة ناسين واجب الشكر لواهبها ، أما العاشر فعاد ولسانه يلهج بالحمد ، ١٦ — ووقع عند قدمى يسوع شاكرا له جميله ونعمته . ومع أنه كان سامريا غير مؤمن لا يخضع إلا للناموس الطبيعى ناموس العقل فقد تفرد بالوفاء من بين زملائه التسعة اليهود المؤمنين الذين لم ينفع فيهم الناموس الكتابى الآمر بتقديم الشكر لمسدى النعمة ، ولا الناموس الطبيعى الموحى بذلك . على أن تصرفهم هذا لم يكن غريبا أو جديدا فى بابه ، فقديما قابل آباؤهم إحسان الله الآب الذى أنقذهم من مصر بعبادة الأصنام فى القفر ، واقتداء بالآباء هناك تصرف الأبناء هنا مع الابن .

١٧ — وحينما رأى رب المجد السامرى وحده يعود تساءل قائلا « فأين التسعة » ؛ ولم يكن غرضه من السؤال إلا إبداء التعجب والأسف لهذا الجحود الذى قوبل به إحسانه ، ١٨ — سيما وأن الذى رجع للشكر سامرى غريب الجنس(١). ١٩ — وكم كان يود يسوع عودة التسعة لينالوا بركة أعظم من شفاء أجسادهم ألا وهى شفاء نفوسهم من الخطية ، ولكن السامرى وحده حظى بها ، فقد قال له المخلص « إيمانك خلصك » على نحو قوله لنازفة الدم من قبل « إيمانك قد شفاك » (مت ٩ : ٢٢)(٢). وقد أثبتت هذه الحادثة أنه قد يخرج من نسل

(١) **السامريون** : جاء بسفر الملوك عن السامريين ما يأتى « وأتى ملك أشور بقوم من بابل . . . . وأسكنهم فى مدن السامرة عوضا عن بنى إسرائيل . . . وكان فى ابتداء سكنهم أنهم لم يتقوا الرب » (٢ مل ١٧ : ٢٤—٢٥) .

(٢) **شعاعة الأبرص** : قارن بركة هذا السامرى بتلك التى نالها نعمان السريانى من أليشع (٢ مل ٥ : ١٥) .

المؤمنين الفضلاء أناس أشرار ، كما خرج اليهود التسعة من نسل إبرهيم ، وقد يخرج من نسل الأشرار أناس صالحون كخروج السامرى من بنى جنسه غير المؤمنين .

إنجيل القداس

(لو ١٩ : ١ — ١٠)

زكا وخلاصه

(راجع قداس الأحد الثالث من شهر توت)

أحد الرفاع الكبير

نظرا لأن أحد الرفاع الكبير يأتى فى معظم السنين فى شهر أمشير فقد رأينا أن نشير هنا إلى فصوله إشارة خفيفة تاركين شرحها بأسهاب إلى موضعها من الجزء الرابع من كتاب « كنوز النعمة » .

إنجيل العشية

(مر ١١ : ٢٢ — ٢٦)

شروط استجابة الصلاة

٢٢ — فأجاب يسوع وقال لهم ليكن لكم إيمان بالله . ٢٣ — لأنى الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له . ٢٤ — لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم . ٢٥ — ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شىء لكى يغفر لكم أيضا أبوكم الذى فى السموات زلاتكم . ٢٦ — وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذى فى السموات أيضا زلاتكم .

(راجع الجزء الرابع من كتاب كنوز النعمة)

إنجيل باكر

(لو ٢١ : ٣٤ — ٣٨)

الحث على السهر

(راجع إنجيل الساعة السادسة من ليلة الثلاثاء من البصخة المقدسة)

إنجيل القداس

(مت ٦ : ١ — ١٨)

الصدقة والصلاة والصوم

١ — احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم . وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات . ٢ — فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المرائون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس . الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم . ٣ — وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك . ٤ — لكى تكون صدقتك فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية .

٥ — ومتى صليت فلا تكن كالمرائين . فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس . الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم . ٦ — وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية .

٧ — وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم . فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم . ٨ — فلا تتشبهوا بهم . لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه .

٩ — فصلوا أنتم هكذا . أبانا الذى فى السموات . ليتقدس اسمك . ١٠ — ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض . ١١ — خبزنا كفافنا أعطنا اليوم . ١٢ — واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا . ١٣ — ولا تدخلنا فى تجربة . لكن نجنا من الشرير . لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد . آمين . ١٤ — فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا

أبوكم السماوى . ١٥ — وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم .

١٦ — ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين . فإنهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين . الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم . ١٧ — وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك . ١٨ — لكى لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذى فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية .

(راجع الجزء الرابع من كتاب كنوز النعمة)

ونظرا لأن هذا الفصل من الأنجيل يتكلم عن أركان العبادة الثلاثة وهى كما رتبها رب المجد الصدقة والصلاة والصوم ، فقد رأينا أن نتكلم على كل منها بأسهاب فيما يلى إتماماً للفائدة :

الصدقة(١)

تعريفها :

الصدقة نوع من أنواع الرحمة ، وهى أن يجود الإنسان بأمواله على المحتاجين إليها لا طلبا لمكافأتهم بل تحقيقا للأغراض الآتية :

١ — الطاعة للرب : فهو القائل « بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة . إعملوا لكم أكياسا لا تفنى وكنزا لا ينفد فى السموات » (لو ١٢ : ٣٣) ، وهو القائل أيضا « أعطوا ما عندكم صدقة وهوذا كل شىء يكون لكم نقيا » (لو ١١ : ٤١) .

٢ — التشبه بالله : فأنه رحيم جواد ، ومخلصنا أوصى قائلا « كونوا رحماء لأن أباكم أيضا رحيم » (لو ٦ : ٣٦) .

تكييفها :

١ — إنها قرض إلهى : فقد ورد فى سفر الأمثال قوله « من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه » (أم ١٩ : ١٧) .

(١) الصدقة : أنظر المجموع الصفوى ص ١٤٢ — ١٥٢ .

٢ — إنها التجارة الأهلية المأمونة المربحة : وفى ذلك يقول المخلص « كل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية » (مت ١٩ : ٢٩) .

٣ — إنها قرابين مرفوعة على المذابح الناطقة : فالله يقول « إنى أريد رحمة لا ذبيحة » (مت ٩ : ١٣) ، والرسول يقول « ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله » (عب ١٣ : ١٦) .

٤ — ومعها يقبل الصوم : فقد جاء فى سفر إشعياء قول الله « أليس هذا صوما أختاره . . . . أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك . إذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك » (أش ٥٨ : ٦ — ٨) .

٥ — ومعها تقبل الصلاة : فقد قيل لكرنيليوس « صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارا أمام الله » (أع ١٠ : ٤) .

٦ — وبدونها لم تفد البتولية : ودليل ذلك قول العريس للعذارى الجاهلات اللاتى لم يأخذن معهن زيتا ، والزيت يشير إلى الرحمة ، « الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن » (مت ٢٥ : ١٢) .

وجوبها :

وفى الكتاب المقدس أوامر صريحة كثيرة توجب الصدقة للمحتاجين ، منها قول المخلص « من سألك فأعطه » (مت ٥ : ٤٢) ، وقوله « طوبى للرحماء فأنهم يرحمون » (مت ٥ : ٧) ، وقوله للرحماء « تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم » (مت ٢٥ : ٣٤ — ٤٠) ، وقول بولس الرسول « لا تنسوا فعل الخير والتوزيع » (عب ١٣ : ١٦) .

معطيها :

والصدقة تلزم الأغنياء والفقراء كل بحسب قدرته ، وثوابها بحسب همة معطيها ، لا بالكثرة ولا بالقلة ، فأن كانت غايته إظهار محبة الله فتقدمته مقبولة ، وإن قصد الفخر والرياء فهى غير مقبولة ، وفيما يلى الآيات الخاصة بالفريقين :

الأغنياء : ١ — « فكل من أعطى كثيرا يطلب منه كثير ومن يودعونه كثيرا يطالبونه بأكثر » (لو ١٢ : ٤٨) .

٢ — « من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرا . والذى يغفر له قليل يحب قليلا » (لو ٧ : ٤٧) .

٣ — « أعطوا تعطوا . كيلا جيدا ملبدا مهزوزا فائضا يعطون فى أحضانكم لأنه بنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (لو ٦ : ٣٨) .

٤ — « من يزرع بالشح فبالشح أيضا يحصد . ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضا يحصد كل واحد كما ينوى بقلبه » (٢ كو ٩ : ٦) .

٥ — « أوص الأغنياء فى الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شىء بغنى للتمتع وأن يصنعوا صلاحا وأن يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع مدخرين لأنفسهم أساسا حسنا للمستقبل لكى يمسكوا بالحياة الأبدية » (١ تى ٦ : ١٧ — ١٩) .

الفقراء : ١ — « بالحق أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع لأن هؤلاء من فضلتهم ألقوا فى قرابين الله . وأما هذه فمن إعوازها ألقت كل المعيشة التى لها » (لو ٢١ : ١ — ٤) ؛ وفلسا الأرملة وقيمتهما نصف مليم يشيران إلى العبادة بالجسد وبالعقل .

٢ — « ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره » (مت ١٠ : ٤٢) ، فقيمة هذه الكأس المعطاة بدافع محبة يسوع كقيمة الأطياب التى سكبتها الخاطئة على قدميه وقدرها ثلاثمائة دينار ، وعلى هذا القياس يمدح صوم الضعيف وسجوده وقيامه للصلاة أكثر من عبادة القوى .

٣ — وجاء بقوانين الرسل قولهم « ومن ليس له شىء فليصم وليجعل نصف قوته للقديسين » (المجموع الصفوى قانون رقم ٢٧ صفحة ١٤٤) .

سريتها :

الصدقة فى السر أشار إليها رب المجد بقوله « لكى تكون صدقتك فى الخفاء .

فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ٤) ، والمقصود بذلك ألا يكون غرض المتصدق امتداح الناس له . ويقول بولس الرسول أيضا « لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون . أذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم والمذلين كأنكم أنتم أيضا فى الجسد » (عب ١٣ : ٢—٣) .

علانيتها :

أما الصدقة العلنية فهى العشور والنذور والبكور التى يحملها المتصدق للكاهن ليتولى توزيعها على المحتاجين بالعدل . وتشمل أول الحنطة والخمر والزيت والفواكه والصوف وكل شىء ، والله يبارك لمقدمها فى خيراته .

مستحقوها :

الأصل فى الصدقة أنها مطلقة لكل محتاج ، ولكنها أولى على قوم من قوم بحسب الترتيب الآتى :

أولا : الشهداء : فقد جاء فى قوانين الرسل قولهم « وإذا كان الذى يدفع قنيته للفقراء من بعد المعرفة المصطفاة يصير كاملا فالذى يدفع قنيته عن الشهداء يكون أكثر كمالا » (قانون ٢٧ من المجموع الصفوى ص ١٤٦) .

ثانياً : القسوس : وفيهم يقول الرسول « أما القسوس المدبرون حسنا فليحسبوا أهلا لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم لأن الكتاب يقول لا تكم ثورا دارسا والفاعل مستحق أجرته » (١ تى ٥ : ١٧—١٨) .

ثالثا : الأقرباء المؤمنون : ويوصى الرسول بشأنهم قائلا « وإن كان أحد لا يعتنى بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن » (١ تى ٥ : ٨) . وورد فى سفر إشعياء كما ذكر سابقا قوله « إذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك » (أش ٥٨ : ٨) .

رابعا : باقى المؤمنين : وذلك وفقا لقول الرسول « فأذاً حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولا سيما لأهل الإيمان » (غل ٦ : ١٠) .

خامسا : غير المؤمنين : فقد قال السيد المسيح « من سألك فأعطه » (مت ٥ : ٤٢) ، وقالت الدسقولية « وأسعفوا المحتاجين ولو من قبل أن يصيروا أعضاء للمسيح » (دسق ١٥) .

وقتها :

والصدقة مستحبة فى كل وقت ، ودليل ذلك قول المخلص « من سألك فأعطه » (مت ٥ : ٤٢) ، وقول الرسول « فأذاً حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع » (غل ٦ : ١٠) ، ولكن بعض الأوقات تستحب فيها أكثر من غيرها وهذه هى :

١ — أيام الآحاد : ودليل ذلك قول الرسول « وأما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضا فى كل أول أسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازنا ما تيسر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذ » (١ كو ١٦ : ١ — ٢) .

٢ — الأعياد : وقد قال الله عنها فى التوراة « ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره فى عيد الفطر وعيد الأسابيع وعيد المظال ولا يحضروا أمام الرب فارغين كل واحد حسبما تعطى يده كبركة الرب إلهك التى أعطاك » (تث ١٦ : ١٦ — ١٧) .

من لا يستحقها :

١ — ورد فى تعاليم الرسل عمن لا يستحق الصدقة قولهم « وإن كان أحد يأكل ماله رديئا أو سكيرا أو كسلان فلأجل ذلك يضيق على أرامل هذا العالم فمن هو هكذا لا يستحق أن يعان » (دسقولية ٣) .

٢ — غير المحتاج : وفى ذلك تقول الدسقولية « مغبوط فى الحقيقة الذى يقدر أن يعين نفسه ويعولها ولا يضيق على اليتيم والغريب والأرملة لأن الرسول قال « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » (أع ٢٠ : ٣٥) ، وقال أيضا « الويل لمن له ويأخذ ولمن يقدر أن يعين نفسه ويشتهى أن يأخذ من آخرين هذا يسأله الرب فى يوم الدينونة » وقال أيضا « كل من يحب أن لا يعمل فلا يأكل » (٢ تس ٣ : ١٠) .

جزاؤها :

١ — الصدقة تطهر من الخطايا بدليل قول المخلص « أعطوا ما عندكم صدقة وهوذا كل شىء يكون نقيا لكم » (لو ١١ : ٤١) .

٢ — وهى تنجى من السوء كما يقول المرنم « طوبى للذى ينظر إلى المسكين فى يوم الشر ينجيه الرب » (مز ٤١ : ١) ، وكما يقول دانيال للملك « لذلك أيها الملك فلتكن مشورتى مقبولة لديك وفارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين لعله يطال اطمئنانك » (دا ٤ : ٧) .

٣ — والصدقة يجازى صاحبها أضعافا، فالحكيم يقول « يوجد من يفرق فيزداد أيضا ومن يمسك أكثر من اللائق وإنما إلى الفقر . النفس السخية تسمن والمروى هو أيضا يروى » (أم ١١ : ٢٤ — ٢٥) . وقوله أيضا « من يعطى الفقير لا يحتاج ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كثيرة » (أم ٢٨ : ٢٧) .

تاركها :

١ — وتارك الصدقة شر من الكافر كما يقول الرسول « إن كان أحد لا يعتنى بخاصته ولا سيما بأهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن » (١ تى ٥ : ٨) .

٢ — ولا تسمع له صلاة : وفى ذلك يقول الحكيم « من يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضا يصرخ ولا يستجاب » (أم ٢١ : ١٣) ، ويتضح هذا أيضا من مثل الغنى الذى لم يرحم لعازر (لو ١٦ : ١٩ — ٣١) ، ومن مثل العذارى الخمس الجاهلات (مت ٢٥ : ١ — ١٣) .

٣ — ولا يرحم يوم الدين : وذلك لأن « الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة » (يع ٢ : ١٣) .

٤ — وعقابه النار : ودليل ذلك قول المخلص يوم الدين للذين عن اليسار « إذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لأبليس وملائكته لأنى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى . كنت غريبا فلم تأوونى . عريانا فلم تكسونى . مريضا ومحبوسا فلم تزورونى . بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبى لم تفعلوا » (مت ٢٥ : ٤١) .

مقدارها :

١ — قال رب المجد للشاب الغنى « إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » (مت ١٩ : ٢١) .

٢ — ولكن الصدقة بجميع الأموال هى فرض على من يريد الكمال لا على كل أحد ، ودليل ذلك قول الرسول « فأنه ليس يكون للآخرين راحة ولكم ضيق بل بحسب المساواة . لكى تكون فى هذا الوقت فضالتكم لأعوازهم كى تصير فضالتهم لأعوازكم حتى تحصل المساواة » (٢ كو ٨ : ١٣ — ١٤) .

شروطها :

وتقضى تعاليم الرسل أن تعطى الصدقة بالشروط الآتية علاوة على شرط السرية :

١ — بسرور : وفى ذلك يقول الرسول « كل واحد كما ينوى بقلبه ليس عن حزن أو اضطرار لأن المعطى المسرور يحبه الرب » (٢ كو ٩ : ٧) ، وكذلك جاء فى سفر التثنية بهذا الصدد ما يأتى : « أعطه ولا يسوء قلبك عندما تعطيه لأنه بسبب هذا الأمر يباركك الرب إلهك فى كل أعمالك وجميع ما تمتد إليه يدك » (تث ١٥ : ١٠) .

٢ — بمحبة : كقول بولس « وإن أطعمت كل أموالى . ولكن ليس لى محبة فلا أنتفع شيئا » (كو ١ ١٣ : ٣) .

٣ — بلا تعظم : فقد جاء فى المجموع الصفوى قوله « ولا تطرد مسكينا عن باب منزلك ولا تغفل عنه ولا توئنبه ولا تحقره بل ليكن أكثر همك أن تعزيه وتفرحه ليفرحك الله وأجلسه على مائدتك معك وبالكأس الذى تشرب بها أسقه ولا تفتخر عليه » (المجموع الصفوى صفحة ١٥٠) .

٤ — بسخاء : كما يقول الرسول « المعطى فبسخاء » (رو ١٢ : ٨) .

٥ — بغير فحص : فقد جاء فى الدسقولية قوله « ولا يجب أن تحاسب الأسقف ولا أن تسأل عن تدبيره كيف يعمل أو فى أى زمان وأى مكان أو لمن يدفع أو هل يحسن التدبير كما يجب لأن الله الذى سلم إليه هذا التدبير » (دسق ٧) .

٦ — ومن مال حلال : فقد جاء فى الدسقولية أن الصدقة لا تؤخذ من الأشرار « فالأصلح أن يموت واحد ويهلك من القحط أكثر من أن يأخذ من أعداء الله لأنه يصير عارا وهزءا بين أصحابه فلأجل هؤلاء قال النبى إن زيت الخاطىء لا يدسم رأسى » (دسق ١٤) . وإذا اضطر الأمر لأخذ فضة من واحد نجس غير مؤمن « فاصرفوه فى ثمن خشب وحطب لكى لا تأخذ منه الأرملة

واليتيم ويضطرا أن يبتاعا منه طعاما أو شرابا كما لا يجب . فعدل هو أن يكون ما للمنافقين طعاما للنار ولا يكون طعاما للقديسين » (دسق ١٥) .

الصلاة(١)

تعريفها :

الصلاة هى رفع العقل إلى الله وسكب النفس أمامه ، كما فعلت حنة أم صموئيل (١ صم ١ : ١٥) مثلا ، لاستجلاب رحمته وبركته أو لرفع غضبه . وقد تكون بمناجاة الروح لخالقها ، أو بالصراخ إليه والاقتراب له والتضرع أمامه كما قال داود « بصوتى إلى الرب أصرخ فيجيبنى من جبل قدسه » (مز ٣ : ٤) وكقوله « استمع يا رب . بصوتى أدعو فارحمنى واستجب لى » (مز ٢٧ : ٧) .

أنواعها :

١ ـ إنفرادية : وعنها يقول المخلص « وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذى يرى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ٦) .

٢ ـ عائلية : قال رب المجد « إن اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فأنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات . لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ١٩ ـ ٢٠) .

٣ ـ جمهورية : ويحضنا الرسول على المواظبة عليها بقوله « غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة » (عب ١٠ : ٢٥) .

وجوبها :

والصلاة بأنواعها الثلاثة واجبة على الإنسان نحو خالقه لما يأتى :

أولا ـ لتكون دليلا على عبوديتنا لله : فهو الذى خلقنا لنعبده كما قال

(١) **الصلاة** : أنظر اللآلىء النفيسة جـ ١ من ص ١٤٢ ـ ٢٠٠ والمجموع الصفوى من صفحة ١٢٩ ـ ١٣٦ .

« هذا الشعب جبلته لنفسى . يحدث بتسبيحى » (أش ٤٣ : ٢١) ، وكما قال الحكيم « الرب صنع الكل لغرضه والشرير أيضا ليوم الشر » (أم ١٦ : ٤) ، وكما قال الرسول « لأن منه وبه وله كل الأشياء » (رو ١١ : ٣٦) . ومتى وجد لدينا هذا الشعور صارت الصلاة ضرورية . وكل الذين ذاقوا لذة الاتصال به يعتقدون أن الصلاة كوسيلة لهذه الغاية ضرورية ، ومن فقدها أضاع أعظم واسطة لنموه فى النعمة والحياة الروحية .

ثانيا ـ لاحتياجنا المطلق لله روحيا وجسديا : فأن قيل بأن حاجات الجسد تنال بالكد والعمل لقلنا بأن هذا وإن كان صحيحا إلا أنه يتطلب قوة بدنية وعقلية ومصدرهما الله وهو لا يمنحهما إلا للمصلين ، فقد أطعم بنى إسرائيل المن أربعين سنة فى البرية وثيابهم لم تبل عليهم ، وأرجلهم لم تتورم ، ولكنه حذرهم قائلا « إحترز من أن تنسى الرب إلهك . . . لئلا إذا أكلت وشبعت وبنيت بيوتا جيدة وسكنت وكثرت بقرك وغنمك وكثرت لك الفضة وكثر كل ما لك يرتفع قلبك وتنسى الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ولئلا تقول فى قلبك قوتى وقدرة يدى اصطنعت لى هذه الثروة . بل اذكر الرب إلهك إنه هو الذى يعطيك قوة لاصطناع الثروة » (تث ٨ : ١٢ ـ ١٨) .

ثالثا ـ لشكره على ما وهب : فأذا كانت السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه كما يقول المرنم (مز ١٩ : ١) ، وإذا كانت الأرض وكل مصنوعاته تباركه (مز ١٤٨) ، فمن باب أولى الإنسان وهو تاج خليقته والمتسلط عليها جدير به أن يكون فى مقدمة المسبحين .

رابعا ـ التماس النجاة من الضيقات : فنحن محاطون بتجارب متعددة من العالم والجسد والشيطان ، ولا سبيل للخلاص منها إلا بالصلاة إليه وهو القائل « أدعنى فى يوم الضيق أنقذك فتمجدنى » (مز ٥٠ : ١٥) ، وقال الرسول « أعلى أحد بينكم مشقات فليصل » (يع ٥ : ١٣) .

ومما يدل على ضرورة الصلاة للحياة الروحية أن يسوع نفسه ضرب لذلك مثل قاضى الظلم والأرملة (لو ١٨ : ١ ـ ٧) ، ومثل المضيف والحاحه على صديقه (لو ١١ : ٥ ـ ١٠) . وبولس الرسول حث المؤمنين عليها قائلا

« واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر » (كو ٤ : ٢) ، وفضلا عن أن الرب يسوع كان يقضى الليالى ساهرا فيها (مت ١٤ : ٢٣) فرسله كانوا يواظبون عليها بنفس واحدة (أع ١ : ١٤) ، ورجال الله الأتقياء أمثال موسى وداود ودانيال وحنة النبية وغيرهم كانوا يواظبون عليها ليلا ونهارا .

أقسامها :

وأقسام الصلاة ثلاثة هى على الترتيب التمجيدى ، والشكرى ، والطلبى :

١ — التمجيدى : وهو يتضمن تمجيد الله وتسبيحه وتقديسه بالقلب واللسان على عظمته وقوته وصلاحه الفائق وحكمته الأزلية وكماله ومجد جلاله وعجيب أعماله ، وضمن ذلك الأقرار بربوبيته وفى ذلك يقول المرنم « أيها الرب ربنا ما أعجب اسمك فى الأرض كلها » (مز ٨ كله) .

٢ — الشكرى : ويتضمن شكره وحمده لأجل إحساناته وإنعاماته الروحية والجسدية لأنه خالقنا ورازقنا ومدبر حياتنا والمعتنى بنا والمهتم بخلاصنا والذى قد أعد لنا سعادة الملكوت . قال المرنم « أشكرك يا رب من كل قلبى وأمجدك بين يدى الملائكة » (مز ١٣٨) .

٣ — الطلبى : ويتضمن جميع ما نحتاجه من لدنه مما هو صالح ومفيد لنا روحيا وجسديا ، مع مراعاة القيود الآتية :

ما يطلب فيها :

الأصل فى الصلاة أن لنا الحرية التامة فيما نطلب كما خولنا ذلك مخلصنا بقوله « كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » (مر ١١ : ٢٤) ، وبقوله « ومهما سألتم باسمى فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن » (يو ١٤ : ١٣) ، وبقوله أيضا « ليس أنتم اخترتمونى بل أنا اخترتكم . . . . لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمى » (يو ١٥ : ١٦) . ولكن هذه الحرية مقيدة بشرط عدم استعمالها « فرصة للجسد » كما يقول الرسول (غل ٥ : ١٣) بمعنى أننا لو جعلنا صلواتنا منصبة على نيل الخيرات الزمنية تحقيقا للذات الجسد لرفضت هذه الصلوات كما يقول الرسول « تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديا لكى تنفقوا فى لذاتكم » (يع ٤ : ٣) ، ولهذا يجب أن تكون أمنيتنا فى الصلاة

ملكوت الله وبره كما أوصانا المخلص بقوله « لا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس فأن هذه كلها تطلبها الأمم لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها . لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » (مت ٦ : ٣١ — ٣٣) . ولنا فى إسحق الشيخ أسوة فأنه لما بارك ابنه يعقوب طلب له « ندى السماء » أولا ثم « دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر » ثانيا (تك ٢٧ : ٢٨) . ومن أمثلة ما يطلب ما يأتى :

١ — طلب معرفة طرق الله : فموسى حينما أمره الله أن يصعد بالشعب من مصر لم يكن يعرف من يرسل معه فقال مخاطبا الله « فالآن إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فعلمنى طريقك حتى أعرفك لكى أجد نعمة فى عينيك » (خر ٣٣ : ١٣) . وداود كان يصرخ قائلا « يا رب أهدنى إلى برك بسبب أعدائى . سهل قدامى طريقك » (مز ٥ : ٨) . وهو القائل أيضا « إليك يا رب أرفع نفسى يا إلهى عليك توكلت . فلا تدعنى أخزى . لا تشمت بى أعدائى . . . . طرقك يا رب عرفنى . سبلك علمنى . دربنى فى حقك وعلمنى لأنك أنت إله خلاصى . إياك انتظرت اليوم كله » (مز ٢٥ : ١ — ٥) ، هذه هى روح الإنارة التى نطلبها لنعرف بها الطريق إلى الوطن السماوى .

٢ — روح القوة : لنثبت ضد مكايد إبليس « فأن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » (أف ٦ : ١٢) ، ولهذا نرى داود يصرخ قائلا « أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . . . أما أنت يا رب فلا تبعد . يا قوتى أسرع إلى نصرتى » (مز ٢٢ : ١٦ ، ١٩) .

٣ — روح الصبر : لنتحمل كل ما يصيبنا من بلايا الحياة .

٤ — الروح القدس : لكى نقوى به على إتمام واجباتنا الدينية كما قال داود « لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى » (مز ٥١ : ١١)(١).

هذا إلى طلب الصفح والمغفرة ورفع التجارب والنكبات ، وطلب المساعدة

(١) طلب الروح القدس : أنظر قطع الساعة الثالثة بكتاب الأجبية .

فى كل وقت وإنقاذنا من الأفكار المهلكة ، والإنعام علينا بسعادة الملكوت وغير ذلك من الطلبات التى هى بحسب مشيئة الله .

من تنصب عليه :

والمؤمن الحقيقى مكلف بالصلاة لا من أجل نفسه فقط بل من أجل الآخرين أيضا حسب التفصيل الآتى :

١ — من أجل الأحباء : وفى ذلك يقول الرسول « واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر . مصلين فى ذلك لأجلنا نحن أيضا ليفتح الرب لنا بابا للكلام لنتكلم بسر المسيح الذى من أجله أنا موثق أيضا » (كو ٤ : ٢ — ٢) ، وقوله أيضا « صلوا لأجلنا لكى تجرى كلمة الرب » (٢ تس ٣ : ١) .

٢ — لأجل الأعداء : لكى يهديهم الرب كما أوصى بذلك مخلصنا حين قال « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » (مت ٥ : ٤٤) .

٣ — لأجل المرضى : وهنا يوصى الرسول قائلا « أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الأيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٤ — ١٥) ، وقد رتبت الكنيسة لذلك أوشية المرضى وهى تتلى فى بخور باكر .

٤ — لأجل الملوك : وليس هؤلاء فقط بل وكذلك جميع الذين هم فى منصب ، وذلك وفقا لأمر الرسول القائل « فأطلب أول كل شىء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس . لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » (١ تى ٢ : ١ — ٤) .

وقد رتبت الكنيسة أوشية الملوك وأوشية البلاط فى خدمة القداس (قداس اغريغوريوس) قبل المجمع .

٥ — لأجل الراقدين : وذلك لكى المسيح إلهنا يرحمهم ، وقد صلى بولس

من أجل نفس أنيسيفورس قائلا « ليعطه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم » (٢ تى ١ : ١٨) ، وقد رتبت الكنيسة تلاوة أوشية الراقدين فى بخور العشية .

شروطها :

وللصلاة شروط لابد من توفرها لتؤتى ثمارها وفيما يلى أهمها :

١ — الأيمان : ويراد به هنا الثقة فى قدرة الله وجوده ووفائه بمواعيده ، وهو شرط جوهرى تكون الصلاة بدونه عقيمة ، وقد أوضحه المخلص بقوله « كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » (مر ١١ : ٢٤) . وبه نال أتقياء الله كل طلباتهم فأبرهيم لم يساوره ارتياب فى وعد الله وبحسب إيمانه أعطاه الله (رو ٤ : ٢٠) ، والمرأة الكنعانية بأيمانها الثابت ظفرت من المخلص بشفاء ابنتها (مت ١٥ : ٢٨) ، وقائد المائة بحسن إيمانه فاز من لدن المخلص بشفاء عبده (مت ٨ : ١٣) . أما الذى يصلى بأيمان مزعزع فلا يفوز باستجابة صلاته وعنه قال الرسول « لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح وتدفعه . فلا يظن ذلك الأنسان أنه ينال شيئا من عند الرب » (يع ١ : ٥ ، ٧) .

٢ — أن تكون باسم الرب يسوع : وهذا الشرط مستمد من قول المخلص لتلاميذه « ومهما سألتم باسمى فذلك أفعله » (يو ١٤ : ١٣) ، وقوله أيضا « لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمى » (يو ١٥ : ١٦) ، وبناء على هذا التعليم أضاف آباؤنا الرسل على الصلاة الربانية عبارة « بالمسيح يسوع ربنا » بعد قولنا « لكن نجنا من الشرير » ولو أنها ليست من وضع المخلص .

٣ — أن تكون بانسحاق : فالكبرياء تغيظ الله أما التذلل فيثير حنانه وعطفه ، ويتضح هذا من مثل الفريسى والعشار فهذا « نزل إلى بيته مبررا دون ذاك » (لو ١٨ : ١٤) ، ولا عجب فى ذلك فداود يقول فى مزموره إن ذبائح الله أرواح متواضعة وقلوب منسحقة . القلب المنكسر والمنسحق يا الله لاتحتقره » (مز ٥١ : ١٧) .

٤ — أن تكون بلجاجة وإلحاح : فلا نستسلم لليأس إذا لم نعط ما نصلى من أجله فى حينه ، بل نواصل الطلبة حتى تستجاب صلواتنا ، وقد علمنا المخلص بمثل المضيف وصديقه (لو ١١ : ٥ — ٨) كيف أن اللجاجة ظفرت بما عجزت عن نيله المحبة .

٥ — أن تكون بمواظبة : أى نصلى بلا انقطاع امتثالا لأمر المخلص القائل « إسهروا إذاً وتضرعوا كل حين » (لو ٢١ : ٣٦) ، وقول الرسول « واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر » (كو ٤ : ٢) ، واقتداء بالأرملة التى طلبت إنصافها من قاضى الظلم . فأذا كانت قد نالت بغيتها منه « أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه ليلا ونهارا وهو متمهل عليهم » (لو ١٨ : ٧) ، وقد ضرب لنا المخلص المثل بها لكى « يصلى كل حين ولا يمل » (لو ١٨ : ١) .

٦ — أن تكون بحسب مشيئة الرب : وفى ذلك يقول الرسول « وهذه هى الثقة التى لنا عنده أنه إن طلبنا شيئا حسب مشيئته يسمع لنا » (١ يو ٥ : ١٤) .

٧ — أن تكون بحرارة وثبات : فلا معنى لأن نطلب اليوم أمرا ونتركه غدا لأن الله تمهل فى إجابته ، بل يجب أن نخضع لمشيئته تعالى ونثبت على الصلاة وهو يعرف المفيد لنا فيعمله .

٨ — أن تكون بأصغاء وانتباه : فالصلاة لا تقوم بكثرة الكلام أو ببلاغة الأسلوب ، فرب زفرة من صميم القلب أبلغ من ألف عبارة منمقة صادرة من الشفتين ، والله مستعد أن يسمع من مسكن قدسه كل صلاة صاعدة من القلب بدليل قوله « وتطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم » (أر ٢٩ : ١٣) ، بل هو يكره الصلاة الصادرة من الشفتين إذ يقول عن الفريسيين والكتبة « يقترب إلىّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدا » (مت ١٥ : ٨) . لهذا يجب أن نصلى بالروح والحق ، وإذا مرت علينا أفكار وقت الصلاة بفعل إبليس فعلينا أن نقاومها .

٩ — أن تكون قلوبنا متصافحة مع الجميع : وذلك امتثالا لأمر مخلصنا القائل « ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شىء لكى يغفر لكم أيضا أبوكم الذى فى السموات زلاتكم » (مر ١١ : ٢٥) .

موانع قبولها :

على أن هناك بعض الأسباب التى تحول دون استجابة الصلاة نوجزها فيما يلى :

أولا — الخطية : وهى السبب الأكبر فى عدم قبول الصلاة ، ودليل ذلك قول الوحى الألهى على لسان إشعياء مخاطبا قضاة سدوم وشعب عمورة الأشرار « فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم وإن كثرتم الصلاة لا أسمع . أيديكم ملآنة دما » (أش ١ : ١٥) ، وكذلك قول إشعياء « بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع » (أش ٥٩ : ٢) ، وكذلك قول المولود أعمى « ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة ، ولكن إن كان أحد يتقى الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع » (يو ٩ : ٣١) ، ولهذا يقول داود « إن راعيت إثما فى قلبى لا يستمع لى الرب » (مز ٦٦ : ١٨) .

ثانيا — مخالفة الشريعة : وفى ذلك يقول الحكيم « ممن يحول أذنه عن سماع الشريعة فصلاته أيضا مكرهة » (أم ٢٨ : ٩) ، ويقول أيضا « حينئذ يدعوننى فلا أستجيب . يبكرون إلىّ فلا يجدوننى . لأنهم أبغضوا العلم ولم يختاروا مخافة الرب » (أم ١ : ٢٨) .

ثالثا — عدم الرحمة على المساكين : وفى ذلك يقول الحكيم « من يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضا يصرخ ولا يستجاب » (أم ٢١ : ١٣) .

قوتها :

ليس أدل على قوة الصلاة من قول يعقوب الرسول « طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها . كان إيليا إنسانا تحت الآلام مثلنا وصلى صلاة أن لا تمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر . ثم صلى أيضا فأعطت السماء مطرا وأخرجت الأرض ثمرها » (يع ٥ : ١٦ — ١٧) ، والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ملىء بالأمثلة العظيمة على قوة الصلاة وفاعليتها الكبرى ويكفى ذكر بعضها للتدليل على صحة ما نقول ، فنوح صلى بعد خروجه من الفلك فقال الرب فى قلبه « لا أعود أيضا أميت كل حى كما فعلت » (تك ٨ : ٢١) ، وإسحق صلى لأجل زوجته العاقر فولدت (تك ٢٥ : ٢١) ، وموسى صلى ليرجع الله عن حمو غضبه على بنى إسرائيل الذين عبدوا العجل الذهب فصفح الرب عنهم

(خر ٣٢ : ١٤) ، وحزقيا صلى إلى الله فأرسل ملاكه وقتل من جيش سنحاريب ١٨٥ ألفا فى ليلة واحدة (٢ مل ١٩ : ٣٥) ، وإيليا أقام ابن أرملة صرفة صيدا بصلاته (١ مل ١٧ : ٢٢) ، وأليشع كذلك أقام ابن الشونمية بصلاته (٢ مل ٤ : ٣٣ ، ٣٥) ، وبطرس لما طرح فى السجن صلت الكنيسة من أجله فأرسل الله ملاكه ففك قيوده وأخرجه من باب الحديد ثم فارقه (أع ١٢ : ٥) ، وبولس حين انكسرت السفينة به وبمن معه وهو مسافر إلى روما صلى فنجا من الغرق ووهبه الله جميع المسافرين معه (أع ٢٧ : ٢٣) . فعلينا أن نصلى إذ لنا هذا الوعد من مخلصنا القائل « كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » (مر ١١ : ٢٤) ، وهو يخاطب النفس قائلا « قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى . يا حمامتى فى محاجىء الصخر فى ستر المعاقل أرينى وجهك أسمعينى صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل » (نش ٢ : ١٣ — ١٤) .

أوقاتها :

والصلوات المفروضة على جميع المؤمنين فى كل يوم سبع وهى فى الساعات الأولى والثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة ونصف الليل . أما أنها سبع فقط فلأن مواهب الروح القدس سبع (أش ١١ : ٢) ، واقتداء بداود الذى قال « سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك » (مز ١١٩ : ١٦٤) ، ولأن السبعة عدد كامل وضع لسبعة أرواح الله (رؤ ٤ : ٥) . أما تخصيص هذه الساعات دون غيرها فلأن الأنبياء قديما كانوا يصلون فيها كداود الذى كان يصلى باكرا جدا (مز ٥ : ٣ ، ٦٣ : ١ ، ٦) ، وصباحا وظهرا ومساء (مز ٥٥ : ١٧) ، وفى نصف الليل (مز ١١٩ : ٦٢) . وكذلك إشعياء (أش ٢٦ : ٩) ، ودانيال (دا ٦ : ١٠) ، وكذلك الرسل صلوا فى الساعة الثالثة (أع ٢ : ١٥) ، والسادسة (أع ١٠ : ٩) ، والتاسعة (أع ٣ : ١) ، ونصف الليل (أع ١٦ : ٢٥) ، وأخيرا لتنبيه أذهاننا إلى ما حدث فى هذه الأوقات ففى الأولى أنار الله علينا وأجاز الليل وهى تذكرنا بظهور النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان ، يسوع شمس البر . وفى الثالثة قضى بيلاطس عليه ، وفى السادسة صلب ، وفى التاسعة أسلم الروح ، وفى الحادية عشرة أو كما تسمى

صلاة الغروب أنزل عن الصليب وحنط ولف بلفائف من كتان مع الأطياب ، وفيها نشكر الله الذى أتى بنا إلى المساء بسلام ، وفى الثانية عشرة وتسمى صلاة النوم وضع فى القبر وهى تشير إلى آخر ساعة من عمر الإنسان ، أما نصف الليل فلكون الختن يرد فيه ويجب الاستعداد لملاقاته (مت ٢٥ : ١٠) ، أما صلاة الستار فهى خاصة بالآباء الرهبان يصلونها قبل النوم مباشرة .

وتقول الدسقولية « ولتكن صلاة بكرة وعشية فى الكنيسة سيما يوم الأحد ويوم السبت » (دسق ١٠ ، ٧) ، وأما الثالثة وما بعدها فتجوز صلاتها فى البيت (رسطب ٤٧) . « ولا تجب الصلاة مع كاهن ممنوع ولا مع غير مؤمن ولو كانت فى بيت . ومن صلى مع هؤلاء فليقطع » (المجمرع الصفوى ص ١٣٥) .

مميزاتها :

وتمتاز الصلاة حسب ترتيب كنيستنا بمميزات كثيرة نوجز أهمها فيما يلى :

١ — الاتجاه نحو الشرق(١) : إعتادت الكنيسة بناء على أوامر الرسل أن تتجه فى صلاتها نحو الشرق لأنه الجهة التى قال المسيح له المجد إنه يظهر منها فى مجيئه الثانى (مت ٢٤ : ٢٧) . وعلل القديس أثناسيوس ذلك بقوله إن فردوس عدن كان فى الشرق (تك ٢ : ٨) ، وأن المسيح شمس البرجاء من المشرق (مت ٢ : ٢) ، وأنه صعد وسوف يأتى من المشرق . وعلل غيره ذلك بقولهم إن الشرق موضع ظهور مجد الرب (أش ٥٩ : ١٩) . نعم إن الكتاب لم يأمر باتخاذ الشرق وجهتنا فى الصلاة ولكنه لم ينه عنه أيضا بل فضله على غيره من الجهات الأربع . قال داود النبى « يا ممالك الأرض غنوا لله . . . . هوذا يعطى صوته من المشرق »(٢) . صوت قوة (مز ٦٨ : ٣٢ — ٣٣) ، ونحن باتجاهنا إلى الشرق إنما نحيى الشوق فينا إلى وطننا الأصلى ونلتمس الرجوع إليه لنكون فيه مع المسيح كما قال للص اليمين (لو ٢٣ : ٤٣) . وأما القول بأن السجود نحو الشرق عبادة وثنية فقول باطل لأننا إنما نسجد للمسيح شمس البر ، هذا وبما أن الكنيسة تأمر بنيها فى خدمة القداس قائلة « إلى الشرق انظروا » فيلزم من ذلك ترك التلفت لأن الله أمر بنى إسرائيل بهذا يوم الخطاب .

(١) أنظر اللآلىء النفيسة ج ١ ص ٤٩٧ — ٥٠٠

(٢) حذفت كلمة « من المشرق » من طبعة بيروت للكتاب المقدس .

٢ — رشم الصليب : تسلمت الكنيسة من معلمها ومؤسسها أن تبدأ صلواتها برشم علامة الصليب بالأصبع على الوجه ، ورشمه بالأصبع هو لطرد الشياطين لقول المخلص « إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين » (لو ١١ : ٢٠)(١) ، وإشارة إلى أنه الكاهن الحقيقى الذى ينضح دمه لتطهيرنا كما أمر الله موسى أن ينضح بأصبعه من دم الذبائح التى يصعدها الشعب على قبة الزمان وأوانى الخدمة وعلى الشعب تطهيرا لهم . وأوقات رشم الصليب هى أول الصلاة وعندما يرد ذكر الصليب ، وأمرت الكنيسة برسم علامة الصليب على جدران الكنائس والمذابح والأغطية واللفائف وملابس الكهنوت والقربان وكل ما يقرب لله للدلالة على أنه لله وقد طبع بختمه .

والغرض من استعماله تميز المؤمنين من الأمميين الذين لم يؤمنوا بالفادى المصلوب ، كما كانت علامة الدم مميزة لبيوت بنى إسرائيل عن بيوت المصريين ، ورسمه يذكرنا بحوادث تبعث فى القلب الخشوع وتحملنا على شكر الذى صلب لأجل آثامنا ، وعلى الجهاد حتى نكون فى عداد الموسومين (رؤ ٧ : ٤) ، ولهذا نرسمه فى بدء جميع أعمالنا حتى تكلل بالنجاح ، وفى جميع ما يعرض لنا من المكاره لنذل على زوالها وضعف قوتها ، لأن الرب بموته أخضع لنا جميع الطبائع . ونرسمه على جميع تعاليم الشيطان كالسحر وغيره فنقهر قوتها ، ونرسمه لأنه لا يتبارك شىء من أمور الكنيسة ولا يتقدس إلا بالصلاة وكلمة الله بأشارة الصليب حتى جسد الرب ودمه لا يتقدسان إلا برسم الصليب مقترنا بالصلاة والدعاء . ونحن نكرم الصليب لأنه الآلة التى تم بها خلاصنا ، ولأنه العلامة التى

(١) رشم الصليب : تعلم الكنيسة أن نرشم الصليب بالأبهام فى حالة رشم ذواتنا ، وبالسبابة فى حالة رشم شخص آخر أو أشياء أخرى . وفى كلتا الحالتين تكون الأصابع الباقية مضمومة إلى راحة اليد لأنها تشير إلى بطن العذراء التى تم فيها التجسد الألهى . ورشمه بأصبع واحد والأصبع فيه ثلاث عقد يشير إلى توحيد ذات البارى وتثليث أقانيمه ، وإلى الطبيعة الواحدة التى صارت بالاتحاد ، وخلافا لرأى القائلين بالطبيعتين . وعند الرشم يؤخذ الأصبع من اليسار إلى اليمين حتى يكون ذكر « الروح القدس » على الكتف اليسرى حيث ميل القلب إليها إشارة إلى قول الرسول « أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم » .

أنبأ السيد بظهورها قبل مجيئه الثانى (مت ٢٤ : ٣٠) ، ولأنه عنوان مجدنا وموضوع فخرنا .

٣ — تلاوة المزامير : وضع المزامير فى الكنيسة يرجع إلى الرسل أنفسهم الذين كانوا يستعملونها فى صلواتهم (أع ١٦ : ١٥) ، وأمروا باستعمالها ، بدليل قول الرسول « متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور له تعليم . . . فليكن كل شىء للبنيان » (١ كو ١٤ : ٢٦) ، وقوله أيضا « مكلمين بعضكم بعضا بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب » (أف ٥ : ١٩) . ولما كان سفر المزامير هو مجموع تعزيات إلهية وإرشادات روحية فقد رتبت الكنيسة استعماله لبنيها سيما والمزامير تشتمل على أقسام الصلاة الثلاثة وهى تمجيد الله وشكره وطلب ما نحتاج منه . وقد جاء فى أوامر الرسل قولهم « ولتكن أكثر الصلوات فى كل يوم ليلا ونهارا من المزامير لما فيها من الشكر والتسبيح والتضرع والأقرار بوحدانية البارئ والاعتراف بالذنوب » (ع ٢٢ المجموع الصفوى ص ١٣١) . ولما كانت المزامير موافقة لكل إنسان فى كل زمان ، ومناسبة له فى ظروفه المختلفة وأدوار حياته ، فقد أجمعت الكنائس الرسولية شرقا وغربا على استعمالها فى العبادة ، والبروتستنت أنفسهم يستعملونها نظما لا نثرا . وقد رتب الآباء لكل صلاة مزامير خاصة يجب الاعتماد عليها .

٤ — قانون الأيمان : فرضت الكنيسة تلاوة هذا القانون فى خدمة القداس ، وأمرت أن يبدأ الكاهن بتلاوته لأنه رأس الكنيسة ولسانها ، والشعب يتبعه فى تلاوته بصوت مرتفع . وكذلك رتبت أن تتكرر تلاوة هذا القانون فى صلوات السواعى ، والغرض من تلاوته أن تكون ألسنتنا ناطقة بأيماننا القويم المنقوش على صفحات قلوبنا ، ولكى نجدد اعترافنا وإقرارنا أمام الله وكنيسته أننا متحدون بالله ، قابلون لأسراره ، مؤمنون بلاهوت الأقانيم الثلاثة وتجسد الابن وصلبه وموته وقيامته وصعوده وجلوسه عن يمين الآب ، وأخيراً للدلالة على أننا جميعا متحدون فى الأيمان الواحد المؤسس على موت الفادى وقيامته .

٥ — كيرياليصون : ويقتضى ترتيب الكنيسة أن تختم صلواتها بكلمة « كيرياليصون » اليونانية ومعناها « يا رب ارحم » مرة ، وثلاث مرات ، و ٤١

مرة عقب صلوات السواعى استمطارا لرحمته(١) . والقصد من تكرار هذه الصلاة الوجيزة ٤١ مرة لا أكثر ولا أقل هو لتذكيرنا بآلام المخلص فمنها ٣٩ لتذكار جلده كما يأمر بذلك القانون الرومانى ، بدليل قول الرسول « جلدت أربعين جلدة إلا واحدة » (٢ كو ١١ : ٢٤) ، وهكذا كان حكم الشريعة الموسوية على المذنب (تث ٢٥ : ٣) ، ومرة لتذكار ضربه بالقصبة مرة واحدة على رأسه (مت ٢٧ : ٣٠) ، والمرة الحادية والأربعون لتذكار طعنه بالحربة مرة واحدة فى جنبه المقدس (يو ١٩ : ٣٤) .

٦ — الصلاة الربانية : والمتأمل فى نظام الصلوات الموضوعة فى الكنيسة يرى أن الصلاة الربانية تتكرر تلاوتها فى بدء الصلوات ، وفى خلالها ، وفى نهايتها . كذلك تسلمت الكنيسة من الرسل أن تتلو فى خدمة القداس الصلاة الربانية عقب تقديس الأسرار ، وكل ذلك لأن هذه الصلاة تتضمن سبع طلبات تذكرنا بكلمات الرب السبع التى فاه بها على الصليب ، فضلا عن أنها تذكرنا بأهم الحوادث التى تمت وقت آلامه وصلبه . والكنيسة تتلوها بنفس واحدة وبصوت جهورى لتتذكر صراخ المخلص على الصليب إلى أبيه قائلا « إلهى إلهى لماذا تركتنى » (مت ٢٧ : ٤٦) .

٧ — الألحان : للألحان تأثير شديد فى النفوس لأنها تنفذ إلى أعماق القلوب وتثير فيها كل ما يجب على المخلوق نحو خالقه من عواطف . وكان بنو إسرائيل يستخدمونها فى عبادتهم ، فموسى نظم تسبحة للرب ورنمها مع الشعب على أثر عبورهم البحر الأحمر (خر ١٥ : ١ — ٢١) ، وداود ترنم بالمزامير وعين عددا قدره أربعة آلاف من المغنين للغناء فى بيت الرب بالآلات الموسيقية المعروفة فى ذلك الوقت (١ أى ٢٣ : ٥) ، وفى أيام حزقيا الملك ونحميا وعزرا كان بنو إسرائيل وكهنتهم يستعملون ترانيم داود فى العبادة .

وفى العهد الجديد أدخلت الكنيسة الغناء فى بيت الرب للتسبيح والتمجيد والحمد والترنم لاسمه القدوس ولرسوخ الحقائق الدينية فى أذهان المصلين ، مستندة فى ذلك على وصيته تعالى للجميع بتسبيحه (مز ١٤٨ : ١٢) ، وعلى

(١) **التكرار فى الصلاة** : أنظر الاعتراض على تكرار هذه الصلاة تحت الآية رقم ٨ من قداس أحد الرفاع الكبير فى الجزء الرابع من كتاب « كنوز النعمة » .

الآيات الأخرى الكثيرة الخاصة بذلك فى العهدين (كو ٣ : ٦ ، يع ٥ : ١٣) ، وتنفيذاً لأمر الرسل ، ودليل ذلك قول الرسول « مكلمين بعضكم بعضا بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب » (أف ٥ : ١٩) .

والغرض من الألحان فى الكنيسة تنبيه المؤمنين وإثارة حميتهم وخلق الغيرة وتجديد الحماس الروحى فى صدورهم ، وإنعاشهم وإضرام نار الشوق فى العبادة لفاديهم . والمصلى الواقف بخوف الله فى خشوع ووقار حينما يسمع الأناشيد الإلهية الحسنة والأنغام المؤثرة يترفع عن الاهتمامات الدنيوية ، وطورا يبكى بمرارة على خطاياه ، وطورا يتهلل بانتصاره ، مع الناهض من القبر ، على الخطية والموت ، ولا يلبث أن ترتفع نفسه إلى الله وتشترك مع الجنود العلوية فى التسبيح ، ويمتلىء قلبه من تعزية الروح ثم يخرج متعشا ليحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامه .

وفى الكنيسة القبطية الشىء الكثير من التسابيح والترانيم والأناشيد القبطية والعربية ، وكلها تنحصر نغماتها فى ستة وثلاثين نغما طويلا أى لحنا ، وفى اثنين وسبعين نغما قصيرا أى طريقة ، وكلها تشهد بما كان لآباء الكنيسة من النبوغ العظيم فى فن الموسيقى ، إذ وقعوا الأغانى الروحية توقيعا ملائما للعواطف والظروف فجعلوا النغم مطربا فى الأعياد والأفراح ، وحماسيا فى ذكرى الشهداء والأبطال ، ومشجيا فى الجنازات وأسبوع الآلام ، وخشوعيا فى الأصوام ، وهكذا ترتاح النفس ويحصل المصلى على السلام وهدوء البال .

أوضاعها :

الأصل فى العبادة المقبولة لدى الله أن تكون صادرة عن القلب وبالفكر وحده أو باللسان كترجمان للضمير ، ولكن رجال الله القديسين قديما وحديثا رأوا أن تقترن هذه العبادة بحركات خضوعية ظاهرية توافق أحوال القلب ، وتعبر عن حقيقة المشاعر لنفع المصلى ونفع من يشاهدون عبادته . ويتبين مما يلى أن الله تعالى يسر بهذه الأوضاع الظاهرية ، وأن الرب يسوع نفسه قام بها لنقتدى به .

وتتلخص أهم أوضاع الصلاة فيما يأتى :

١ — الوقوف : وقد اعتادته الكنيسة قديما (١ صم ١ : ٢٦) ، وأشار إليه المخلص حديثا (مت ٦ : ٥ ، مر ١١ : ٢٥) ، وعلى هذا الأساس تقام الصلاة فى العبادة الجمهورية وقوفا ، وبخاصة وقت قراءة الكتب الألهية .

٢ — الركوع والسجود : كان السيد المسيح يصلى جاثيا على ركبتيه (لو ٢٢ ٤١) ، وكذلك رسله (أع ٧ : ٦٠) ، ويستعمل السجود ، وهو الذى يعبر عنه فى الكتاب بالخرور أو السقوط على الوجه ، فى الصلاة كما فعل موسى وهرون (عد ١٦ : ٢٢) ، وأشار إليه المخلص حين قال « مكتوب للرب إلهك تسجد » (مت ٤ : ١٠) ، وهو دليل الخضوع وزيادة التواضع أمام الله . « والمرتب فى بيعتنا أن المصلى يسجد عندما يرد ذكر السجود لله تعالى فى الصلاة ، ويبتدىء بسجدة واحدة أو ثلاث سجدات ، وكذلك فى آخر كل مزمور وتسبحة » (المجموع الصفوى ص ١٣٠) . وأما الأوقات المأمور فيها بترك السجود إلى الأرض دون الانحناء والركوع فهى أيام الآحاد والأعياد السيدية ، وبعد تناول القربان ، وأيام الخمسين ، والسبوت على مدار السنة ما عدا السبت الكبير لأن المسيح كان فيه فى القبر ، وأحد العنصرة الذى فيه اصطلحت الكنيسة على أن يكون الشعب وقوفا ذكرا لقيامة المخلص من الأموات وتلزم بنيها أن يحثوا على ركبهم والكاهن يتلو صلاة السجدة وهو جاث على ركبتيه أمام الشعب (اللآلىء النفيسة جزء ١ صفحة ١٩٧) .

٣ — رفع الأيدى : ومما يستحب فى الصلاة رفع الأيدى وبسط الأكف لا سيما أوقات الطلبات لقول الرسول « فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال » (١ تى ٢ : ٨) ، ولقول داود « إرفعوا أيديكم نحو القدوس وباركوا الرب » (مز ١٣٤ : ٢) ، وقوله أيضا « بسطت إليك يدى » (مز ٨٨ : ٩ ، ١٤٣ : ٦) . ومعنى رفع الأيدى رفع القلوب والعقول إلى الله ، وهو أبلغ ما يكون فى استمالة الله إلى استجابتنا ، ولهذا فكثيرا ما يرفع الكاهن يديه إلى الله وقت القداس .

٤ — رفع العينين : كذلك يستحب فى الصلاة رفع العينين أحيانا إلى العلو كما عمل سيدنا له المجد وقت إقامة لعازر ولقول داود النبى « إليك رفعت عينى

يا ساكنا فى السموات هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدى سادتهم كما أن عينى الجارية نحو يد سيدتها هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا » (مز ١٢٣ : ١ — ٢) .

٥ — قرع الصدر : وهذا يدل أولا على شدة الحزن والندامة وانسحاق القلب والأقرار بالخطية كما فعل العشار فى صلاته (لو ١٨ : ١٣) ، ويؤتى « عند الاستغفار ندما على ما فرط من المعاصى وأسفا على ما فات من العمر بغير عمل صالح » (المجموع الصفوى ص ١٣١) . ويدل ثانيا على شكوى النفس وتأنيب الضمير والخوف من دينونة الله بسبب الخطية كما فعل صالبو المخلص ، إذ لما رأوا العجائب التى حدثت رجعوا وهم يقرعون صدورهم (لو ٢٣ : ٤٨) .

٦ — البكاء : لمن يمكنه ذلك كداود (مز ٦ : ٦) ، والأنبياء (أش ١٦ : ٩) ، والقديسين .

٧ — إخناء الرأس : للدلالة على خجل المصلى وشعوره بحقارته أمام الله ، وأنه غير مستحق أن يرفع عينيه نحو مسكن قدسه تعالى ، وفى هذا يقول عزرا « اللهم إنى أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهى وجهى نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا وآثامنا تعاظمت إلى السماء » (عز ٩ : ٦) .

٨ — شد الوسط بزنار : وذلك امتثالا لأمر المخلص القائل « لتكن أحقاؤكم ممنطقة » (لو ١٢ : ٣٥) .

الصوم(١)

تعريفه :

الصوم هو الامتناع عن الطعام مدة معينة من النهار ، وبعدها يتناول الصائم أطعمة خفيفة خالية من الدسم ، تذليلا للنفس وترويضا لها للتقوى ، وإضعافا للقوة الشهوانية فتنطاع للنفس الناطقة ، وتحصينا للعقل من هيجان الجسد وثورانه . فمن حيث مدة الانقطاع يحسن أن تكون إلى الساعة السادسة كما فعل بطرس

(١) الصوم : أنظر اللآلىء النفيسة جـ ٢ ص ٤١٨ — ٤٨٢ والمجموع الصفوى ١٣٦ — ١٤٢ وعلم اللاهوت جـ ٣ ص ٤٢٠ — ٤٤٣ .

(أع ١٠ : ٩) ، أو إلى الساعة التاسعة كما فعل كرنيليوس (أع ١٠ : ٣٠) . ومن حيث الأطعمة الخفيفة فعملا بوصية الله لحزقيال القائلة « وخذ أنت لنفسك قمحا وشعيرا وفولا وعدسا ودخنا وكرسنة (كمون) وضعها فى وعاء واحد ، واصنعها لنفسك خبزا كعدد الأيام التى تتكىء فيها على جنبك ثلاث مائة يوم وتسعين يوما لتأكله » (حز ٤ : ٩) . وأما خلو الأطعمة من الدسم فكما فعل دانيال إذ قال « فى تلك الأيام أنا دانيال كنت ناتحا ثلاثة أسابيع أيام لم آكل طعاما شهيا ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر ولم أدهن حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام » (دا ١٠ : ٢ — ٣) . وأخيرا فكون الصوم هو لتذليل النفس والجسد فذلك كقول داود « أذللت بالصوم نفسى » (مز ٣٥ : ١٣) ، وقوله أيضا « ركبتاى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن » (مز ١٠٩ : ٢٤) .

نوعاه :

والصوم كالصلاة نوعان انفرادى وجمهورى :

(أ) الانفرادى : وهو ما يفرضه المسيحى على نفسه أو يفرضه عليه الكاهن فى ظروف خاصة لتحقيق الأغراض الآتية :

١ — رحمة الله وغفران الخطية ، كما صلى نحميا من أجل اليهود الذين بقوا من السبى وكانوا فى شر عظيم ، ومن أجل سور أورشليم المتهدم وأبوابها المحروقة (نح ١ : ٤ — ٦) .

٢ — رضا الله : فقد صام أهل نينوى ولبسوا مسوحا استجلابا لرضاه (يون ٣ : ٥) .

٣ — النجاة من الشدائد : فالوزير هامان عدو اليهود حرض الملك أحشويرش على قتلهم بحجة أنهم لا يعملون سنته ، وصدر الأمر بإبادتهم فى يوم واحد ولما صاموا نجوا من هذه التجربة (أس ٤ : ٣) . ولما صام يهوشافاط نجا من جيش بنى عمون (٢ أى ٢٠ : ٣) .

٤ — طلب الإرشاد الإلهى : كما نادى عزرا بصوم قائلا « لكى نتذلل أمام إلهنا لنطلب منه طريقا مستقيمة لنا ولأطفالنا ولكل ما لنا » (عز ٨ : ٢١) .

٥ — التأهب لعمل مقدس : فخلصنا صام أربعين يوما قبل مناهضة إبليس (مت ٤ : ٢) ، وتلاميذه حينما أمرهم الروح القدس بأن يفرزوا له برنابا وشاول للعمل الذى دعيا إليه صاموا وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما (أع ١٣ : ٣) .

٦ — تذليل النفس والجسد : وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فى تعريف الصوم.

٧ — الزهد والتقشف : فحنة النبية مثلا كانت أرملة فى « نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا » (لو ٢ : ٣٧) .

٨ — مقاومة إبليس : لأن هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم (مت ١٧ : ٢١) .

(ب) الجمهورى : وهو ما فرضه الله رأسا ، أو فرضه الرسل وخلفاؤهم على المؤمنين للأغراض الآتية :

١ — الفوائد الروحية : كترويض النفس للتقوى ، وتمرس الذنوب ، وتعظيم الثواب ، وإضعاف القوة الشهوانية ، والتعبد لله ، والتشبه بالروحانيين ، وتقوية الأشواق والعواطف الروحية .

٢ — وحدة الإيمان والعبادة : وذلك لكى يكون المؤمنون متحدين بفكر واحد ورأى واحد واهتمام واحد ، لاسيما وأول علامات الكنيسة أنها واحدة ، وقد صلى مخلصنا من أجل هذه الوحدة (يو ١٧ : ١١) ، وبطرس تلميذه قال « والنهاية كونوا جميعا متحدى الرأى بحس واحد » (١ بط ٣ : ٨) .

٣ — ارتباط المؤمنين : لأنهم أخوة للمسيح وأبناء لأب واحد ويقتضى هذا حفظ وحدانية الروح بينهم لأنهم جميعا جسد واحد وروح واحد ولهم رجاء واحد (أف ٤ : ٤) .

وجوبه :

ويستدل على وجوبه فى العهدين القديم والجديد مما يأتى :

فى العهد القديم : قال يوئيل النبى « ولكن الآن يقول الرب ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح . ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى

الرب إلهكم لأنه رءوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر» (يؤ ٢ : ١٢ - ١٣) . وقال زكريا النبي « هكذا قال رب الجنود . إن صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر يكون لبيت يهوذا ابتهاجا وفرحا وأعيادا طيبة فأحبوا الحق والسلام » (زك ٨ : ١٩) . أنظر أيضا (لا ١٦ : ٢٩) .

فى العهد الجديد : قال رب المجد « ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين » (مت ٦ : ١٦) ، وقال أيضا « ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون » (مت ٩ : ١٥) ، وقال بولس الرسول موصيا الزوجين « لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكى تتفرغوا للصوم والصلاة » (١ كو ٧ : ٥) .

وبناء على هذه النصوص الإلهية مارس الآباء والأنبياء والرسل قديما وحديثا الصوم وتمارسه الكنيسة منذ العصر الرسولى . ورتبت أصواما معينة فرضت على كل بنيها ممارستها ، وذلك بما لها من سلطان فى سن الشرائع المفيدة لهم . والواجب يقضى بأطاعة ما تأمر به ونفرضه كأنه من الله نفسه الذى قال « الذى يسمع منكم يسمع منى . والذى يرذلكم يرذلنى » (لو ١٠ : ١٦) ، وهدد بالعقاب من يتعمد مخالفتها بقوله « وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندكم كالوثنى والعشار » (مت ١٨ : ١٧) .

شروط :

وللصوم شروط لابد من توفرها لكى يكون مقبولا أمام الله وأهمها ما يأتى :

١ — خلوه من التظاهر : وفى ذلك يقول المخلص « وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك . لكى لا تظهر للناس صائما » (مت٦ : ١٧—١٨) .

٢ — أن يقترن بالصلاة : كما فعل دانيال إذ قال « فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد (وقلت) أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا وحدنا عن وصاياك » (دا ٩ : ٣ — ٥) .

٣ — والاعتراف والتناول : تشبها ببنى إسرائيل أيام صموئيل إذ اجتمعوا إلى المصفاة « واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب وصاموا فى ذلك اليوم وقالوا هناك

قد أخطأنا إلى الرب» (١ صم٧ : ٦) . أنظر أيضا (دا ٩ : ٣—٥) المذكورة سابقاً .

٤ — تلاوة الكتب المقدسة : عملا بقول المخلص « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية » (يو ٥ : ٣٩) .

٥ — أن يقترن بأعمال الرحمة : كما قال الوحى الألهى « أليس هذا صوما أختاره حل قيود الشر فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحرارا وقطع كل نير . أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك . إذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك » (أش ٥٨ : ٦—٧) .

٦ — الامتناع عن التمتعات الجسدية : لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام (رو ٨ : ٦) ، ولذلك يقول الرسول أيضا « لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨ : ١٣) .

جزاؤه :

ويتضح جزاء الصوم من قول النبى عقب كلامه على الصوم المقبول «حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبت صحتك سريعا ويسير برك أمامك ومجد الرب يجمع ساقتك . حينئذ تدعو فيجيب الرب . تستغيث فيقول هأنذا » (أش ٥٨ : ٨—٩) . وقال رب المجد « وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك . . . . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ١٧ — ١٨) .

الأصوام المفروضة :

والأصوام المستقرة فى البيعة القبطية هى الصوم المقدس ، وصوم يومى الأربعاء والجمعة ، وصوم نينوى ، وصوم برامون عيدى الميلاد والغطاس ، وصوم الميلاد ، وصوم الرسل ، وصوم العذراء ، وفيما يلى تفصيل ذلك :

أولا — الصوم الكبير :

لهذا الصوم المقدس المنزلة الأولى بين الأصوام لممارسة المخلص له ، وتمارسه الكنيسة أولا تذكارا لصوم المخلص له ، وهو له المجد صام لا عن احتياج

للصوم بل ليرسمه بمثاله ويقدسه ، وثانيا ذكرا لمراحم الرب وإحساناته التى أفاضها علينا كما جاء فى أوامر الرسل ، وثالثا اقتداء بالسيد المسيح نفسه . ومدة هذا الصوم خمسة وخمسون يوما منها أربعون فى الوسط وهى التى صامها رب المجد ، وأسبوع قبلها يعتبر مقدمة للصوم ، وأسبوع البصخة فى نهايتها .

فالأسبوع الأول ، طبقا للرأى المعول عليه ، هو استعداد وتأهب للصوم ومقدمة له لتدريب المؤمن ليستقبل الصوم بطهارة نفس ونقاوة قلب . ويرى بعضهم ، ومنهم ابن المكين ، أنه أضيف لتكملة الصوم إلى ثمانية أسابيع حتى يكون أربعين يوما كاملة ، على اعتبار أن كل أسبوع خمسة أيام فقط ، بعد إسقاط السبت والأحد اللذين لا يجوز الصوم فيهما وفقا للقوانين الرسولية ، ولا الإفطار فيهما لأنهما داخلان فى أيام الصوم .

أما أسبوع البصخة فقد جاء عنه فى أوامر الرسل قولهم (ليكن عندكم جليلا صوم الأربعين المقدسة . . . . وبعد هذا اهتموا أن تكملوا أسبوع الفصح المقدس وتصوموه بخوف وورع » (دسق ب ١٨ ف ١٠) ، والغرض منه أن يتذكر الصائم آلام رب المجد ويشترك فيها . وإذا كان يوم الكفارة الذى كان يشير إلى هذا الأسبوع قد فرض صومه انقطاعا على الأمة اليهودية فمن باب أولى يفرض هذا الأسبوع على المسيحيين من أجل الآلام التى احتملها فيه سيدهم حبا فى خلاصهم(١).

وكان الصوم المقدس فى بادىء الأمر يمارس وحده عقب عيد الغطاس

(١) **يوم الكفارة** : لقد عين الله هذا العيد فريضة دهرية على بنى إسرائيل مرة كل سنة فى العاشر من شهر تشرين وهو السابع من سنتهم الدينية (لا ٢٣ : ٢٧) للتكفير عن الآثام التى يرتكبونها فى خلال السنة ، ولتطهيرهم من جميع خطاياهم. وكانت تمارس فيه طقوس خاصة ترمز إلى يوم الكفارة العظيم الذى قدم فيه ربنا ذاته كفارة عن خطايا جميع الناس فى سائر العصور . وكان يتحتم فى هذا اليوم على كل يهودى ما عدا المرضى والشيوخ والأولاد أن يمارسوا الصوم من المساء إلى إلى المساء ، ويعتزلوا ، عدا الطعام والشراب ، غسل الرأس ودهنه والعلاقات الزوجية ولبس الأحذية وكل ما يدل على الفرح ، ومن خالف عوقب بالموت ، وبالجملة كان من أعظم أيام السنة (لا ١٦ : ٢٩ — ٣٤) .

كما صام يسوع عقب العماد مباشرة ، ولكنه الحق بجمعة البصخة خوفا من ضياعها بطول الزمن إذا احتفل بها على حدة فى وقت بعيد ، وعلى هذا أجمعت الطوائف المسيحية .

هذا والأوامر الرسولية الخاصة بهذا الصوم تقضى بأنه لا يحتفل فيه بأعياد الشهداء بل يكون ذلك يومى السبت والأحد (دسق ٥١) ، ولا يصير فيه زواج ولا ولائم ولا متكآت للشراب ، ولا يشرب فيه الكهنة نبيذا ولا يدخل فيه أحد حماما (والمقصود الحمامات العمومية) ، وأن يصام إلى الساعة الحادية عشرة ، وجمعة البصخة إلى النجم « أما من لا يستطيع ذلك فعلى قدر قدرته وعلى الأقل لنهاية القداس » (ق ٣٠ لباسيليوس) ، وذلك فيما خلا يومى السبت والأحد فلا يصامان انقاطعيا لأن أولهما خاص باليهود وثانيهما عيد الرب ، كما لا يجب الفطر فيهما لأنهما داخلان فى الصوم . ويجب أن يصام بالزهد والتواضع واجتناب الشهوات ، والنساء لا يلبسن فيه حليهن « وهو شىء خارج عن الزيجة أن يلتصق واحد بفرشته فى الأربعين يوما كلها والويل لمن يفعل هذه الخطية فى البصخة المقدسة» (ق ٣٠ لباسيليوس صفحة ١٤١ من المجموع الصفوى) ، ولذا يجب ملازمة العفاف للتفرغ للصوم والصلاة (١ كو ٧ : ٥) . وتميزا له عن بقية الأصوام ، وللدلالة على الزهد والتذلل فيه نهت الكنيسة عن أكل السمك فيه تعظيما لشأنه .

ثانيا — صوم الأربعاء والجمعة :

منذ العصر الرسولى والكنيسة تمارس صوم هذين اليومين لأن فى أولهما تمت المشورة على قتل المخلص ، وفى ثانيهما صلب . ويلاحظ أن الله أمر شعبه قديما بأن يصوموا ويذللوا أنفسهم فى يوم الكفارة (لا ١٦ : ١٩) ، وذبيحة الكفارة كانت رمزا لذبيحة الصليب . وقد أمر الرسل المؤمنين أن يصوموا هذين اليومين بتذلل تذكارا للمشورة والصلب . وتنص أوامر الرسل على أن يكون الصوم فيهما إلى الساعة التاسعة وهى التى مات فيها واهب الحياة على الصليب ، وإذا اتفق فيهما عيد للشهداء فيصلوا ويتناولوا من الأسرار المقدسة ولا يحلوا الصوم إلى التاسعة . ويصام هذان اليومان على مدار السنة إلا إذا وقعا فى أيام الخمسين أو يومى عيد الميلاد والغطاس . وإذا جاء عيد الميلاد يوم الجمعة فى السنة الكبيسة وكان ذلك يوم ٢٩ كيهك امتنع فيه الفطار لأنه أبدل بيوم ٢٨ كيهك .

ثالثا – صوم نينوى :

كانت الكنيسة السريانية تمارس هذا الصوم منذ القدم ، ولما ارتقى الأنبا أبرآم السريانى البابا الثانى والستين كرسى البطريركية فرضه على أبناء الكنيسة القبطية حتى يكون هناك اتفاق بينها وبين أختها الكنيسة السريانية لما بينهما من وحدة التعليم الأرثوذكسى ، وقد قبلته الكنيسة القبطية دون أن تغير فيه شيئا نظرا للمواهب التي أوتيها هذا البابا والعجائب التي صنعها وأخصها نقل جبل المقطم ، ونظرا لقبوله أيضا صوم الجمعة الأولى من الصوم الكبير . ومنذ ذلك الوقت والكنيسة تمارسه تشبها بأهل نينوى واستدرارا لمراحم الله لأنه مستعد أن يقبل الخطاة متى رجعوا إليه بكل قلوبهم وبالصوم وبالبكاء .

ومدة هذا الصوم ثلاثة أيام لأن يونان مكث فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ولأنه كان آية للمسيح ومثالا لموته (مت ١٢ : ٤٠) . ويبتدئ هذا الصوم عادة يوم الأثنين الذى يسبق بدء الصوم الكبير بخمسة عشر يوما . وينتهى يوم الأربعاء وفصحه يوم الخميس . وقد رتب فى هذا الميعاد مراعاة للوقت الذى أظهر فيه أهل نينوى التوبة والاستغفار ، ولتنبيه المستغرقين فى المآكل أيام الرفاع ، ولتذكر فائدة الصوم وضبط الشهوات . ويعتبر هذا الصوم فى منزلة الصوم الكبير فلا تؤكل فيه الزهومات ولا السمك مبالغة فى التذلل كما تذلل أهل نينوى .

رابعا – صوم البرامون :

البرامون لفظة يونانية معناها فى الاصطلاح الكنسى استعداد العيد ، وتطلق على الاستعداد الذى يسبق عيدى الميلاد والغطاس فقط لفضلهما على سواهما كما يقول علماء الكنيسة ، أما الأول فلفرح السمائيين والأرضيين فيه بتجسد الكلمة الأزلى كما قال الملاك للرعاة ، وأما الثانى فلظهور سر الثالوث الأقدس فيه . وفرضته الكنيسة ليستقبل المؤمنون العيد بما يليق به من طهارة جسدية ونقاوة نفسية وانسحاق قلبى . وتتراوح مدته بين يوم وثلاثة ، فإذا وقع العيد يوم الأحد كان البرامون يومى الجمعة والسبت ، وإذا وقع يوم الاثنين كان البرامون الجمعة والسبت والأحد ، وفيما عدا ذلك فالبرامون يوم واحد . وجاء فى

سنكسار ١٠ طوبة أننا نصوم برامون الميلاد والغطاس حتى لاتنسب لنا الشراهة بالأفطار فى نصف ليلة العيد ، ولذا نصوم البرامون فى هذين العيدين فيكون عوضا عنهما ويكمل لنا القصدان قصد الصوم وقصد العيد .

خامسا – صوم الميلاد :

تمارس الكنيسة هذا الصوم منذ الأجيال الأولى تذكارا لمراحم الله بالجنس البشرى (لو ١ : ٥٤) ، وشكرا له تعالى على افتدائه بنى الإنسان من عبودية الخطية والشيطان ، ولذكرى الأيام الشقية التى سبقت مجىء المخلص ، ولكى يستقبل الصائم المسيح كلمة الله الحى كما استقبل موسى لما صام كلمة الله وهى الوصايا العشر فى لوحى العهد . ومدته أربعون يوما أما الأيام الثلاثة الأولى التى أضافها الأنبا أبرآم السريانى فى أوله فلكى نلتمس من الله ألا يجرب الطائفة مرة أخرى كما جربها فى عهده إذ منحه القوة على نقل جبل المقطم (أنظر سنكسار ٦ كيهك) . ويبدأ دائما فى اليوم السادس عشر من شهر هاتور وينتهى بعيد الميلاد.

سادسا – صوم الرسل :

كان هذا الصوم يسمى صوم العنصرة لأنه يتلو عيد العنصرة ، ولكن آباء مجمع نيقية أطلقوا عليه لأول مرة اسم صوم الرسل إكراما لهم ، ولأنه ينتهى بعيد استشهاد الرسولين بطرس وبولس الذى يقع دائما فى اليوم الخامس من شهر أبيب . ومدة هذا الصوم غير ثابتة ولكنها لاتنقص عن خمسة عشر يوما ولا تزيد على ٤٩ يوما طبقا للحساب الأبقطى الذى وضعه الأنبا ديمتريوس وبمقتضاه جعل مجموع أيام الرفاع الكبير وأيام صوم الرسل ٨١ يوما حتى لا يحل عيد الفصح عندنا مع عيد فصح اليهود . ويبدء هذا الصوم يوم الاثنين الذى يلى عيد العنصرة وفطره فى الخامس من شهر أبيب .

والأصل فى هذا الصوم أن مخلصنا حينما سئل لماذا لا يصوم تلاميذك أجاب قائلا بأنه ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم وحينئذ يصومون (مت ٩ : ١٥) ، وبناء على هذا النطق الألهى صام الرسل بعد صعود الرب كما يتضح ذلك من سفر الأعمال (أع ١٣ : ٢ – ٣ ، ١٤ : ٢٣ ، ٢٧ : ٩ ، ٢١) .

سابعا – صوم العذراء :

هذا الصوم قديم فى الكنيسة، والرأى المعول عليه أن الرسل هم الذين رتبوه بعد نياحة والدة الأله إكراما لذكرها ، وهناك رأى يقول بأن العذراء هى أول من صامه وعنها أخذه المسيحيون القدماء ووصل إلينا بالتقليد . ومدته خمسة عشر يوما تبدأ فى أول مسرى وتنتهى فى ١٥ منه ، وفطره يوم ١٦ مسرى وفيه تحتفل الكنيسة بعيد صعود جسد والدة الأله إلى السماء .

وهذا الصوم وكذا صوم الرسل هما لله كغيرهما من الأصوام ولكنهما دعيا باسم القديسة مريم والرسل تكريما لهم ومن قبيل تسمية الشيء باسم واضعه كقولنا مثلا إنجيل متى وإنجيل مرقس والواقع أنهما إنجيلا المسيح .

الاعتراضات عليه ودحضها :

وللمعترضين على الصوم عدة اعتراضات من العقل ومن النقل نوجزها فيما يلى مع الرد عليها ، ولنبدأ بالاعتراضات العقلية :

أولا : يقولون بأن الصوم لا يعتبر صوما لمجرد الامساك عن الطعام مع بقاء الصائم مهتما بأعماله الاعتيادية ، ويستندون فى ذلك على أمر الله بالاعتكاف فى يوم الكفارة بقوله « ويكون لكم فريضة دهرية أنكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر تذللون نفوسكم وكل عمل لا تعملون الوطنى الغريب النازل فى وسطكم » (لا ١٦ : ٢٩) ، وكذلك على قوله ردا على بنى إسرائيل الذين ذللوا أنفسهم بالصوم ولم ينظر إليهم « ها أنكم فى يوم صومكم توجدون مسرة وبكل أشغالكم تسخرون » (أش ٥٨ : ٣) . وردا على ذلك نقول إن ما جاء بسفر اللاويين لا ينهض حجة على عدم جواز العمل أثناء الصوم، لأن ذلك الاعتكاف كان الغرض منه التأمل روحيا فى الكفارة الأبدية التى كان يوم الكفارة رمزا لها ، ونحن نصوم مثل هذا الصوم يوم الجمعة الكبيرة للتأمل فى موت يسوع على الصليب كفارة عن خطايانا . أما ماجاء فى إشعياء فلم يكن نهيا عن العمل بل توبيخا لليهود لاهتمامهم بأمور الجسد كما هو واضح فى نفس الأصحاح ، وإعراضهم عن روح الصوم الحقيقية وهى الحزن والتذلل والزهد والعفاف .

ولا ريب أن الكتاب لا ينهى الصائم عن ممارسة عمله الاعتيادى إبان الصوم

بل بالعكس نرى فى العهدين أمثلة كثيرة على جواز ذلك، فنحميا وقومه كانوا صائمين أثناء بناء السور (نح ٤ : ٢١) ، وصامت استير وقومها وهم يمارسون أعمالهم إبان السبى (أس ٤ : ١٦) ، وصام اليهود فى خلال حروبهم (١صم ٧ : ٥ – ١٣) ، ورب المجد أباح الشغل أثناء الصوم بدليل قوله « فادهن رأسك واغسل وجهك لكى لا تظهر للناس صائما » (مت ٦ : ١٧ ، ١٨) ، حتى لا تحتجب عن الناس خلافا للعادة ، وبولس ورفاقه كانوا صائمين أثناء سفرهم إلى روما (أع ٢٧ : ٩) . ولا يعقل أن القائل « بعرق وجهك تأكل خبزا » (تك ٣ : ١٩) ينهى عن العمل ، فهو يمقت البطالة والكسل (مت ٢٠ : ٣ – ٦) ، ويقول رسوله « إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا » (٢ تس ٣ : ١٠) . هذا والصوم المقصود الشغل فيه هو الصوم الجمهورى أما الانفرادى فالشغل فيه وعدمه متروك لظروف الصائم .

ثانيا : يعترضون بأن الصوم لا يجب أن يتكرر سنويا ، ويرد على ذلك بأن فى الكتاب أدلة كثيرة على تكراره، فيوم الكفارة كان يكرر سنويا (لا ١٦ : ٢٩) ، وكذلك صوم الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر لبيت يهوذا (زك ٨ : ١٩) ، والفريسى حين وقف يصلى قال « أصوم مرتين فى الأسبوع » (لو ١٨ : ١٢) ، وجاء بسفر الأعمال ما نصه « ولما مضى زمان طويل إذ كان الصوم أيضا قد مضى » (أع ٢٧ : ٩ ، ٢١) ، وفوق هذا فالصوم فضيلة والفضائل يجب تكرارها .

ثالثا : يعترضون بأن الصوم لا يجب ممارسته إلا وقت الشدة، والقول بهذا يجعل الصائم كالنوتى لا يعرف الله إلا وقت الغرق ، على أن التسليم به يجعل المؤمنين ملزمين بالصوم دائما لأنهم دائما فى ضيقات كثيرة طبقا لقول المخلص « فى العالم سيكون لكم ضيق » (يو ١٦ : ٣٣) ، وقول المرنم « كثيرة هى بلايا الصديق » (مز ٣٤ : ١٩) . نعم إن البعض من شعب الله صام فى أيام الشدة التى صادفته ولكن البعض الآخر صام فى ظروف عادية ، كما فعلت حنة النبية (لو ٢ : ٣٧) وكنيسة أنطاكية (أع ١٣ : ٣) ويسوع نفسه ، فالصوم لازم للعبادة لأنه ركن من أركانها كالصلاة والصدقة .

رابعا : يعترض البعض بأن الكتاب لم يعين وقتا للصوم، ويرد على ذلك بأن الله نفسه عين أوقاتا له كما يتضح من (لا ١٦ : ٢٩ ، زك ٨ : ١٩ ، لو ١٨ : ١٢) المذكورة فى الاعتراض الثانى ، ورب المجد نفسه حدد ميعاده حين قال لتلاميذه « ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون » (مت ٩ : ١٥) ، فهو قد تكلم عن الصوم كمبدأ يجب العمل به وترك لتلاميذه أمر تحديد وقته، كما فوض إليهم أمر تدبير الرعية وترتيب العبادة . وما دامت ترتيباتهم هم وخلفاؤهم بأرشاد الروح القدس كما يتبين من قولهم إنه « قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة » (أع ١٥ : ٢٨) ، فيجب الخضوع لها لأن من أطاع الكنيسة أطاع المسيح ، وهو القائل بفمه الطاهر « الذى يسمع منكم يسمع منى » (لو ١٠ : ١٦) . وإذا كانت أستير مع مردخاى فرضت على شعبها صوما لخلاصهم من مكيدة هامان، وجعله اليهود فريضة أبدية عليهم (أس ٩ : ٢٨ — ٣١) ، أفلا يجوز للكنيسة أن تجعل الصوم الذى مارسه المخلص فريضة أبدية تذكرنا برحمته .

خامسا : يعترضون بأن المخلص لم يفرض الصوم فرضا بل تركه لحرية الأنسان واختياره ، بدليل قوله « متى صمتم » ، ويرد على ذلك بأن كلام المسيح هنا منصب على الصوم الشخصى لا الجمهورى ، وأن تعليمه عن الصوم كتعليمه عن الصلاة والصدقة ، وما دامت هاتان واجبتين فكذلك الصوم . ولفظة «متى» فى قوله « متى صمتم » هى للتحقيق لا للشك ، وما بعدها يكون محتما ، وورد مثلها كثير فى الكتاب مثل قول المخلص « متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده » (مت ١٩ : ٢٨) ، وقوله لبطرس « متى رجعت ثبت إخوتك » (لو ٢٢ : ٣٢) ، وقول الرسول « متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضا معه فى المجد » (كو ٣ : ٤) .

سادسا : يعترضون بأن مجرد تغيير الطعام ليس صوما بل الصوم هو الامتناع عنه إلى وقت ما ، ويرد على ذلك بأن الصوم حسب تعليم الكنيسة هو الامتناع عن الطعام مدة معينة من النهار يتناول الصائم فى نهايتها أطعمة خالية من الدسم تذليلا للنفس والجسد ، فهو إذاً إمساك وتغيير للطعام . وقد شرعت الكنيسة ذلك

تمثلا برجال الله الذين مارسوا الصوم بهذه الكيفية فى العهد القديم ، فداود قال « ركبتاى ضعفتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن » (مز ١٠٩ : ٢٤) ، أو حسب طبعة رومية سنة ١٨٥٤ « ولحمى تغير من أكل الزيت » (مز ١٠٨ : ٢٣)، ودانيال صام ثلاثة أسابيع امتنع خلالها عن أكل اللحم وشرب الخمر واقتصر على النباتات والبقول (دا ١٠ : ١٢) ، والله قد أمر حزقيال النبى ألا يتناول فى صومه ، وكان إمساكا عن الطعام وقتا من النهار ، إلا حنطة وشعيرا وفولا وعدسا ودخنا وكرسنة ، أى كمونا (حز ٤ : ٩) مما يلائم طبيعة الصوم ويتفق والغرض منه ، لا كما يصنع البعض الآن من تناول ما لذ وطاب عند الإفطار ، أو تناول الطعام المعتاد فى الليل بدلا من النهار .

سابعا — يعترضون بأن الصوم يجب لله وحده فى حين أنكم تصومون للعذراء والرسل ، وهذا اعتراض باطل لأننا لا نصوم إلا لله ، وأما نسبة هذين الصومين للعذراء والرسل فلتكريمهم وتخليد ذكرهم ، ولأن الصومين ينتهيان بيومى عيدهما . وبفرض أن الرسل والعذراء صاموا وأمرونا بالصوم أو وضعوه لنا فلا غضاضة على الكنيسة إن صامت اقتداء بهم .

ثامنا : يعترضون بأن الصوم ترتيب بشرى فلا يجب العمل به ، ويرد على ذلك بأن الذى أوجبه هو الله نفسه كما ذكر آنفا ، وأما الكنيسة فقد رتبت أوقاته ، وإذا كنا نخضع لأنظمة الرؤساء المدنيين فمن باب أولى الروحيين ، سيما وأن الرب أمر بطاعتهم بدليل قوله « وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار » (مت ١٨ : ١٧)، والترتيب نفسه صالح ومفيد للبنيان ، وهو موضوع بأرشاد الروح القدس . وفوق هذا فالتقيد بأوامره واجب تشبها برجال الله القديسين ، فقد أمر الله موسى أن يضع للشعب نشيدا يسبحونه به جميعا (تث ٣١ : ١٩ — ٢١)، وكان بنو إسرائيل وكهنتهم لا يسبحون الله إلا بمزامير داود ، وقال الرسول « متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور » (١ كو ١٤ : ٢٦) .

تاسعا : يعترضون بأن الصوم مضعف للصحة ، وهذا اعتراض يخالف الحقيقة ، فالثابت طبيا أن تناول البقول أنفع لصحة الأبدان وأدعى لإطالة

العمر ، والكتاب نفسه يؤيد هذا الرأى فطعام الأنسان الأصلى كان من البقول لا اللحم ، بدليل قوله تعالى لآدم « قد أعطيتكم كل بقل يبذر بذرا . . . لكم يكون طعاما » (تك ١ : ٢٩) ، وكانت هذه قاعدة الحياة من آدم إلى نوح ، وكان مستوى الأعمار عاليا ، بدليل أن متوشالح عاش ٩٦٩ سنة (تك ٥ : ٢٧) . ولما صرح الله لنوح بأكل اللحم بعد الطوفان (تك ٩ : ٣) هبط مستوى الأعمار وأصبح ١٢٠ سنة فى المدة بين نوح وموسى ، بدليل موت موسى فى هذه السن (تث ٣٤ : ٧) ، ومنذ ذلك الزمان أخذ المستوى يقل حتى بلغ ٨٠ سنة من موسى إلى داود (مز ٩٠ : ١٠) ، وذلك بخلاف الشاذ والنادر فى هذه الحقب. وقصة دانيال ورفاقه الثلاثة الذين اقتصروا على أكل القطانى ورفضوا أطايب الملك فحسنت صحتهم لمن أكبر الأدلة على فائدة الصوم للصحة (دا ١ : ٨ — ١٧) . ولا يخفى أن الأطباء يعالجون كثيرا من الأمراض بمنع المرضى من تناول اللحم والاقتصار على البقول .

أما الأدلة الكتابية التى يستند عليها المعترضون على الصوم فنوجزها مع الرد عليها فيما يلى :

أولا : يعترضون على الصوم مستندين إلى قول الرسول « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » (كو ٢ : ١٦) ، ويرد على ذلك بأن الرسول لا يقصد الإشارة إلى أصوام الكنيسة بل إلى الطقوس اليهودية التى طالما حذر المؤمنين منها .

ثانيا : يعترضون بأن السيد المسيح قال « ليس ما يدخل الفم ينجس الأنسان » (مت ١٥ : ١١) ، ويرد على ذلك بأن كلامه خارج عن موضوع الصوم ، وأنه قصد به الأشارة إلى اعتقاد الكتبة والفريسيين بأن من الأطعمة ما هو نجس بالذات ينجس آكله ، وكذا الأشارة إلى اعتراض الفريسيين على تلاميذه لعدم غسل أيديهم قبل الأكل ، فكأنه يريد أن يوبخ الفريسيين على غسل أيديهم رياء بينما قلوبهم مملوءة اختطافا ، وينبههم إلى أن الإنسان لا ينجسه أن يأكل بأيدى غير مغسولة ما دام قلبه طاهرا ، فالذى ينجس هو ما يخرج من القلب من شرور .

ثالثا : يعترضون بأن الامتناع عن بعض الأطعمة مناف لتعليم الكتاب الذى يقول « إنه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الأيمان . . . مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر . . . . لأن كل خليقة الله جيدة » (١ تى ٤ : ١ — ٤) ، ويرد على ذلك بأن قول الرسول مقصود به جماعة من المبتدعين ظهروا فى فجر المسيحية كالسيمونيين والنيقولاويين وغيرهم ممن خرجوا على الأيمان وأنكروا الزواج ومنعوا عن بعض الأطعمة كاللحم والخمر بحجة أنها خلقت من الأله الشرير أى الشيطان ومن ثم فهى رديئة فى ذاتها ، ومن أمثلة هؤلاء المبتدعين مرقيون الملحد ، وأتباع مانى الذين يزعمون أن من يأكل لحما يأكل نفسا . وقد فند الرسول أضاليلهم بقوله إن الله هو الذى خلق هذه الأطعمة وخلقها ليتناولها المؤمنون بالشكر ، وأنها فى ذاتها جيدة لأن الله نظر كل شىء خلقه فأذا به حسن جدا ، وأن تناولها لا إثم فيه ولا شر بل مقبول عند الله وحسن لديه . أما الكنيسة فحينما تمنع بعض الأطعمة لاتفعل ذلك لنجاسة ذاتية فى هذه الأطعمة وإلا لما صرحت بتناولها فى غير الصوم ، بل لعدم ملاءمتها للصوم المقصود به طهر الجسد والتذلل .

رابعا : يعترضون بأن الرسول قال « ليس ملكوت الله أكلا وشربا . بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس » (رو ١٤ : ١٧) ، وأنه بناء على هذا يخطىء من يعتقد أن وراثة الملكوت تكون بالصوم والزهد ، ويرد على هذا بأن الرسول قصد بكلامه ما ذبح للأوثان ، فكأنه يقول لسائليه إن المؤمن إذا اعتقد أن ذبائح الأوثان محرمة فهذا التحريم لا يمنعه من دخول السماء ، وان اعتقد أنها محللة فلا يورثه هذا الاعتقاد الملكوت لأن ملكوت الله ليس أكلا وشربا بل هو بر وسلام .

خامسا : يعترضون بأن أكل البقول دليل على ضعف الأيمان ، والدليل على ذلك قول الرسول « واحد يؤمن أن يأكل كل شىء وأما الضعيف فيأكل بقولا » (رو ١٤ : ٢) ، ويرد على هذا بأن كلام الرسول هنا لا علاقة له بالصوم مطلقا بل هو حسم لخلاف قام بين فريقى المتنصرين من الأمم واليهود ، فالمتنصرون من الأمم كانوا يتناولون كل الأطعمة لعلمهم أن الأنجيل لم يحرم شيئا من المأكولات ،

أما متنصرو اليهود فلعدم تمكنهم من التعليم المسيحى كانوا يمتنعون عن بعض الأطعمة بحجة أنها نجسة فى ذاتها ، بدليل قول الرسول فى تفنيد هذا الرأى «لا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب» (كو ٢ : ١٦) ، وكانوا يأكلون البقول لعلمهم أن الشريعة الموسوية قد حرمت كثيرا من الطيور والبهائم ولم تحرم شيئا من البقول ، فاعترض الأمم على اليهود واحتقروهم . فلما بلغ ذلك مسامع بولس الرسول وبخ الأمم على سلوكهم قائلا «من أنت الذى تدين غيرك» ، وأوصى قائلا «لا يزدر من يأكل بمن لا يأكل» ، وأمرهم قائلا «ومن هو ضعيف فى الأيمان فاقبلوه» حتى لا يتطرق الفشل أو الشك إلى نفسه (رو ١٤ : ١ — ٤) ، ثم بين أن سائر أنواع اللحوم محللة فى الشريعة الجديدة غير أن من لا يستريح ضميره لأكل نوع منها فليتجنبه ويأكل بقولا فذلك أفضل له .

صواب الخطأ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢	٢٨	إن وجود الله ذو	إن الله ذو
٣٩	٤	يقبل القسمة	لا يقبل القسمة
٢٦١	١٢	ببلعزبول	ببعلزبول
٣٤٨	٢٦	أنظر الاعتراض	أنظر الرد على الاعتراض

تنبيـــه هام

بعد الفراغ من طبع الجزء الأول من كتاب «كنوز النعمة» تنبهنا إلى خطأ فى النقل فى ذلك الجزء فاتنا تداركه فى حينه . ففى صفحة ٧٤ تحت عنوان «شهادة مارجرجس الرومانى (٢٣ برموده)» نقلنا فى السطور الأربعة الأولى شرح إنجيل باكر بدلا من إنجيل القداس ، ولهذا نرجو تصحيحها على الوجه الآتى :

تأييد يسوع له (لو ٢١ : ١٢—١٩) : يتكلم هذا الفصل عن تأييد الرب يسوع لهؤلاء الشهداء الذين يضطهدون من أجل اسمه ، ودليل ذلك قوله «لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناهضوها» . ويشير المزمور إلى تقوية المخلص لهم بقوله «نور أشرق للصديقين» . أما رسالة البولس ...

تم الجزء الثانى

ويليه الثالث

SHIHEET

PDF 2012